صحيح شعب الإيمان

تصنيف

الشيخ خالد عبد الرحمن العك

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ٣٧٧١/١١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعين به، ونستغفرُهُ ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللّهِ من شرورِ أنفسِنَا ومن سيئاتِ أعمالِنَا، من يهدِهِ اللّهُ فلا مُضلّ لهُ، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلّى اللّه عليه وسلّم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾.

أما بعد: فإنّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللّه تعالىٰ، وخيرَ الهدْيِ هَدْيُ محمّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمُورِ مُحْدَثاتُها، وكلّ مُحْدَثَةٍ بدْعَةٌ، وكلّ بدعة ضَلالَةٌ، وكلّ ضَلالَةٍ في النّارِ.

إنّ مَصْدَرَ الإسْلامِ وأصْلَ الإيْمَانِ ـ عَلى التّعْيِيْنِ والتّخْصِيص ـ هُوَ «كتابُ اللّه تبارَكَ وتَعالَىٰ وسُنّةُ رَسُولِه ﷺ»، فَقَدْ أَكْمَلَ اللّهُ تعالَىٰ بِهِمَا عَقِيدَةَ الإسْلامِ وشَرِيعَتَهُ، وأَتَمّ بِهِمَا عَلَيْنا فَضْلَهُ وإِحْسانَهُ! فلَهُ الحَمْدُ والمِنّةُ علىٰ إفْضالِه وإكْرامِه!!.

هٰذا وإنّ العَقِيدَةَ ـ على عَظِيم شَأْنِهَا ـ قَدْ جَاءَتْ في القُرْآنِ الكَرِيم مُجْمَلَةً، ثُمَّ جَاءَتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ بِتَفْصِيلِ مَسَائِلِهَا وَإِيْضَاحِ أُصُولِهَا وَتَبْيِينِ شِعَابِهَا، وَأَوْضَحُ بُرْهَانٍ عَلَى ذٰلكَ «تفصيلُ شُعَبِ الإيمانِ» في الأحاديثِ الصَّحِيحَةِ الثَّابتَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كما صحّ عنهُ ﷺ: «الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً»، وثبَتَ عنهُ ﷺ تفصيلُها في أحاديثِهِ النّبويّةِ الشّرِيفَةِ، ممَّا رَوَاهُ الصَّحابةُ الكِرَامُ، وتَلَقَّاهُ التّابعونَ، والأئمّةُ المجتهِدُونَ، والحُفّاظُ الضّابِطُونَ، والمحدِّثونَ المُتْقِنُون، إلى أنْ جاءَ عَهْدُ التَّصْنِيفِ والتَّدْوِينِ، فَأَوْدَعَ أَهلُ الحديثِ ما تلقّتْهُ الأُمّةُ بالإيمانِ والتّصديقِ مِنْ أَحاديثِ العقيدةِ، في الكُتُبِ والمُصَنَّفاتِ التّي بَلَغَتِ المئاتِ؛ مِمَّا يَدُلُّ على عظيمِ رعايةِ الأُمّةِ لعقيدَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وعقيدةِ السّلَفِ الصّالحِ، من غيرِ تحريفٍ ولا تزييفٍ، ولا زيادَةٍ ولا نَقْصٍ، ولا تأويلٍ ولا تَعْطِيلٍ، حيثُ لم يُؤْثَرْ عن أيٍّ مِنَ السّلَفِ الصّالحِ مُعارَضَةٌ أَوْ مُنَاقَضَةٌ لِما ثَبَتَ عَنْ رسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ الوَاضِحَةِ؛ إلى أنْ نَشَبَتْ فِتْنَةُ «المتكلِّمينَ» الّذينَ عَارَضُوا بِعُقُولِهِمُ أحاديثَ العقيدَةِ والإيمانِ، بِزَعْمِ أنّها آحادٌ تُفِيدُ الظَّنَّ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا بتعطيلِ أحاديثِ العقيدةِ والإيمانِ، فخَسِرُوا تحقيقَ اليَقِينِ في عقيدَتِهِمْ، فهَاجُوا ومَاجُوا في خِضَمِّ المَسائِلِ الكلاميةِ المظنُونَةِ المُتَعَارِضَةِ المُتَنَاقِضَةِ، المُرَكَّبَةِ مِنَ الأَقْيِسَةِ المَنْطِقِيّةِ، والقَائِمَةِ على المَفاهِيمِ الفَلْسَفِيَّةِ اليُونَانِيَّةِ، والمَوْزُونَةِ بالمَحْسُوسَاتِ العقليةِ الضّيِّقةِ، فكانَ نَتِيجَةً لذَلكَ اَخْتلافُ مَذَاهِبِ المتكلِّمين وتَعَارُضُهُمْ في أُصُولِ عقيدَتِهِمْ وفُرُوعِهَا.

فهذا الإمامُ الرّازي «شيخُ أَساطين أهلِ الكلامِ» يُقِرُّ بهذِهِ الحقيقةِ بعدَ أنْ قضَى عُمُرَهُ في تأييدِ المذهبِ الكلامي «المُخالِفِ لمذهبِ السّلَفِ الصّالحِ». حيثُ نَدِمَ علىٰ ما ضَيَّعَهُ مِنْ حَياتِهِ في «عِلْمِ الكَلامِ»، فَرَجَعَ إلى مَذْهَبِ السّلَفِ الصّالحِ في العَقِيدَةِ والإيمانِ، وذلكَ فيمَا صَرَّحَ بِهِ في قولِهِ:

«لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرقَ الكلاميَّةَ والمَناهجَ الفَلْسَفيَّةَ، فمَا رَأَيتُها تَشْفي عَليلاً وَلا تَرْوي غَليلاً؛ ورَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَريقةَ القُرْآنِ، أَقْرَأُ في الإثْباتِ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأُ في النَّفْي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشّورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾ [طه]، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾ [مريم]، ومَنْ جرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتي عرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتي».

وحقّاً فَمَنْ جرَّبَ أَهْوالَ القِيلِ والقَالِ وكَثْرَةَ اضْطِرابِ علمِ الكَلامِ، عرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَةِ الإمامِ الرّازي...

وانْظُرْ إلى تَقْرِيرِهِ في كتابِهِ «أَقْسام اللَّذَّاتِ» في تَقْسيمِهِ هذه المَقامَاتِ حيثُ يَقُولُ إنّها ثلاثٌ: «العلمُ بالذَّاتِ، والصِّفاتِ، والأفعَالِ؛ وعلىٰ كُلِّ مَقام عُقْدَةٌ: فَعِلْمُ الذّاتِ عليه عُقْدَةٌ؛ هَلِ الوُجودُ هُوَ المَاهيَّةُ أو زَائدٌ علىٰ المَاهيّةِ؟! وعِلْمُ الصِّفاتُ عليه عُقْدَةٌ؛ هَلِ الصِّفاتِ زَائِدَةٌ علىٰ الذَّاتِ أَمْ لا؟! وعِلْمُ الأَفعَالِ عليه عُقْدَةٌ؛ هَلِ الفِعْلُ مقارنٌ للذَّاتِ أو مُتأخِّرٌ عنها؟! ثُمَّ قالَ: ومَنِ الّذي وَصَلَ إلى هٰذا البَابِ، أو ذَاقَ مِنْ هٰذا الشَّرَابِ؟! ثُمَّ أَنْشَدَ يقُولُ:

نِهَايَةُ إقْدامِ العُقُولِ عِقَالُ ... وأَكْثَرُ سَعْيِ العَالَمِينَ ضَلالُ
وأَرْوَاحُنَا في وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذىً ووَبَالُ
ولَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِوَى أَنْ جمَعْنَا فيه قِيلَ وَقَالُوا

فهذِهِ النَّتِيجَةُ الّتي تَوَصَّلَ إليهَا «الإمَامُ الرّازي» صَحيحَةٌ وسليمَةٌ، فإنَّ عِلماً يقومُ على تَصَوُّراتٍ غيبيّةٍ، وتوهّماتٍ مَظْنُونَةٍ، لَخَليقٌ بهذهِ النَّتيجَةِ الصَّريحَةِ وأَحْكَامِها الصَّحيحةِ!!...

ولهذا كانَ مِنْ دَأْبِ الأئمّةِ المجتهدينَ المَهْدِيينَ «أبي حنيفةَ، ومالك، والشّافعي، وأحمد» ومَنْ كانَ من طبقتِهم وعلى طريقتِهم مِنَ الحُفّاظِ والمحدِّثين والفُقهاءِ والعُلَماءِ؛ التَّحْذِيرُ مِنْ أَخْطارِ عِلمِ الكَلامِ، الّذي يُورِثُ أَهلَهُ الكثيرَ مِنَ الظّنُونِ في أُصُولِ العقيدَةِ، والشُّكُوكِ في فُرُوعِها، بِما لا

يُطيقهُ أهلُ اليقينِ مِنَ المُؤمنينَ الصَّادقينَ المُوقِنينَ بعقيدَةِ السَّلَفِ الصَّالحِ الّتي هي عَقيدَةُ «رَسُولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وسلّم»!!..

و «عَقيدَةُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ» هيَ كتابُ ربِّهِ سُبْحَانَهُ وسُنّتُهُ الصَّحيحَةُ الثَّابتَةُ بِنَقْلِ العُدُولِ الثِّقاتِ الضَّابِطينَ المُتْقنينَ عَنْ مِثْلِهِمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إلىٰ آخِرِهِمْ!!...

ولَقَدْ كانتِ السُّنَّةُ النَّبويَّةُ ولاَ زَالَتْ عَقيدَةَ المُسْلمينَ الصَّادقينَ المُوقِنينَ، ومَصْدَرَ دِينِهِمْ وشَريعَتِهِمْ بَعْدَ «القرآنِ الكريم» بِلاَ فَصْلٍ بَيْنَهُمَا، ولا تَعْطِيلٍ لأَحَدِهِمَا؛ وذلكَ لِقوّةِ ثُبُوتِ نُصُوصِ السُّنَّةِ، ولكبيرِ حُجِّيَّةِ دَلاَلاَتِهَا؛ إذْ هي ـ وَحْدَهَا ـ المُبيِّنَةُ لمُجْمَلِ القُرْآنِ «عَقيدَةً وشَريعَةً» والمفصِّلَةُ لأحكامِ الإسْلاَمِ، والمُوضِّحَةُ لشُعَبِ الإيمَانِ، كَمَا هُوَ الثَّابتُ يَقيناً مِنْ عَهْدِ النّبوّةِ وتَبْليغِ الرِّسالَةِ، ثمَّ إلى عَهْدِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيينَ، ثمَّ إلى عَهْدِ الصَّحابَةِ والتّابِعينَ، ثمَّ إلى عُهُودِ الأئِمَّةِ المُجْتَهدينَ، ثمَّ إلى مَنْ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ كانَ مِنْ طَبَقَتِهِم وعلى طَرِيقَتِهِمْ إلى الآنِ، لَمْ يُخَالِفْ في ذَلِكَ إلاّ أَصْحابُ الأَهْوَاءِ والظُّنُونِ والشُّبُهَاتِ «مِنَ الفِرَقِ الكلاميَّةِ البَعيدَةِ عَنْ هَدْيِ النُّبُوَّةِ» القَائلُونَ بظَنِّيَّةِ ثُبُوتِ السُّنَّةِ الصَّحيحَةِ في العَقيدَةِ والإيمانِ.

ومِمّا يَدْحَضُ مَزَاعِمَهُمُ الوَاهِيَةَ حَوْلَ حُجِّيَّةِ السُّنَّةِ الصَّحيحَةِ في العَقيدَةِ هو: أنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْ مَسَائِلِ العقيدَةِ وشُعَبِ الإيْمَانِ وأَحَاديثِ الصِّفاتِ؛ هُوَ حَقٌّ ثابتٌ في اعْتِقادِهِ ﷺ، ومَا كانَ حَقٌّ ثابتٌ في عقيدَةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وإيمانِهِ، هو حَقٌّ ثابتٌ في عَقيدَةِ الصَّحابَةِ وإيمَانِهِمْ بلاَ فَرْقٍ أَوْ تَمييزٍ لأَنّهم مُبَلِّغُونَ عَنْ سَماعٍ وتَلَقٍّ عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مُبَاشَرَةً، أَوْ عَمَّنْ سَمِعَ منهُ وتلقَّى عنهُ، كما هُوَ الثّابتُ عنهُ ﷺ في إرْسالِهِ الأفْرادَ مِنْ أَصْحَابِهِ إلى أَهْلِ البِلادِ لِتَبْليغِهِمُ الإسْلاَمَ والقُرْآنَ والإيمانَ، فدَخَلَ بذلكَ التَّبليغِ مِئاتُ الآلافِ مِنَ النّاسِ في الإسْلاَمِ، فكانَتْ عَقيدَتُهُمْ هي عَقيدَةُ الصَّحَابَةِ الّتي «هي عَقيدَةُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ»، فمَا كَانَ قَطْعِيُّ الثُّبُوتِ في حَقِّ الصَّحابَةِ، هو قَطْعِيُّ الثُّبُوتِ في حَقِّ مَنْ بَلَغَهُمُ الإسْلاَمُ

والقرآنُ والسّنّةُ عَنْ آحادِ الصَّحابةِ، ومَنْ زَعَمَ أنَّهُ ظَنِّيُّ الثُّبُوتِ في حَقِّ مَنْ بَلَغَهُ الإسْلامُ والقُرْآنُ والسُّنَّةُ مِنَ التَّابِعينَ وتَابِعِيهِمْ، فقَدْ قَدَحَ في فِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في الاكْتِفَاءِ بتَبْلِيغِ الوَاحِدِ الثِّقَةِ العَدْلِ الضَّابِطِ، والقَدْحُ في فِعْلِه ﷺ مِنْ نَوَاقِضِ الإسْلامِ والإيْمانِ ـ والعِيَاذُ باللَّهِ تعالىٰ من ذٰلِكَ ـ إذاً فَمَا كَانَ مَقْطُوعُ الثُّبُوتِ في حَقِّ الصَّحابَةِ هُوَ مَقْطُوعُ الثُّبُوتِ في حَقِّ التَّابِعينَ، وما ثَبَتَ في حَقِّ التَّابِعينَ هُوَ ثَابِتٌ في حَقِّ تَابِعِ التَّابِعِينَ إلى يَوْمِ الدِّينِ بلاَ تَفْرِيقٍ كَلامِيٍّ، ولا تمييزٍ مَنْطِقِيٍّ، ولا تَعْلِيلٍ فَلْسَفِيٍّ، ولا تَشْكِيكٍ ظَنِّيٍّ، ولا تَوَهُّمٍ خَياليٍّ.

فإذا ثَبَتَ اليَقِينُ بتَبْلِيغِ القُرْآنِ لأَهْلِ الآفَاقِ في حياةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ثَبَتَ اليَقينُ بتَبْلِيغِهِم سُنَّتَهُ ﷺ سَواءٌ ذلكَ في العَقِيدَةِ أو في الشَّرِيعَةِ. ومَا كانَ حُجَّةً في حَياةِ الصَّحابَةِ هُوَ حُجَّةٌ في حَياةِ التَّابِعِينَ والأئمّةِ المجتهدين وجميعِ المُسْلِمينَ إلى يَوْمِ الدِّينِ، وهٰذا ما يَدِينُ بهِ أَهْلُ اليَقِينِ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ في الإيمَانِ والتَّصْدِيقِ بجَمِيعِ مَا صَحَّ وثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ في العَقِيدَةِ والشَّرِيعَةِ بلاَ ظُنُونٍ ولا شُكُوكٍ؛ بَلْ إيمَانٌ وتَصْدِيقٌ، كما قالَ الإمَامُ الشَّافعيُّ: أؤمنُ باللَّهِ ومَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ على مُرَادِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأُؤْمِنُ بِرَسُولِ اللَّهِ وَمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ على مُرَادِ رسولِ اللَّهِ ﷺ!.

فَهٰذِهِ هِيَ طَرِيقَةُ السَّلَفِ الصَّالحِ في العَقِيدَةِ والإيمَانِ كِتاباً وسُنَّةً!!!.

هٰذا وإنّ مِنْ يُمْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ على أُمَّتِه انْتِشَارَ دَعْوَتِه وتَعْمِيمَ هِدَايَتِه، في الأَنْفُسِ والآفَاقِ، وسُطُوعَ أَنْوَارِ سُنَّتِه في العُقُولِ والقُلُوبِ، وسُرْعَةَ الاسْتِجَابَةِ والإقْبَالِ ـ في الأَجْيَالِ المُتَصاعِدَةِ ـ على أَحَادِيثِه وآثَارِه، بالحِفْظِ والتَّدْوِينِ، والإتْقَانِ والتَّعْلِيمِ؛ فَهٰذِهِ كُتُبُ الصِّحاحِ والسُّنَنِ والمَسَانِيدِ والمُصَنَّفَاتِ، قَدْ عَمَّتْ مَنَافِعُهَا، وَأَيْنَعَتْ ثِمارُهَا، وطَابَ قِطَافُهَا؛ فِيمَا بَذَلَهُ الحُفَّاظُ والمحدِّثُونَ مِنْ تَحْقِيقَاتٍ علميةٍ حَدِيثِيَّةٍ، وتَمْيِيزِ لِصَحِيحِ الرِّوَايَاتِ مِنْ ضَعِيفِهَا، وقَوِيِّهَا مِنْ سَقِيمِهَا، وعلى الأَخَصِّ تَمْيِيزُ صِحَاحِ السُّنَنِ الأَرْبَعَةِ مِنْ ضَعِيفِهَا، وَفَصْلُ صَحِيحِ الجَامِعِ الصَّغِيرِ وزِيَادَتِه

عَنْ ضَعِيفِهِ، وَسِلْسِلَةُ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وسِلْسِلَةُ الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ والمَوْضُوعَةِ؛ بالتَّحْقِيقِ العِلْمِيِّ الحَدِيثِيِّ، والتَّمْحِيصِ النَّقْدِيِّ الصَّحِيحِ القَائِمِ على أَدَقِّ قَوَاعِدِ عِلْمِ الرِّوَايَةِ والتَّحْدِيثِ، وأُصُولِ الجَرْحِ والتَّعْدِيلِ، بالعَزْوِ إلى المَرَاجِعِ، والإِسْنَادِ إلى المَصَادِرِ، بالضَّبْطِ والاتْقَانِ والأَمَانَةِ والاهْتِمَامِ، بِلاَ هَوىً مُتَّبَعٍ، ولا تَقْلِيدٍ مُخْتَرَعٍ، ولا تَعَصُّبٍ مُبْتَدَعٍ؛ بَلْ بِـالحُجَّةِ والبَيَانِ، والدَّلِيلِ والبُرْهَانِ، صَوْناً للسُّنَّةِ وحِفْظاً للدِّينِ!!!..

وهٰذا الكتابُ الَّذي أَكْرَمَنِي اللَّهُ تباركَ وَتَعالىٰ بِجَمْعِهِ وَتَصْنِيفِهِ وَتَأْلِيفِهِ وَتَدْوِينِهِ في «صَحِيحِ شُعَبِ الإيمَانِ» هُوَ مِنْ ثَمَرَاتِ تِلْكَ الصِّحَاحِ المُثْبَتَةِ والأُصُولِ المُتْقَنَةِ والمَصَادِرِ المُحَقَّقَةِ، الَّتي حَفِظَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ بها سُنَّةَ رسولِهِ الكَرِيمِ ﷺ إِلىٰ أَنْ وَصَلَتْ إِلينا صَحِيحَةً سَلِيمَةً، لَمْ تَشُبْهَا شَائِبَةُ الابْتِدَاعِ والتَّبْدِيلِ، ولَمْ تَعْبَثْ بِهَا أَهْوَاءُ المُضِلِّينَ، ولا أَيْدِي المُحَرِّفِينَ، بَلْ قَطَعَ اللَّهُ تَعَالَى دُونَهَا أَيْدِيَ المُغْرِضِينَ، وَآمَالَ الطَّامِعِينَ، الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ لِلْمُسْلِمِينَ بِدَوَائِرِ الإِرْجَافِ والتَّشْكِيكِ، لِقَطْعِ صِلَتِهِمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، ولإِقْصَائِهِمْ عَنْ دَوْحَةِ النُّبُوَّةِ ومَعْدِنِ الرِّسَالَةِ المُطَهَّرَةِ بِمَقَالاتِ التَّشْوِيهِ والمُغَالَطَةِ والبُهْتَانِ، فَجَعَلَ اللَّهُ كَيْدَهُمْ في نُحُورِهِمْ، وخَيَّبَ ظُنُونَهُمْ، وأَبْطَلَ سَعْيَهُمْ، وَأَدْحَضَ شُبُهَاتِهِمْ، بِمَا قَيَّضَ سُبحانه لِسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ عَوَامِلِ الحِفْظِ والبَقَاءِ والسُّمُوِّ والرِّفْعَةِ إِلىٰ أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الأَرْضَ ومَنْ عَلَيْهَا!!!.

وإِنَّ مِمّا يَجِبُ ٱعْتِقَادُهُ عَنْ إِيمَانٍ جَازِمٍ وَتَصْدِيقٍ قَاطِعٍ في سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّها مَصْدَرٌ تَالٍ للقُرْآنِ الكَرِيمِ في العَقِيدَةِ والإِيمَانِ، والشَّرِيعَةِ والأَحْكَامِ، وهٰذا يَعْنِي أَنَّها مَعْصُومَةٌ عَنِ الأَهْوَاءِ، وَمَحْفُوظَةٌ مِنَ الأَخْطَاءِ، فَهِيَ حُجَّةٌ دَائِمَةٌ بَاقِيَةٌ، لَمْ يَطْرَأْ عَلَيْهَا وَهْنٌ، ولَمْ يَكُنْ فِيهَا إِعْيَاءٌ، ولَمْ يَتأَتَّ مِنْهَا ضَعْفٌ ولا عَجْزٌ، فكانَتْ ولا زَالَتْ حُجَّةَ أَهْلِ الحَقِّ، وبُرْهَانَ أَهْلِ الصِّدْقِ، كَيْفَ لاَ ورَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُجَّةُ اللَّهِ على العَالَمِينَ؛ فكانَ ﷺ واضِحَ الجَوابِ إِذا سُئِلَ، وظَاهِرَ الحِجَاجِ إذا جُودِلَ، لا يَحْصُرُهُ عِيٌّ، ولا يَقْطَعُهُ عَجْزٌ، ولا يُعَارِضُهُ خَصْمٌ في جِدَالٍ إِلاَّ كانَ جَوَابُهُ أَوْضَحَ وحِجَاجُهُ أَرْجَحَ!!!.

وكَلامُهُ ﷺ إنْ قلّتْ حُرُوفُهُ فقَدْ كثُرتْ معَانيه، فلم يتكلّمْ إلاّ عنْ عِصْمَةٍ، ولَمْ ينْطقْ إلاّ عنْ حِكْمَةٍ، قَدْ شيّدَ اللّهُ تعَالىٰ كَلامَهُ بالتّأْيِيد، ويَسَّرَهُ بالتّوفيقِ، وجَمَعَ اللّهُ لَهُ فيه بين الحَلاوَة والمَهابَة، وبيْنَ حُسْنِ الإفْهَام وجَليلِ الكَلام؛ لم تَسْقُطْ لهُ كَلِمَةٌ، ولاَ زَلّتْ به قَدَمٌ، ولا بَارَتْ لهُ حُجَّةٌ، ولمْ يَقُمْ لهُ خَصْمٌ، ولاَ أَفْحمَهُ متكلّمٌ، ولمْ يَسْمَعِ النّاسُ بعْدَ كلام اللّه تعالىٰ بكَلام أَعَمَّ نَفْعاً، ولاَ أقْصَدَ لفظاً، ولا أعْدَلَ وَزْناً، ولاَ أَجْمَلَ مَذْهَباً، ولاَ أَكْرَمَ مَطْلَباً، ولا أَحْسَنَ موْقعاً، ولاَ أَسْهَلَ مَخْرَجاً، ولاَ أَفْصَحَ لَهْجَةً، وَلا أَبْيَنَ فَحْوىً مِنْ كَلاَمِ رَسُولِ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم!!!.

هٰذا هُوَ وَصْفُ صَاحبِ السُّنَّةِ النّبويّة الشّريفَةِ!! فَأَعْظِمْ به وأَكْرِمْ!! واْعتَصِمْ بهدْيِه، وَاْسْتَمْسِكْ بِأَحادِيثِه، فهي واللّه السّبيلُ الوَاضِحُ! والنّجْمُ اللاّئحُ! والمعلّمُ النّاصِحُ! والعِلْمُ النّافعُ! والبُرْهانُ السّاطِعُ! والمَرْجِعُ عِنْدَ الخِصامِ! والقُدْوَةُ الحَسَنَةُ لجَميعِ الأنَامِ!!!.

والأَحادِيثُ الصّحِيحَةُ مَليئَةٌ بالمَعَانِي الجَليلَةِ؛ كُلّما زِدْتَهَا فكْراً زَادَتْكَ معْنىً، وكلّما ازْدَدّتَ بهَا تَمَسُّكاً زَادَتْكَ ثَبَاتاً علىٰ الدّين الحَقِّ ورسُوخاً في اليَقينِ؛ لا تَبْلىٰ معَانيهَا، ولا تَخْلَقُ مبَانيهَا، ولا تَضْعفُ بَرَاهِينُهَا، ولاَ تُمَلُّ عِنْدَ سَامِعِيهَا، وكلّما أُعِيدَتْ وُجدَتْ قَوِيّةً في قَوَاعِدِهَا، وسامِيَةً في بُنْيَانِهَا، سَامِقَةً في فُرُوعِهَا، فهي للدّين أَصْلٌ أَصِيلٌ، وللعقيدَة مَصْدَرٌ صَحيحٌ، ولِلْيَقِينِ مَرْجعٌ سَليمٌ، قالَ رَسُولُ اللّه ﷺ في شَأْنِهَا: «لَقَدْ تركْتُكُمْ علىٰ مثْلِ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كنَهَارِهَا، لاَ يَزِيغُ بعْدِي عنْهَا إلاّ هَالكٌ» [حديثٌ صحيحٌ/ كتابُ السّنّة: لابْنِ أَبي عَاصِمٍ/ برقم ٤٨، ٤٩].

وأمّا عَمَلي في هذا الكِتَابِ فقَدْ كانَ مَحْصُوراً في دَائِرَة كُتُبُ الحَدِيثِ المُعْتَبرَةِ، وهي: الصّحيحَانِ، وصِحَاحُ السُّنَنِ الأَرْبَعَةِ للشيخ محمد ناصر الدين الألباني التي حقّقها ورتّبها الشيخ زهير الشاويش، وصَحيحُ الجَامع الصّغِيرِ وزِيَادَتُهُ للشيخ الألباني بترتيب الشيخ زهير الشاويش، وسِلسلَةُ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وصَحيحُ المُسْتَدْرَكِ، وصَحِيحُ ابْنِ حِبّان [المُسمّى بالإِحْسَانِ..]، مع التّقَيُّدِ بِتَرْتِيبِ أَبْحَاثِهِ بكتاب «شُعَبِ الإِيمَانِ للحَافظ

البَيْهَقِي» ومُخْتَصَرِه لأبي المَعَالِي القَزْوِيني ـ تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ـ مع الاسْتِفَادَةِ مِنَ التَّوْجِيهَات والتَّعْلِيقات الوَارِدَةِ فِيهِمَا، وقَدْ حَرَصْتُ أَشَدَّ الحِرْص علىٰ ذِكْرِ الأَحَادِيث الصَّحِيحَة الثَّابِتَة عَنْ رَسُول اللَّه ﷺ، مع عَزْوِهَا إلىٰ مَصَادِرِهَا ـ بذِكْرِ اسم الكتاب ومُصَنِّفِه، وذكرِ أَرْقَامِهَا وأَجْزَائِهَا، أَو ذِكْرِ تَرْقِيمِهَا؛ لِتَسْهِيل الرُّجُوع إليها والتَّحَقُّق من ثُبُوتِهَا، فإنَّ هذا من الإِسْنَاد، وهُوَ مِنْ أُصُول عِلْم التَّحْدِيث والرِّوَايَة، وهو طَرِيقَةُ المُتْقِنين مِنَ المُحَقِّقِينَ والضَّابِطِين مِن البَاحِثِين.

ولمْ آلُ جُهْداً في ضَبْطِ الأَحَادِيث النَّبَوِيَّة وتَشْكِيلِها وإِيْضَاح أَلْفَاظِهَا وَشَرْحِ غَرِيبِهَا. فَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلي هٰذا خَالِصاً لوجْهِهِ الكَرِيم، ونَافِعاً لِعِبَادِه المُؤْمِنين، وأَنْ يُثِيبَنِي عليه يَوْمَ الدِّين بفَضْلِه وكَرَمِه وإِحْسَانِه يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ ولاَ بَنُونَ إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، والحمدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

دمشق في يوم الاثنين ٩ ربيع الأول ١٤١٥ هـ.

خادم السّنّة المطهرة:

خالد عبد الرحمٰن العك

غفر اللّه له ولوالديه ولجميع المسلمين

المدخل

إلى رحاب السنة النبوية

حُجِّيَّةُ السُّنَّة في الاعْتقَاد والإيْمان

المدخل إلى رحاب السُّنّة النّبويّة

حُجِّيَّة السّنّة في الاعتقاد والإيمان

تـمهـيد

إنّ ممّا لا ريبَ فيه عندَ أهلِ السّلفِ الصّالحِ والأئمّةِ المجتهدين، ولا نزاعَ بينهم أنّ صحةَ الاستدلال بالأحاديثِ النّبويّة الثابتةِ عن رسولِ اللّهِ ﷺ في العقيدةِ والشّريعةِ ثابتةٌ معتبرةٌ ديناً وشرعاً، حيثُ كانَ أهلُ القرونِ الثّلاثةِ الأولىٰ ـ المشهودِ لهم بالخيريّة مِنْ رسولِ اللّهِ ﷺ ـ على ذلك بإجماعٍ واتّفاقٍ وائتلافٍ، إلى أنْ نبتَتْ بدعةُ علم الكلام، حيث زرعتْ بذورَ الظّنِّ حولَ دائرةِ السّنّةِ المطهرةِ، حينَ اخترعتْ مقولةَ «أنّ الحديثَ الآحادَ لا يُفيدُ إلاّ الظّنّ ولو رَوَاهُ أهلُ الثّقةِ والعَدالةِ والضّبطِ والإتقانِ، فهو مقبولٌ في الأحكامِ الشّرعيةِ دونَ العقيدةِ» وهذه مقولةٌ خاطئةٌ، فكلُّ ما صحَّ وثبتَ عن رسولِ اللّه ﷺ فهو حُجَّةٌ في العقيدةِ والشّريعةِ لا فرقَ ألبتّة، وعلى هذا كانَ دينُ السّلَفِ الصّالح!!!.

وفي هذا المدخل بيانٌ واضحٌ وصريحٌ بالأدلّةِ القاطعةِ الثّابتةِ التي قطعتْ دَابرَ الظّنُونِ والشّكوكِ عن دَوْحَةِ السّنّةِ النّبويّةِ الثابتةِ، وذلك فيما يلي في هذه الأبحاث:

البحث الأول: أدلّةُ إفادةِ خبر الواحد الثقة العلمَ.

البحث الثاني: الحجّةُ في أنّ خبر الواحد يُفيدُ العلمَ بالقرائن مع بيان أنواع

القرائن.

البحث الثالث: حُجَّةُ مَن زعمَ أنّ الأحاديث الآحاد لا تُفيد إلاّ الظّنَّ مع مناقشة شُبَهِهِم ونَقْضِهَا.

البحث الأول

أدلة إفادة خبر الواحد العلم

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن جبرين[(١)]:

حيثُ اعتقدَ المسلمونَ وُجوبَ طاعةِ الرَّسُولِ ﷺ، ولُزُومَ امتثالِ طَلَبِهِ، وتَقَبُّلَ كلِّ ما جاءَ بِهِ عن ربِّهِ.

وبعد أن ثبتَ أنّ الحكمة التي هي سنّةُ النبيِّ ﷺ بمنزلة القرآن في كونها وحياً منزّلاً من اللّه؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣].

وحيث إنّ السّنّةَ ممّا يُتْلىٰ علىٰ الأمة ليعملوا بما فيها كالقرآن؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وأنّها من الشرع المُنْزَّل كالقرآنِ؛ لقوله ﷺ: «أُوتيتُ القُرآنَ ومِثْلَهُ مَعَهُ»[(٢)]، فإنّ كل ذلك ونحوه يُؤكّد أنّ لهذه الأخبار النبويّة حكم الشرع من حفظ الله وحمايته، لتقومَ حُجَّتُهُ علىٰ العباد؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

(١) في كتابه «أخبار الآحاد في الحديث النبوي» ص ٦١ ـ ٧٥، ط. دار طيبة ـ الرياض.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٤/ ١٣١. وأبو داود في سننه في كتاب السّنّة، باب: لزوم السنة ٤٦٠٤، والترمذي في سننه في كتاب العلم ٢٦٦٦، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وابن ماجه في المقدمة١٢. قال الشيخ ناصر في المشكاة: صحيح ج ١/ ٥٨ رقم ١٦٣، وذكره في صحيح أبي داود رقم ٣٨٤٨.

﴿ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر] فلا بدّ أنْ تكون السُنَّةُ داخلةً في اسمِ الذّكرِ الذي تكفَّلَ اللّهُ بحفظه، فمن جعلها ظَنّيّةَ الثُّبوتِ أجازَ أن تكونَ في نفس الأمر كذباً مع نسبتها إلىٰ شرع الله، وأجاز أن يكون قد دخلَها التّغييرُ والتّبديلُ والتّحويلُ عمّا كانتْ عليه، والزيادة، والنّقص والنّسيان والإهمال، ونحو ذلك، ولا شكَّ أنّ في هذا تكذيباً للّه في خبره بحفظها، ثم هو وصفٌ له بما لا يليق بحكمته وعدله من إضاعة دينه، وتضليل عباده، وغير ذلك ممّا يتعالىٰ عنه جلالُهُ وكبرياؤُهُ سبحانه(١).

إنّ أغلب أحاديث السُنّة جاءتْ مكمّلةً ومُبيِّنةً للأصول المذكورة في القرآن الذي أجملَ اللّهُ فيه أغلبَ الأحكام، ووكّلَ إيضاحَها وتمثيلَها إلىٰ نبيّه ﷺ بل كلّفه بذلك، حيث قال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل: ٤٤]. وكذلك أمره بتعليم النّاس والحكم بينهم؛ حيث قال: ﴿لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ١٠٥]. كما أمره بإبلاغ ما أنزله إليه بما فيه السّنّة؛ بقوله: ﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧].

ولقد امتثل ﷺ هذه الأوامر من ربّه حيث بلّغ الرّسالة وأوضح الأحكام المجملة في القرآن، ثم تقبل صحابته بعده جميع ما بيّنَ وبلّغَ إليهم، فعملوا به ونقلوه لمن بعدهم كما هو.

فلو جاز أن يتطرّق إلىٰ ذلك البيان شيء من الوهم والخطأ لبقي

---

(١) انظر: «الإحكام في أصول الأحكام» للإمام ابن حزم، ت ٤٥٦ هـ، ج ١/١٠٧، قال رحمه الله تعالىٰ: «إنّ خبر الواحد العدل المتصل إلى رسول الله ﷺ في أحكام الشريعة يُوجب العلم، ولا يجوز فيه ألبتة الكذب ولا الوهم»، ثم قال: «صحّ أنّ كلام رسول الله ﷺ في الدِّين وهو من عند الله عزّ وجلّ لا شكّ في ذلك... والوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالىٰ له بيقين، وكل ما تكفّل الله بحفظه فمضمون أنْ لا يضيع منه، وأنْ لا يُحرَّف منه شيء أبداً تحريفاً لا يأتي البيان ببطلانه»، ثم قال: «وإذا صحّ هذا فقد ثبت يقيناً أنّ خبر الواحد العدل عن مثله مبلغاً إلىٰ رسول الله ﷺ حقٌّ مقطوعٌ به، مُوجبٌ للعمل والعلم معاً»، ج ١/ ١٠٧ و ١٠٩.

المسلمون في حيرة من مراد اللَّه بتلك الأحكام، ولم يعلموا علىٰ أيِّ وجهٍ يُوقعُونها. ولم يتحقّقوا أنّ ما بَيّنَهُ نبيُّهم ﷺ وصلَ إليهم كما هو.

وكلُّ هذا ممّا يُنافي مُقْتَضى حكمة اللَّه وشرعه ودينه، فلا بدّ أنْ تكون هذه السّنّةُ محفوظةً على الأُمّة، مَصُونةً عن تطرّق الخطأ إليها، ليحصلَ لهم الإنتفاع بهذهِ الأصولِ عن يقينٍ، ولتقومَ عليهم حُجَّةُ اللَّه تعالىٰ.

إنّ الذين جعلوه مَظْنُوناً ـ ولو مع القرائن[1] ـ يُجَوِّزُونَ أن يكون في نفس الأمر كذباً أو خطأً، ثم هم مع ذلك يُوجبون العمل به مع ما يخالج نفوسهم من احتمال كونه باطلاً، والعمل به ضلالاً وأمراً مبتدعاً.

ولا شكّ أنّ هذا التوقّف في ثبوته مع كونه خلاف الظاهر يدفع الثِّقَةَ بأصولِ الدِّين وفروعه التي تُلُقِّيَ أغلبُها عن طريق الآحاد[2]، ويفتح الباب

---

(١) إنّ منْ أعظم القرائن على ثبوت الاحتجاج بالأحاديث النبوية الثابتة، الدّاحضة لدعوى الظّنّ: هو انعقادُ الإجماع المتيقّن على قبول هذه الإحاديث وإثبات صفات الرّبّ تعالىٰ بها، فهذا لا يشك فيه مَنْ له أقلُّ خبرة بالمنقول، فإنّ الصحابة هم الذين رووا هذه الأحاديث، وتلقّاها بعضهم عن بعض بالقبول، ولم ينكرها أحد منهم على من رواها، ثم تلقّاها عنهم جميع التّابعين من أوّلهم إلى آخرهم، ومَنْ سمعها منهم تلقّاها بالقبول والتصديق لهم، ومَنْ لم يسمعها منهم تلقّاها عن التابعين كذلك، وكذلك تابع التابعين مع التابعين.
هذا أمرٌ يعلمه ضرورةً أهلُ الحديث كما يعلمون عدالة الصحابة وصدقهم وأمانتهم ونقلهم ذلك عن نبيّهم ﷺ/ الصّواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: للإمام ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١ هـ، ج ٢/ ٦٣٠، ط مصر.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية، ت ٧٢٨ هـ: «إنّ العلم يحصل بكثرة المخبرين تارةً، وقد يحصل بصفاتهم لدينهم وضبطهم، وقد يحصل بقرائن تحتفُّ بالخبر، يحصل العلم بمجموع ذلك، وقد يحصل العلم بطائفة دون طائفة [أي بطائفة أهل السنة دون طائفة أهل البدعة والرّيب]. وأيضاً فالخبر الذي تلقّاه الأئمّة بالقبول تصديقاً له أو عملاً بموجبه؛ يُفيد العلم عند جماهير الخلفِ والسلف، وهذا في معنى المتواتر، لكن من الناس مَنْ يسمّيه المشهور والمستفيض، ويُقسِّمون الخبرَ إلى متواتر مشهور وخبر واحد».

=

علىٰ مصراعيه لكل من أراد الطعن في شعائر الإسلام وتعاليمه بكون أدلّته متوهمة ومشكوكاً فيها، ويجلب لنا سُوءَ الظّنّ بسلفنا الصّالح الذين تقبلوا هذه الأخبار وحكموا بها، واستباحوا بها الحرام، وسفكوا بها الدماء، وتصرَّفُوا بها في سائر الأحكام، حيث اعتمدوا أدلةً غيرَ متحقّقة الثبوت، فيتسلط من ها هنا الأعداء عليهم بثلبهم وعيبهم بالتّخرّص والظّنّ في الدِّين، ويكون هؤلاء العلماء هم الذين سلطوهم عليهم وعلىٰ أنفسهم من حيث لا يشعرون. فنحن نتحقّق أنّ أولئك الأئمّة من السّلف يرجعون إلىٰ هذه الأخبار لصحّتها عندهم، فلهذا يَدَعُونَ لها سائرَ الآراءِ والاستحسَانَاتِ، ولم يكونوا يقابلونها بشيء من الأقيسة أو القواعد أو أقوال المشايخ.

وكل هذا ممّا يُحقّقُ لنا أنْ قد تبيَّنُوا ثُبُوتَها، واستفَادُوا منها العلمَ اليقينيَّ الذي لا تردُّدَ فيه ألبتّة.

وأمثلة قبولهم لها تأتي إن شاء الله في أدلة العمل بالآحاد.

إنّ هؤلاء المخالفين لمّا رأوا شُهْرَةَ قبولها، والرجوع إليها عن السلف في مؤلّفات أئمّتهم الذين قلّدُوهم في الفروع ـ لم يجدوا بُدّاً من الحكم بقبولها في الأعمال، وهذا تناقضٌ ومخالفةٌ لِما اعتقَدُوهُ من كونها ظنّيّةَ الثُّبُوتِ.

وما ذاك إلاّ لأنّ الأصل براءة الذّمّة، فلا تثبت التكاليفُ بخبر يمكن

= قال: «وإذا كان كذلك فأكثر متون الصحيحين معلومة متقنة، تلقّاها أهل العلم بالحديث بالقبول والتصديق، وأجمعوا على صحتها، وإجماعهم معصومٌ عن الخطأ؛ كما أنّ إجماع الفقهاء على الأحكام معصوم عن الخطأ. ولو أجمع الفقهاء على حكم كان إجماعهم حُجّةً، وإن كان مُسْتَنَدُهم خبرَ واحد أو قياس أو عموم، فكذلك أهل العلم بالحديث إذا أجمعوا على صحة خبر، أفادَ العلم، وإن كان الواحد منهم يجوز عليه الخطأ، لكنّ إجماعهم معصومٌ عن الخطأ»!! (مجموع الفتاوى ج ١٨/ ٤١ و ٤٨ و ٤٩، ط السعودية).

أن يكون موضوعاً مُخْتَلَقاً.

وقد اعتقدوا أن السّلف إنّما عملوا بها وإن كانت مظنونة لأنّ أدلّة العمل يجوز أنْ تكون ظنّيّة[1].

وهذا خطأ علىٰ السّلف، فإنّهم لو لم يكونوا يقطعون بصحتها لم يَقْدِمُوا علىٰ العمل بموجبها، وإثبات الأحكام بها أصولاً وفروعاً كما سيجيء إن شاء الله.

وما أدري ما حال عبادات هؤلاء التي فعلوها وقد قارنَ أنفسَهُمْ مِنَ الشَّكِّ والرِّيب في صحة أدلّتها ما لا بدَّ لهم منه بموجب مذهبهم[2].

ولا شكّ أنّ منْ كانَ بهذا الإعتقاد لن ينفك من الوساوس في كل قُرْبَةٍ يأتي بها أو أمر يمتثله، من كون ذلك بدعة أو مغيّراً عن وضعه الأصلي.

ولا بدّ أيضاً أن يعتقد أن شريعة اللّه قد اختلط بها ما ليس منها، وامتزجت بما هو كذب، وأنّه ليس في الإمكان تخليص دين اللّه من تلك البدع التي دخلت فيه بموجب تلك الأخبار التي يمكن كونها مكذوبة، ومن

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ: «وخبر الواحد المُتَلَقَّى بالقَبُول يُوجب العلم عند جمهور العلماء... فإنّه وإن كان في نفسه لا يفيد إلاّ الظن [على حدّ زعم المتكلّمين] لكن لمّا اقترن به إجماع أهل العلم بالحديث على تلقيه بالتصديق كان بمنزلة إجماع أهل العلم بالفقه على حكم مستندين في ذلك إلى ظاهر أو قياس أو خبر واحد، فإنّ ذلك الحكم يصير قطعياً عند الجمهور، وإن كان بدون الإجماع ليس بقطعي؛ لأنّ الإجماع معصوم، فأهل العلم بالأحكام الشرعية لا يجمعون على تحليل حرام ولا تحريم حلال، وكذلك أهل العلم بالحديث لا يجمعون على التصديق بكذب، ولا التكذيب بصدق». (مجموع الفتاوى ج ١٨/ ٤٨ و ٤٩).

(٢) وهؤلاء: كلُّ مَنْ فرّق بين قبول أحاديث الآحاد في الأحكام، وردّها في الاعتقاد، وهم متأخرو الفقهاء الذين تعصّبوا لأئمّتهم، والذين يقبلونها في الأحكام منهم ينظرون إليها من منظار الظنّ أيضاً.

ظنّ شيئاً من ذلك فقد أجاز على المؤمنين أن تكون قرباتُهم صادرةً عن جهل، ومبعدة لهم عن اللَّه، وجوّز على الدِّين أن يكون قد تُنوسيَ منه الكثير، وتغيّر ما فيه عمّا كان عليه، وعبثتْ به الأيدي، وكلُّ هذا خلاف ماتقتضيه حكمةُ اللَّه، وخلافُ اعتقاد المسلمين جميعاً، وهو من لازم قول هؤلاء شاؤا أم أبوا.

إنّهم مع توقفهم في صحة أخبار أولئك الثقات من السّلف يصدقون بما تلقوه عن رؤوس الجهمية والمعتزلة، من تلك الأدلّة التي يزعمونها براهين عقلية، وهي في الحقيقة خَيَالَاتٌ وتمويهاتٌ، ولكنّها مع ذلك تفيد العلم عندهم[١]، وما ذاك إلاّ لثقتهم بمشايخهم الذينَ عَلّموهم تلك القواعد، مع أنّ المرجع فيها غالباً إلى الفلاسفة، وضُلّال الصّابئة والمجوس واليونان[٢]، ونحوهم من الكفرة. فلم يُعطوها حكم الآحاد الذي جعلوه للأخبار النّبويّة، وهو كونها مظنونةً متوقّفاً في ثُبوتها.

إنّهم يتحقّقُون نسبةَ أقوالِ أئمّتهم إليهم، ويجزُمون بكونها مذاهب لهم ويجادلون عنها ويتفانون في نصرتها، ولو شكّ فيها أحد لأنكروا عليه واستجهلوه. مع أنّ نقلها عن أولئك الأئمّة إنّما كان عن طريق الآحاد.

ومع ما يوجد بينها من التضارب والتناقض أحياناً ممّا يُوضّح أن قد دخلها الوهم والتغيير.

---

(١) إنّ الظّنّ المستفاد من أحاديث الآحاد على زعمهم؛ أقوى من الجزم المستند إلى تلك القضايا الكلامية الوهمية، فقد ظنّوا حصول الخطأ والوهم في ثقات الرواة وعدولهم وحفاظهم، وقطعوا باليقين في قضايا المتكلّمين الذين تكلّموا في صفات الله تعالىٰ وذاته العظيمة بمحض آرائهم وتخيّلاتهم؛ انظر مباحث علم الكلام في الإلهيات ترى العجب العجاب في ذلك!!؟

(٢) انظر كتاب «مسألة القضاء والقدر» تأليف عبد الحليم قنبس وخالد عبد الرحمٰن العك، ط دار الكتاب العربي ـ حلب، ص ١١ ـ ٧٨، فسترى كيف تأثّر المتكلّمون ببحوث الفلاسفة اليونان في مسائل القضاء والقدر.

ولم يكن شيء من ذلك سبباً لتوقفهم فيها، ولم يُعطوها حكم الآحاد في أنّها مظنونة لا تفيد اليقين.

إنّ من المتيقَّن عندهم أيضاً نسبة المؤلّفات التي بأيديهم في سائر العلوم إلىٰ أهلها، وإضافة ما نقلوه منها إلىٰ من اشتهرت باسمه علىٰ طريق الجزم، ومع استمرار العزو إليها وإلىٰ مؤلّفيها، مع أنها لم تُرْوَ في الغالب عن أربابها إلاّ بأسانيد محصورة لا تخرج عن كونها آحاداً.

ولم يوجد من ينكر صحة نسبتها أو يعطيها حكم الآحاد من المتكلّمين، بل إنّهم يتحقّقون نسبة مؤلفات من قبل الإسلام بزمن طويل، ككتب أرسطو ونحوه[1]، مع ما تعرّضتْ له من العَبَثِ بها والتصرّف فيها. وكل هذا لم يمنع كونها صحيحة عمّن نُسبتْ إليه، مقطوعاً بها عند الفلاسفة والمتكلّمين.

---

(١) الفيلسوف «أرسطو طاليس» يُعرف عند الفلاسفة بالمعلّم الأوّل، وله مؤلفات متداولة، ذكر بعضها صاحب «المنجد» في ترجمته، ونقلَ الشهرستاني في الملل والنحل ج ١١٩/٢، ط مصر، جملاً من أفكاره وفلسفته وحكمته، ونهج ابن سينا منهجه، حتى عرف بالمعلم الثاني.

وكان أرسطو أبعدَ الفلاسفة عن الحقائق الدينيّة وعلم النبوّات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنّ أرسطو لم يسافر إلى أرض الأنبياء، ولم يكن عنده من العلم بأثارة الأنبياء ما عند سلفه «كسقراط وأفلاطون». وكان عنده قدر يسير من الصابئية». نقض المنطق ص ١١٣، ط مصر، وقال: «وكان قدماء اليونان مشركين من أعظم الناس شركاً وسحراً؛ يعبدون الكواكب والأصنام، ولهذا عظمت عنايتهم بعلم الهيئة والكواكب لأجل عبادتها، وكانوا يبنون لها الهياكل»، تفسير سورة الإخلاص، ص ٣٦١، ط مصر، وقال ابن تيمية أيضاً: «ولهذا كان رؤوسهم المتقدِّمُون والمتأخّرون يأمرون بالشرك، فالأوّلون يسمون الكواكب «الآلهة الصغرى» ويعبدونها بأصناف العبادات، وكذلك كانوا في مِلّة الإسلام لا ينهون عن الشرك»، نقض المنطق ص ١٧٧، ط مصر.

ومن سوء حظ فلاسفة المسلمين أن بضاعتهم من فلسفة أرسطو، انظر الرّدّ على البكري: لابن تيمية ص ٢٠٦، ط مصر.

وما هو متداول بين المسلمين وغيرهم من نسبة كل قول إلىٰ قائله، وقبوله ممن نقله وإن كان واحداً، ومعاملة قائله بموجبه مَدْحاً أو ذَمّاً.

وهذا ما لا يمكن إنكاره، ولم يسمع أنّ أحداً قال: إنّه لا يُفيد العلم. أو لا يُصدَّق باطناً، كما جعلوا ذلك لخبر الآحاد في الحديث النّبوي. واعتماد كل تلميذ علىٰ أنواع العلوم التي يتلقاها عن شيخه، واعتقادها، والتفريع عليها، والذَّبِّ عنها، مع أنّ أستاذَهُ فيها واحدٌ، نقلها عمّن فوقه، وقد يكون أيضاً واحداً، ولكن لثقته بشيخه، ومعرفته منه الصدق والعدالة، لم يوجد منه التوقف فيها، ولا قال أحدٌ إنّها لا تفيد إلاّ الظّنّ.

فلو أعطاها هؤلاء حكم الآحاد الذي زعموه للأخبار النبويّة لمَا كانوا علىٰ يقين من علومهم العقلية والنقلية، ولا محيص لهم من أحد أمرين:

١ ـ الاعتراف بأن جميع ما تعلموه وما يعتقدونه كله ظن.

٢ ـ القول بأن علماءهم امتازوا عن سلف الأمة ونقلة الحديث وفضّلُوهم، بحيث صارَ خبرُ علمائهم يُفيد اليقين، وخبر المحدِّثين عن نبيِّهم ـ مهما بلغوا من الصّدق والثّقة، والحفظ والديانة ـ إنّما يُفيد الظّنّ، وهذا مباهتةٌ يردُهُ العقلُ وواقعُ الأمر[1].

(١) وإنّ ممّا يُؤسف له أن بعض أهل زماننا ممّن نال حَظّاً وافراً من الانفتاح الثقافي والعلمي لا يزال يغلق تفكيره على تصديق هذه المزاعم التي ابتداعها أصحاب الفتن من لدن ظهور «الأزارقة» المعروفين بـ «الحرورية»، و «الخوارج» (الذين كانوا أوّلَ من تكلم بردّ أحاديث الآحاد)، ثم إلى ظهور الجهمية، ثم المعتزلة، إلى أن انتقلت إلى الأشاعرة والماتريدية، ثم إلى يومنا هذا، فحمل لواءها «محمد الغزالي» والدكتور «سعيد رمضان البوطي» ومن نهج على طريقتهما: «من أنّ أحاديث الآحاد الواردة عن طريق الأثبات العدول الثقات الذين تلقّت مرويّاتهم الأمة وعلى رأسها الأئمّة بالقبول علماً وعملاً، تُفيد الظنّ، وأنّ العقل يظلّ يُجيز احتمال أن يكون قد تسلّل إلى الخبر شائبةُ وَهْمٍ، من جهة نسيان أو خطأ أو ذهولٍ وَقَعَ من بعض رواته، ومهما كان هذا الاحتمال بعيداً، نظراً لتوافر شروط =

إنّ كل عاقل يضطر إلىٰ الجزم بخبر العدل بعقله، وإن أنكر ذلك بلسانه عناداً، وشاهدُ الحال أوضحُ برهانٍ علىٰ ذلك، فإنّ الإنسان يسمع خبراً بقدوم صاحبه أو قريبه فيتلقاه من بعيد، أو يزوره، مع ما يناله في ذلك من المشقة أحياناً أو الانقطاع عن العمل. ويعمل بخبر رسول صاحبه إليه فيعطيه ما طلبه ولو نفيساً، وقد يذهب معه تاركاً أعماله وأمواله، ولو خالجه شكٌّ أو توهم في صدق هذا الخبر لمَا أقدم علىٰ إنهاك بدنه، أو إضاعة وقته، فلا بدّ أنّه جَازمٌ بصحة الخبر الذي نقله فردٌ من عامّة النّاس. وممّا لا يستطاع إنكاره عمل العوام بخبر الواحد، وهم لا يعرفون هذا الاصطلاح، فترىٰ أحدهم يقدم علىٰ تجشّم المشاقّ، وركوب الأخطار لمجرد خبر قد يكون بكتاب أو بهاتف ونحو ذلك فيبني عليه أسفاراً ونفقاتٍ وإضاعة أوقات، لجزمه بصدق ذلك القائل.

وهكذا تقوم حركات الناس في أسواقهم علىٰ خبر الواحد، فتراهم يزيدون في قيم السلع أو ينقصون. أو يجلبونها إلىٰ البلاد النائية ونحو ذلك بناءٍ علىٰ نشرة أو إذاعة أو مكالمة وما ذاك إلاّ لاعتقادهم صحة الخبر،

= الصحة فيه، فإنّه يظلّ احتمالاً وَارِداً، ولا ينسجم معنى الإمكان فيه ليصبح مستحيلاً. ومن هنا، فإنّ الخبر الصحيح من شأنه أن يقف عند أعلى درجة الظّنّ، دون أن يعلو فوقه إلى درجة الجزم والقطع»، هكذا ينظر الدكتور البوطي إلى أحاديث رسول الله ﷺ التي أجمع المحدّثون والحفاظ على ثبوت صحيحها وقبولها عن رسول الله ﷺ في العقيدة والشريعة، أنها تقف عند أعلى درجة الظنّ، دون أن تعلو فوقه إلى درجة الجزم والقطع. انظر: «السلفية مرحلة زمنية» للبوطي ص ٦٥ ـ ٦٧، ط دار الفكر ـ دمشق، فهل يلزمُ الأمةَ تصديقُ البوطي أو الغزالي «أصحاب الظنّ»؟ أم يلزمُها تصديقُ أئمّة الهدى المجتهدين كالشافعي والثوري والبخاري، ومَنْ على منهجهم من الحفاظ والمحدّثين والعلماء العاملين، الذين تلقوا أحاديث رسول الله ﷺ بالقبول والتصديق الجازم في العقيدة والشريعة؟؟!!.. فهل يلزم الأمة الظنّ ومن ورائه القلق؟ أم يلزمها التصديق الجازم ومن ورائه الإيمان واليقين بما نطقَ به الرسولُ الأمين صلّى الله عليه وسلّم؟؟!!

وتجربتهم صدقه مرّةً بعد مرّةٍ ما هو متواتر عن السلف والمحدثين وغيرهم من جزمهم بالأحاديث النبويّة كثيراً، وإضافتها إلىٰ النبيّ ﷺ تصريحاً، وحكمهم بصحة ما ثبت عندهم منها، وهكذا تفريقهم عند نسبتها إلىٰ النّبيّ ﷺ بين الصحيح والضعيف، والمشكوك فيه، بحيث يذكرون الأوّل بصيغة الجزم، والثاني بصيغة التمريض، ممّا هو صريح في قطعهم بالصحيح، وعلمهم بصدوره عمّن نُسِبَ إليه. ولو كان الجميع سواء في إفادة الظّنّ لَمَا فرّقوا بينهما بما ذكر.

فأنت تراهم دائماً يقولون: صحّ عنه ﷺ كذا، وأمر بكذا، أو قال كذا، أو فعل كذا، فعند شكّهم في صحة الخبر يعدلون عن الجزم إلىٰ عبارة تُفيد توقّفهم في صحته؛ كقولهم: يُذكر عنه كذا، أو يُروىٰ، أو رُوي أو حُكي، أو نحو ذلك، فجزمهم بنسبة الأوّل الصريح في قطعهم بصحته، وعلمهم بما تضمّنَهُ.

وعدولهم في الثاني عن صيغة الجزم إلىٰ صيغة التّمريض، كما مُثِّلَ دليل أنّه إنّما يُفيد الظّنّ عندهم أو الوَهْم، وهذا عملٌ مستمرٌ بين المحدِّثين وعلماء السّنّة من غير نكير، وليس مرادهم الحكم بصحة السّند فقط، كما توهمه بعضُ أهل الظنّ[1]، فقد اشتهر عنهم التفريق في التصحيح بين صحّة السّند وصحة المتن، حيث يقولون للأوّل: إسناده صحيح، أو صحيح الإسناد، وللثاني: حديث صحيح ونحوه[2].

---

(١) قارنْ بينَ هذا الحُجّة البيّنة وبين حُجّة القائلين بالظّنّ، فإنّك ستقف على سبب ظنّهم الذي يكمن تحت جهلهم بتاريخ السّنّة النبويّة، وتاريخ رجالها، وتاريخ مراحلها، وبمقدار ما يقف الدارس أو الباحث على ذلك يكون لديه من التصديق واليقين الذي هو عند الحفاظ والمحدّثين!! فإن الجاهلَ بالشيء عدوٌّ له.

(٢) لقد ضرب الحاكم المثل على هذا بالشواهد الواقعية عند النوع التاسع عشر من علوم الحديث «وهو معرفة الصحيح والسقيم» ص ٥٨ ـ ٥٩، ثم قال: «وهذا حديث تداوله الثقات هكذا، وهو في الأصل معلولٌ واهٍ. ففي هذه الأحاديث =

وإن وجد بين الأمّة مَنْ أعلَن ردَّ شيء منها بدون تأويل لم يكن مُعْتَبراً، ولا خارقاً للإجماع لشُذُوذِهِ ونكَارَةِ صنيعه.

فقبول علماء الأمة ومجتهديها لهذه الأخبار بدون توقف ولا مُعَارضة لها بأصول أو مذاهب يحقق أن قد اطمأنُوا إلىٰ صحتها، وتيقَّنُوا ثبوتها؛ وذلك كحديث: «لا وصيَّةَ لوارث»، وحديث أخذ الجزية من المجوس، وأحاديث إثْباتِ الشّفعة، وزكاة الفطر، وتحريم بيع الوَلاء وهبتهِ، وأن الولاء لمن أعتق[1]، وأمثالها كثير، ممّا لم يتوقف أحد من علماء الأمة المعتبرين في العمل به أو تصديقه بيقين.

بل إنّ جمهور أحاديث الصحيحين قد تقبلتها الأمة وعملت بموجبها، وذلك تصديق لها يقيناً. كما احتجّ بذلك بعض أجلّاء العلماء علىٰ ما اختارُوه مِنْ إفادتها العلم اليقيني، كابن الصلاح، وأبي طاهر

= الثلاثة قياس على ثلاث مائة، أو ثلاثة آلاف، أو أكثر من ذلك»، ثم قال: «إنّ الصحيح لا يعرف برواياته فقط، وإنّما يُعرف بالفهم والحفظ وكثرة السماع، وليس لهذا النوع من العلم عون أكثر من مذاكرة أهل الفهم والمعرفة ليظهر ما يخفى من علّته الحديث. فإذا وجد مثل هذه الأحاديث بالأسانيد الصحيحة غير مخرّجة في كتابيّ الإمامين البخاري ومسلم لزم صاحب الحديث التنقير عن علّته ومذاكرة أهل المعرفة به لتظهر علّته»، معرفة علوم الحديث: للحاكم ص ٥٧ ـ ٦١، ط الهند تصوير دار إحياء العلوم ـ بيروت.

(١) حديث: «لا وصيّة لوارث»، رواه أبو داود ٢٨٧٠، والترمذي ٢٢١٤، وابن ماجه ٢٧١٣، وأحمد ج ٥/٢٦٧ عن أبي أمامة، ورواه الترمذي والنسائي ج ٦/٢٤٧، والدارمي ج ٢/٤١٩، وأحمد ج ٤/١٨٦ و ٢٣٨ عن عمرو بن خارجة. وحديث أخذ الجزية من المجوس: رواه البخاري ٢١٥٧، وأبو داود ٣٠٤٣، وغيرهما عن عبد الرحمٰن بن عوف. وحديث إثبات الشفعة رواه البخاري ٢٢١٣، وغيره عن جابر. وحديث زكاة الفطر رواه البخاري ١٥٠٣، وغيره عن ابن عمر. وحديث النهي عن بيع الولاء وهبته رواه البخاري ٣٥٣٩ وغيره. وحديث: «الولاء لمن أعتق» رواه البخاري ٢٥٦٠، عن عائشة رضي الله عنها، ورواه غيره أيضاً.

السّلفي وغيرهما كما سبق وليس المراد إجماع أفراد من ينتسب إلىٰ الأمة من كل الفرق وفي جميع الأزمنة، فإن أهل البدع المخالفين لبعضها في الاعتقاد لا يحصل لهم العلم بما تواتر منها فضلاً عن الآحاد فقد رَدَّ الروافض أحاديث فضائل الصحابة رضي الله عنهم مع تنوّعها، وكذا أحاديث المسح علىٰ الخفّين، وهي من التواتر المعنوي، وردّ المعتزلة أحاديث الشفاعة ونحوها(١).

فخلاف مثل هؤلاء لا يعتبر، حيث إنّهم لا يقبلون إلاّ ما وافق أهواءهم، فقد قبلوا أحاديث كثيرة ممّا في الصحيحين أو غيرهما دون هذه الصّحة، واعتبروها أدلّةً يقينيّةً مع أنّها آحاد.

ثم إنّ الاعتبار في الإجماع علىٰ كل فن بأهله المشتغلين به، فلا تضرُّ مخالفة مَنْ أعرضَ عنه واشتغل بغيره، كما لا تضرُّ مخالفة أهل الطب والعربية وأهل الكلام في هذا الباب، لعدم أهليتهم لمعرفة طرقه ومتونه ونقلته ونحو ذلك، ثم إنّه لا يراد أيضاً بالإجماع اتّفاق كل فرد من الأمة علىٰ العمل بكل فرد من أحاديث الصحيحين، فقد استثنى ابن حجر وغيره ما تعقبهما عليه أحد الحفاظ أو وقع التجاذب بين مدلوليه(٢).

ولقد أتىٰ علىٰ هذين الصحيحين أكثر من أحد عشر قرناً انتشر فيها ذكرهما في أقطار البلاد، وبين طبقات المسلمين، في شرق البلاد وغرقها، وما زال علماء المسلمين ينقلون منهما، ويستدلون بأحاديثما، ويرجعون إليهما عند التنازع، وقلَّ أن يُوجد مؤلَّفٌ في العبادات أو الاعتقادات لعالم

---

(١) ما من فرقة من الفرق الضالة المبتدعة إلاّ شاركت في إثم هجر السنّة النبوية وتعطيل العمل بها، وعدم الاعتقاد فيها، بزعم أنها آحاد، وهذا الزعم لم يقل به أحدٌ من الصحابة ولا التابعين وتابعيهم، ولا الأئمّة المجتهدين، بل نشأت لدى المتكلمين المنتسبين لأهل السنة، فحملوا لواء تعطيل الاعتقاد بالسّنّة، وزعموا كما زعم أولئك أنها آحاد، فلا هم اتّبعُوا الأئمّة المهتدين، ولا خالفوا المبتدعين الضالّين.

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر ت ٨٥٢ هـ، في كتابه «نزهة النظر» ص ١٠، ط مصر.

معتبر إلاّ وفيه ذكر الصحيحين أو مؤلفيهما، أو النّقل منهما أو من أحدهما.

ولم يذكر عن أحد من العلماء المعتبرين طوال هذه القرون الطعن علىٰ الشيخين بعدم الحفظ، أو أنّ ما في الكتابَيْنِ غير ثابت أو نحو ذلك. ولقد نشرت مجلة العربي الصّادرة في الكويت في عدد فبراير ١٩٦٦ م مقالاً للأستاذ عبد الوارث كبير، يُفيد الطعن علىٰ أحاديث في البخاري، فأثار هذا المقال حفائظ العلماء الغيورِينَ علىٰ الدِّين، وأظهروا الإستياءَ والتسَخُّطَ، وأعلنوا ذلك بمقالاتهم التي نشروها في أغلب المجلات والصحف، في أكثر البلاد الإسلامية، ثم بتأمّل ذلك المقال الشنيع يتضح اتّصاف قائله بالجهل المركّب، سيما في باب علم الحديث روايةً ودرايةً.

فتعظيم الأمة لهذين الكتابين[1]، والرجوع إلىٰ أحاديثهما عند الاختلاف، والتشنيع علىٰ مَنْ تركَ شيئاً ممّا فيهما ولو بتأويل، والنقل المستمر منهما عند أفراد العلماء، هذا وغيره ممّا حمل ابن الصلاح وغيره علىٰ الجزم بصحة ما فيهما[2].

وعلى كل حال، فقد حصل الإجماع من الصحابة والتابعين، وسلف الأمة أجمعين علىٰ قبول مثل هذه الآحاد، والعمل بها، وترك الاجتهاد لأجلها، ممّا يؤكد يقينهم بصحتها ـ وصدورها عمّن نُسِبَتْ إليه.

مخالفة أصحاب البدعة لا تضرّ بإجماع أهل السّنّة:

لا تُعتبر مخالفة مَنْ تأخّر عنهم، أو مَنْ ليس مِنْ أهل صناعتهم؛ ذلك أنّ الاعتبار في كل علم بأهله، لا بمَنْ أعرض عنه إلىٰ سواه.

فلا تعتبر مخالفة الخوارج، والمعتزلة، والشيعة ونحوهم، كما لا

---

(١) قال الإمام النووي، ت ٦٧٦ هـ، والإمام السيوطي، ت ٩١١ هـ: «وهما أصحُّ الكتب بعد القرآن العزيز». تدريب الراوي ج ١/ ٩١، ط مصر.

(٢) مقدمة علوم الحديث: للإمام ابن الصلاح، ت ٦٤٣ هـ.

تُعتبر مخالفة الأطباء والنُّحاة، والمتكلِّمين ونحوهم، ممَّنْ ليس لهم اشتغال بطرق الحديث ورجاله، وتَتبُّعِ رواياته ومتابعاته، ونحو ذلك ممّا هو عمل أهل الحديث.

وإذا تحقّق هذا الإجماع من مجتهدي الأمّة وأتباعهم، فإنّ الأمّة معصومةٌ أن تجتمع علىٰ خطأ أو ضلالة، فإذا حصل الإجماع علىٰ اعتبار قياسٍ أو ترجيحِ أحدِ الاحتمالين في النّص، أو العمل بالحديث الحسن، دلَّ ذلك علىٰ صحة ما أجمعُوا عليه.

وقد كان النبيّ ﷺ يعتبر توافقهم حتىٰ في الرؤيا؛ كما قال: «أرىٰ رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فمَنْ كان متحرّيها فليتحرَّهَا في السَّبعِ الأَوَاخِرِ»[1]، يعني ليلة القدر من رمضان.

وإذا قدر جواز الخطأ علىٰ الواحد من أفراد الأمة فوقوعه من الجميع ممتنعٌ، كما أنّ الواحد من نقلة التواتر يجوز عليه الخطأ، ولا يجوز علىٰ المجموع[2].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٥٨، ومسلم ج٧/ ٥٧، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية، ت ٧٢٨ هـ، رحمه الله تعالىٰ: «أكثر متون الصحيحين معلومةٌ متقنةٌ، تلقاها أهلُ العلم بالحديث بالقبول والتصديق، وأجمعوا على صحتها، وإجماعهم معصوم عن الخطأ. كما أنّ إجماع الفقهاء على الأحكام معصوم عن الخطأ، ولو أجمعَ الفقهاء على حكم كان إجماعهم حُجّةً، وإن كان مستند أحدهم خبرَ واحد، أو قياساً أو عموماً، فكذلك أهل العلم بالحديث إذا أجمعوا على صحة خبر أفادَ العلمَ، وإن كان الواحد منهم يجوز عليه الخطأ، لكنَّ إجماعهم معصومٌ عن الخطأ»!!.

ثم يقول: «فإنّه وإن كان (الحديث الصحيح الآحاد) في نفسه لا يُفيد إلاّ الظّنّ (على زعم المتكلمين) لكنْ لمّا اقترن به إجماع أهل العلم بالحديث على تلقيه بالتّصديق؛ كان بمنزلة إجماع أهل العلم بالفقه على حكم مستندين في ذلك إلى ظاهر أو قياس، أو خبر واحد، فإنّ ذلك الحكم يصير قطعياً عند الجمهور، وإن كان بدون الإجماع ليس بقطعي، لأنّ الإجماع معصومٌ، فأهل العلم بالأحكام الشرعية لا يُجمعون على تحليل حرام، ولا تحريم الحلال، وكذلك أهلُ العلمِ =

فخبر الواحد إن قيل: إنّه مجرد ظني، فإنّ تَقبُّلَ الأُمّة له وعملها بموجبه يُوجب أن يكون قطعياً، فإنّ عمل الأمة بما هو كذب في الباطن لا يجوز، لأنّه خلاف ما ضَمِنَ اللّهُ لها من العصمة والحفظ لدينها وعقيدتها.

فإذا روي في السنة خبر ليس بصحيح، فلا بدّ أن يوجد في الأمّة من ينكره، ويُبيّن بطلانه، ممّن تقوم ببيانه الحجة، وهذا ما كان وللّه الحمد!!.

وقد حصل الإجماع علىٰ العمل بأغلب أحاديث الصحيحين وغيرهما؛ فدلّ علىٰ أنه صدقٌ وحقٌّ في نفس الأمر، وإلاّ كان الإجماع منعقداً علىٰ العمل بما هو كذب، وهو ممّا يُعلم بطلانُهُ قطعاً.

وأيضاً فإنّه لا يجوز في الشريعة التباس الحق بالباطل، دون دليل يتميّز به كلٌّ من الآخر، فقد جعل اللّه علىٰ الحق من النور والضياء ما يعرفه به أهلُ المعرفة باللّه وبدينه وبشرعه[1].

= بالحديث لا يُجمعون على التّصديق بكذب، ولا التكذيب بصدق». (مجموع الفتاوى ج ١٨/ ٤٨ ـ ٤٩. ط السعودية).

(١) إنّ وحي الله تعالىٰ من الكتاب والسنّة محفوظ كلّه بحفظ الله تعالىٰ له بيقين، قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل]، فحفظُ الله تعالىٰ كتابه وبيانه، وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون أن لا يضيع منه شيء، وأن لا يُحرّف منه شيء، ولا سبيل البتة إلى أن يختلط بوحي الله تعالىٰ باطل موضوع اختلاطاً لا يتميّز عن أحد من الأمّة بيقين، إذْ لو جاز ذلك لكان الذكر وبيانه غير محفوظين، ولكان وعد الله تعالىٰ مخلَفاً، وهذا لا يقوله مسلم.
فإذا صح هذا فقد ثبتَ يقيناً أن أحاديث رسول الله ﷺ التي نقلها إلينا الواحد العدل الثقة الحافظ عن مثله مبلِّغاً إلى رسول الله ﷺ حقٌّ مقطوعٌ به، موجبٌ للعلم والعمل معاً، وذلك لاعتقادنا بحفظ الله تبارك وتعالىٰ لسنّة رسوله ﷺ.
وهذا الذي كان عليه الصحابة والتّابعون وتابعوهم والأئمة المجتهدون، ولم يرد عنهم خلافُ ذلك ألبتة، انظر الإحكام في أصول الأحكام: لابن حزم ج ١/ ١٠٧ ـ ١١٣، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: لابن قيم الجوزية =

أمّا أهل التقليد الأعمىٰ، والإعراض عن شعائر الدِّين، فلا يستبعد أن يخفىٰ عليهم الحقُّ الواضحُ، لفقدهم البصر النافذ في دين اللّٰه، كما يشتبه الليل والنهار علىٰ مَنْ فَقَدَ عينيه اللّتين يبصر بهما المحسوسات، فهؤلاء لمّا أظلمتْ قلوبُهم، لخلوّها من نور اللّٰه المستمدّ من شريعته، وإقبالها علىٰ زبالة الأذهان، ونحَاتةِ الأفكار، لا جَرَمَ كذَّبوا بأحاديث نقلَها خيارُ الأمّة وأصدقها لهجة، وصدّقُوا أقوالاً وتُرُهّاتٍ توافق عقولهم، مع أنّه لا حقيقة لها[1].

الدليل السمعي المتّفق عليه، وهو ما في القرآن من ذم أهل التخرّص والظّنّ والنّهي عن القول علىٰ اللّٰه بلا علم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم]، وقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم]، وقوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس]، وقوله حكاية عن الذين كفروا، علىٰ وجه الذّمّ لهم: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية]، وأمثال هذه الآيات كثير.

= ج ٢/ ٥٧٥ و ٦٣٠.

(١) وهذا ما عليه أكثر المتكلمين الذين خالفوا منهج السّلف الصالح في ردّ الأخذ بالأحاديث الصحاح في العقيدة بزعم أنها آحاد، ثم صدّقوا بما يُناقضها ويخالفها ـ نسأل الله تعالىٰ العفو والعافية.

لقد تضمنت هذه الآياتُ النّهيَ عن القول علىٰ اللّه في دينهِ بلا علم، وعن اتّباع الإنسان ما ليس له بهِ علمٌ، والنّهيَ عن التّعبّد بموجب الظّنّ وما تهواه النّفسُ، وأخبر أنّ هذا الظّنّ ليس من الحقّ في شيء.

وما زال المسلمون في كلِّ زمان ومكان يُفْتُون بموجب هذه النّصوص، وإن كانت آحاداً، ويُحِلُّون بها أشياءَ ويُحرِّمُون أشياء، ويُعاقِبُون علىٰ تركها، ولو كانت إنّما تفيد الظّنَّ عندهم لدخلوا تحت قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]، فالقائلون بأنّها ظنّيّة[1] ويجبُ العملُ بها، يلزمهم القول بأنّ اللّه أمر بما نهىٰ عنه، وما ذَمَّهُ في هذه الآيات، حيث أوجب أن نحكم في دينه وشرعه بأدلّةٍ مُتوهّمةٍ، وقدْ نَهَانَا عن التّخرُّص في الدِّين، وأخبر أنّه خلاف الهدَى الذي جاءهم من ربِّهم، وإذاً فلا فرقَ بينَ أهلِ الظّنّ وبينَ أولئكَ المشركين الذين قال اللّه فيهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) الظّنُّ سبيل الشك، والصحابة والتابعون وتابعوهم من أهل الإسلام لم يشكُّوا فيما يُخْبَرُون به من أحاديث رسولهم ﷺ الواردة في العقيدة والشريعة، وكان أحدهم إذا روى لغيره حديثاً عن رسول الله ﷺ في الصفات تلقّاه بالقبول، واعتقدَ به على القطع واليقين، كما اعتقد رؤية الرّبّ وتكليمه ونداءه يوم القيامة لعباده، وحسابه لهم يوم الفصل، وغير ذلك من أمور العقيدة، فمن سمع هذه الأحاديث ممّن حدّث بها عن رسول الله ﷺ؛ اعتقد ثُبوتَ مقتضاها بمجرّد سماعها من العدل الصّادق الضابط الحافظ، ولم يرتبْ فيها، ولم يردّها بالظنّ؛ فالقائلون بظنّيّة الأحاديث الصحاح خرقوا به إجماع الصحابة المعلوم بالضرورة، وإجماع التابعين، وإجماع الأئمّة المتّبَعينَ، ووافقوا به المعتزلة والجهمية والرافضة والخوارج الذين انتهكوا هذه الحرمة، وتبعهم بعض الأصوليّين والفقهاء المتأخرين، وإلاّ فلا يُعرفُ لهم سلفٌ من الأئمّة بذلك، بل صرّح الأئمّة بخلاف قولهم، فممَّنْ نصَّ على أنّ خبر الواحد (العدل الضابط الثقة) يفيد العلم: مالك، والشافعي وأصحابُ أبي حنيفة، وغيرهم، رضي الله عنهم. انظر الصواعق المرسلة: لابن قيم الجوزية ج ٢/ ٥٧٢ ـ ٥٧٧.

وقد نهىٰ اللَّهُ نبيَّهُ عليه الصّلاة والسّلام أن يقفوَ ما ليسَ له به علم، بل جعلَ القولَ عليه بلا علم في منزلة فوق الشرك؛ كما في آية المحرّمات في سورة الأعراف، حيث ترقىٰ من الأسهل إلىٰ الأشد، فبدأ بالفواحش، ثم بالإثم وهو أشدّ، ثم بالبغي وهو أعظم من الإثم، وبعده الشرك أشدُّ منه، ثم القول علىٰ اللَّه بلا علمٍ، فأيُّ ذمٍّ أبلغُ من هذا؟!!

وقد تكلّف بعض المتكلّمين الجواب علىٰ هذا الدليل، فذكر الآمدي[1] وجهين في ذلك وهما:

١ ـ أنّ العمل بالآحاد عمدته الإجماع علىٰ وجوب العمل بها، لا خبر الواحد، وهذا الإجماع قطعي الدَّلاَلة لا ظنّي الدّلالة.

٢ ـ حمل هذه الآيات علىٰ ذمّ الظّنّ والتّخرّص في أمور الاعتقاد، وما لا بُدَّ فيه من اليقين، والجواب عن الأوّل: أنّه وافق علىٰ وقوع الإجماع، وقد بيّنّا أنّ الإجماع دليل القطع بالنّصّ المجمع علىٰ العمل به.

والجواب عن الثاني أنّا نمنع التّفريق بين الأصول والفروع، وقد تقرّر ولله الحمد أن الأُصولَ ممّا تثبت بالآحاد، فالنّهي عن الظّنّ علىٰ عمومه في الجميع ويُراد به ما لم يكن مبنيّاً علىٰ دلائلَ وأماراتٍ تُوجِبُهُ، بل هو مجرَّدُ

(١) الآمدي: في الإحكام في أصول الأحكام ج ٣٦/٢، ط مصر، والآمدي: هو أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي، الفقيه الأصولي، الملقب: سيف الدّين الآمدي، كان في أول شغله حنبلي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، انحدر إلى بغداد، ثم انتقل إلى الشام، واشتغل بفنون المعقول، وصار أحفظ أهل زمانه لهذه العلوم، ثم انتقل إلى مصر، واشتهر فيها، وقد تعصب عليه أهلها ونسبوه إلى فساد العقيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة والحكماء، وكتبوا فيه بما يُستباح به الدم، فترك البلاد، وخرج مستخفياً، وتوصل إلى الشام، واستوطن مدينة حماه. وصنّف في أصول الفقه والدّين والمنطق والحكمة والخلاف، وانتقل إلى دمشق، وبها توفي سنة ٦٣١ هـ، ودفن بسفح جبل قاسيون. وفيات الأعيان: لابن خلكان ت ٦٨١ هـ، ج ٣/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤، ط دار صادر، بيروت.

وهمٍ وتخمينٍ.

وما اشتهر عن الصحابة رضي اللَّه عنهم من قبولهم للآحاد وتصديقهم بها، كما اشتهر عن أهل قباء من تحولهم إلىٰ جهة الكعبة وهم في الصّلاة، اعتماداً علىٰ خبر واحد[1]، وهو من أوضح البراهين علىٰ حصول العلم بهم بصدقه، وإلاّ لَمَا انصرفوا عن قبلة قد تحقَّقُوها اعتماداً علىٰ خبر لا يُوجب إلاّ الظّنّ.

وكذا ما اشتهر عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه من بنائه علىٰ خبر الذين أفادهم بتحريم الخمر، حيث أتلفها، وكسر جرارها، وفي ذلك إضاعة لمال محترم، ولو لم يكن متحقّقاً صدق ذلك الخبر لمَا أقدم علىٰ هذا الإتلاف، وأمثلة ذلك كثيرة.

وما اشتهر عن الصحابة والسّلف من الشّهادة علىٰ اللَّه وعلىٰ رسوله بموجب هذه الأخبار، ولا شك أنّهم لا يشهدون بما لا يعتقدون صحته، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فوصفهم بأنّهم وَسَطٌ أي عُدُولٌ خِيَارٌ، وبأنّهم يشهدون علىٰ النّاس، أي: بأنّ اللَّه أمرهم بكذا، وفرضَ كذا، وبلّغهم دينَهُ، وأزالَ عُذْرَهم.

---

(١) حديث تحويل القبلة: أخرجه البخاري ج ١/ ١١٣ و ج٣/ ١٩٩ ـ ٢٠١ و ج٤/ ٤١٤، ومسلم ج ٢/ ٦٦، وكذا أبو عوانة في صحيحه ج ١/ ٣٩٤، ومالك في الموطأ ج ١/ ١٩٥، والشافعي في «الأم» ج ١/ ٨١ ـ ٨٢، وعنه البيهقي ج ٢/ ٢، والنسائي ج ١/ ٨٥ و ١٢٢، والدارمي ج ١/ ٢٨١، والدارقطني ص ١٠٢، وأحمد ج ٢/ ١٦، ٢٦، ١٠٥، من حديث ابن عمر قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذْ جاءهم آتٍ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قد أنزل عليه اللّيلة قرآن، وقد أُمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوهم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة.

قال أبو عوانة: وهذا الحديث ممّا يحتج به في إثبات الخبر الواحد. انظر إرواء الغليل: للألباني ج ١/ ٣٢٢.

ثم هم ينقلون آثار نبيِّهم التي أمرهم بإثباتها، ويشهدون بكونها من دينه، وقد قرؤوا قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[الزخرف]، ورُوي أنّ النبيَّ ﷺ قال لرجل: «ترىٰ الشمسَ؟» قال: نعم، قال: «علىٰ مثلِها فأشْهَدْ أو دَعْ»[1]، هذه الرواية إسنادها ضعيف، ذكرناها لدلالة الآية على معناها. فشهادتهم بهذه الأخبار عن نبيِّهم تُوجب صدقهم واليقين بما قالوه لِمَا عُرف من عدالتهم، وتورّعهم عمّا فيه شكٌّ أو تردّدٌ.

قوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة]، ولولا أنّ جواب أهل الذكر، وإنذار الطائفة قومها يفيد العلم لما أمرَ بِهِ؛ فإنّ أهل الذكر يعمُّ ما لو كان واحداً، والطائفة تعمُّ الواحد، والإنذار هو الإعلام بما يُفيدُ العلمَ ليحصلَ الحَذَرُ.

تواتر الأخبار عن النبيّ ﷺ بإرسال آحاد الصحابة لتبليغ القرآن لأهل الآفاق:

لقد تواتر عن النبيّ ﷺ من بعثه الآحادَ إلىٰ أطراف البلاد، ليبلِّغُوا عنه ما أمرَهُ اللّهُ بتليغِهِ مِنَ الدِّين، وليعلموهم كتابَ اللّه، وسنّةَ رسوله ﷺ، ولولا أنّ إخبارهم يُفيد العلم لم يحصل البلاغ، ولحصل التوقّف من المدعوّين ولم يُنقل أنّ أحداً منهم قال لمن علّمَهُ شيئاً من الدِّين، أو طلب منه جزيةً، أو زكاةً أو نحوها: إنّ خبرك لا يُفيد العلم، فأنا أتوقف حتّىٰ يتواتر الخبرُ بما ذكرتَ.

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام برقم ١٤٣٣، وقال: سنده ضعيف. وروى الحاكم في المستدرك ج ٩٨/٤، عن ابن عباس قال: ذُكر عند رسول الله ﷺ الرجل يشهد بشهادة، فقال لي: «يا ابن عباس لا تشهدْ إلاّ على ما يضيء لك كضياء هذا الشمس»، وأومأ رسول الله ﷺ إلى الشمس. قال الحاكم: هذا حديث صحيح، ولم يوافقه الذهبي على تصحيحه.

وقد اكتفىٰ ﷺ بتبليغهم عنه، وتعليمهم ما أمر اللَّهُ به. وقد حصل بذلك تبليغُ الرسالة الذي كلّفه اللّه به بقوله: ﴿ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧] ونحوها منه، ومن رسله وأتباعه بعده، وبذلك قامت حجّةُ اللّه علىٰ الخلق، ومُحَالٌ أن يحصل البلاغ بما فيه شكٌّ أو تَوَهُّمُ ظَنٍّ(١).

(١) يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه «السلفية مرحلة زمنية» ص ٦٧ في مسألة قبول أحاديث رسول الله ﷺ التي رواها آحاد الصحابة: «فحيثما وَجَدَ حديثاً (أي الباحث) عن رسول الله ﷺ يتضمن حكماً في العبادات أو الأحكام الشرعية الأخرى، وكان الراجح والمظنون في ذلك الحديث هو الصدق لتوفر شرائط الصحة فيه، وجب عليه بالدليل اليقيني المتواتر التمسّك بذلك الحديث والاهتداء بهديه والالتزام بمقتضاه. أمّا الدليل اليقيني على ذلك، فهو ما تواتر عن رسول الله ﷺ من إرساله آحاد الصحابة إلى البلاد والقبائل المجاورة والبعيدة، ليعلّموا أهلَ تلك البقاع أحكام الشرعية الإسلامية من عبادات ونحوها. وقد علمنا أنّ العقل يظلُّ يفرض احتمال السهو والغلط والنسيان في حق أولئك الآحاد، ومع ذلك فإنّ النبيّ ﷺ كان يأمر أهل تلك البلاد باتّباع ما يرشدهم إليه هؤلاء الآحاد الذين يبعثهم منتشرين في تلك الأصقاع، فكأنه يقول لهم: حيثما أخبركم هؤلاء الرسل بشيء من أمر دينكم، ممّا يدخل في نطاق التطبيقات السلوكية، وظننتم الصدق في كلامهم، فواجبكم تطبيق ذلك والأخذ به». ولنا حول كلام الدكتور البوطي هذا تساؤلات عدّة منها:

١ - هل ثبت بالدليل اليقيني المتواتر الذي ذكره هنا قبول الحديث والاهتداء بهديه والالتزام بمقتضاه على أساس الظّنّ والرجحان، أم قبوله على أساس القطع واليقين؟

فإنْ كان يزعم أنّ الدليل اليقيني المتواتر في ذلك قد قام على قبول أخباره ﷺ على أساس الظّنّ والرجحان، فإنّا نقول له: إنّ آحاد الصحابة كانوا يبلغون الناس في أصقاع الأرض في حياته ﷺ كلامَ الله تعالىٰ، فهل كان الناس يقبلون كلام الله منهم على أساس الظنّ والرجحان؟ أم كانوا يقبلونه على أساس القطع واليقين؟ فإن قال بالأول فقد أخطأ ولم يُصِبْ، وإن قال بالثاني قلنا له: لِمَ تفرّق بين تبليغ آحاد الصحابة للقرآن وبين تبليغهم لأخباره وأحاديثه صلّى الله عليه وسلّم؟!

٢ - كيف عرف الدكتور أنّ قاعدته التي علّمنا إيّاها: أنّ العقل يظل يفرض احتمال السهو والغلط والنسيان في حق أولئك الآحاد (ويعني بهم الصحابة) أنها تنطبق على رُسُلِ رسولِ الله ﷺ؟ فهل خَبَرَهُمْ واطلع على سهوهم وغلطهم =

= ونسيانهم؟؟ أم أنه قاسهم على نفسه في سهوه وغلطه ونسيانه؟؟ وهل علمَ منهم ما لم يعلمه رسولُ الله ﷺ من أصحابه من سهوٍ أو غلط أو نسيان؟؟ أم أنّه يتقوّل في ذلك من تلقاء نفسه؟!

٣ ـ من أينَ اقتبسَ الدكتورُ مقولتَه التي يُشَبّه فيها فيما قاله: كأنّه ﷺ يقول لهم (أي لأهل الأصقاع): حيثما أخبركم هؤلاء الرسل بشيء من أمر دينكم، ممّا يدخل في نطاق التطبيقات السلوكية، وظننتم الصدق في كلامهم، فواجبكم تطبيق ذلك والأخذ به؟؟ ولا أحدَ ممّن صحب النبيّ ﷺ أو عاصرَه حَكَى ما يفيد هذا التقوّل؟!! وإنّا لنعجب من هذه المقولة كم حوت من المغالطات!!

فمتى كان النّبيُّ ﷺ يطلب من الناس أنّه إذا جاءتْهُمْ رُسُله ممّا يدخل في التطبيقات السلوكية وظنّوا الصدق في كلامهم، فواجبهم تطبيق ذلك والأخذ به؟؟!

فهل حصرَ رسولُ الله ﷺ تبليغَ أصحابه في نطاق التطبيقات السلوكية، ومنعهم من تبليغ أصول العقيدة؟

وهل إذا ظنّ النّاسُ في رُسُلِهِ عدمَ صدقهم، كانوا معذورين في عدم الاستجابة للإسلام؟

وإنّا لنردّ على هذا التكلّف الكلامي الذي يسلكه أهل الظنون بالسّنّة النبوية لردّها أو تعطيل العمل بها، أو عدم التّصديق الجازم فيما جاءنا فيها من عقائد نبوية؛ بما هو معروف في الدِّين بالضرورة من أن آحاد الصحابة كانوا يبلّغون عن رسول الله ﷺ عقيدة التوحيد، والقرآن الكريم، والسنّة النبوية، كما كانوا يبلِّغون الآداب الإسلامية والأخلاق النبوية، ولم يُؤثَرْ عن أحدٍ منهم قطعاً أنّه ميّز بين قبول ما يتعلق بالأحكام السّلوكية، وبين الأحكام الاعتقادية، بل كانوا جميعاً الدّاني منهم والقاصي يقبل خبر الصحابي الواحد من غير تردّد ولا ظنّ ولا ترجيح بين خبر صحابي واحد، وبين خبر أكثر من صحابي.

ولا أدلَّ على ذلك من إجماع الصحابة على قتال المرتدين الذين أسلموا على أيدي آحاد الصحابة، حيث اعتبروهم خارجين عن الإيمان والإسلام، ولم يدّعِ أحدٌ منهم أن أولئك دخلوا في الإسلام بخبر آحاد الصحابة، وأنّ خبر الواحد منهم يُفيد الظنّ لا القطع، كما يزعم أصحاب الظنون من المتكلمين، ومن سلك منهجهم، فإنّهم يعتبرون إخبار آحاد الصحابة يُفيد الظنّ، فعلى رأيهم يكون المنكر لخبرهم في التبليغ منكراً لخبر مظنون بثبوته، فلا يحكمون بكفره، وهذا ما خالفوا به إجماع الصّحابة على قتال أهل الرّدّة الذين دخلوا في الإسلام بخبر

ثم إنّ اللّه أمر بردّ ما يحصل فيه النّزاعُ إليه وإلىٰ رسوله في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور].

والرّدّ إلىٰ الرسول هو الردُّ إليه في حياته، وإلىٰ سنته بعد موته، ولو كانت سنّته إنّما تفيد الظّنّ لم ينفصل النزاع بالرّدّ إليها.

ومن المعلوم أن أكثر أحاديث الرّسول ﷺ إنّما رويت آحاديّة، ولم يزل سلف الأمة ومن تبعهم يتحاكمون إليها امتثالاً لهذا الأمر، ويجعلونها فاصلةً للنزاع بينهم، ويرضون بها حكماً، ويشتدّ إنكارهم علىٰ من امتنع عن قبولها، ويُخوِّفونه بالفتنة والعذاب الأليم الذي تَوَعَّدَ اللّهُ به مَنْ خالفَ أمرَ رسولهِ ﷺ، ولو كان أمره الوارد في هذه الأخبار لا يفيد يقيناً لكان المخالف له معذوراً عندهم، وهو خلاف الإجماع كما تقدّم.

ولقد صحَّ عنه ﷺ من أمره ﷺ بالتّبليغ عنه، وذَمُّه لمن رَدَّ ما سمعه عنه؛ حيث قال: «لا ألفينَّ أحدَكم مُتكِئاً علىٰ أريكتِه، يأتيه الأمرُ مِنْ أمري يقول: لا ندري ما هذا؟ بيننَا وبينكم كتابُ اللّهِ، ألاَ وإنّي أُوتيتُ الكتابَ ومثلَهُ معه»(١)، وقال في الحديث الصحيح عنه: «نَضَّرَ اللّهُ آمْرَءاً سَمِعَ مَقالَتِي فَوَعَاهَا وأَدّاها كما سَمِعَهَا، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعىٰ مِنْ سَامِعٍ»(٢)، فانْظُرْ

= آحاد الصحابة، والخروج عن إجماع الصحابة خروج عن المِلّة والعياذ بالله تعالىٰ.

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم ٤٦٠٤، وسكت عنه هو والمنذري، وهو تحسين منهما للحديث. وأخرجه أحمد في مسنده ج ٤/ ١٣١، والترمذي برقم ٢٨٠٢، وابن ماجه في أول سننه.
وذكره الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صحيح أبي داود برقم ٣٨٤٩، وفي صحيح سنن الترمذي برقم ٢١٤٥.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج ٤/ ٨٠، وابن ماجه رقم ٢٣٠، والدارمي في سننه ج ١/ ٧٥، وأبو داود في سننه رقم ٣٦٦٠، والترمذي رقم ٢٧٩٥، بنحوه.

=

كيف أمرَ كلَّ فردٍ سمعَ علماً عنه بالتبليغ، ولولا أنّه يُفيد العلم لم يأمر بقبوله، ولَمَا توعَّدَ علىٰ رَدِّهِ، حيث أنّ في إمكان السّامع أن يقولَ، خَبَرُكَ مظنونٌ فيه، فلا يلزمني قبوله.

فالنّبيّ ﷺ لا يأمر من التبليغ إلاّ بما تقوم به الحُجَّة علىٰ السَّامع، ففي دُعائه لمن حفظ عنه ثم بلَّغَ ما حفظَ ولو كان واحداً، ولو غير فقيه، وفي تحذيره من رَدِّ خبره أوضح دليل علىٰ حصول العلم لمن وصل إليه هذا العلم عن هذا الثقة الحافظ.

وهذه صفة صحابته رضي اللّٰهُ عنهم وهكذا فعلوا، وقد تقبّلَ عنهم جمهورُ الأمّةِ جميعَ ما نقلوه عن نبيِّهِم مُوقِنين بصحته، من غير ظنٍّ في احتمال خطإٍ أو سهوٍ أو تقصيرٍ!..

= وذكره الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صحيح أبي داود رقم ٣١٠٨، وصحيح الترمذي رقم ٢١٣٩ و ٢١٤٠.

البحث الثاني

الحُجّة في أنّ خبر الواحد يُفيد العلم بالقرائن

مع بيان أنواع القرائن

إنّ من أقوى القَرَائن لإفادة خبر الواحد العلمَ؛ هو جزم أهل الحديث بصحته، وسائر النّاس تبعٌ لهم في معرفة الحديث؛ فإجماع أهل العلم بالحديث على أنّ هذاالخبر صدقٌ كإجماع الفقهاء على أنّ هذا الفعل حلال أو حرام أو واجب، وإذا أجمعَ أهلُ العلم في الحديث على صحة خبر فسائر الأمة تبعٌ لهم، فإجماعهم معصوم لا يجوز أن يجمعوا على باطل[1]!! ولكل خبر قرائن تدلّ على ثبوته أو عدم ثبوته، وفيما يلي بيانها:

إن القرائن تنقسم إلىٰ متصلة ومنفصلة.

١ ـ أمّا المتصلة فيُراد بها أحوالُ الراوي أو المروي أو السّامع:

(أ) أمّا أحوال الرواة، فمثل كونهم من أهل الصدق والأمانة إلىٰ آخر الشروط[2]، ومثل توافق العدد على نقل حديث واحد، أو توارد راويين علىٰ سياق متقارب، مع اختلاف الآراء، وتباعد الدِّيار، مما

---

(١) أنظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١٨/ ١٧ و ٤١ و ٤٨ و ٤٩.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج ١٨/ ٤: «وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وهو قول أكثر أصحاب الأشعري كالاسفرائيني وابن فورك».

(٢) اشترط في الراوي العدالة؛ لنأمَنَ من تعمّد الكذب، واشترط فيه الحفظ والتيقّظ لنأمَنَ منه السهو. مجموع الفتاوى: لابن تيمية ج ١٨/ ٤٥.

يعلم به أنّهما لم يتواطآ عليه، ويَبْعُدُ في العادة اتّفاقهما على الكذب[(١)].

فهذه ونحوها قرائنُ يحصلُ العلمُ اليقيني بخبرهم.

(ب) أمّا أحوال المروي فإنّ كلام النبيّ ﷺ عليه من النور والبهاء والقوة في الأسلوب ما يعرفه به المتبصّر في الدِّين.

وكذا موافقته لما تهدف إليه الشريعة، وكذا تأيّده بالنصوص الأخرىٰ بمعناه، كل هذه قرائن توجب العلم القطعي به، فلا يلتبس بالكذب والباطل علىٰ كلِّ ذي عقل وفهم صحيح، فإنّ علىٰ الحقّ نوراً يُبْصِرُهُ ذو البصيرة السّليمة الذي يُفرّق بين الخبر الصّادق والكاذب عن رسول الله ﷺ، كما يفرق بين اللّيل والنّهار.

جـ - أمّا أحوال السّامع فإنّ مَنْ كانَ مِنْ أهل الحديث المشتغلين بالسّنّة، والعالمين بمقاصد الشرع، وبأحوال الرجال، كانت معرفته بالحديث أتم، وتمييزه بين الصادق والكاذب أقوىٰ، بخلاف المعرضين عن ذلك الذين لا اشتغالَ لهم بعلم الحديث، وليس لهم خبرة بأحوال نقلته، فإنّهم بمعزل عن معرفة الصحيح منه والسّقيم، فلا يتأثرون

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً ج ١٨/٢٢: «وعامّة هذه المتون تكون مروية عن النبيّ ﷺ من عدّة وجوه، رواها هذا الصاحب وهذا الصاحب، من غير أن يتواطآ، ومثل هذا يُوجب العلم القطعي، فإنّ المحدّث إذا روى حديثاً طويلاً سمعه ورواه آخر، ذكر أنّه سمعه وقد عُلِمَ أنّهما لم يتواطآ على وضعه عُلِمَ أنّه صدقٌ؛ لأنّه لو لم يكن صدقاً لكان كذباً... ويمتنع في العادة أن يتفق الاثنان على الوضع من غير مواطأة منهما، وهذا يوجد كثيراً في الحديث يرويه أبو هريرة، وأبو سعيد، أو أبو هريرة وعائشة، أو أبو هريرة وابن عمر، أو ابن عباس، وقد علم أنّ أحدهما لم يأخذه من الآخر، مثل حديث التجلّي يوم القيامة الطويل، حدّث به أبو هريرة، وأبو سعيد ساكتٌ لا ينكر منه حرفاً بل وافق أبا هريرة عليه جميعه إلاّ على لفظ واحد في آخره».
وما ينطبق على الراويين من الصحابة، ينطبق على كل راويين من سائر الرواة الثقات أبداً، فهذا التوافق يعطي معنى الصدق قطعاً.

بالقرائن ولا يُفرّقون بين الأخبار كما هو مشاهد[1]. وقد يدخل في القرائن المتّصلة تلقي الأمة للخبر بالقبول، وعملهم بموجبه أو اشتغالهم بتأويله، كما تقبلوا أحاديث الصحيحين في الجملة، وغيرهما مما ثبت كونه من الدين، بإطباق جمهور الأمّة علىٰ العمل بما تضمّنته.

قال الحافظ ابن حجر في شرح النخبة: والخبر المحتف بالقرائن أنواع:

١ ـ منها ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما، ممّا لم يبلغ حدَّ التواتر، فإنّه

---

(١) فهذا الشيخ محمد الغزالي الذي يدعي أنه قضى أربعين عاماً في الدعوة الإسلامية، يقف من السّنّة النبوية موقف أهل البدع والضّلالة، فينفي كل حديث آحاد ولو كان في الصحيحين أو في أحدهما إذا كان يعارض العقل، ويضيق صدره بأخبار رسول الله ﷺ إذا جاءت عن طريق الآحاد ولو كانت صحيحة الإسناد، بل ولو كانت في الصحيحين، ولا يقيم لها وزناً إذا خالفت رأيه، حتى ولو تلقته الأُمّة بالقبول.

يقول الدكتور «ربيع بن هادي المدخلي» في كتابه «كشف مواقف الغزالي من السّنّة وأهلها» ص ٣٢: «الخبر المستفيض الوارد من وجوه كثيرة لا مطعن فيها، تفيد العلم النظري للمتبحّر في هذا الشّأن ـ أي في علوم الحديث ـ فهؤلاء جماهير العلماء من أصوليين، وفقهاء، ومتكلمين مع أهل الحديث في أنّ خبر الآحاد إذا تلقته الأُمّة بالقبول، أو إذا احتفّتْ به القرائن، أو كان مستفيضاً؛ أفادَ العلمَ».

ثمّ قال: «ومن العجيب أننا لا نرى «الغزالي» يذكر هذه الأنواع في حملاته على أخبار الآحاد، ولا يعبأ بهذه المقاييس لدى علماء الأُمّة التي يخضع لها عُتاة المعتزلة ورُؤوسهم، ولا يعبأ بأخبار الصحيحين التي تلقتها الأُمّة بالقبول، فأيّ حديث يخالف هواه يضربُهُ ضَرْب غرائب الإبل، ويتبعه بسيل من التحقير والتسفيه لرواته ولأهل الحديث أو جمهورهم. وهذا أسلوب انفرد به «الغزالي» من بين مَنْ أنكر أخبار الآحاد من أصناف المبتدعين».

ولهذا فإنّه يجب علينا أن نكون يقظين لمحاولات مَنْ يُشَكّك بالسّنّة النبوية أو يُضْعِفُ صلة المسلمين بها كائناً من كان.

أحتف به قرائن.

أ ـ منها جَلاَلتهما في هذا الشّأن.

ب ـ وتقدمهما في تمييز الصحيح علىٰ غيرهما.

جـ ـ وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول.

وهذا التلقي وحده أقوىٰ في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن حَدِّ التواتر.

إلاّ أنّ هذا يختص بما لم ينتقده أحد من الحفاظ ممّا في الكتابين.

وبما لم يقع التجاذب بين مدلوليه، حيث لا ترجيح، لاستحالة أن يفيد المتناقضان العلم، من غير ترجيح لأحدهما علىٰ الآخر.

٢ ـ ومنها المشهور، إذا كان له طرق متباينة سالمة من الضعف.

٣ ـ ومنها المسلسل بالأئمّة الحفاظ المتقنين.

وقد سبق ذكر ما اشترطوه في قبول خبر الواحد، وإفادته العلم من كون رواته عدولاً ثقات ضابطين متقنين...

ممّا يدلّ علىٰ أنّ مَنْ لم يستوف تلك الصّفات لا يُقبل خبره، ولا يُفيد العلم وإن أفاد الظّنَّ الغالب أحياناً.

٢ ـ وأمّا القرائن المنفصلة فأرادوا بها أموراً خارجة، غير ملازمة للخبر دائماً بل تقترن به أحياناً أو تحدث معه، فيعرف بها صدق الناقل وصحة خبره. وهذا النوع هو الذي قصده أكثر المتكلّمين الذين اشترطوا في إفادة العلم؛ إقترانه بالقرائن غير اللاّزمة، كالآمدي والغزالي والرازي وابن الحاجب[1]

---

(١) الآمدي: تقدمت ترجمته، هو أبو الحسن علي بن علي بن محمد التغلبي، الفقيه الأصولي، ت ٦٢١هـ، وفيات الأعيان ج ٣/٢٩٣. والغزالي: هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، الملقب «حجّة الإسلام» فقيه شافعي أصولي متكلم، تقدمت ترجمته، ت ٥٠٥ هـ، وفيات الأعيان ج ٤/٢١٦. والرازي: هو أبو =

وغيرهم، حكىٰ ذلك عنهم ابن الهُمَام وغيره كما في شروح التحرير[1].

وقد مثّلوا للقرائن المنفصلة بمن أخبرَ عن عطشه أو مرضه، ورُؤيتْ عليه علامات ذلك ظاهرة، من يبس شفتيه أو تغيّر لونه، أو حرارة جسمه، أو نحو ذلك مما يقوّي صحة خبره.

وكذا لو أخبر بما عليه فيه ضرر، ولكن حملته خشية اللّٰه والخوف من عذابه علىٰ الإقرار بما فعله لقصد التطهير، كمن أخبر بأنه ارتكب ذنباً يوجب حَدّاً أو قَوَداً، وليس هنالك ما يُلجئه إلىٰ الإقرار، وقد عُرِفَتْ منه محبّتُهُ للحياة ورغد عيشه، وأخبر بذلك طوعاً واختياراً. وهكذا من أقرّ بدَيْنٍ عنده له وقع في النفس، بدون بيّنة من صاحب الحقّ، وبدون أن يُطلب منه يمينٌ، وبلا تهديد ولا تعزير.

وكما لو أقرّ عند المفتي بطلاقٍ أو عقدٍ، أو بأنّه وقع منه خَلَلٌ في صلاته أو صومه أو نحو ذلك، وطلب بيانَ الحكم، فإنّ

= عبد الله محمّد بن عمر بن الحسين، الملقب «فخر الدِّين» الفقيه الشافعي، فريد عصره، كبير أهل الكلام، له التفسير الكبير، وغيره من المؤلفات الكثيرة، ت ٦٠٦ هـ، وفيات الأعيان ج ٤/٢٤٨، وطبقات السبكي ج ٥/٣٣، وعبر الذهبي ج ٥/١٨، والشذرات ج ٥/٢١. وابن الحاجب: هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، الفقيه المالكي، صنف في أصول الفقه، وتبحّر في الفنون، وكلّ مؤلفاته في نهاية الحسن والإفادة، ت ٦٤٦ هـ، وفيات الأعيان ج ٣/٢٤٨، العبر للذهبي ج ٥/١٨٩، الشذرات ج ٥/٢٣٤.

(١) ابن الهمام: هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد، الشهير بابن الهُمَام، كان أصولياً محدّثاً مفسّراً حافظاً، له تصانيف معتبرة، منها شرح الهداية المسمّى بفتح القدير، والتحرير في الأصول، ت ٨٦١ هـ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية ١٨٠ ـ ١٨١، ط مصر ـ تصوير دار المعرفة ـ بيروت.

المفتي يُصدّق خبره في كل ذلك، إلىٰ أمثال هذه الصّور ممّا هو كثير.

وأنت تعرف أنّ هذه القرائن تقوّي صدق الخبر أيّاً كان نوع المخبِر، بدون أن يُشترط له ما تقدَّمَ من الشروط كالضّبط والعدالة[1] . . . إلخ.

(١) ومن فروع تقوية هذا الحديث ما ذكره الحافظ السيوطي في «تدريب الراوي» ج ١/ ١٧٥ - ١٧٦: أنّه إذا كان راوي الحديث متأخراً عن درجة الحافظ الضابط، مع كونه مشهوراً بالصدق والسّرّ، وقد علم أنّ مَنْ هذا حاله فحديثه حسن، فرُوي حديثه من غير وجه، ولو وجهاً واحداً، قوي بالمتابعة وزال ما كنّا نخشاه عليه من جهة سوء الحفظ، وانجبر بها ذلك النقص اليسير، وارتفع حديثه من درجة الحسن إلى درجة الصحيح.
قال ابن الصلاح: مثاله حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «لولا أن أشق على أُمّتي لأمرتهم بالسّواك عند كل صلاة»، محمّد بن عمرو بن علقمة من المشهورين بالصدق والصيانة، لكن لم يكن من أهل الإتقان، حتى ضعفه بعضهم من جهة سوء حفظه، ووثّقه بعضهم لصدقه وجلالته، فحديثه من هذه الجهة حسن، فلمّا انضمَّ إلى ذلك كونه رُوي من آخر حكمنا بصحته، والمتابعة في هذا الحديث ليست لمحمد عن أبي سلمة، بل لأبي سلمة عن أبي هريرة، فقد رواه عنه أيضاً الأعرج، وسعيد المقبري، وأبوه وغيرهم.
ومثّلَ غير ابن الصلاح بحديث البخاري عن أُبي بن العباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده في ذكر خيل رسول الله ﷺ، فإنّ أُبيّاً هذا ضعفه لسوء حفظه أحمد وابن معين والنسائي، وحديثه حسن، لكن تابعه عليه أخوه عبد المهيمن، فارتقى إلى درجة الصحة.

البحث الثالث

حُجّة من زعم أنّ الأحاديث الصحيحة الآحاد لا تُفيد إلاّ الظّنّ مع مناقشة شُبَهِهم

تتابع الأصوليُّون[1] غالباً في مؤلّفاتهم علىٰ اختيار أنّ خبر الواحد لا يفيد العلم وإنّما يجوز العملُ به، وإنْ كان ظنّيّ الثّبوت، لجوازِ العملِ بِما يُفيدُ الظّنّ. وأعْتَقِدُ أنّ عدمَ حصول العلم لهم من هذه الأخبارِ بِسَبَبِ أنّ جُلَّ اشْتِغَالِهم بعلمِ الكلام ونحوه[2]، وهم في الجُمْلَة بمعزلٍ عن علم الحديث وطُرُقِهِ ورُجَالِهِ.

وقد انخدعَ بكثرتهم وتَهافُتِهم علىٰ هذا القول كثيرٌ من أهلِ الحديثِ المتأخّرين، كما فعلَ النّوَويّ في التّقريبِ[3]، وشرح مُقدّمةِ مسلم[4]، وكذا

---

(١) أخبار الآحاد في الحديث النبوي: للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن جبرين ص ٨٣ ـ ٨٨، ط دار طيبة ـ الرياض.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأمّا الطريقة الفلسفية الكلامية فإنّهم ابتدأوا بنفوسهم، فجعلوها هي الأصلَ الذي يُفرّعون عليه، والأساسَ الذي يبنُون عليه، فتكلّموا في إدراكهم للعلم...»، وقال أيضاً: «المتكلّمون: وهم يدّعون أنهم أهل الرأي والنظر». مجموع الفتاوى ج٢/ ٢٠ و ٥٥، ط الرياض.

(٣) انظر تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ج ١/ ١٣٢، وقد خالفه السيوطي في ذلك ورجّح ما اخْتَارَهُ ابنُ الصّلاح وغيره من المحقّقين من أنّه يُفيد العلم.

(٤) شرح صحيح مسلم ج ١/ ٢٠، فإنّه ردَّ ما اتّفقَ عليه المحقّقُون على ثبوت ما في الصحيحين ثبوتاً قاطعاً، وهذه هَفْوةٌ منه، جارَى بها أهلَ الكلام الذين يشككون بثبوت الأحاديث الصحيحة عن النبيّ ﷺ بزعم أنّها آحاد، وأنّها لا تُفيد إلاّ الظّنّ.

ابنُ الأثيرِ في مقدّمة جَامِعِ الأُصول[1] الذي نقلَ عبارةَ الغزاليّ بالحرف.

ومن العجيب تأويل الغزالي لقول مَنْ ذهبَ إلىٰ أنّها تفيدُ العلم بأحدِ الأمرين:

١ ـ أنّهم أرادُوا إفَادَتَهَا للعلمِ بوجوبِ العملِ.

٢ ـ أنّ العلم بمعنىٰ الظّنّ[2].

ثم حكىٰ أنّ بعضهم فَسَّرَهُ بالعلم الظّاهر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وردّ هذا التفسير.

وكأنه لما استحكم في قلبه كونها ظنّيّة اعتقد ذلك حجّةً مُسلّمَةً من كلِّ ذي عَقْلٍ، واستبعدَ أن يُخالفَهُ فيها أحدٌ.

ولمّا كان هذا القول مشهوراً عن السّلف أرادَ أن يصرِفَهُ عن ظاهرِه، حتىٰ لا يبقىٰ عالمٌ مُعْتَبَرٌ يُخالفُ ما قالَهُ، فأوّلَهُ إمّا بجعل العلم مُراداً به غير ما نحنُ فيه، وأنّه العلم بوجوب قبول هذه الأخبار، والعمل بما تتضمّنُهُ، وإمّا بأنّ العلمَ مرادٌ به الظّنّ الذي يقول به جمهورهم. ويتّضح أنّه لم يقرأ عباراتِ المُحدِّثين والأئمة في تصريحهم بالعلم اليقيني، واستدلالهم عليه بما هو معلومٌ من الأدلّة الشرعيّة والعقليّة كما تقدم. ممّا لا يحتملها التّأويل الذي قاله، ولا أنّهم أرادوا العلمَ الظاهرَ، كما نقله ورده، ولهذا لمّا نقل ابنُ الهمام في التحرير تأويلَهُ الأوّل رَدَّهُ بتصريح ابن الصلاح بالقطع بمرويِّ الشّيخين[3]، فأمّا قول الآمدي[4] أنّ فيهم مَنْ قال: يُفيد

---

(١) جامع الأصول ج١/ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ط دمشق، وتابعه محققه بما نقله عن النووي، وتلك هفوة أيضاً ـ غفر الله لنا وله ـ والحقُّ في هذه المسألة أنّ الأحاديث التي احتفّت بقرائن الثبوت والقبول لدى أهل الحديث تفيد العلم، وتُوجبُ التصديقَ الجازمَ، لا الظني.

(٢) ذكره في كتابه «المستصفى» ج ١/ ٨٨.

(٣) كما في التحرير ص ١٣٣.

(٤) كما في الإحكام في أصول الأحكام ج ٢/ ٣٢.

العلم بمعنىٰ الظّنّ، واستدلوا بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠]، أي ظَنَنْتُمُوهُنّ، فهذا قول لا حقيقة له، وإنْ وُجِدَ مَنْ يقوله، فلا فرق بينَهُ وبينَ قول الأكثرين منهم، بأنّه لا يفيد العلم اليقيني مطلقاً، فإنّهم لم ينفوا إفادتَهُ للظّنّ.

وقد علمتَ أنَّ هذا أحدُ التأويلين اللذين سلكهما الغزالي في صرف القول الأوّل عن ظاهره، ولو كان يعلمه قولاً لأحدٍ لحكاه، ولم يجعله احتمالاً، وعلمت أيضاً أنّ الغزالي ذكر الآية في دليلِ مَنْ قال: المراد العلم الظاهر، لا العلم بمعنىٰ الظّنّ، ولمّا كان أهل الأصول قد وضعوا لهم قواعدَ كُلّيّةً، حكموا بموجبها علىٰ كل خبرٍ بحكم موافق لتلك القواعد التي لم يكن مُسْتَنَدُهُمْ فيها إلاّ أدلّةً عقليّةً، بزعمهم يَقِينِيّةٍ، وهي وهميّةٌ؛ جعلُوها مطّردةً، فحكمُوا لأجلها بأنّ مفادَ أخبار الآحاد الظّنّ، ثم إنّهم تَنَاقَضُوا بعدَ ذلك بإيجابهم العمل بها، لمّا رأوا أدلّةَ وجوبِ العمل متواترةً، وقَبُولَ السّلف لها مشهوراً، ورأوا هذا مُطّرِداً بينَ المسلمين سَلَفاً وخَلَفاً، فلم يجدوا بُدّاً من القولِ بأنّها تُوجبُ العمل، ممّا هو هَدْمٌ لقواعدهم من الأساس.

وذلك أنّه ما من حديث صحيح وَجَبَ العَمَلُ به إلاّ وكان مضمونُهُ اعتقادَ الثوابِ من اللّه تعالىٰ على فعله، أو العقاب على تركه [وهذا أمر اعتقادي لا يصح وجوده إلاّ بقطع ثبوته]، وما من عملٍ من أعمال العبادات الواردة في أحاديث الآحاد الصحاح إلاّ ومضمونُها اعتقادَ إرضاءِ اللّه تعالىٰ بها، والتقرّب بها إليه لكونها من هَدْي رسوله ﷺ وسنّته النبويّة؛ فإنْ لم يعتقد المسلم بذلك تَكُنْ عبادتُهُ عبثاً، وقيامُهُ بها أَجْوَفَ لا رَابطَ له باللّه تعالىٰ، وهذا ما لم يقلْ به أحدٌ من المسلمين، ولا يرضاه، واللّه تعالىٰ تَعَبّدَنا باتّباع سُنّة رسوله ﷺ سواء بلغتنا بالتواتر أو عن طريق الآحاد الثقات الضابطين، إذْ جميعُهُ يُفيدنا العلم بأنّه من هدي رسول اللّه ﷺ ومِنْ سنّتهِ!!

مُناقشةُ شُبهِ مَنْ يقولُ إنّ خَبرَ الواحِدِ لا يُفيدُ العِلْمَ:

لا أعتقدُ وُجودَ نصٍّ من الأدلّة السمعيّة يُصرّحُ بردِّ خبرِ الوَاحِدِ الثّقةِ، أو التّوَقُّف فيه، أو عدمِ حصولِ العلم به، ولكنّ أهلَ الظّنّ والشّكّ في الأخبار وَلَّدُوا شُبُهاً وخيَالاَتٍ ظَنّوها عقلية، قطعيّةَ الدّلاَلَةِ علىٰ عدم إفادةِ خبرِ الوَاحِدِ العلمَ، وقد اعتمَدُوها كبراهين علىٰ ما ذهبوا إليه:

١ ـ فمنها قولهُم: إنّ الطبيعةَ البشريّةَ تَقْتَضِي السّهْوَ والنِّسيان من كلِّ إنسانٍ، وإنّه يُوجد كثيراً تعمّدَ الكذبَ لمصلحةٍ يعتقدُهَا الكَاذِبُ أو لغيرها، وكل ذلك يَقْتَضِي التّوَقُّفَ في خَبَرِ الوَاحد[١].

فيُقالُ: نحن لا نقولُ باستحالةِ الخطأ على جميع النَّقَلَةِ، ولا بعصمتِهِم من تعمُّدِ الكذب، ولكنْ نقولُ بالجزمِ والتّصديق للخبر عند ظهور أمَارَاتٍ تُؤَيّد ذلك من تتبّعَ أخبار الراوي حتّىٰ يُوقَفَ علىٰ صحتها، ومِنْ موافقتِهِ لمن هو مثله أو أفضل منه، وغير ذلك ممّا يَعْرِفُ به أهلُ الفَنّ صِحّةَ الروايةِ أو الخطأ فيها.

وليس ببدع أن يجعلَ اللّٰهُ في خلقهِ مَنْ يَقْرُبُ القَوْلُ بعصمتِهِ مِنْ تَعمُّدِ الكذبِ، ومِنَ السّهْوِ الكثيرِ في التّحَمُّلِ والأداءِ لواجباتِ الدِّين، كي تقومَ حُجّةُ اللّٰه علىٰ خلقِهِ، ويحصل الأمْنُ من التّعبُّدِ للّٰه بخطأ.

فرواةُ الأخبارِ الّتي تَلَقّتْها الأُمّةُ بالقَبُولِ، يلزمُ من تخطِئَتِهِم عَدَمُ قيامِ حُجّةِ اللّٰهِ علىٰ مَنْ لم يُشاهِدِ الرّسُولَ ﷺ، وذلك ممّا يُنَافِي حِكْمَةَ اللّٰهِ تعالىٰ[٢].

---

(١) هذه الشبهة توجد عند أهل الظنّ بألفاظ متقاربة، ومَفَادها واحد؛ وهو الشّكّ والظّنّ، نعوذ بالله من سوء الظّنّ في أهل العدالة والضبط والثقة، فإنّ الظن السّوء بهم يؤدي إلى رفض السّنّة الصحيحة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

(٢) فلو جاز للمسلمين الظّنُّ بثبوتِ السّنّة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، لأصبحوا غيرَ واثقين بثبوت بيان القرآن الذي أوجبه الله تعالىٰ على رسوله ﷺ؛ لأنه تعالىٰ =

٢ ـ ومنها قولهُمْ: إنَّنَا نُشَاهِدُ اخْتِلافَ المُحَدِّثِينَ في الحديثِ الوَاحِدِ، ما بين مُصَحِّحٍ له ومُضَعِّفٍ، وطاعِنٍ في رُوَاتِهِ وذَابٍّ عنهم، ونحو ذلك ممّا يُسبِّبُ عدمَ اليَقين بما قالُوه، والتّوقّفَ في مرويّاتهم مخافةَ الخطأ. فقد روىٰ البخاري ومسلم أحاديثَ حَكَما بصحتها، ثم تعقّبَهُما بعضُ العلماءِ ـ كالدارقطني ـ وذكروا فيها مَطَاعِنَ(١).

وكذا الترمذي كثيراً ما يُصَحِّحُ أحاديثَ في جَامِعِهِ، ولا تكون صحيحةً، وهكذا ما اشتهر عن الحاكم في مُسْتَدْرَكِهِ(٢).

= يقول: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النحل]، ويقول تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النحل]، فبيانُ الرسولِ ﷺ للقرآنِ واجبُ التّبليغ، وهو واجبُ الثّبوت، فلو لم يكنْ واجبَ الثبوتِ لذهب بيانُ القرآن الذي يجب اتّباعُهُ ونقلُهُ وتبلغُهُ، وهذا ما كان عليه الصّدر الأوّل لهذه الأُمّة قبل فشوّ فتنة علم الكلام الذي يقوم على منهج الظّنّ في ثبوت نقل الأحاديث النبويّة، وذلك لعدم معرفتهم بحقيقة نقل السّنّة وما بذله الحفاظُ في سبيل حفظها ورعايتها وتدوينها ونقلها ونشرها بينَ الأمّة، فقد كان المتكلّمون قليلي الحديث كثيري الجدل والأهواء، وهذا ما صرفهم عن الاشتغال بسنّة رسول الله ﷺ، فلم تفشُ هذه الفتنة الرّديّة إلاّ بين المتكلمين وأتباعهم ومقلّديهم إلى يومنا هذا، فكانوا ولا زالوا شديدي الوقوع في أهل الحديث والسّنّة، والإنسانُ عدوٌّ لما يجهل، فمَنْ عايشَ السّنّةَ وعلُومَها وروايتَها ودرايتَها، وتيقّنَ عظيم شأنها الكريم؛ كان أشدَّ النّاسِ دفاعاً عن السّنّة وعن أهلها «أصحاب الحديث» وأقوىٰ إيماناً بها، وأكثرَ اتّباعاً لها.

(١) وذلك كأنْ يكون الراوي ضعيفاً عند غيرهما ثقة عندهما. أو أن تلك الروايات واقعة في المتابعات والشواهد لا في الأصول، فيُذكر الحديثُ أولاً بالإسناد النظيف ويُجعل أصلاً، ثم يُتبَعُ بإسناد أو أسانيد فيها بعض الضعف على وجه التوسّع في التأكيد والمبالغة، أو لزيادة فيه تنبّه على فائدة فيما قدّمه. أو أن يكون ضعفُ الراوي قد طرأ بعدَ الأخذِ عنه. انظر تدريب الراوي ج ٩١/١ ـ ٩٨، فإنّ فيه بحثاً هاماً في هذا الخصوص.

(٢) قد يُحَسِّنُ الإمام الترمذي الحديث الضعيف الذي يكون ضعفه ظاهراً، لجهالة بعض رواته، أو لضعفه أو للانقطاع، أو لغير ذلك من وجوه الضعف. فأمّا تحسينُه ما في إسناده مجهول فيُحتمل أنّ الترمذي عرفَهُ. وأمّا تحسينُهُ ما في =

ولو كانت أماراتُ الصِّحةِ ظاهرةً مُفِيدَةً للعلم لما وَقَعَ فيها هذا الاختلافُ الكثيرُ؟ فيُقالُ: لقد اصْطَلَحَ أهلُ الحديث علىٰ تمييز الصحيح الثّابت من الحديث النّبوي في رجالِهِ ولفظِهِ ومعناه ممّا يعرفونه به من غيره.

ولم يكن العلماء بهذا الفَنِّ علىٰ استواءٍ في العلم بهذه المميّزات، ممّا كان سبباً لمثل هذا الاختلاف، ولا شكّ في تقدم أهل الصنعة في ذلك كالبخاري ومسلم، والإمام أحمد ويحيىٰ بن معين ونحوهم علىٰ غيرهم.

فنحن عند اختلافهم نعمل بالتّرجيح الذي يكون بالأكثريّةِ، كما يكون بالقوّةِ وتمام المعرفة، وهذا ما تَميّزَ به البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحيهما.

وقد عرف أيضاً أنّ الحُكْمَ بصحةِ الحديث لا يعتمد الإسناد دائماً، فقد يكونُ له طُرُقٌ أخرىٰ يعرفها مَنْ صَحّحَهُ، أو يكونُ هناك قَرَائِنُ تُقَوّي ثُبُوتَهُ لم يطّلِعْ عليها مَنْ طَعَنَ فيه.

أمّا التّرمذي فقد عُرِفَ عنه نوعٌ من التّساهل في التّصحيح، ظهرَ ذلك

= إسناده ضعيف أو انقطاع فلمجيئه من وجه آخر، ولشواهده. مقدمة تحفة الأحوذي: للمبارك فوري ج ١/ ٢٩١، ط مصر.

وأمّا ما يتعلق بتصحيح الحاكم في المستدرك وتساهله فيه، فقد بيّن سببه الحافظ ابن حجر، فقال: «وإنّما وقع للحاكم التساهل لأنّه سَوّدَ الكتابَ لينقّحه فأعجلته المنيّةُ»، وقال الحافظ الذهبي: «فيه ـ أي المستدرك ـ جملةٌ وافرة على شرطها ـ يعني البخاريَّ ومسلماً ـ وجملة كثيرة على شرط أحدهما، لعلّ مجموع ذلك نحو نصف الكتاب، وفيه نحو الربع ممّا صحّ سندُهُ وفيه بعضُ الشّيء، أو له عِلّةٌ، وما بقي وهو نحو الربع فهو مناكير أو واهيات لا تصح، وفي بعض ذلك موضوعات». تدريب الراوي: للسيوطي ج ١/ ١٠٦.

وهذا مثلٌ حيٌّ على صحة القول بأنّ الله تعالىٰ لم يدع أحاديث رسوله من بيان صحيحها، أو ما طرأ على أسانيدها أو متونها من ضعف أو وهنٍ أو نكارةٍ أو نحو ذلك، إلاّ وأقام لها أفذاذ العلماءِ العدول لتمييزها وبيان أنواعها وأقسامها، فللّه الحجّة البالغة!!!

بالتَّتبُّع، فحكمُهُ بالصِّحَّةِ معتبرٌ في الغَالب. وقد يكون مقيَّداً بما ظهر له وإن خَالفَهُ غيرُهُ.

وأمّا الحاكم فهو ـ وإن كان وَاسِعَ الحفظ كثيرَ الرواية ـ لكنّه كثيرُ التّسَاهل في التّصحيح، ولهذا لا يُوثَقُ غالباً بتصحيحه وحدَهُ.

وقد تتبّعه في مستدركه بعضُ العلماء كالذهبي، فوافقوه على الكثير ممّا حكمَ بصحتِهِ، وخَالَفُوهُ في كثيرٍ مع إيضاحِ وَجْهِ المُخَالَفَةِ، مع أنّه غالباً إنّما يجزم بصحَّةِ السَّنَدِ دُونَ المَتْنِ، وذلك مُقَيَّدٌ بما ظَهَرَ له من حال الرُّواة، وهذه سُنّةُ اللّهِ في وُجُودِ هذا التَّفَاوُتِ بينَ خَلْقِهِ.

ولكن لا يلزم من الاختلاف في البعض التوقّف في الجميع، فإنّ الغالب من أحاديث الصّحيحين وغيرهما ممّا ثبت لم يقع فيه اختلافٌ بينَ المُصَحِّحِينَ[1] والحمدُ للّهِ.

٣ ـ ومنها قولهم: إنّما يجبُ حُسْنُ الظَّنِّ بالرَّاوي من غير جَزْمٍ؛ لأنّ اللّهَ يقولُ في الحديث القدسيّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءِ»[2]، ولقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، ولم

---

(١) قال الإمام ابن الصّلاح: «إنّ ما رَوَيَاهُ أو أحدُهما فهو مقطوع بصحته والعلم القطعي حاصل فيه، خلافاً لمن نفى ذلك، محتجّاً بأنّه لا يُفيد إلاّ الظّنّ، وإنّما تلقته الأمة بالقبول، لأنّه يجب عليهم العمل بالظّنّ. والظّنّ قد يخطىء، قال: وقد كنتُ أميل إلى هذا وأحسبه قوياً، ثم بانَ لي أنّ الذي اخترناه أولاً هو الصحيح؛ لأنّ ظنّ من هو معصوم من الخطأ لا يخطىء، والأُمّة في إجماعها معصومة من الخطأ، ولهذا كان الإجماع المبني على الاجتهاد حُجّة مقطوعاً بها، وقد قال إمام الحرمين: لو حلف إنسانٌ بطلاق امرأته: أنّ ما في الصحيحين ممّا حكمَا بصحته من قول النبيّ ﷺ لمَا ألزمتُهُ الطلاق؛ لإجماع المسلمين على صحته». تدريب الراوي: للسيوطي ج ١/ ١٣١ ـ ١٣٢، ط مصر.

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد، ١٥ ـ ٣٥، ومسلم في كتاب التوبة ١، والذكر ٢ و ١٩، والترمذي في الزهد ٥١، والدعوات ١٣١، وابن ماجه في الأدب ٥٨، والدارمي في الرقاق ٢٢، وأحمد ج ٢/ ٢٥١، ٣١٥، ٣٩١، ج ٣/ ٢١٠، ٢٧٧، =

يقل: كلّ الظّنّ. فيُقالُ: هذا ممّا لا صِلَةَ له بما نحنُ فيه.

أمّا ظَنُّ العبد بربّه، وأمرهُ بإحسانِ الظّنّ، فذلك فيما يُعامِلُهُ بهِ مِن الجزاءِ في الدّارين، ولا شكَّ أنّ اللّهَ قد حَجَبَ عن العبدِ ما هو فاعلٌ به في دَارِ الجزاءِ، فأمرَ بأنْ يُحْسِنَ الظّنَّ بربّه، ليحملَهُ ذلك علىٰ الرّجاءِ الذي يستلزم الجَدَّ في الطّاعةِ، ليتحقّق ما ظَنَّهُ به.

أمّا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، فَسِيَاقُ الآية في ظَنِّ المُسْلِمِ بأخيهِ أنّه اغتابَهُ أو حَسَدَهُ، أو رَامَ لهُ شرّاً، ونحو ذلك ممّا ينقلُهُ الوُشَاةُ لقصدِ إثَارَةِ العَدَاوَةِ والبَغْضَاءِ، مع أنَّ أكثرَهُ لا صحةَ له، ولكنّه قد يُسَبِّبُ سُوءَ الظّنّ من المسلم بأخيه، فأمرَ المؤمنين بتجنّب كثيرٍ من هذا الظّنّ الذي يُثِير الشَّحْنَاءِ والتّقاطعَ بين المسلمين. وليس في الآية أمرٌ ببعض الظّنّ أصلاً.

٤ ـ ومنها قولهم: لو علم اللّهُ صدقَ خبر الواحد لم يُخْلِنَا من دليل علىٰ ذلك. فيُقَالُ: لا شكَّ أنّ اللّهَ ضَمِنَ بقاءَ دينهِ وشرعِهِ لهذه الأُمّةِ بعدَ أنْ أكملَ لهم الدّينَ، وأتمَّ عليهم النِّعْمَةَ!!

ولا شكَّ أنّ أكثرَ تفاصيل هذا الدّين إنّما تُؤْخَذُ عن هذه الأخبار، فلو كانتْ كذباً في نفسِ الأمرِ لأقامَ اللّهُ علىٰ ذلك أدلّةً وبراهين، كي لا يلتبسَ الحَقُّ بالبَاطِلِ، فتقعَ الأُمّةُ في الزّيغِ والضّلالِ.

وهذا أوضحُ دليلٍ علىٰ أنّها صِدْقٌ وحَقٌّ!!!.

وهكذا من أوضحِ الأدلّةِ وأكبرِ البراهين علىٰ صحّتها إجماعُ الأُمّةِ في الجملة علىٰ العملِ بها بعدَ العلمِ بها[1].

= ٤٩١، ٤/١٠٦.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإجماع أهل بالحديث على أنّ هذا الخبرَ صِدْقٌ، كإجماع الفقهاء على أنّ هذا الفعل حلال أو حرام أو واجب، وإذا أجمع أهل العلم على شيءٍ فسائرُ الأُمّة تبعٌ لهم؛ فإجماعهم معصوم لا يجوز أن يُجمعوا =

فهذا الدَّليلُ ينبغي أنّ يعكسَ عليهم، فيُقالُ: لو علمَ اللَّهُ أنّها كذبٌ مع عمل الأُمّةِ بها لأقامَ برهاناً واضحاً علىٰ عدم صحّتِهَا، فدلَّ علىٰ أنّها صحيحةٌ ثابتةٌ!!.

٥ ـ ومنها قولهم: إنّنَا لا نُصَدِّقُ كلَّ خبرٍ نسمعُهُ، فلو كان خبرُ الواحدِ يُفيدُ العلمَ لصدقنا كلَّ ما سمعنَاهُ، وحصلَ به العلمُ كما يحصلُ بكلِّ متواترٍ، ولم يلزم اشتراط ضبط الرواة وعدالتهم في قبول الآحاد، كما لا يلزمُ ذلك في المتواتر، فيُقَالُ: حَقّاً أَنّنا لا نُصَدِّقُ كلَّ خبرٍ، ولكنْ لا يلزمُ منه تكذيبُ كلِّ خبرٍ، ولا التَّوَقُّفُ في جميع الأخبار، فنحن نُصدِّقُ الثّابتَ يقيناً، ونجزمُ بكذبِ كلِّ خبرٍ موضوعٍ، وقد يترجَّحُ لنا أحدُ الاحْتِمَالَيْنِ من غيرِ جَزْمٍ[1]، وقد نتوقَّفُ في البعض، وقد يحصل التوقّف للبعض منّا دونَ البعض، وهذه سنّة اللَّهِ في التَّفَاوتِ بينَ خلقه في الأفهام والمَدَارك، فلا يلزم من رَدِّ البعض رَدُّ الكلِّ، أمّا حصول العلم بكل متواتر فإنّما ذلك نظراً لتوفّرِ شروطه التي صَدَقَ عليه لأجلها اسمُ التّواتر، وحصلَ به العلمُ الضروري، بخلاف الآحاد فإن أفرادَهُ تختلف، فلا يحصل العلمُ بكلِّ آحاد إذا لم يَسْتَوْفِ شروطَ القبول في التّحمُّلِ والأداء. أمّا عدمُ اشتراط العدالة والضبط في رواة المتواتر فإنّما كان ذلك لحصول إفادة العلم بالكثرة التي يؤمن معها التواطؤ

= على خطأ». مجموع الفتاوى ج ١٨/ ١٧، ط الرياض.

(١) وذلك في الأحاديث ذات الأسانيد الضعيفة. قال الحافظ السيوطي في تدريب الراوي ج ١/ ١٧٦ ـ ١٧٧: «إذا رُوِي الحديث من وجوه ضعيفة لا يلزم أن يحصل من مجموعها أنّه حسن، بل ما كان ضعفه لضعف حفظ راويه الصدوق الأمين زال بمجيئه من وجه آخر، وعرفنا بذلك أنّه قد حفظه، ولم يختلَّ فيه ضبطُهُ، وصار الحديث حَسَناً بذلك»، «وكذا إذا كان ضعفها لإرسال أو تدليس أو جهالة رجال؛ زال بمجيئه من وجه آخر، وكان دون الحسن لذاته»، «وأمّا الضعيف لفسق الراوي، أو كذبه، فلا يؤثر فيه موافقة غيره له إذا كان الآخرَ مثلَهُ».

علىٰ الكذب[1].

٦ ـ ومنها قولهم: لو أفادَ خبرُ الواحدِ العلمَ لمَا تَعارضَ خبران، ونحنُ نرىٰ الكثيرَ من الأخبار تتعارضُ، فإنْ قيلَ بإفادة الجميع العلم حصل اجتماع الضّدين، وهو مُحَالٌ، وإنْ قيل بإفادة أحدهما كان ترجيحاً بلا مُرَجِّحٍ.

وهذا يُحَقِّقُ أنّ أحدَهما لا بعينه كذب، فيُوجب التوقّف في كلِّ خبر.

فيُقَالُ: إنّ هذا مُجَرَّدَ فَرْضٍ لما لا يمكنُ وُقوعُهُ، كما لا يحصل ذلك بين متواترين ولا بين خبرين تَحْتَفُّ بكلٍّ منهما القرائن المنفصلة.

ثم إذا حصلَ العلمُ اليقينيُّ بالخبر فلا بُدّ من خطأ كلِّ خبرٍ يُعارضُهُ المعارضةَ التّامَة، ثم إنّ ما يُوجَدُ من الحديثِ الصحيح ظاهره التّعارض يمكن حملُ كلٍّ من المتعارضين علىٰ وجه صحيح، وبذلك يندَفعُ التّعارض.

ولقد تكفّل العلماء بالسّنّةِ بالجمع بين الأحاديث التي ظاهرها الّتناقض، فَخرَّجُوا كلَّ حديثٍ علىٰ معنىً مُحْتَمَلٍ، كما فعل ابْنُ قيبةَ في «تأويلِ مُخْتَلَفِ الحديثِ»[2]

(١) «الخبرُ المتواتر: ما بلغت رواته في الكثرة مبلغاً أحالت العادة تواطئهم على الكذب، ويدوم هذا، فيكون أوله كآخره، ووسطه كطرَفيهِ». نظم المتناثر في الحديث المتواتر ص ٥، للكتاني ـ ط دار المعارف ـ حلب.

(٢) ابن قتيبة: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، فقيه الأدباء، وأديب الفقهاء، الإمام اللغوي الثقة، كان على مذهب الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه في الانتصار للسّنّة النبويّة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «تفسير سورة الإخلاص» ص ٨٦ ط الخانجي: وابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق، والمنتصرين لمذهب السّنّة المشهورة. ويُقال: هو لأهل السّنّة، مثل الجاحظ للمعتزلة، فإنّه خطيب أهل السّنّة كما أنّ الجاحظ خطيب المعتزلة، توفي ابن قتيبة سنة ٢٧٦ هـ.

وكتابه المشهور «تأويل مختلف الحديث» قد طبع في مصر بإشراف محمد زهري =

وكذا ابْنُ القيم[1]، وشيخُهُ ابْنُ تيمية[2] في مؤلّفاتِهِمَا.

= النجار، ونشر مكتبة الكليات الأزهرية، وموضوع الكتاب دفع دعوى التناقض بين نصوص السنّة النبويّة، في بيان أوجه الاختلاف فيها.

(١) ابن القيم: هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الشهير بابن قيم الجوزية الإمام النابغة صاحب التصانيف المفيدة، ت ٧٥١ هـ.

(٢) ابن تيمية: هو تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الإمام المجتهد المجدّد لهذه الأمّة دينها وعلومها ودعوتها السلفية في القرن الثامن، ت ٧٢٨ هـ.

أدلّة قبول الآحاد في العقائد
إذا وردت عن طريق الثّقات العدول
الضابطين عن مثلهم إلى رسول الله

لقد أمر اللّه نبيَّهُ عليه الصّلاة والسّلام بتبليغ ما أنزل عليه، وبدعوة النّاس إلىٰ ما خُلِقُوا له، وكان من أهمّ ذلك تعريفهم بأصول الدِّين، من معرفة ربِّهم، وتوحيده، وأسمائِه، وصفاتِه، وجزائِه، وقضائِه، وقَدَرِه، ونحو ذلك من قضايا الاعتقاد والإيمان(١).

وما ذاك إلاّ أنّ هذه العلوم تُعْتَبَرُ كالأساس الذي يقوم عليه البناء للإسلام، فلزم تقدم العلم بها علىٰ كل عمل؛ ليصحَّ اعتقادُ العبدِ، ولِتُعْتَبَرَ نِيَّتُهُ التي يدورُ عليها قبولُ العمل أو رَدُّهُ، لذلك بَدَأَ ﷺ بالدَّعْوَةِ إلىٰ معرفة هذه القواعد والأُسُس، وأقام عليها الأدلّة، وضربَ لها الأمثالَ، وما كان قصده إلاّ رُسوخُ الإيمان في قلوبِ مَنْ صَدَّقَهُ وآمَنَ برسالتهِ، لِما ينبعثُ من ذلك من المبادرة إلى العمل، والقيام بسائر التّكاليف.

ولقد لزمه صحابته رضي الله عنهم، فتلقوا عنه أنواعَ العُلوم في الأُصولِ والفُروعِ، وتقبَّلُوها معتقدين لمفادها، وعاملين بمقتضاها.

وهكذا بلغوها لمن بعدهم، امتثالاً لأمره؛ حيث قال: «بَلِّغُوا عَنِّي

---

(١) أخبار الآحاد في الحديث النبوي: للشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن جبرين ٩٥ - ٩٨، ط دار طيبة - الرياض.

ولو آية»(١)، فكان لزاماً علىٰ كل مسلم قبول ما بلغه عنهم، آثرين له عن نبيّهم ﷺ وتصديقه، سواء كان متواتراً أو آحاداً، بعد ثبوته وتوفّر أسباب قبوله، أياً كان متعلّقُهُ أصولاً أو فروعاً(٢).

ولقد تلقّىٰ السّلَفُ من جملة ما بلغهم عن نبيّهم ﷺ أحاديث الصّفات والعقائد ودوّنُوها في مؤلّفاتهم، مُوقِنين بصحتها، عالمين يقيناً بأنّ رسول الله ﷺ جاء بها كما جاء بالصّلاة والزكاة والتوحيد، وهذا مِثْلُ أحاديث الشّفاعة، والحوض، والميزان، وعذاب القبر ونعيمه، ورؤية اللّه في الآخرة، وتكليمه لعباده كما يشاء، وعُلُوّهُ علىٰ خلقهِ، وإثبات العرش، ونحو ذلك من أمور الإيمان والاعتقاد.

فإنّ كلّ مَنْ له معرفة بأحوال الرواة، وطرق الأحاديث، يَتحَقّقُ ثبوتَ هذا النّوع من السُّنّة، ويُوقن بصدوره عن النّبيّ ﷺ، ولو كانت طرقه آحاداً، فإنّ الذين نَقَلُوهُ لنا هُمُ الّذينَ نقلوا جميعَ أنواع الشّريعة؛ فيلزمُ مِنْ رَدِّ بعض أخبارهم وقبولِ البعضِ التفريقُ بين متماثلين، وإلحاقُ الطّعْنِ

(١) رواه البخاري ج ٤/٢٠٧، وفي نسخة أخرى ج ٦/٤٩٦، والترمذي رقم ٢٦٦٩، والدارمي في سننه ج ١/١٣٦، وأحمد في مسنده ج ٢/١٥٩، والبغوي في مصابيح السّنّة ج ٢/١٢٤.

(٢) أخرج مسلم ج ٧/٢٩ عن أنس بن مالك: أنّ أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا السّنّة والإسلامَ. قال: فأخذَ بيَدِ أبي عُبيدة، فقال: «هذا أمينُ هذه الأُمّة»!! فلو لم تكن الحجّة قائمةً بخبر الواحد الثقة الأمين لم يفعله رسول الله ﷺ. ولقد تكرّر فعل ذلك منه ﷺ، فأرسل علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري، وأخبارهم في ذلك في الصّحيحين وغيرهما من كتاب الحديث المعتبرة. وكان هؤلاء الآحاد يبلّغون عن رسول الله ﷺ القرآن والعقيدة والشريعة وجميع فروع الدّين بلا تمييز ولا تفريق. انظر «الرّسالة» للإمام الشافعي ص ٤٦٢، حيث يقول: «وهو ﷺ لا يبعث بأمره، إلاّ والحجة للمبعوث إليهم وعليهم قائمة بقبول خبره عن رسول الله ﷺ، وقد كان قادراً على أن يُبْعَثَ إليهم فيُشَافِهَهُمْ، أو يبعثَ إليهم عدداً، فبعث واحداً يعرفونه بالصّدق»!!.

بالصّحابة والسَّلَف، وعدمُ الثقة بأخبارهم مع ما عُرِفَ من وَرَعِهِمْ وتَثَبُّتِهِمْ، وتحريهم للصّدْقِ، إلىٰ غير ذلك ممّا ينافي سُوءِ الظّنّ بهم. وإليك بعض الأدلّة القاطعة علىٰ قبول هذا النّوع من الأخبار في هذا الباب:

١ ـ فمن ذلك ما ثبتَ من تناقل السَّلف لهذا النوع من الأخبار، وتداولها بينهم، والحرص علىٰ تلقّيها وتحصيلها، ثم الاشتغال بمذاكرتها، وإثباتها في المؤلّفات. وإنّ في هذا لأوضح دليل علىٰ أن قد تَحَقَّقوا صحتَها، واسْتَفَادُوا منها العلمَ اليقينيَّ، وإلاّ لذهبَ عملهم ضَيَاعاً، وحَاشَاهم أن يفنوا أعمارَهُمْ في تناقل ما لا يُفِيدُ علماً ولا يُوجِبُ عملاً[1].

فإنّه من المتّفق عليه أن ما تحتوي عليه هذه الأخبار ليس من الأمور العَمَلِيَّةِ التي تنقل لأجل أن يعمل بها وإن كانت ظَنّيّةً.

فما بقي إلاّ أن يتحقّق يقينهم بمعناها، واعتقادهم لما دَلّتْ عليه علىٰ ما يليق بجلال اللّهِ، وهذا هو ما عليه الصّحابة والتّابعون، ومن اقتفىٰ

---

(١) إنّ زعم عدم الاحتجاج بحديث الآحاد الصحيح الذي لا علّة له ولا شذوذاً؛ بدعة ضالّة يقصد منها تعطيل الأخذ بحديث رسول الله ﷺ في الاعتقاد، ولقد أفادت أدلّة الكتاب والسنّة وعمل الصحابة بوجوب الأخذ بأحاديث الآحاد الثقات العدول الضابطين في الاعتقاد والأحكام، بلا فرق أبداً، خلافاً لأهل الظن من المتكلّمين الذين فرّقوا بين أحاديث الاعتقاد وأحاديث الأحكام، قال الإمام ابن قيم الجوزية في الصواعق المرسلة ج ٢/٦١٣: «وهذا التفريق باطل بإجماع الأمّة، فإنّها لم تزل تحتجّ بهذه الأحاديث في الخبريات العِلْمِيّات «يعني الاعتقاد» كما تحتجّ بها في الطلبيات العلميات، ولا سيما والأحكام العملية تتضمّن الخبر عن اللّه بأنّه شرع كذا، وأوجبه، ورضيه ديناً، فشرعه ودينه راجع إلى أسمائه وصفاته، ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأهل الحديث والسنّة يحتجُون بها في مسائل الأحكام دون الأخبار عن اللّه وصفاته»، ثم يقول: «إنّ المتكلّمين الذين لا عناية لهم بما جاء عن رسول الله ﷺ وأصحابه، بل يصدّون القلوب عن الاهتداء في هذا الباب بالكتاب والسنّة وأقوال الصحابة، ويحيلون على آراء المتكلّمين وقواعد المتكلّفين، فهم الذين يُعرف عنهم التفريق بين الأمرين...».

أثرهم من سَلَفِ الأُمّةِ وأئمّتِها[1].

٢ ـ ومن الأدلّة ما اشتهر عن الأئمّة من إدخال مدلول تلك الأخبار في معتقداتهم وتصريحِهِم بالقول بمقتضَاهَا، وردِّهِم لقول من جَحَدَهَا، وتحذيرِهِم منه.

وما ذاك إلاّ لتحقّقِهِم صِدْقَها، وعدم الشُّبَهِ والشُّكوك في قلوبهم، ممّا يسبّب نُفْرَتَهُم عن الإصغاء إليها، بل إنّ أحدهم يتقبّلُ كلَّ ما سمعَهُ من أخيه الذي يثق بصدقه ودينه، من غير توقُّفٍ في نوعٍ ما من أخباره.

بل إنّ عظمة حديث النّبيّ ﷺ في قلوبهم أعظم من أن يردُّوه بمثل هذه التَّوَهُّمات.

وكذلك قَدْرُ الصَّحَابةِ ونَقَلَةِ الحديثِ وحُمَاتِهِ أجلُّ عندهم من أن يَتَطَرَّقَ إليهم تهمةٌ، أو يُقالَ لأحدهم: خَبَرُكَ خَبَرُ واحدٍ، ما لا يُفيدُ العلمَ. أو لا يُقبلُ إلاّ في الفروع!!؟

وقد رُوِيَ عنهم التَّثَبُّتُ، وطلبُ زيادةِ الرّواة في بعض أحاديث الأحكام، كما طلب عمر من أبي موسىٰ أن يأتي بمن يتقوّىٰ به في خبر الاستئذان، فأتىٰ بأبي سعيد، وكذا استظهر المغيرة بمحمّد بن مسلم ليشهد معه عند عمر علىٰ خبر دِيَةِ الجنين وميراث الجَدَّةِ[2]، وغير ذلك.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أمّا السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع [أي في إفادة الأحاديث الصحاح الآحاد العلم اليقيني]، وأمّا الخلف فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمّة الأربعة، والمسألة منقولة في كتب الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، مثل السرخسي وأبي بكر الرازي من الحنفية، والشيخ أبي حامد وأبي الطيّب والشيخ أبي إسحاق من الشافعية، وابن خوّاز منداد وغيره من المالكية، ومثل القاضي أبي يعلى وابن أبي موسى وأبي الخطاب وغيرهم من الحنبلية، ومثل أبي إسحاق الإسفرائيني وابن فورك، وأبي إسحاق النظام من المتكلمين. الصواعق المرسلة: لابن قيم الجوزية ج ٢/ ٥٨٢.

(٢) خبر أبي موسى، رواه البخاري رقم ٢٠٦٢، في كتاب البيوع. وخبر المغيرة في دية الجنين رواه البخاري رقم ٦٩٠٥، في كتاب الديات، وخبره في ميراث الجدّة =

ولم ينقل عنهم التوقّف في شيء من أخبار الصِّفاتِ، أو المعاد ونحوها، بل قد اشتهرَ عنهم إمْرَارُهَا كما جاءتْ بلا كيف، وعدم التّعرُّضِ لتأويلها، وصرح الكثير منهم بالقول بمقتضاها علىٰ ما يليق بجلالِ اللّهِ تعالىٰ.

٣ ـ ومنها ما تواترت به الأخبار عن النبيّ ﷺ في بعثه الدعاة إلىٰ أطراف البلاد، وعهده إليهم تبليغ جميع الدّين أصولاً وفروعاً، مع البداءة بالتّوحيد كما في حديث معاذ المتّفق عليه، لمّا بعثَهُ إلىٰ اليمن قال له: «إنّكَ تأتي قوماً من أهلِ الكتابِ، فليَكُنْ أوّلُ ما تدعُوهُمْ إليه شهادَةَ أنْ لا إله إلاّ اللّه» ـ وفي رواية: «إلىٰ أنْ يُوَحِّدُوا اللّهَ ـ فإنْ هم أطاعُوكَ لذلك فأخبرهم أنّ اللّهَ افترضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فإنْ هم أطاعُوكَ لذلكَ فأخبرهم أنّ اللّهَ افترضَ عليهم صدقةً تُؤْخَذُ من أغنيائهم فترَدُّ على فقرائِهِم»[(١)].

فانظر كيف أمرَهُ بتقديم الدعوة إلىٰ التوحيد، ثم بأركان الإسلام، ولم ينقل أنّ أحداً من أولئك الرسل اقتصر على تبليغ الفروع، أو الأعمال الظاهرة؛ بل كانوا يدعون إلىٰ الإيمان باللّه وثوابه وعقابه، والشهادة لمحمّد ﷺ بالرّسالة. وهكذا بلغوا عنه أيضاً العبادات الظاهرة المعلومة من الدّين بالضرورة كالصلاة والزكاة، وكذا المحرمات المجمع علىٰ تحريمها كالزنا وقتل النفس، وكل ذلك ممّا تقبله عنهم من استجاب لدعوتهم، وبقي معتقداً لِما تَلَقَّاهُ من أصول أو فروع، وقامتْ عليه الحُجّةُ بذلك، وهو دليل القبول.

= رواه مالك في الموطأ ج ٤١٣/٢، وأبو داود رقم ٢٨٩٤، والترمذي رقم ٢١٠١.

(١) رواه البخاري في فضائل الصحابة ٨، والزكاة ١، ٣، ٤١، ومسلم في الإيمان ٢٩، ٣١، والنسائي في الزكاة ١، والصيام ١، وابن ماجه في الزكاة ١، والدارمي في الوضوء ١، وأحمد في مسنده ج٣٦٩/٥.

وقد اعترض علىٰ هذا الدّليل من قبل المنكرين بأنّ بعث أولئك الرُّسُل لم يكن لتعليم الأصول[1]، وإنّما هو لإخبارهم بالأدلّة العقلية،

---

(١) لقد ذكر بعض المتكلمين: أن الأصول هي المسائل الاعتقادية، والفروع هي المسائل العملية، وعليها فرّقوا بين الأدلّة فجعلوا المتواتر منها قطعياً، والآحاد منها ظنيّاً مهما احتفّت بها القرائن الدالّة ثبوتها وقبولها؛ وهذا تفريق باطل لِما ترتّب عليه من رَدِّ الأدله النبوية الاعتقادية الواردة في الأحاديث الصحاح الآحاد؛ والحقُّ أنه لا فرق بين الأدلة العلمية والأدلة العملية، أي: لا فرق بين العلم والعمل.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمطلوب من العِلْمِيّات: العلم والعمل أيضاً، وهو حبّ القلب وبغضه، وحبّه للحقّ الذي دلّت عليه وتضمّنته، وبغضه للباطل الذي يخالفها، فليس العمل مقصوراً على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح، وأعمال الجوارح تبع، فكل مسألة علمية؛ فإنّه يتبعها إيمان القلب وتصديقه وحبّه، وذلك عمل بل هو أصل العمل، وهذا ممّا غفلَ عنه كثيرٌ من المتكلمين في مسائل الإيمان، حيث ظنّوا أنّه مجرّد التصديق دون الأعمال!؟ وهذا من أقبح الغلط وأعظمه؛ فإنّ كثيراً من الكفار كانوا جازمين بصدق النبيّ ﷺ غير شاكّين فيه؛ غير أنّهم لم يقترن بذلك التصديق عمل القلب، من حبّ ما جاء به والرضا به وإرادته، والموالاة والمعاداة عليه، فلا تهملْ هذا الموضع فإنّه مهمّ جداً، به تعرف حقيقةَ الإيمان. فالمسائل العلمية عملية، والمسائل العملية علمية؛ فإنّ الشارع لم يكتفِ من المكلّفين في العمليات بمجرّد العمل دون العلم، ولا في العلميات بمجرّد العلم دون العمل». الصواعق المرسلة ج٢/ ٦١٩ ـ ٦٢٠.
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن تلقّي الأُمّة للخبر تصديقاً وعملاً؛ إجماعٌ منهم، والأُمّة لا تجتمع على ضلالة، كما لم اجتمعت على موجب عموم، أو مطلق، أو اسم حقيقة، أو على موجب قياس، فإنّها لا تجتمع على خطأ، وإن كان الواحد منهم لو جُرِّدَ النّظرُ إليه لم يؤمَن عليه الخطأ، فإنّ العصمة تثبتُ بالنسبة الاجماعية، كما أنّ خبر التواتر يجوز الخطأ والكذب على واحد من المخبرين بمفرده، ولا يجوز على المجموع، والأُمّة معصومة من الخطأ في روايتها ورأيها».
وقال: «فإنّ ما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق فهو محصِّلٌ للعلم، =

والآيات الكونية التي يعرفونها بفطرهم.

فيُقَالُ: هذا ليس بشيء فإن ما يعرفونه بعقولهم لا يكفي لقيام الحجّة عليهم، وإلاّ لم يكن هناك حاجة لبعثِ الرُّسُل.

ويرد ذلك التصريح بتقديم الدعوة إلىٰ التوحيد، كما في حديث معاذ المذكور ولم ينقلْ أنّ أحداً من أولئك الصحابة بدأ بتعريف الدلائل العقليّة، قبل الدعوة إلىٰ الشهادتين.

٤ ـ ومنها ما تضمَّنَتْهُ كتب النبيّ ﷺ إلىٰ الملوك في زمانه، التي دعاهم فيها إلىٰ الإسلام أصلاً وفرعاً، وقد حصلَ بها تبليغهم الرسالةَ التي كلَّفَهُ اللَّهُ بها، ولا شكَّ أنّ كُتُبَهُ إذْ ذاكَ بِطَاقَاتٌ صغيرةٌ في الغالب، يتولىٰ كتابتَهَا شخصٌ واحدٌ، ويحملها واحدٌ، ولو كان خبرُ الواحدِ لا يُقْبَلُ في الأصول لَلَزِمَهُ أنْ يبعثَ إلىٰ كلِّ قطرٍ جماعةً يَبْلُغُون حَدَّ التواتر، ليحصلَ العلمُ بخبرهم، ولو فعلَ ذلك لم يَبْقَ معَهُ في المدينة أحدٌ.

ولمّا لم يَقَعْ هذا؛ أفادَ اكتِفَاؤُهُ بالواحدِ حُصُولَ العلم، وَوُجُوبَ الالتزام بخبرِ الواحدِ في الأصولِ والفروعِ وهو المُرَادُ!! وغير هذا غَلَطٌ وضَلاَلٌ.

= مفيد لليقين، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين، فإنّ الاعتبار في الإجماع على كل أمر من الأمور الدينية بأهل العلم به، دون غيرهم، كما لم يعتبر في الإجماع على الأحكام الشرعية إلاّ العلماء بها، دون المتكلمين والنحاة والأطباء. وكذلك لا يُعتبر في الإجماع على صدق الحديث وعدم صدقه إلاّ أهل العلم بالحديث وطرقه وعلله، وهم علماء الحديث، العَالِمُون بأحوال نبيّهم ﷺ، الضّابطون لأقواله وأفعاله، المعتنون بها أشدّ من عناية المقلّدين بأقوال متبوعيهم... فأهل الحديث لشدّة عنايتهم بسنّة نبيّهم، وضبطهم لأقواله وأفعاله وأحواله، يعلمون من ذلك علماً لا يشكون فيه ممّا لا شعور لغيرهم به ألبتّة، فمن شاركهم في معرفة الحديث وعلومه وأنواعه وطرقه وشواهده وتوابعه، وغير ذلك فإن مشاركهم في هذا الشعور أيضاً!!. الصواعق المرسلة ج ٢/ ٥٨٣.

٥ ـ ومن الأدلّة أيضاً قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾[النحل]، ووجه الدلالة منها أنّه أمرٌ بسؤالِ أهلِ الذكر عن الرُّسُلِ ودعوتِهم، وماذا أوحَى إلىٰ كلٍّ منهم، وكونهم من جنس البشر، وهذا من أكبر الأصول!! فقد أمَرَ مَنْ لا يعلمُ ذلك أنْ يسألَ أهلَ الذكر، ولو لم يجِدْ إلاّ واحداً منهم، ولا بُدَّ أنّ جواب المسؤول يُكتَفَىٰ به، ويلزمُ اعتقادُهُ!!! وللّه الحجّة البالغة!!.

شُبَهُ المُخالفين ومناقشتها

في أواخر عصر الصحابة ظهرت بِدَعٌ في الدِّين، وقد كثر معتنقوها في القرن الثاني وما بعده، وذلك مثل نفي القدر والشّفاعة، وإنكار صفاتِ اللَّه تعالىٰ التي وَرَدَتْ في النّصوص، كالكلام والعلُو والاستواء، والنزول والمجيء ونحوها(١).

وأكثر أهل تلك البدع ملاحدة تستَّروا بالإسلام، وما كان قصدهم إلاّ إفساد العقائد، وبلبلة الأفكار، وقد أنكر السَّلف بدعتهم، وحذَّرُوا من مجالستهم أو الإصغاء إليهم(٢).

---

(١) أخبار الآحاد في الحديث النبويّ: للشيخ عبد اللَّه بن عبد الرحمٰن بن جبرين ص ٩٩ ـ ١٠١، وهذه البدع ظهرت على أيدي الخوارج الذين عرفوا بـ «الأزارقة» و «الحرورية» ثم انتقلت بعض شبهاتهم إلى القدرية ثم إلى الجهمية، ثم إلى المعتزلة، ثم انتقل بعضُها إلى الأشاعرة والماتريدية. فجعلوا الكلام معنىً قائماً في ذات اللَّه وعبّروا عنه بالكلام النفسي، وأوّلوا الاستواء بالاستيلاء، والنزول بنزول رحمته، والمجيء بمجيء أمره، إلى غير ذلك من التأويلات المتكلّفة. ثم اتّسع الخلاف في أصول البدع التي بسطوها على أوسع نطاق.

(٢) روى ابن وضاح القرطبي في كتابه «البدع والنهي عنها» ص ٤: عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «إن لله عند كل بدعةٍ كِيْدَ بها الإسلام ولياً من أوليائه يذبّ عنها وينطق بعلامتها فاغتنموا حضور تلك المواطن، وتوكّلوا على الله!!». قال ابن المبارك: «وكفى بالله وكيلاً».
وروى عن الأوزاعي أنّه قال: كان بعض أهل العلم يقول: لا يقبل الله من ذي بدعة صلاةً ولا صياماً ولا صدقةً ولا جهاداً ولا حجاً ولا عمرةً ولا صَرْفاً ولا عَدْلاً، وكانت أسلافكم تَشْتَدُّ عليهم ألسنتُهم، وتشمئزُّ منهم قلوبهم ويُحذّرون =

ولقد مكثوا طوال القرن الثاني أذلاّء مقموعين في الغالب، ثم تمكّن بعضهم في أول القرن الثالث من الاتّصال ببعض الولاة، ممّا سَبَّبَ ارتفاع مناصبهم وشهرة ذكرهم، وانتشار عقائدهم الزائغة، وكثرة من قلّدهم

= النّاسَ بدعتَهم.

وروى عن الحسن ص ٢٧، عن الحسن أنّه قال: صاحب البدعة لا يزداد اجتهاداً صياماً وصلاةً إلاّ ازْدادَ من الله بُعْداً. وروى أيضاً عن عبد الله بن مسعود ص ١٠: أنه قال: اتَّبِعُوا آثارَنَا ولا تبتَدِعوا، فقد كُفِيتُمْ.

وروى ابن أبي حاتم الرازي في كتابه «آداب الشافعي ومناقبه» ص ١٨٢، عن الإمام الشافعي أنّه كان يقول: «لأنْ يُبْتَلَى العبدُ بكلِّ ما نهى اللَّهُ عنه ـ سِوَى الشرك ـ خيرٌ له من الكلام، ولقد اطلعتُ من أصحاب الكلام، على شيءٍ ما ظننت أنّ مسلماً يقولُ ذلك». وقال مَرّةً أخرى لِيُونُس بنِ عبد الأعلى: «يَعْلَمُ اللَّهُ ـ يا أبا موسى! ـ لقد اطلعتُ من أصحاب الكلام، على شيء لم أظنّه يكون؛ ولأن يُبْتَلَى المرءِ بكلِّ ذنبٍ نهى اللَّهُ عنه ـ ما عَدَا الشرك به ـ خيرٌ له من الكلام».

وروى أيضاً عن يونس بن عبد الأعلى أنّه قال: قلتُ للشافعيِّ: تَرْوِي ـ يا أبا عبدِ اللَّهِ ـ ما كان يقول فيه صاحِبُنَا ـ أُريدُ اللّيث أو غيرَهُ، كان يقول: لو رأيتَهُ يمشي على الماء ـ يعني صاحب الكلام لا تثِقْ به، أو لا تغترَّ به، ولا تكلِّمْهُ؟!

قال الشافعي: فإنّه ـ واللَّهِ ـ قد قَصَّرَ؛ إنْ رأيتَهُ يمشي في الهواء فلا تركُنْ إليه!!.

وروى عن الربيع بن سليمان قال: حضرتُ الشافعيَّ، وكلَّمَهُ رجل في المسجد الجامع، فطالتْ مناظرتهُ إيّاه، فخرج الرجلُ إلى شيء من الكلام، فقال له: دَعْ هذا، فإنّ هذا من الكلام.

قال أبو محمد: قال الحسنُ بن عبد العزيز الجَرَوي: كان الشافعي ينهَى أشدَّ النهي عن الكلام في الأهواء؛ ويقول أحدُهُمْ إذا خالفه صاحبه، قال: كفرتَ؛ والعلمُ إنّما يُقال فيه: أخطأتَ.

وروى أيضاً ص ١٨٧: أنّ الشافعي كلّم بشر المَرِيسِي أن يكفَّ عن الكلام، قال: فدَعَاني إلى الكلام!!؟ فكان الشافعي يقول: لأن يلقى اللَّهَ عزّ وجلّ المَرْءِ بكلِّ ذنبٍ ـ ما خلا الشرك بالله تبارك وتعالىٰ ـ خيرٌ له من أن يلقاه بشيءٍ من الأهواء.

وقال المزني: كان مذهب الشافعي الكراهيةَ في الخوضِ في الكلام. وقال في رواية أخرى: كان الشافعي ينهانا عن الخَوْضِ في الكلام.

علىٰ غير هدي بل إحساناً للظنّ بهم. ولقد تظاهروا بتقديس الوَحْيَيْنِ، وأخذِ الدّليلِ منهما، عندما رأوا عظمة قدرهما في قلوب عَوَامِّ المسلمين.

كما تظاهروا بقصد تعظيم اللّه، وتنزيهه عمّا لا يليق به بزعمهم من صفات الحوادث ومشابهة الخلق، وما ينكره العقل.

ولما كانت النّصوص في الكتاب والسّنّة صريحة في معارضة ما قرّروه، وإبطاله من الأساس، احتالوا لردّها حتىٰ تسلم لهم عقيدتهم، فسلّطوا التأويلات علىٰ نصوص القرآن في هذا الباب، حتىٰ صرفوها عن المفهوم المتبادر منها، ثم رَدُّوا نُصوصَ السّنّةِ من أصلها ومنعوا الاستدلالَ بها في العقيدة، حيث اصطلحوا علىٰ تقسيمها إلىٰ متواتر وآحاد.

فردّوا المتواتر ـ مع ندرته عندهم ـ بأنّه وإن كان قطعيّ الثبوت لكنّه غير قطعيّ الدّلاَلة، لتطرّق الاحتمالات إليه كنصوص القرآن.

أمّا الآحاد فاصطلحوا علىٰ أنّها لا تفيد إلاّ الظّنّ، مهما بلغت من الكثرة والثقة برواتها، وأنّ ما كان مظنوناً لا يعتمد في أدلّة الأصول التي يجب أن تكون يقينية قطعية.

ولكنّهم تناقضوا حيث أثبتوا كثيراً من أصولهم وقواعدهم بأدلّة ظنيّة أو وهمية، كما في كتب الأصول وإليك بعض شبههم في رَدِّ الآحاد في هذا الباب مع مناقشتها:

١ ـ أنّ هذه الآحاد إنّما تُفيدُ الظّنّ فلا تقبلُ في الأصول التي يجب أن تكون أدلّتها يقينيّة قطعيّة.

فيُقالُ: تقدم في البحث الذي قبله من الأدلّة علىٰ إفادة خبر الثقة العلم اليقيني ما فيه الكفاية، وبعد ثبوت ذلك لا يتصوّر فرق في الاستدلال بها بين الأصول والفروع، ثم بتقدير أنّها إنّما تُفيدُ الظّنّ الغالب، وأن الأحكام والأوامر تثبتُ بمثلها، لا يمتنعُ إثباتُ الأسماء

والصّفات بها، فإنّه لا فرقَ بين الطلب والخبر، بحيث يحتجُّ بهما في أحدهما دون الآخر، فالتّفريق بينهما تفريقٌ بين مُتَماثِلَيْنِ. وذلك لأنّ الطّلب يتضمَّنُ القولَ علىٰ اللّهِ بأنّه شرعَ كذا، ورضيَهُ ديناً، وشَرْعُ اللّه ودينُهُ هو بمقتضى أسمائِهِ وصفاتِهِ، فالطّلب متضمّنٌ للخبر وبالعكس كما هو واضح.

٢ ـ أنّ مَنْ رَدَّ شيئاً من الأصول والعقائد يكفر، وأخبار الآحاد لا يكفرُ من رَدَّ منها شيئاً للاختلاف في ثبوتها.

فيُقَالُ: سَبَقَ أنْ اسْتُدِلَّ بهذا علىٰ أنّ الآحادَ لا تُفيدُ العلمَ مطلقاً، وأُجيبَ هناك بأنّ من اتّضحت له السّنّةُ ولو آحاداً وتحقّقَ ثبوتَها عن النبيّ ﷺ، ثم رَدَّهَا بدونِ تأويلٍ ولا شُبْهَةٍ، وقامتْ عليه الحُجّةُ فإنّه يكفر ـ والعياذ باللّه تعالىٰ ـ لتظاهره بردِّ شيءٍ ممّا جاءَ بهِ الرّسُولَ ﷺ عن رَبِّهِ؛ ومَنْ رَدَّ شيئاً من دِيْنِ الرّسولِ كَمَنْ رَدَّ جَمِيعَهُ.

وعلىٰ هذا فلا فرقَ بينَ الأُصولِ والفروعِ في التفكير، فتخصيصُ الأُصولِ لا دليلَ عليه.

٣ ـ قالوا: إنّ الحقَّ وَاحِدٌ في بابِ الخَبَرِ اتّفاقاً، فمَنْ رَدَّ شيئاً منه فهو كافرٌ أو فَاسِقٌ، بخلاف الطَّلَبِ، فإنّ الصَّوابَ مُتَعَدِّدٌ، فالحقُّ يرجع إلىٰ ما حكَمَ به المجتهدُ، فإنَّ كلَّ مجتهدٍ مُصِيبٌ، وبهذا رَدَّتِ المعتزلةُ جميعَ الآحادِ مطلقاً.

فيُقَالُ: هذا قولٌ مُخْتَرَعٌ، لم يُسْبَقُوا إليهِ، فإنَّ الحقَّ واحدٌ، منحصرٌ في أدلّتهِ الشّرعيّةِ، إلاّ أنّ من أخطأه بعد بذلِ الجُهْدِ في طلبهِ معذورٌ في خَطئِه، مأجورٌ علىٰ اجتهادِه.

وما زالَ السَّلفُ يعترفون بخطئهم، ويرجِعُون عنه إلىٰ الصّواب إذا اتَّضَحَ لهم الدليلُ، وينقضون أحكامَهُمُ السّابقة، وهذا واضحٌ في أنّ الصَّوابَ منحصرٌ في قولٍ واحدٍ، سواء أكان في الأحكام أو في الأخبار،

وأدلّة ذلك مستوفاة في كتاب الأُصول.

ثم إنّهم تَبَايَنُوا في تعريفاتهم لحقيقة كلٍّ من الأَصْلِ والفَرْعِ، وكلُّ تعريفاتِهم واضحةُ البُطْلان، كما بيّن ذلك المُحقِّقُون كابْنِ تيميةَ وابنِ القيم وغيرِهما[1].

قال ابن قيم الجوزية: قال الجويني: وقد تكلَّمُوا في الفرق بين الأصول والفروع، فقالوا: الأصل ما فيه دليل قطعيّ، والفرع بخلافه.

قلت: وهذا يلزم منه الدور، فإنّه إذا قيل: لا تثبت الأصول إلاّ بالدليل القطعي، ثم قيل: والأصل ما عليه دليل قطعي كان ذلك دوراً ظاهراً.

وأيضاً فإنّ كثيراً من المسائل العملية بل أكثرها عليها أدلةٌ قطعيّة، كوجوب الطهارة والصّلاة والصّيام والحجّ والزكاة، ونقض الوضوء بالبول والغائط، ووجوب الغسل بالاحتلام، وهكذا أكثر الشريعة أدلّتها قطعيّة، وكثير من المسائل التي هي عندهم أصول أدلّتها ظنّيّة.

وهكذا في أصول الدين وأصول الفقه أكثر من أن يذكر، كالقول بالمفهوم والقيام، وتقدّمهما على العموم، والأمر بعد الحظر، ومسألة انقراض العصر، وقول الصحابيّ، والاحتجاج بالمراسيل وشرع مَنْ قبلنا، وأضعاف ذلك.

وكذلك في أصول الدِّين كمسألة الحال وبقاء الرّبّ تعالىٰ وقدمه؛ هل هما بِبَقَاءٍ وقِدَمٍ زائدين على الذات والوجود الواجب [كما قرّره المتكلمون] وهل هو نفس الماهية أو زائد عليها، وإثبات المعنى القائم بالنفس، وغير ذلك، فعلى هذا الفرق تكون هذه المسائل [التي جعلوها

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢٠٣/١٩ - ٢٢٣. والصواعق المرسلة ج ٦١٣/٢ - ٦١٤.

من أصول الدِّين] ونحوها فرعين [لأنها قائمة على ظنون] وتلك المسائل العملية أصولية[1] [لأنّها قائمةٌ على أدلّةٍ قطعيّةِ الثّبوتِ والدّلالَةِ].

وبهذا يظهر كيف يُقسِّمُ المتكلمون مسائل الدِّين كما يرغبون، فعلى قول الجويني تصبح أصول المتكلّمين فروعاً لقيامها على أدلّةٍ ظَنّيّةٍ، بل بعضها على الظّنّ فحسب، كمسألة كلام الله تعالىٰ، حيث قرّروا أنّه كلام نفسي لا يخرج عن ذات اللّه تعالىٰ، مخالفين بذلك صريح نصوص القرآن القطعي الثبوت والدّلالَة، ونصوص الأحاديث النّبويّة الصّحيحة، التي تثبت بأنّ اللّه تعالىٰ يتكلم بكلام يسمعه أهل السمٰوات، كما تكلم بالقرآن حقيقة، وكما كلّم موسى حقيقة، بلا تكييف ولا تشبيه[2].

---

(١) الصواعق المرسلة: لابن قيم الجوزية ج ٢/٦١٨.

(٢) انظر بحث هذه المسألة بتفصيل موسّع في كتاب الشيخ عبد الله بن يوسف الجُدَيع «العقيدة السلفية في كلام ربِّ البرية وكشف أباطيل المبتدعة الرّديّة» ص ٣٢٣ - ٤٣٢، ط الكويت.

شُعَبُ الإيمَان

تَمهِيد

أخرج الشيخان في صحيحيهما: من حديث أبي هريرة عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «الإيمانُ بِضْعٌ[1] وسِتُّونَ ـ أو بِضْعٌ وسَبْعُونَ[2] شُعْبَةً[3] أَعْلاَهَا ـ أَوْ فَأَرْفَعُهَا أَوْ فَأَفْضَلُهَا على اختلافِ الروايات ـ قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[4].

---

(١) البضع بكسر الباء وحكي فتحها لغة: عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث إلى تسع.

(٢) والراجح: «بضع وسبعون».

(٣) الشعبة بضم الشين هي القطعة. والمراد منها في الحديث: الخصلة أو الجزء، أي إنَّ الإيمان ذو خصال متعدّدة. وقد لخّصها الحافظ ابن حجر وأوردها في «الفتح». انظر «فتح الباري شرح صحيح البخاري» ١/ ٤٩ و ٥٠، وقد صنّف العلماء في تعيين هذه الشعب كتباً كثيرة، منها «المنهاج» لأبي عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني الحليمي المتوفى سنة ٤٠٣ هـ، ثمّ حذا حذوه وزاد عليه ورتّبه الإمام أبو بكر البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ، ثمّ اختصره المؤلف أبو المعالي القزويني المتوفى سنة ٦٩٩ هـ. [من تعليق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط على مختصر شعب الإيمان. ط دار ابن كثير ـ دمشق].

(٤) رواه البخاري ١/ ٤٨، ٤٩ في الإيمان: باب أمور الإيمان بلفظ «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»، ومسلم رقم ٣٥ في الإيمان: باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان.
ورواه أيضاً أبو داود رقم ٤٦٧٦ في السنة: باب في رد الإرجاء، والترمذي رقم ٦١٧، في الإيمان: باب استكمال الإيمان، والنسائي ٨/ ١١٠ في الإيمان: باب =

وهذا الشكّ وقع من «سُهيل بن أبي صالح» في «بِضْعٍ وستّين» أو في «بِضْعٍ وسبعين» وسليمان بن بلال يروي عن عبد اللَّه بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة: «بِضْعٌ وستُّون» لم يشكّ فيه، وغير الرواة عن سهيل رواه من غير شكّ: «بِضْعٌ وسبعُون شُعبةً، أفضلُها قولُ لا إِلٰهَ إلاَّ اللَّه، وأَدْنَاهَا إماطةُ الأَذَى والعظمِ عَنِ الطَّرِيقِ، والحَيَاء شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ».

قال الحافظ البيهقي:

فالإيمان باللَّه عَزَّ وجلَّ ثناؤُهُ: إثباتُهُ والاعترافَ بوجودِهِ.

والإيمانُ له: القولُ عنه، والطّاعةُ له.

والإيمان بالنبيّ ﷺ: إثباتُهُ والاعتراف بنبُوّته. والإيمانُ للنبيّ ﷺ: اتّباعُهُ، وموافقتُهُ، والطاعةُ لهُ[1].

= ذكر شعب الإيمان، وأحمد في «المسند» ٢/٤٤٥، وابن ماجه رقم ٥٧ في المقدمة. كلّهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو أول حديث وقع ذكره لأبي هريرة رضي الله عنه في «صحيح البخاري» ومجموع ما أخرج له البخاري من المتون المستقلة ٤٤٦ حديثاً من أصل ٥٣٧٤ حديثاً. وهذه الشعب تتفرّع عن أعمال القلب وأعمال اللسان، وأعمال البدن. وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/٤٩، ٥٠.

(١) والإيمان بالنبيّ ﷺ: إثباتُه والاعتراف بنبُوّتهِ.
والإيمان للنبيّ ﷺ: اتّباعه وموافقتُهُ والطاعةُ له.
ثم إن التصديق الذي هو معنى الإيمان باللَّه وبرسوله منقسم: فيكون فيه ما يخفى وينكتم، وهو الواقع منه بالقلب، ويسمّى اعتقاداً. ويكون منه ما ينجلي ويظهر، وهو الواقع باللّسان، ويُسمّى إقراراً وشهادةً.
وكذلك الإيمان لله ولرسوله ينقسم إلى جليٍّ وخفيٍّ:
الخفيُّ منه: هو النيّات والعزائم التي لا تجوز العبادات إلاّ بها، واعتقاد الواجب واجباً، والمُبَاح مُباحاً، والرخصةِ رخصةً، والمحظورِ محظوراً، والعبادةِ عبادةً =

وكل ذلك إيمان وإسلام، وطاعة للّه عزّ وجلّ ولرسوله ﷺ، إلاّ أنّه إيمان للّه بمعنى أنّه عبادة له، وإيمان للرسول بمعنى أنه قبولٌ عنه دون عبادةٍ له، إذِ العبادة لا تجوز من أحدٍ إلاّ للّه عزّ وجلّ.

قال الحافظ البيهقي:

والإيمان باللّه ورسوله أصلٌ، وهو الذي ينقُلُ من الكفر، والإيمان للّه ولرسوله ﷺ: فرعٌ، وهو الذي يَكْمُل بكماله الإيمانُ، وينقص بنقصانه الإيمان.

ومعنى هذا أن أصل الإيمان إذا حصل ثم تبعته طاعة زائدة، زادَ الإيمانُ المتقدّم بها، لأنّه إيمان انضمّ إليه إيمان كان يقتضيه، ثم إذا اتّبعت تلك الطاعة طاعةٌ أخرىٰ، ازدادَ الأصلُ المتقدّم، والطاعة التي تليها بها، وعلى هذا إلىٰ أن تكمل شعبُ الإيمَان.

قال: ونقصان الإيمان هو انفراد أصله عن بعض فروعه، أو انفراد أصله وبعض فروعه عمّا بقي منها ممّا اشتمل عليه الخطاب والتكليف، لأنّ النّقصان خلف الزّيادة. فإذا قيل لمن آمن وصلّى: زاد إيمانه، وجب أن يقال لمن آمن ووجبت عليه الصّلاة فلم يصلِّ ـ إنّه ناقص الإيمان، وأنّه صار بتركها مع القدرة عليها فاسقاً عاصياً. وعلىٰ هذا سائر الأركان.

= والحدّ حدّاً ونحو ذلك.

والجليُّ منها: ما يقام بالجوارح إقامةً ظاهرةً، وهو عدّة أمور:

منها: الطهارة.

ومنها الصلاة.

ومنها: الزكاة.

ومنها: الصيام.

ومنها: الحجّ والعمرة.

ومنها: الجهاد في سبيل الله.

وأمور سواها ستذكر في مواضعها إن شاء الله تعالىٰ.

فأمّا ما يتطوّع به الإنسان ممّا ليس بواجب عليه بمعنى تصديق العقد والقول بالفعل موجود فيه فيزدادُ به الإيمانُ، وتركه بالإضافة إلى من لم يتركه يجوز أن يُسمّى نقصاناً، لكن لا يُوجب لتاركه عصياناً. هذا معنى قوله:

قال: وإذا أوجبنا أن تكون الطّاعات كلّها إيماناً، لم نُوجب أن تكون المعاصي الواقعة من المؤمنين كفراً. وذلك أنّ الكفر باللّه وبرسوله مقابل للإيمان به، فإذا كان الإيمان باللّه وبرسوله: الاعتراف به والإثبات له؛ كان الكفر: جحوده والنّفي له والتكذيب، وأمّا الأعمال فإنّها إيمانٌ للّه وللرسول بعد وجود الإيمان به والمراد به إقامة الطاعة على شرط الاعتراف المتقدّم، فكان الذي يقابله هو الشقاق والعصيانُ دونَ الكفر[1].

وقد ذكرتُ في «كتاب الإيمان» من الأخبار والآثار ما يكشف عن صحة هذه الجملة، وأنا أشير في هذا الكتاب إلى طرقٍ منها بمشيئة اللّه عزَّ وجلَّ.

(١) شعب الإيمان ج ١/٣٥ ـ ٣٧.

فصل

الدليل علىٰ أن الطاعات كلها إيمانٌ

قال اللَّه عزَّ وجلَّ في وصف المؤمنين:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال].

فأخبر أن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال، فدلّ ذلك على أنّها من جوامع الإيمان.

قال الحليمي رحمه اللَّه تعالىٰ:

إذا ثبت لك أن الموصوفين في هذه الآية إنّما استوجبوا اسم المؤمنين حقّاً لمكان الأعمال التي وصفهم اللَّه تعالىٰ بها، ولم تكن الأعمال المتعبّد بها هذه وحدها ـ صحّ أنّ المراد بذكرها هي وما في معناها من الأعمال المفروضة أو المندوب إليها. «فالصّلاة» إشارةٌ إلى الطاعات التي تقام بالأبدان خاصّةً. «والإنفاق ممّا رزقَ اللَّه» إشارة إلىٰ الطاعات التي تقام بالأموال، و «وَجَلُ القلبِ» إشارة الاستقامة من كل وجه، ويدخل فيها إقامة الطّاعات والانزجار عن المعاصي.

قال الحافظ البيهقي:

والآية فيمن إذا ذكر اللَّهُ وجِلَ قلبُهُ، وليس ارتكاب المعاصي، ومخالفة الأوامر من إمارات الوَجَلِ. والآية فيمن إذا تُليت عليه آيات اللَّه زادته إيماناً، وليس التخلُّفُ عن الفرائض والقعود عن الواجبات واللوازم

من زيادة الإيمان بسبيلٍ. فصحَّ أنّ الذين نَفينا أن يكونوا مؤمنين حقّاً، وأوجبنا أن يكونوا ناقِصي الإيمان، غير داخلين في الآية.

قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات].

فقابل بين ما حبّبه إلينا وبين ما كرّه إلينا، ثم أفرَد الإيمَان بالذكر فيما حبّب، وقابله بالكفر والفسوق فيما كرّه. فدلَّ ذلك على أن للإيمان ضدّين، أو أن من الإيمان ما ينقضه الكفر، ومن الإيمان ما ينقِضُهُ الفُسُوق، وفي ذلك ما أبان أن الطاعات كلّها إيمانٌ. ولولا ذلك لم يكن الفُسوق ترك الإيمان، واللَّه أعلم.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي - رحمه اللَّه: وفصَلَ بين الفسق والعصيان، وفي ذلك دلالة على أنّ من المعاصي ما لا يفسقُ به، وإنّما يفسق بارتكاب ما يكون منها من الكبائر، أو الإصرار على ما يكون منها من الصغائر. واجتناب جميع ذلك من الإيمان، وباللَّه التّوفيق.

وقال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾.

وأجمع المفسِّرون على أنه أرادَ به: صلاتكم إلى بيت المقدس، فثبت أنّ الصَّلاة إيمانٌ، وإذا ثبتَ ذلك فكل طاعةٍ إيمانٌ إذْ لا فَرْقَ يُفرِّقَ بينهما.

قال الإمام أحمد البيهقي: وقد روينا في الحديث الثابت عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب في صلاة رسول الله ﷺ بعدما قَدِمَ المدينةَ قِبَلَ بيتِ المقدسِ ستّةَ عشرَ أو سبْعَةَ عشرَ شهراً ثم حُوِّلتْ إلى البيت، وأنّه ماتَ قبل أن تُحَوَّلَ رجالٌ، وقتلُوا فلم ندْرِ ما نقولُ فيهم، فأنزل الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾[1] [البقرة].

---

(١) شعب الإيمان ج ٤٤/١، والبخاري في صحيحه في كتاب الصلاة ٣٩٩، والترمذي في سننه في كتاب التفسير ٢٩٦٢، وقال: حسن صحيح.

زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهل الإيمان فيه

وهذا يتفرّع على قولنا في الطّاعات إنها إيمانٌ، وهو أنّها إذا كانت إيماناً كان تكاملها بكمال الإيمان وتناقُصها تَناقُصَ الإيمان، وكان المؤمنون متفاضلين في إيمانهم، كما هم متفاضلون في أعمالهم، وحَرُم أن يقول قائلٌ: إيماني وإيمان الملائكة والنبيّين - صلوات اللّه عليهم أجمعين - واحدٌ. قال اللّه عزّ وجلّ:

﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وقال: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

وقال: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة].

وقال: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

فثبتَ بهذه الآيات أنَّ الإيمانَ قابلٌ للزّيادة، وإذا كان قابلاً للزيادة فقُدمت الزّيادة، كان عدمُها نقصاناً على ما مضى بيانه، ودلَّت السّنّةُ على مثل ما دلّ عليه الكتاب.

وأخرج البيهقي بإسناده عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أنَّ رسول اللّه ﷺ قال: «أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً»(١).

---

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي ج ١/٦٠. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده =

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ أَكْمَلَ المُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُم خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُم لِنِسَائِكُمْ»(١).

قال الحليمي ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ فدلّ هذا القول على أنَّ حُسْنَ الخُلُق إيمانٌ، وأنَّ عدمه نُقْصانُ إيمانٍ، وأنَّ المؤمنين متفاوِتُون في إيمانهم، فبعضهم أكمل إيماناً من بعضٍ.

وعن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، قال: أخرج مروان المنبر وبَدَأَ بالخطبة قبل الصّلاة، فقام رجل فقال: يا مروان! خالفتَ السُّنّة، أخرجتَ المنبرَ ولم يكن يُخْرَج، وبدأتَ بالخُطْبة قَبْلَ الصّلاة، فقال أبو سعيد: من هذا؟ فقالوا: فلان. فقال أبو سعيد: قد قضى هذا الذي عليه، إنّ رسولَ اللَّه ﷺ قال:

«مَنْ رَأَىٰ أَمراً مُنكراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذٰلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»(٢).

وعن عبد اللَّه بن عمر أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ! تَصَدَّقْنَ، وَأَكْثِرْنَ الاسْتِغْفار، فَإِنِّي رَأَيتكُنَّ أَكثَرَ أَهلِ النَّارِ. قالَتْ امرأَةٌ مِنهُنَّ: وَمَا لَنَا يَا رَسُول اللَّه؟ قال: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَمَا رَأيتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عقلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذي اللُّبِّ مِنْكُنَّ.

قالَت: يا رَسُول اللَّه! وَما نُقصَانُ العَقْلِ والدِّينِ؟

قال: أَمّا نُقْصانُ العَقْلِ: فَشَهادَةُ امرأتينِ تَعدِلُ شَهادَةَ رَجُلٍ، فَهٰذا

= ج ٢/٥٢٧، والحاكم في المستدرك ج١/٣، وسكت عليه وصححه الذهبي، وهو في صحيح الجامع الصغير برقم ١٢٣٠.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج ١/٦١، وأحمد ج ٢/٢٥٠ و ٤٧٢، وهو في صحيح الجامع الصغير برقم ١٢٣٢، وسلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٨٤.

(٢) شعب الإيمان ج ١/٦١، ومسلم في صحيحه ج ١/٥٠.

نُقْصانُ العَقْلِ. وتمكُثُ اللَّيالِي لا تُصَلِّي، وتُفْطِرُ في رَمضانَ فهذا نُقْصانُ الدِّين».

رواه مسلم في الصحيح عن محمد بن رمح عن اللّيث، وأخرجاه من حديث أبي سعيد[1].

وعن أبي سعيد الخدري، أنّ رسول اللّه ﷺ قال:

«يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، ويُدْخِلُ أَهلَ النَّار النَّار، ثُمَّ يقول: انظرُوا مَنْ وجدتُم في قَلْبِه مِثْقَالَ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَان فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا حُمَماً قَدِ امْتَحَشُوا، ويُلْقَون في نَهرِ الحَياة أو الحَيَا، فَيَنْبُتُون فيه كَما تنبتُ الحبّة إلى جَانب السّيل، أَلَمْ تَرَوْهَا تخرج صَفْراء ملتَويةً؟».

هذا لفظ حديث ابن وهب، رواه البخاري في الصحيح عن ابن أبي أُويس، ورواه مسلم عن هارون بن سعيد[2].

قال الحليمي رحمه اللّه تعالىٰ:

ووجه هذا أن يكون في قلب واحد توحيد ليس معه خوف غالب على القلب فيُرْدَع، ولا رجاء حاضر له فيطمَع، بل يكون صاحبه ساهياً، قد أذهلته الدنيا عن الآخرة فإنّه إذا كان بهذه الصّفة، انفرد التوحيد في قلبه عن قرائنه التي لو كانت لكانت أبواباً من الإيمان تتكثر بالتوحيد، ويتكثر التّوحيد بها إذا كانت تصديقاً، والتّصديق من وجه واحد أضعف من التّصديق من وجوه كثيرة، فإذا كان ذلك خفَّ وزنه، وإذا تتابعت شهاداته ثقل وزنه.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ١/ ٦٢، وصحيح البخاري ج ١/ ٤٠٥، الفتح وصحيح مسلم ج ١/ ٨٧.

(٢) شعب الإيمان ج١/ ٦٣، وصحيح البخاري ج ١/ ٧٢. الفتح وصحيح مسلم ج ١/ ١٧٢.

وله وجه آخر:

وهو أن يكون إيمان واحدٍ نَاشِئاً عن استدلالٍ قوي، ونظرٍ كامل، وإيمان آخر واقع عن الخبر، والركون إلى المخبر به على ما يذكره، فيكون الأوّل أثقل وزناً، والثاني أخف وزناً. وهذا الخبر يدلُّ على تفاوتِ النّاس في إيمانهم.

أمّا قوله عزّ وجلّ:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

وما ورد في معناه، فإنّه لا يمنع من قولنا بزيادة الإيمان ونقصانه؛ لأنّ معنىٰ قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

أي: أكملت لكم وضعه، فلا أفرض عليكم من بعد ما لم أفرضه عليكم إلى اليوم، ولا أضع عنكم بعد اليوم ما قد فرضتُه قبل اليوم، فلا تغليظ من الآن ولا تخفيف ولا نسخ ولا تبديل. وليس معناه أنّه أكمل لنا ديننا من قبل أفعالنا؛ لأنّ ذلك لو كان كذلك لسقط عن المخاطبين بالآية الدّوام على الإيمان مستقبلاً وهو إيمانٌ كَمُلَ، وليس بعد الكمال شيءٌ. فإذا كان الدّوام على الإيمان مستقبلاً وهو إيمان فكذلك الطاعات الباقية التي تجب شيئاً فشيئاً كلُّها إيمانٌ، والكمال راجعٌ إلى إكمال الشرع والوضع، لا إلى إكمال أداء المؤدّين له وقيام القائمين به، واللّٰه تعالىٰ أعلم.

أخبرنا محمد بن عبد الرحمٰن بن محبوب الدهان، أنبا الحسين بن محمد بن هارون، ثنا أحمد بن محمّد بن نصر، ثنا يوسف بن بلال، ثنا محمّد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في هذه الآية[1]:

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ١/ ٦٥.

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

يقول: يَئِسَ أهلُ مكّةَ أن ترجِعُوا إلى دينهم ـ عبادة الأوثان أبداً، ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ في اتّباع محمّد ﷺ، ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ في عبادة الأوثان وتكذيب محمد ﷺ، فلما كان واقفاً بعرفات نزل عليه جبريل عليه السّلام، وهو رافع يده والمسلمون يدعون اللّه تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، يقولُ: حلالَكُمْ وحرامَكُمْ، فلم ينزل بعد هذا حلالٌ ولا حرامٌ، ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، قال: منّتي فلم يحجَّ معكم مشركٌ. ﴿وَرَضِيتُ﴾ يقول: واخترتُ ﴿لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

ثمّ مكثَ رسولُ اللّه ﷺ بعد نزولِ هذه الآية إحدىٰ وثمانين يوماً، ثم قبضه اللّه تعالىٰ إليه وإلى رحمته.

وذهب بعض من قال بزيادة الإيمان ونقصانه إلى أنّه إذا ارتكبَ معصيةً فإنّها تحبط ممّا تقدّمها من الطّاعات بقدرها وحتى ارتقى بعضهم إلى أصلِ الإيمان، غير أنّه لا يقول بالتّخليد، وأمْرُهُ مَوْكُولٌ إلى اللّه تعالىٰ؛ إنْ شاءِ عفَا عنه برحمته، إو بشفاعة الشّافعين، وإن شاءِ عاقبه بذنُوبه، ثم أدخله الجنّة برحمته.

واحتجَّ بعضُ مَنْ قال بقولهم: بقول اللّه عزَّ وجلَّ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الحجرات: ٢].

إنّما أرادَ بذلك أنّ رفع الصّوت فوق صوته يقعُ معصيةً، فيخرج إيمان الواقع، ويحبط بعض عملِهِ.

واحتجَّ أيضاً بقوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

قال الحليمي ـ رحمه اللّٰه تعالىٰ ـ وقد يخرج هذا على غير ما قاله المحتجُّ به وهو أن يكون المعنى:

لا يَحْمِلَنَّكُم أيّها المهاجرون هجرتكم معه، ولا أيّها الأنصار إيواؤكم إيّاه علىٰ أن تُضَيِّعُوا حُرمتَه، وترفَعُوا أصواتكم فوق صوته فتكونوا بذلك صارفين ما تقدّم منكم من الهجرة والإيواء والنّصرة عن ابتغاء وجه اللّٰه به إلى غرضٍ غيره، ووجهٍ سواه، فلا تستوجبوا به مع ذلك أجراً.

ويخرج على وجه آخر، وهو أن يُقال[1]:

﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢].

فإن ذلك قد يبلغ بكم حدّ الازْرَاء به والاستخفاف له، فتكفروا، وتحبط أعمالكم إلاّ أن تتُوبُوا وتسلِّمُوا؛ وكذلك قوله تعالىٰ:

﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

فليس على أنّ المنَّ يُحبط الصّدقة، وإنّما وجهه أنّ الصدقة يبتغي بها وجه اللّٰه تعالىٰ جَدُّهُ، وهو المأمُولُ منه ثوابها، فإذا منَّ المتصدِّق على السّائل، وآذاه بالتعيير فقد صرفها عن ابتغاء وجه اللّٰه تعالىٰ بها إلى وجه السّائل، فحُبِط أجرُهُ عند اللّٰه لهذا فضلت عند المتصدَّق عليه مع ذلك، لأنّه إن كان حَبَاهُ فقد آذَاهُ، وإن كان أعطاه، فقد أخْزَاهُ، ولو كان ذلك على معنى إفساد الطّاعة بالمعصية، لم يختصّ بالبطلان صدقتُهُ.

وبسَطَ الكلام فيه إلىٰ أن قال:

وإنّ من الطّعن على هذا القول أنّ سيّئات المؤمن متناهية الجزاء وحسناتُهُ ليست بمتناهية، لأنّ مع ثوابها الخلود في الجنّة، فلا يتوهّم أن

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٦٦/١.

تكون التّبعة المتناهية بالتي يستحقّها المؤمن بسيّئة تأتي على ثواب حسنة لا نهاية له. فأمّا قول النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم:

«مَنِ ٱقْتَنَى كَلْباً إلاّ كلب صيد أو ماشية فإنّه ينقصُ مِنْ عملهِ كل يوم قيراطان»[1].

فإنّما هو على معنى أنه ينقص من أجر عمله كل يوم قيراطان.

وهو في أكثر الرواية عن ابن عمر في هذا الحديث «من أجرِه». وفي بعضها «مِنْ عملِهِ».

قال الحليمي: وإنّما هو على معنى أنّه يحرم لأجل هذه السيّئة بعض ثواب عمله، ولسنا نُنكر جَوازَ أن يُحرم اللّهُ تعالىٰ المؤمنَ بعض جزاء حسناته، ويُقَلِّل ثوابه لأجل سيّئةٍ أو سيّئاتٍ تكون منه. وإنّما أنكرْنا قولَ مَن يقول: إنّ السَّيِّئة قد تُحبط الطّاعةَ، أو تُوجب إبطال ثوابها أصلاً، وذلك أنّه لم يأتِ به كتابٌ ولا خبرٌ ولا يُمكن أن يكون مع ثبوتِ الخلودِ للمؤمنين في الجنّة، واللّه تعالىٰ أعلم.

قال الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي ـ رحمه اللّه:

وأمّا قول النّبيّ ﷺ:

«أَتَدْرُونَ مَا المُفْلِسُ

قالُوا: المُفْلسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ له ولا مَتَاعَ.

قال: إنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمّتي رَجلٌ يأتي يومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ وصِيامٍ وَزَكاةٍ، ويأتي وقد شَتَمَ هٰذا، وقَذَفَ هٰذا، وأكَلَ مَالَ هذا، وسَفَكَ دمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وهٰذا مِنْ حسناتِهِ، فَإنْ فَنِيَتْ

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٦٠٧٧، وعزاه لأحمد والشيخين والترمذي والنسائي.

حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عَليه، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَليهِ ثمَّ طُرِحَ في النَّار»[1].

فهذا إنّما احتجّ به مَنْ قال بإحباط السّيّئة الحسنة.

ووجهه عندي ـ واللّه تعالىٰ أعلم ـ أنّه يُعْطَى خُصَماؤُهُ من أجر حسناته ما يُوازي عقوبة سيّئاته، فإنّ فنيتْ حسنَاتُهُ أي أجر حسناته الذي قُوبِلَ بعقوبة سيّئاته أُخِذَ من خطَايَاهُمْ، فطُرِحَتْ عليه وطُرِحَ في النّار؛ كي يُعَذَّبَ بها إن لم يُغْفَرْ لهُ.

حتّى إذا انتهت عقوبة تلك الخطايا رُدَّ إلى الجنّة بما كُتِبَ له من الخُلود. ولا يُعطى خُصماؤُهُ ما زادَ من الأجر على ما قابل عقوبة سيّئاته؛ لأنّ ذلك فضلٌ مِنَ اللّه تعالىٰ، يخصُّ به مَنْ وَافَى يوم القيامة مؤمناً. واللّه تعالىٰ أعلم.

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: إنّ رسول اللّه ﷺ قال:

«لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقِ حِينَ يسرقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يشربُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يرفعُ النَّاسُ إليهِ فيها أبصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

رواه البخاري في الصحيح من حديث يحيى بن بكير.

ورواه مسلم من وجه آخر عن اللّيث[2].

وإنّما أرادَ ـ واللّه تعالىٰ أعلم ـ «وَهُوَ مُؤْمِنٌ» مطلق الإيمان، لكنّه

---

(١) صحيح الجامع الصغير برقم ٨٧، وعزاه الشيخ ناصر للإمام أحمد والترمذي، وخرّج طرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٨٤٧، وهو في مختصر صحيح مسلم برقم ١٨٣٦.

(٢) صحيح البخاري ج ٥٨/١٢، وصحيح مسلم ج ٧٦/١، وهو في شعب الإيمان ج ٦٨/١.

ناقصُ الإيمانِ بما ارتكب من الكبيرة، وترك من الانزجار عنها، ولا يُوجبُ ذلك تكفيراً باللَّه عزّ وجلّ ـ مضى شرحه.

وكل موضع من كتابٍ أو سنّةٍ وردَ فيه تشديدٌ على من ترك فريضة، أو ارتكب كبيرةً، فإنّ المرادَ به نقصان الإيمان؛ فقد قال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وذكرنا في «كتاب الإيمان» من الأخبار والآثار التي تدلُّ على صحة ما ذكرنا من التّأويل ما فيه كفاية، وباللَّه التّوفيق.

وذكر الحليمي ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ ها هنا آثاراً تدلُّ على أنّ الطّاعات من الإيمان. وإنّ الإيمان يزيدُ وينقصُ، وأنّ أهل الإيمان يتفاضَلُون في الإيمان، ونحن قد ذكرناها في «كتاب الإيمان».

ونُشير إلى طرقٍ منها ها هنا بمشيئة اللَّه عزّ وجلّ.

أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ، أنبا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه، أنبا محمّد بن عيسىٰ بن السَّكَن، ثنا موسى بن عمران، ثنا ابن المبارك، عن ابن شَوذَب، عن محمّد بن جَحَادة، عن سَلَمة بن كُهَيْل، عن هُزَيل بن شرحَبيل، قال: قال عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه:

«لَوْ وُزِنَ إيمانُ أبي بكرٍ بإيمانِ أهلِ الأرضِ لَرَجَحَ بِهِمْ»[1].

وقد روينا عن بُريدة بن حصيب عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

«العَهْدُ الذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[2].

وإنّما أرادَ ـ واللَّه تعالىٰ أعلم ـ كفراً يكون نقيضَ الإيمان للَّه تعالىٰ

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ١/٦٨ ـ ٦٩، قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ج ١/٥٢: أخرجه البيهقي موقوفاً على عمر بإسناد صحيح.

(٢) شعب الإيمان ج ١/٧٢، وصحيح الجامع الصغير رقم ٤١٤٣، وعزاه لأحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم.

بتَرك شُعْبةٍ من شُعَبه، ولم يرِدْ به كفراً يكون نقيض الإيمان باللّه إذا لم يجحدْ فرضَها، ويشبه أنْ يكون تخصيصه الصّلاة بالذكر لوجوب القتل بِتَرْكها كوجوب القتل بترك الإيمان باللّه تعالىٰ.

وروى البيهقي بإسناده عن معاذ بن جبل أنّه قال:

«اجْلِسُوا بنَا نُؤْمِنُ ـ أظُنّه قال ـ ساعةً، أي نَذْكُر اللّه»[1].

وروىٰ أيضاً عن عبد اللّه أنّه قال: «اجِلْسُوا بنا نَزْدَدْ إيماناً»[2].

وروىٰ عنه أيضاً أنّه كان يقولُ: «اللّهمَّ زِدْنِي إيماناً وفِقْهاً»[3].

---

(١) والحديث علقه البخاري ١/٤٥ الفتح، وقال الحافظ وصله أحمد، وأبو بكر أيضاً بسند صحيح إلى الأسود بن هلال، اهـ. وأخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ١٠٥.

(٢) عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه.
والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ١٠٤، عن ابن فضيل عن أبيه عن سماك عن إبراهيم بن علقمة أنه كان يقول لأصحابه: امشوا بنا نزداد إيماناً، ولم يذكر في الإسناد «عبد الله بن مسعود». وقال الألباني: إسناده صحيح.

(٣) والحديث في فتح الباري ١/٤٨، وعزاه الحافظ لأحمد في الإيمان من طريق عبد الله بن عكيم عن عبد الله به. وقال الحافظ: إسناده صحيح وأخرجه الآجري في الشريعة ص ١١٢ من طريق وكيع عن شريك به.

الأول من شُعَب الإيمان
الإيمان بالله عَزّ وجلّ[١]

لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ولقولهِ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦].

ثمّ ساق فيه حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه[٢] المتفق عليه في «الصحيحين»:

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّـهُ فَقَـدْ عَصَـمَ مِنِّي نَفْسَـهُ وَمَـالَـهُ إِلاَّ بِحَقِّـهِ[٣] وَحِسَـابُـهُ عَلَىٰ اللَّـهِ

---

(١) الإيمان، مشتقٌّ من الأمن الذي هو ضد الخوف، وعند إطلاقه يراد به التصديق، والإيمان بالله تعالىٰ: إثباته والاعتراف بوجوده، والإيمان له: القبول عنه والطاعة له والإيمان بالنبيّ ﷺ: إثباته والاعتراف بنبوّته، والإيمان للنبيّ ﷺ: اتّباعه وموافقته والطاعة له، وينقسم الإيمان إلىٰ: خفي وجلي، فالخفي هو النيّات والعزائم التي لا تجوز العبادات إلاّ بها، والجلي: ما يقام بالجوارح إقامة ظاهرة، كالقراءة والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والجهاد في سبيل الله وغيرها. وكل ذلك إيمان وإسلام، وطاعة لله عزّ وجلّ، ولرسوله ﷺ، إلاّ أنّه إيمان لله تعالىٰ بمعنى أنّه عبادة له، وإيمان للرسول ﷺ بمعنى أنّه قبولٌ عنه دون أن يكون عبادة له، إذِ العبادةُ لا تكون من أحد إلاّ للّهِ عزّ وجلّ.

(٢) هو عبد الرحمٰن بن صخر الدوسي، من أكثر الصحابة رواية للحديث له ٥٣٧٤ حديثاً، توفي بالمدينة المنورة سنة ٥٧ هـ.

(٣) وضمير بحقه راجع إلى الإسلام المفهوم من قول: لا إله إلاّ الله. وفي روايةٍ لمسلم «إلاّ بحقّها» أي الشهادة. وقوله «وحسابه على الله». معناه فيما يُسر به من الكفر والمعاصي. فإنّا نحكم عليه بالإسلام ونؤاخذه بحقوقه بحسب ما يقتضيه ظاهر حاله، والله سبحانه وتعالىٰ يتولىٰ حسابه.

تعالىٰ»(١).

وحديث عثمان بن عفان رضي اللّه عنه في «صحيح مسلم»:

«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٣/٢١١ في أوّل الزكاة، و ١٢/٢٢٣ في استتابة المرتدين: باب قتل من أبى قبول الفرائض، و ١٣/٢١٧ في الاعتصام: باب الاقتداء بسنّة رسول الله ﷺ ومسلم في صحيحه رقم ٢٠ و ٢١ في الإيمان: باب الأمر بقتال النّاس حتى يقولوا: لا إلٰه إلاّ الله محمّد رسول الله، ورواه أيضاً أبو داود رقم ١٥٥٦ في الزكاة، في فاتحته. ورقم ٢٦٤٠ في الجهاد، باب على ما يُقَاتَلُ المُشركُونَ.

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم ٢٦ في الإيمان: باب الدليل على أنّ من مات على التّوحيد دخل الجنّة قطعاً، ولفظه عنده: «مَنْ ماتَ وهو يعلم أنّه لا إلٰه إلاّ اللّه دخل الجنّة»، وهو كذلك في «مسند أحمد» ١/٦٩ من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

الثّاني من شعب الإيمان

الإيمان برسل الله عزّ وجلّ صلّى الله وسلم عليهم أجمعين

اعتقاداً، وإقراراً إلاّ أن الإيمان بمن عدا نبيّنا ﷺ هو الإيمان بأنّهم كانوا مرسلين إلى الذين ذَكَرُوا لهم أنّهم رسلُ اللّه إليهم. وكانوا في ذلك صادقين محقّين.

والإيمانُ بالمصطفى نبيّنا ﷺ هو التّصديقُ بأنّه نبيُّهُ ورسولُهُ إلى الذين بُعِثَ فيهم، وإلى مَنْ بعدَهُم من الجنّ والإنس إلى قيام السّاعة[1].

قال اللّه تعالىٰ:

﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحديد: ٧].

فقرن الإيمان برسولهِ بالإيمان بهِ. وقال تعالىٰ:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ ﴾ [النساء].

وفي هذه الآية أن اللّه عزّ وجلّ جعل الكفرَ ببعض رسلهِ كفراً بجميعهم، ثم جعل الكفر بجميعهم كفراً به، وقال بعد ذلك:

---

(١) شعب الإيمان ج ١/ ١٤٥.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾ [النساء].

فثبت أنّ حُسْنَ المآب إنّما يكونُ لمن لم يُفرِّقْ بينَ رسلِ اللّه عزّ وجلّ وآمَنَ بجماعتهم.

وقد روينا في حديث ابن عمر عن عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه عن النبيّ ﷺ حين سئل عن الإيمان فقال:

«إنْ نُؤْمِنَ باللّهِ وَمَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَنُؤْمِنَ بالقَدر كُلِّهِ، خَيرِهِ وشرّهِ»(١).

قال البيهقي رحمه الله(٢):

والإيمان برسول اللّه ﷺ يتضمَّنُ الإيمانَ لهُ، وهو قبول ما جاء بِهِ من عندَ اللّهِ والعزمُ على العمل به، لأنَّ تصديقه في أنّه رسول اللّه إلزام لطاعته، وهو راجع إلى الإيمان باللّه، والإيمان له.

لأنه من تصديق الرّسل وفي طاعة الرسل طاعة المُرْسِل؛ لأنه بأمرِهِ أطاعَهُ.

قال اللّه تعالىٰ:

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠].

قال: والنّبوّة اسمٌ مشتقّ من النبأ، وهو الخبر إلاّ أن المراد به في هذا الموضع خبر خاصٌّ وهو الذي يُكرمُ اللّه عزّ وجلّ به أحداً من عباده فيُمَيِّزُهُ عن غيره، بإلقائه إليه، ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمرٍ، ونهيٍ، ووعظٍ، وإرشادٍ، ووعدٍ، ووعيدٍ.

فتكونُ النُّبوّةُ على هذا الخبر والمعرفة بالمخبَرات الموصوفة،

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ١/١٤٥، ورواه مسلم في صحيحه برقم ٨ في الإيمان: باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالىٰ.

(٢) شعب الإيمان ج ١/ ١٥٠ - ١٥٥.

فالنّبيّ ﷺ هو المخبِرُ بها، فإنِ انضاف إلى هذا التوقيف أمر بتبلغه النّاس ودعائهم إليه كان نبيّاً رسولاً. وإن أُلْقِيَ إليهِ ليعملَ به في خاصَّته، ولم يُؤْمَرْ بتبليغه والدعاء إليه، كان نبيّاً ولم يكن رسولاً فكل رسولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيّ رسولاً.

قال: وقد أرشد اللّه تعالىٰ إلى أعلام النّبوّة في القرآن، كما أرشدَ إلى آيات الخلق الدالّة على الخالق والخلائق، فقال عزَّ اسمُهُ:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه].

فأخبر تعالىٰ أنّه بَعَثَ الرسلَ لقطع حُجَّةِ العباد.

وقيل في ذلك وجوه:

أحدها: إنّ الحجّة التي قطعت على العباد هي أنْ يقولوا: إنَّ اللّه جلَّ ثناؤه إنْ كان خَلَقَنا لِنَعْبُدَه، فقد كان ينبغي أن يُبَيِّنَ لنا العبادةَ التي يُريدُها منّا ويرضاها لنا، ما هي؟ وكيف هي؟

فإنّه وإن كان في عقولنا الاستجداء له، والشكر على نعمه التي أنعمها علينا فلم يكن فيها أن التَّذلُّلَ والعبوديّة منّا بماذا ينبغي أن تكون وعلى أي وجه ينبغي أن تظهر فقُطعت حجَّتُهم بأن أمروا ونُهُوا وشُرعت لهم الشرائعُ، ونُهجتْ لهم المناهجُ فعرفُوا ما يُرادُ منهم، وزالت الشّبهة عنهم.

والآخر: إن الحجّة التي قُطعتْ هي ألاّ يقولُوا إنّا رُكِّبْنَا تركيبَ شهوةٍ وغفلةٍ وسُلِّطَ علينا الهوى، ووُضعتْ فينا الشّهواتُ فلو أمْدِدْنا بمن إذا

سهونا نبّهنا، وإذا مال بنا الهوى إلى وجه قوّمَنَا كما كان منّا إلاّ الطاعة. ولكن لمَّا خُلِّينا ونُفُوسنا، ووُكِلْنا إليها وكانتْ أحوالُنا ما ذَكَرنا، غلبتِ الأهواءِ علينا، ولم نَمْلِكْ قهرهَا وكانت المعاصي منَّا لذلك.

والثالث: أنّ الحجة التي قطعت هي أنْ لا يقولوا قد كان في عقولنا حُسنُ الإيمان والصّدق والعدل وشكر المنعم، وقبح الكذب والكفر والظلم ولكن لم يكن فيها أنّ مَنْ تَرَكَ الحسنَ إلى القبيح عُذِّبَ بالنّار خالداً مُخَلَّداً فيها وأنّ مَنْ تركَ القبيح إلى الحسن أُثيب بالجنّة خالداً مخلداً فيها لأنّه إذا كان لا يدرك بالعقل أنّ للّه جلَّ جلالهُ خلقاً هو الجنّة أو خلقاً هو النّار الغائبة.

وإمكان ما خرج عنها باطل بأن للعالم خالقاً ومدبّراً، ودلّ بإظهاره ذلك له وبدعائه على صدقه، وباللّه التّوفي.

وأمّا المصطفى نبيُّنا ﷺ خاتم النبيّين صلوات اللّه عليهم وعليه وعلى آله الطيّبين وصحبه أجمعين، فإنّه أكثر الرسل آيات بيّناتٍ. وذكر بعضُ أهل العلم أنَّ أعلام نُبوّته تبلُغُ ألفاً. فأمّا العَلَم الذي اقترن بدعوته، ولم يَزَلْ يتزايدُ أيّامَ حياته، ودامَ في أمته بعد وفاته فهو القرآن المعجز المبين وحبل اللّه المتين الذي هو كما وصفه به من أنزلَه؛ فقال سبحانه:

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة].

وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [عبس: ١١ - ١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء].

فأبان ـ جلَّ ثناؤه ـ أنّه أنزلَه على وصف مباينٍ لأوصاف كلام البشر لأنّه منظوم وليس بمنثور، ونظمه ليس نظم الرسائل ولا نظم الخُطب، ولا نظم الأشعار، ولا هو كأسجاع الكُهّان. وأعلمه أنّ أحداً لا يستطيع أن يأتي بمثله، ثم أمره أن يتحداهم على الإتيان بمثله إن ادعوا أنّهم يقدرون عليه أو ظنّوه.

فقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود].

ثم نقصهم تسعاً فقال تعالىٰ: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة].

فكان من الأمر ما نصفه غير أن من قبل ذلك دلالة: وهي أن النبيّ ﷺ كان غير مدفوع عند الموافق والمخالف عن الحصافة والمتانة وقوّة العقل والرأي.

ومن كان بهذه المنزلة، وكان مع ذلك قد انتصب لدعوة النّاس إلى دينه، لم يجزْ بوجهٍ من الوجوه أنْ يقولَ للنّاس: أنْ ائتُوا بسورةٍ من مثل ما جئتكم به من القرآن ولن تستطيعوه. إن أتيتم به فأنا كاذب وهو يعلم من نفسه أن القرآن لم ينزل عليه ولا يأمن أن يكون في قومه من يعارضه، وإن ذلك إن كانت بطلت دعواه. فهذا إلى أن يذكر ما بعده دليل قاطع على أنه لم يقُل للعرب: أَنِ ٱئتوا بمثله إن استطعتموه، ولن تستطيعوه إلاّ وهو واثقٌ مُتحقّقٌ أنّهم لا يستطيعونه، ولا يجوز أن يكون هذا اليقين وقعَ له إلاّ من

قِبَلِ رَبِّهِ الذي أوحى إليه به، فوثق بخبره - وباللّٰه التّوفيق.

وأمّا ما بعد هذا فهو أنَّ النّبيَّ ﷺ قال لهم: ائتُوا بسورة من مثله إنْ كُنْتُمْ صادقين، فطالت المهلةُ والنظرة لهم في ذلك، وتواترتِ الوقائعُ والحروبُ بينه وبينهم فقُتِلتْ صَناديدُهم، وسُبيتْ ذراريهم ونساؤهم، وانتهبت أموالُهم، ولم يتعرَّض أحدٌ لمعارضته. فلو قَدِرُوا لافْتَدَوْا بها أنفسهم وأولادهم وأهاليهم وأموالهم، ولكان الأمرُ في ذلك قريباً سهلاً عليهم إذ كانوا أهل لسان وفَصاحة وشعر وخطابة، فلما لم يأتوا بذلك ولا ادعوه صحّ أنّهم كانوا عاجزين عنه. وفي ظهور عجزهم بيان أنه في العجز مثلهم إذْ كان بشراً مثلهم، لسانه لسانهم، وعادته عادتهم، وطباعه طباعهم، وزمانه زمانهم، وإذا كان كذلك، وقد جاء القرآن فوجب القطع بأنه من عند اللّٰه تعالىٰ جَدُّهُ لا من عندهِ، وباللّٰه التوفيق...

الثالث من شُعَبِ الإيمان
الإيمان بالملائكة عليهم السلام

والإيمان بالملائكة ينتظم معاني[1]:

أحدها: التّصديق بوجودهم.

والآخر: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنّهم عباد اللّه وخلقه كالإنس والجنّ مأمورون مكلّفون لا يقدرون إلاّ على ما يقدرهم اللّه تعالىٰ عليه، والموت جائز عليهم ولكن اللّه تعالىٰ جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلُغوه، ولا يوصفُون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم باللّه تعالىٰ جدُّهُ، ولا يُدْعَوْن آلهة كما ادّعَتْهُمُ الأوائل.

والثالث: الاعتراف بأن منهم رسلُ اللّه يُرسلهم إلى مَنْ يشاء من البشر.

وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش، ومنهم الصّافُّون، ومنهم خَزَنَةُ الجنّة، ومنهم خزنة النّار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السّحاب وقد ورّد القرآن بذلك كلّه أو بأكثره. قال اللّه تعالىٰ في الإيمان بهم خاصّة:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وروينا عن ابن عمر عن عمر رضي اللّه عنهما عن النبيّ ﷺ حين

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج١/ ١٦٣.

سُئِل عن الإيمان فقال:

«أنْ نؤْمِنَ باللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ»[1].

---

(١) شعب الإيمان ج ١/١٦٣، وتقدم تخريجه في الصفحة ٨٩ رقم (١) في الثاني من شعب الإيمان «الإيمان بالرسل»، وهو من حديث في الصّحيحين.

الرابعُ من شُعَبِ الإيمَان
الإيمان بالقرآن وجميع الكتب المنزّلة قبله

قال اللَّه تعالىٰ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤].

وغير ذلك من الآيات في هذا المعنىٰ.

وروينا في حديث ابن عمر عن عمر بن الخطّاب رضي اللَّه عنه عن النبيّ ﷺ حين سئل عن الإيمان فقال:

«أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ»(١).

والإيمان بالقرآن يتشعب شعباً: فأولاها بأنّه كلام اللَّه تبارك وتعالىٰ وليس من وضع محمد ﷺ ولا من وضع جبريل عليه السّلام.

الثانية: الاعتراف بأنه معجزُ النّظم، لو اجتمعتِ الإنسُ والجِنُّ على أن يأتُوا بمثله لم يقدرُوا عليه.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ١/ ١٨٥ ـ ١٨٦، وقد تقدّم تخريجه في الثاني من شعب الإيمان، وهو من حديث في الصّحيحين.

والثالثة: اعتقادُ أن جميع القرآن الذي توفي النّبيّ ﷺ عنه هو هذا الذي في مصاحف المسلمين لم يَفُتْ منه شيء، ولم يَضِعْ بنسيان ناسٍ، ولا ضلال صحيفة، ولا موت قارىء، ولا كتمان كاتم، ولم يُحَرَّفْ منه شيء، ولم يُزدْ فيه حرفٌ، ولم يُنْقصْ منه حرفٌ. فأمّا الوجه الأوّل فإنّ اللّه عزّوجلّ قال:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف].

ومعناه: واللّه أعلم: أنزلنا الرسولَ المُؤدّى لهُ بهِ، فيكون الرسولُ منتقلاً من عُلُوٍّ إلى سفل مؤدّياً للكلام الذي حفظه وذلك بيّن في الآية قبلها وهو أنّه أخبر أنّه نزَلَ به الرُّوحُ الأمينُ على قلب محمّد ﷺ، (فيكون جبريلُ عليه السّلام منتقلاً به من مقامه المعلوم إلى الأرض مؤدّياً له إلى محمّد ﷺ)، وأخبر في الآية قبلها أنه أنزله بعلمه، وفي الآية قبلها أنّه من عنده لا من عند غيره تبارك وتعالىٰ.

الخامس من شعب الإيمان

الإيمان بأنّ القدر خيره وشرّه منَ اللّه عزّ وجلّ

وهو باب في أن القدر خيره وشرّه من اللّه عزّ وجلّ(١).

قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [النساء: ٧٨].

وفي هذه الآية دلالة على أنّ قوله تعالىٰ:

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النساء: ٧٩].

معناه: ما أصابك من شيءٍ يسرُّك من صحة بدنٍ وظفر بعدوٍّ وسعة رزقٍ وغير ذلك، فاللّه مُبْتَدِيك بالإحسان به إليك، وما أصابك من شيء يسوءك ويغمُّك فبكسبِ يدك، لكن اللّه مع ذلك سائقه إليك، والقاضي به عليك، وهو كما قال في آية أخرى:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى].

وقد يكون فيما يسوءه جراحات تصيبه، أو قتل أو أخذ مال أو هزيمة، وقد أمر في الآية الأخرى بأن يقول فيها وفيما يُصيبه من خلافها.

﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [النساء: ٧٨].

فدلّ أنّ ذلك كلّه بتقدير اللّه عزّ وجلّ غير أنّه في الآية الأخرى أخبر

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ١/٢٠١ ـ ٢٠٧ و ٢٢٠ ـ ٢٢٣.

أنّه إنّما يُصيبه جزاءٍ له بما جَنَاهُ على نفسه بكسبه، وليس ذلك بخلاف لِما أمرَ به في الآية الأولىٰ.

أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ، أنا أبو بكر بن إسحاق، أنا بشر بن موسى، ثنا أبو عبد الرحمٰن المقرىء، ثنا كهمس بن الحسن، عن عبد اللَّه بن بريدة، عن يحيى بن يعمر:

«قال: كان أوّلُ مَنْ قال في القَدَرِ معبد الجهني بالبصرة، قال فانطلقنا حُجّاجاً أنا وحميد بن عبد الرحمٰن الحميري فلمّا قَدِمْنَا المدينة وافقنا عبد اللَّه بن عمر وهو في المسجد فقلتُ: يا أبا عبد الرحمٰن! إنّ قِبَلَنَا ناساً يقرؤُون القرآن ويتقفَّرُونَ العلم ويقولون لا قدر، وإنّما الأمرُ أُنفٌ؟ قال: فإذا لَقِيت أولئك فأخْبِرْهُمْ أنّي منهم بريء، وأنّهم منّي بُرَآء، والذي يحلفُ به عبد اللَّه بن عمر لو كان لأحدهم مثل أُحُدٍ ذهباً، فأنفقَهُ ما قَبِلَ اللَّه منه حتَّى يُؤْمِنَ بالقَدَرِ كلِّهِ خيرِهِ وشرّهِ»[1].

حدّثني عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال:

«بينما نحن عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إذْ طَلَعَ علينا رجلٌ شديدُ بياض الثياب، شديدُ سوادِ الشَّعرِ، لا يُرى عليه أثرُ سفرٍ، ولا يعرفُهُ منّا أحدٌ، حتى جلسَ إلى رسول اللَّه ﷺ فأسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، ووضعَ كفَّيهِ على فخذيه ثم قال: يا مُحَمَّدُ! أخبرني عن الإيمان، ما الإيمانُ؟ قالَ: أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ والقَدَرِ خيرِهِ وشرّهِ، قالَ: صَدَقْتَ»، وذكر الحديثَ[2].

وقد أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري، أنا محمّد بن بكر، ثنا أبو داود، ثنا محمّد بن كثير، أنا سفيان، عن أبي سنان، عن وهب بن خالد الحمصي، عن ابن الدّيلمي قال:

---

(١) شعب الإيمان ج ١/٢٠٢، ومسلم في صحيحه ج ١/٣٦ ـ ٣٧.

(٢) صحيح مسلم ج ١/٣٦ ـ ٣٧.

«أتيتُ أُبيَّ بن كعب فقُلْتُ له: وقعَ في نفسي شيء من القدر فحدِّثْني بشيءٍ لعلَّ اللَّهَ جلَّ ثناؤُهُ أن يُذْهِبَهُ مِن قلبي، فَقالَ: لو أنّ اللّه جلّ ثناؤُهُ عذَّبَ أهلَ سماواته وأهلَ أرضه، عَذَّبَهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم، ولو رحمهم، كانتْ رحمتُهُ خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقتَ مثلَ أُحُدٍ ذهباً في سبيل اللّه، ما تقبَّلَهُ اللَّهُ منكَ حتّى تُؤْمِنَ بالقدر، وتعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليُخطئك وما أخطأكَ لم يكن ليُصيبَكَ، ولو متَّ على غير هذا، لدخلتَ النّارَ، قال: ثُمَّ لَقيتُ ابن مسعودٍ فقال مثلَ ذلكَ، ثُمَّ أتيتُ حُذيفةَ بْنَ اليمان فقال مثلَ ذلكَ، ثم أتيتُ زيدَ بْنَ ثابتٍ فحدَّثني عن النّبيّ ﷺ مثلَ ذلكَ[1]».

وقد روينا عن عبادة بن الصامت وغيره في كيفيّة الإيمان بالقدر نحو ذلك.

وفي ذلك بيان أن المراد بالحديث الأوّل أن كلَّ مقدورٍ فاللّه قادره وأنّ الخير والشّرّ وإن كانا ضدّين، فإنّ قادرهما واحدٌ. وليس قادر الشّرّ غير قادر الخير، كما تقوله الثّنويّة، فإذا ثبت أنّ الإئمان بالقدر شعبة من شعب الإيمان فقد دلّ الكتاب ثم السّنّة على أنّ اللّه تعالىٰ عَلِمَ ما في الأزل ما يكون من عباده من خيرٍ وشرٍّ، ثم أمر القلمَ فجرَى في اللّوح المحفوظ بما عَلِمَ، قال اللّه تعالىٰ:

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس].

وقال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ [الإسراء].

وروينا عن عمران بن حصين عن النّبيّ ﷺ قال:

---

(١) شعب الإيمان ج ١/٢٠٣ ـ ٢٠٤، وصحيح أبي داود للشيخ محمد ناصر الدّين الألباني ج ٣/٨٩، رقم ٣٩٣٢، ورقمه في السنن ٤٦٩٩.

«كانَ اللّهُ ولَمْ يَكُنْ شَيْءٍ غيرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلى المَاءِ، وكَتَبَ في الذّكرِ كلَّ شيءٍ، ثُمَّ خلقَ السّمٰواتِ والأرْضَ»(١).

وروينا في هذا المعنى أحاديث كثيرة، ثم إنّ اللّه جلَّ ثناؤُهُ خلقَ الخَلْقَ على ما علم منهم، وعلى ما قدَّرَهُ عليهم، قال اللّه تعالىٰ:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

أي: بحسب ما قدرنَاهُ قبل أن نخلقه، فجرى الخلق على علمه وكتابه، والسبب في نزول هذه: ما أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطّان، أنا عبد اللّه بن جعفر النّحوي، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا أبو نعيم «ح»: [وهذا رمزٌ لتحويل السند إلى إسناد آخر]:

وأخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، أنا أبو بكر بن إسحاق، أنا أبو المثنى، قال: ثنا محمّد بن كثير، قال: ثنا سفيان عن زياد بن إسماعيل السهمي، عن محمّد بن عبّاد المخزومي عن أبي هريرة قال:

«كانَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ يُخالِفُونَهُ في القَدَرِ فَنَزَلَتْ هذه الآية»:

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر](٢).

أخبرنا أبو محمّد عبد اللّه بن يوسف الأصبهاني، ثنا أبو سعيد أحمد بن محمّد بن زياد البصري بمكة، ثنا الحسن بن محمد الزعفراني، ثنا سفيان بن عيينة، عن عمروٍ، عن طاوس، سمع أبا هريرة يقول: قال رسولُ اللّه ﷺ:

---

(١) صحيح البخاري برقم ٣١٩١.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح من حديث سفيان ج ٢٠٤٦/٤، والترمذي برقم ٢١٥٧.

«احْتَجَّ آدمُ مُوسى فَقالَ مُوسى: يا آدمُ أنتَ أبُونا خَيَّبْتَنا[1]، أَخْرَجْتَنا مِنَ الجَنَّةِ، فَقَال له آدَمُ: يا مُوسَى! اصْطَفَاكَ اللَّه بكلامِهِ وخطَّ لكَ التّوراة أتلومُنِي على أمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ تعالىٰ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي، قالَ: فَحَجَّ آدمُ موسى فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى».

أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح من حديث سفيان بن عُيينة[2].

وفي هذا دليل على تقدم علمِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ بما يكون من أفعال العباد وصدورها عن تقدير منه، وأنه ليس لأحدٍ من الآدميين أنْ يلوم أحداً على القدر المقدّر الذي لا مدفع له إلاّ على جهة التحذير للوقوع في المعصية، ولم يكن قول موسى بعد خروج آدم من دار الدنيا في وقت يكون للتحذير فيه معنى. فصار بما عارضه به آدم محجوجاً بقضيّة المصطفى ﷺ، واللَّه أعلم.

أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ، ثنا أبو بكر بن إسحاق، أنا الحسن بن محمّد بن زياد، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا أبو الأحوص، عن منصور، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمٰن السلمي، عن عليّ رضي اللَّه عنه قال:

«كُنَّا في جَنازَةٍ فلمّا انتهينا إلى بقيع الغرْقَدِ، قَعَدَ رسولُ اللَّه ﷺ، وقعَدْنا حوْلَه، فَأَخذَ عُوداً فنكَتَ بهِ في الأَرْضَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فقال: مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسةٍ إلاَّ وَقَد عُلِمَ مَكانُهَا مِنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، وشَقيَّةٌ أَمْ سَعِيدَةٌ، قالَ: فَقالَ رَجُلٌ مِنَ القومِ: يا رَسُولَ اللَّهِ! أَلاَ نَدَعُ العَمَلَ وَنَتَّكِلُ عَلى كِتَابِنَا، فَمَن كانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعادَةِ صَارَ إلى السَّعادَةِ ومَنْ كانَ مِنْ

(١) أي أوقعتنا في الخيبة، وهي الحرمان.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ١١/٤٤١ في القدر: باب تحاجّ آدم وموسى عند اللَّه، ومسلم في صحيحه رقم ٢٦٥٢ في القدر: باب حجاج آدم وموسى عليهما السّلام.

أَهْلِ الشَّقْوَةِ صَارَ إلى الشَّقَاءِ؟ قالَ: فقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ٱعْمَلُوا: فكلٌّ مُيسَّر، فَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقْوَةِ يُيَسَّرُ لعملها، وَمَنْ كانَ مِنْ أَهلِ السَّعادَةِ يُيَسَّرُ لعَمَلِهَا، ثُمَّ قالَ رسولُ اللَّه ﷺ:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل].

رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأخرجه من حديث جرير بن عبد الحميد، عن منصور، ومن حديث الأعمش عن سعد[(١)].

أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو طاهر محمّد بن الحسن المحمد آباذي، ثنا أبو قلابة، ثنا عثمان بن عمر، أنا عزرة بن ثابت، عن يحيى بن عُقيل، عن يحيى بن يعمر، عن أبي الأسود الدئلي قال: قال لي عمران بن حصين:

«أرأيتَ ما يَعْمَلُ النّاسُ ويَكدحُونَ فيهِ، أشيءٌ قُضِيَ عليهم مِنْ قَدَرٍ قَد سَبَقَ؟ أو فيما يَسْتَقْبِلُونَ بهِ مِمَّا آتاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَثَبَتَتْ بِهِ الحُجَّةُ؟ قال: لا بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عليهِمْ، قالَ: فَهَلْ يكونُ ذلكَ ظُلماً؟ قال: فَفَزِعْتُ مِن ذلك فَزَعاً شَدِيداً، وقلت: ليسَ شَيْئاً إلاّ وهُو خَلْقَ اللَّهِ ومِلْكه، لا يُسْأَلَ عَمَّا يَفْعلُ وهُمْ يسألونَ، قال: فقالَ لي: يَرْحَمُكَ اللَّهُ! إنّي واللَّه ما سألْتُكَ إلاّ لأحْزَرَ عقلك. إنَّ رجُلَيْنِ - أو قالَ رَجُلٌ - مِنْ مُزَيْنَةَ أَتى النَّبيَّ ﷺ فقال: أرأيتَ ما يعملُونَ ويكدَحُ النّاسُ فيه اليومَ ويعملون فيهِ أَقُضِيَ شيءٌ عليهِمْ ومضَى عليهم مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ أو فيما يستقبلونَ به ممّا أتاهُمْ بِهِ نَبيُّهُمْ واتخذتْ عليهم بِهِ الحجّةُ؟ قال: لا بَلْ شيءٌ قُضي عليهم ومَضَى عليهم. قال: وفيما نعملُ إذاً؟ قال: مَنْ كانَ خَلَقَهُ اللَّهُ لواحدةٍ مِنَ المنزلتين فييسِّره لَهَا، وتَصديقُ ذلك في كتابِ اللَّهِ عزّ وجلّ:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾ [الشمس].

---

(١) شعب الإيمان ج ٢٠٥/١، وصحيح مسلم ج ٢٠٣٩/٤.

رواه مسلم في «الصحيح» عن إسحاق بن إبراهيم عن عثمان بن عمر[(١)].

وفي هذا والذي قبله دلالة على أنّ العبد إنما يُيسّر لما خُلِقَ له، وأنّ التيسيرَ إنّما هو بحق الملك و «لا يُسألُ عمّا يفعلُ وهُم يُسألون»، ويشبه أن يكونوا إنّما تُعُبِّدُوا بهذا النّوع من التّعبُّدِ ليتعلّق خوفهم بالباطن المغيَّب عنهم، فلا يتّكلوا على ما يظهر من أعمالهم، ورجاءهم بالظاهر البادي لهم فيرجوا به حسن أحوالهم، والخوفُ والرّجاء مَدرَجَا العُبوديّة، فيستكملوا بذلك صفة الإيمان وفي مثل هذا المعنى حديثُ عبد اللّه بن مسعود عن النّبيّ ﷺ.

أخبرناه علي بن محمّد بن عبد اللّه بن بشران ببغداد، أنا إسماعيل بن محمد الصفّار، ثنا سعدان بن منصور، أنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد اللّه قال: حدّثنا رسول اللّه ﷺ وهو الصّادق المصدوق:

«إنّ أحَدكُم يُجمعُ خَلْقُه في بَطْنِ أمّه أربعينَ يوماً ثمَّ يكُونُ علقَةً مثلَ ذلكَ، ثم يكونُ مُضْغَةً مثلَ ذلكَ، ثم يُبْعَثُ إليه المَلَكُ فَيَنْفُخُ فيه الرّوح، ثُمّ يُؤْمَرُ بأربع: بكتبِ رزقهِ وعملِهِ وأجلِهِ، وشقيٌّ هو أمْ سعيدٌ، فوالذي لا إله غيرُهُ إنَّ أحدَكم ليعملُ بعملِ أهلِ النّار حتى ما يكون بينَهُ وبينَهَا إلاّ ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ، فيختُم له بعملِ أهلِ الجنّةِ فيدخلها، وإنَّ أحدَكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنّة حتّى ما يكونُ بينَهُ وبينَها إلاّ ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيُختَمُ له بعملِ أهلِ النّارِ فيدخلُهَا».

رواه مسلم في «الصحيح» عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن أبي معاوية، وأخرجه البخاري من وجه آخر عن الأعمش[(٢)].

---

(١) شعب الإيمان ج ٢٠٦/١، وصحيح مسلم ج ٢٠٤١/٤.

(٢) شعب الإيمان ج ٢٠٧/١، وصحيح مسلم ج ٢٠٣٦/٤.

حدّثنا الشيخ أبو بكر بن فورك، ثناعبد اللّه بن جعفر بن أحمد الأصبهاني، قال حدّثني أبي، ثنا عمرو بن عليّ أبو حفص، ثنا أبو عبد اللّه الأسفاطي، قال:

«رأيتُ النّبيَّ ﷺ في المَنام فقلتُ: يا رسُولَ اللّه! بَلَغنا عَنكَ حديثُ الأعمشِ عن زيد بن وَهْبٍ عن عبد اللّه بن مسعودٍ في القَدَر؟ فقال: نعم أنا قلتُهُ، رحم اللّه الأعمش! رحم اللّه زيد بن وَهْبٍ! ورحم اللّه عبد اللّه بن مسْعُودٍ! ورحم اللّه مَنْ حَدَّثَ بهذا الحديث».

والإيمانُ بالقدر يزيد في اليَقِين.

إنَّ مِنْ ضعفِ اليقين أنْ تُرْضِيَ النّاسَ بسُخْطِ اللّه، وأن تَحْمَدَهُمْ على رزقِ اللّه، وأنْ تَذُمَّهُمْ على ما لَمْ يُؤْتِكَ اللّهُ، إنّ رزقَ اللّه لا يجرُّهُ حِرْصُ حريصٍ ولا يَرُدُّهُ كرهُ كارهٍ، إنَّ اللّهَ بحُكْمِهِ وجَلاَلِهِ جَعَلَ الرَّوْحَ والفَرَحَ في الرِّضَا واليَقِينِ، وجَعَلَ الغَمَّ والحُزْنَ في الشَّكِّ والسُّخْطِ.

وروي ذلك عن ابن مسعود من قوله مرّةً ومرفوعاً أخرى، أمّا المرفوع فما[1] أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، ثنا محمد بن صالح بن هانىء، ثنا جعفر بن شعيب الشاشي، ثنا أبو حُمَة، ثنا أبو قرّة، عن سفيان بن سعيد، عن منصور بن المعتمر، عن خيثمة، عن ابن مسعود عن النّبيّ ﷺ أنه قال:

«لاَ تُرْضيَنَّ أحداً بسُخْطِ اللّهِ ولا تحمُدَنَّ أحداً على فَضْلِ اللّهِ، ولا تَذُمَّنَّ أحداً على مَا لَمْ يُرِدِ اللّهُ، فإنّ رِزْقَ اللّهِ لا يسوقُهُ إليكَ حرصُ حريصٍ ولا يَرُدُّهُ عَنكَ كُرْهُ كَارِهٍ، وإنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ بقسطِهِ وعدلِهِ جعلَ الرَّوْحَ والرَّاحَةَ والفَرَحَ في الرِّضَا واليَقِينِ، وجعلَ الهمَّ والحُزْنَ في السُّخطِ والشَّكِّ».

---

(١) شعب الإيمان ج ١/٢٢١ ـ ٢٢٢، والمرفوع إسناده حسن، كما في الأربعين للبيهقي، بتحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري.

وأمّا الموقوف:

فأخبرنا أبو الحسين بن بشران، ثنا الحسين بن صفوان، ثنا عبد اللّه بن محمد بن أبي الدنيا، ثنا الحسنُ بن الصّباح، ثنا سفيان، عن أبي هارون المدني قال: قال ابن مسعودٍ:

«الرِّضَا أنْ لاَ تُرْضِيَ النَّاسَ بسُخْطِ اللّهِ، ولا تحمُدْ أحداً على رزقِ اللّهِ، ولا تلُمْ أحداً على ما لم يُؤْتِكَ اللّهُ، فإنّ الرّزقَ لا يسوقُهُ حرصُ حريصٍ، ولا يردُّهُ كراهيةُ كارهٍ، واللّه بقسطِهِ وعلمِهِ جعلَ الرَّوْحَ والفَرَحَ في اليَقينِ والرِّضَا، وجعلَ الهمَّ والحُزْنَ في الشُّكِّ والسُّخْطِ».

أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمٰن بن محمّد بن شبانة الهمداني بها، ثنا أبو القاسم عبد الرحمٰن بن الحسن القاضي، أنا محمّد بن الحسن بن سَماعة، ثنا أبو نعيم، ثنا الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد اللّه قال:

«إذا طَلَبَ أحدَكُمْ الحاجَةَ فَلْيَطْلُبْهَا طَلَباً يسيراً، فإنّما لَهُ ما قُدّرَ لَهُ ولا يأتي أحَدُكُم صاحِبَهُ فيقطعُ ظهرَهُ».

أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، ثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب، ثنا الحسن بن علي بن عفان، ثنا ابن نمير، عن الأعمش، عن المعرور بن سويد، قال: قال عبد اللّه هو ابن مسعود:

«إنَّ في طَلَبِ الرَّجُلِ إلى أخيهِ الحَاجةَ فِتْنَةً إنْ هُوَ أعطاهُ حَمِدَ غيرَ الذي أعطاهُ وإنْ مَنَعَهُ ذَمَّ غيرَ الذي مَنَعَهُ».

قال عبد اللّه بن مسعود أيضاً(١):

«لا يُؤْمِنُ العَبْدُ حتّى يُؤْمِنَ بالقدرِ يَعْلَمُ أنَّ ما أَصابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخطئه، وما أخطأه لم يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، ولأنْ أعضَّ على جمرةٍ حتى تطفىء أحبُّ إليّ

---

(١) شعب الإيمان ج ١/ ٢٢٣.

مِنْ أنْ أقُولَ لأمرٍ قدَّرَهُ اللَّهُ ليتَهُ لَمْ يَكُنْ».

أنشدنا أبو عبد اللَّه الحافظ، أنشدني أبو محمد الحسين بن علي العلوي الشهيد، أنشدني المثنى لنفسه:

وبعينِ مفتقرٍ إليكَ رأيتني فهجرتني ونزلت بي من حالق
لستَ الملومَ، أنَا الملومُ لأنّني أنزلتُ حَاجَاتي بغيرِ الخالق

أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ قالَ: سمعتُ أبا محمّد الحسن بن أحمد بن يعقوب الماموني يقول: سمعتُ أبا عمر الزاهد ينشد للشّافعي رحمه اللَّه:

وإذَا سمعتَ بأنّ مجدوداً حَوَى عوداً فأثمر في يديه فصدِّق
وإذا سمعتَ بأنّ محروماً أتىٰ ماءٍ ليشربه فغاض فحقّق
ومِنَ الدَّليلِ على القَضاءِ وكونهِ بؤسُ اللبيبِ وطيبُ عيشِ الأحمق

أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ، حدّثنا أبو الصقر أحمد بن الفضل الكاتب بهمدان، أنشدنا أحمد بن يحيىٰ ثعلب، أنشدنا عبد اللَّه بن شبيب:

ليسَ اختيارٌ ولا عقلٌ ولا أدبٌ يجدي عليك إذا لم يُسْعِدِ القَدَرُ
ما يقضِهِ اللَّه لا يُعييك مطلبه والسعي في نيل ما لم يقضِهِ عُسْرُ
كم مانع نفسَهُ آرابها حَذَراً للفقر ليسَ له مِنْ مالِهِ ذُخْرُ
إنْ كانَ إمساكُهُ للفقر يحذَرُهُ فقد يُعَجِّلُ فقراً قبلَ يفتقِرُ؟

أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ، أنشدنا أبو عمرو محمّد بن أحمد بن إسحاق النحوي، أنشدنا أحمد بن عبيد اللَّه الدّارمي بأنطاكية لنفسه:

يا لائمَ الدَّهرِ على ما بنا لا تَلُمِ الدَّهْرَ على غَدْرِهِ
فالدَّهْرُ مأمورٌ له آمرٌ ينصرفُ الدَّهْرُ إلىٰ أمرِهِ
كم كافرٌ باللَّهِ أموالُهُ تَزْدَادُ أضعافاً على كفرِهِ
ومؤمنٌ ليسَ له دَانِقٌ يزدَادُ إيماناً على فقرِهِ

لا خيرَ فيمَنْ لم يكنْ عَاقِلاً   يَبْسُطُ رِجْلَيْهِ على قَدْرِهِ

سمعتُ أبا عبد الرحمٰن السلمي يقول: سمعتُ الحسن بن أحمد بن موسىٰ القاضي يقول: سمعتُ التّرمذي يقول:

إذَا جاءَ القدَرُ عميَ البَصَرُ، وإذَا جاءَ الحَيْنُ، غَطّى العَيْنُ.

أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، أنشدنا أبو الحسين محمّد بن أحمد بن ثابت البغدادي قال: أنشدنا أبو عمرو الزاهد:

إذا أرَادَ اللّٰهُ أمراً بامْرِىءٍ   وكانَ ذَا رأيٍ وعقلٍ وبصرٍ
وحيلةٍ يعملُها في كلِّ ما   يأتي به محتومُ أسبابِ القدر
أغراه بالجهلِ وأعمَى عينَهُ   فسلّه عن عقلهِ سلَّ الشّعر
حتّى إذا أنفذَ فيهِ حكمَهُ   ردَّ عليه عقلَهُ ليعتبر

أنشدنا الأستاذ أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، أنشدني أبو جعفر محمّد بن صالح الأوبري، أنشدنا حماد بن علي البكراوي لمحمود بن الحسن الورّاق:

توكّلْ على الرحمٰن في كلِّ حاجةٍ   أردتَ فإنَّ اللّه يقضي ويُقَدِّرُ
متى ما يُرِدْ ذُو العرشِ أمراً بعبدهِ   يُصِبْهُ وَمَا للعبدِ ما يتخيّرُ
وقد يهلَكُ الإنسانُ من وَجْهِ أمْنِهِ   وينجُو بحمدِ اللّهِ من حيثُ يحذَرُ

قال: وأنشدني أبو الفوارس جنيد بن أحمد الطبري:

العبدُ ذُو ضَجَرٍ، والربُّ ذُو قَدَرٍ   والدّهْرُ ذُو دُوَلٍ، والرّزْقُ مَقْسُومُ
والخيرُ أجمعُ فيما اختارَ خالِقُنَا   وفي اختيارِ سِوَاهُ اللّومُ والشُّومُ[1]

---

(١) شعب الإيمان ج ١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

السَّادِسُ مِن شُعَبِ الإيمَان
الإيمان باليوم الآخر

قال الحليمي رحمه اللَّه[1]: ومعناه التّصديقُ بأن لأيام الدنيا آخراً؛ أي أنَّ هذه الدنيا منتقضةٌ، وهذا العالم منتقضٌ يوماً صُنْعُهُ، منحلٌّ وَقْتاً تَرْكِيبُهُ، وفي الاعتراف بانقضائه اعتراف بابتدائه؛ لأنّ القديمُ لا يفنَى ولا يتغيّرُ[2].

قال: وفي اعتقادِهِ وانشراحِ الصّدرِ بِهِ ما يبعثُ على فضل الرّهْبَةِ مِنَ اللَّهِ ـ تعالىٰ جدُّه ـ وقلّة الركون إلى الدنيا، والتّهاون بأحزانها ومصائبها، والصّبر عليها وعلى مَضَضِ الشهوات، واحتساباً وثقةً بما عند اللَّه ـ تعالىٰ جدُّه ـ عنها من حسن الجزاء والثواب وقد ذكره اللَّه عزّ وجلّ في كتابه، فقال:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة].

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد الحليمي البخاري الشافعي صاحب «منهاج السّنة» في «شعب الإيمان» الذي اقتدى به المؤلف رحمه الله في مألّفه هذا، رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر، حدَّث عنه الحاكم صاحب «المستدرك على الصحيحين» توفي رحمه الله سنة ٤٠٣ هـ، وقد طبع «منهاج السنّة» حديثاً.
[من تعليق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط على مختصر شعب الإيمان ص ٢٥].

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ج ١/٢٣٥ ـ ٢٣٧، وكأنّه يشير بالقديم إلى الخالق سبحانه، الذي هو وحده الذي لا يفنى ولا يتغيّر، وهذا حقٌّ لا ريبَ فيه، ولكن لا يُسمَّى اللَّه تعالىٰ بـ«القديم» حيث لم يرد في أسماء الله تعالىٰ الواردة في الكتاب والسّنّة الصحيحة.

وقال تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩].

إلى غير ذلك من الآيات سواها.

قال البيهقي رحمه اللَّه: وروينا في حديث ابن عمر عن عمر بن الخطّاب عن النبيّ ﷺ حين سئل عن الإيمان فقال:

«أَنْ تُؤْمِنُ باللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». [وهو من حديث صحيح تقدّم تخريجه].

قال الحليمي رحمه اللَّه: وقد أخبر اللَّه عزّ وجلّ على لسان نبيّه ﷺ:

«أنّه مُفْنِي ما على الأرضِ، ومُبدِّلُ الأرضَ غيرَ الأرضِ، وأنّ الشّمسَ تُكَوَّر، والبحارَ تُسَجَّرُ، والكواكبَ تنتثرُ، والسّماءِ تتفطر، وتصير كالمُهْل، فَتُطْوى كما يُطْوى الكتابُ، وأنّ الجبال تصيرُ كالعِهْنَ المنفوش، ويَنْسِفُها ربّي نَسْفاً، فَيَذَرُها قاعاً صَفْصَفاً، لا تَرى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً وكل ذلك كائن كما جاء فيه الخبر، ووعدُ اللَّه صدقٌ، وقوله حقٌّ».

قال: والسّاعة التي تكرّرَ ذكرُها في القرآن على وجهين:

أحدهما: السّاعة الآخرة من ساعات الدنيا، قال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ [النازعات].

فهذا على الساعة الآخرة؛ لقوله تعالىٰ:

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وكذلك قوله تعالىٰ:

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب].

والآخر: الساعة الأولىٰ من ساعات الآخرة، قال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الروم: ٥٥].

يعني حينَ يبعث مَنْ في القبور؛ لقوله تعالىٰ:

﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

وكذلك قوله تعالىٰ:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

قال البيهقي رحمه اللَّه: وقد نطق القرآن بأن النبيّ ﷺ كان لا يعلم متى تقوم السّاعة، ولا يعلمه أحد من خلق اللَّه.

وقول النبيّ ﷺ:

«بُعِثْتُ أَنَا وَٱلسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»(١).

معناه ـ واللَّه تعالىٰ أعلم ـ أنى أنا النبيُّ الآخر ولا يليني نبيٌّ آخَرُ، وإنّما يلني القيامةُ، وهي مع ذلك دانية لأنّ أشراطها متتابعة بيني وبينها غير أن ما بين أوّل أشراطِها إلى آخرها غير معلوم، وقد ذكرنا في كتاب «البعث والنّشور» ما وردَ من الأخبار في أشراطها، فأغنى ذلك عن إعادتها هَا هُنا.

ورويْنا عن شعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«وَٱلَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وقد نَشَرَ الرجلان ثوباً بينهما لا يتبايعانه، ولا يطويانهِ، ولتقومَنَّ السَّاعَةُ وهو يَليطُ حَوْضَهُ لا يسقيهِ، ولتقومنَّ السّاعة وقد انصرف الرّجل بلبن لِقْحَتِهِ مِنْ تحتها، لا يعطمُها،

---

(١) صحيح الجامع برقم ٢٨٢٩، وهو في مسند أحمد، والصحيحين، وسنن الترمذي.

وقد رَفَعَ أكلتَهُ إلىٰ فيهِ فلا يَطْعَمُهَا»[1].

(1) شعب الإيمان للبيهقي ج ١/٢٣٧، وفي صحيح البخاري ج ١٣/٨٣ من حديث طويل رقم ٧١٢٠٥ الفتح، وصحيح مسلم مختصراً رقم ٢٩٥٤.

السّابع من شُعَبِ الإيمَان
الإيمان بالبعث بعد الموت

وهو باب في الإيمان بالبعث والنّشور بعد الموت(١).

وآيات القرآن في البعث كثير؛ فمنها قول اللّه عزّ وجلّ:

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾ [التغابن: ٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ [الجاثية: ٢٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون].

وروينا عن مطر الورّاق، عن عبد اللّه بن بُريدة، عن يحيى بن يعمر، عن ابن عمر عن عمر بن الخطّاب، عن النّبيّ ﷺ في حديث الإيمان قال: فقال: يا رسول اللّهَ! ما الإيمانِ؟ قال: الإيمان:

«أنْ تُؤمِنَ باللّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وبالبعثِ من بعدِ الموتِ وبالقَدَرِ كلِّهِ»، وهو مخرّجٌ في كتاب مسلم(٢).

والإيمان بالبعث هو أن يُؤمن بأنّ اللّه تعالىٰ يُعيد الرُّفاتَ من أبدان الأموات، ويجمع ما تفرّقَ منها في البحار وبطون السّباع وغيرها حتى تصير بهيئتها الأولى، ثم يجمعها حيّةً، فيقوم النّاس كلّهم بأمر اللّه تعالىٰ أحياءً، صغيرُهم وكبيرهُم حتى السّقط الذي قد تمّ خلقُهُ، ونُفخ فيه الرُّوحُ، فأمّا

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٢.

(٢) صحيح مسلم ج ١/ ٣٦.

الذي لم يتمَّ خلقُهُ، أو لم يُنفخ فيه الرّوحُ أصلاً، فهو وسائر الأموات بمنزلةٍ واحدةٍ، واللّه تعالىٰ أعلم.

وأمّا قول اللّه عزّ وجلّ في صفة القيامة:

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج: ١ - ٢].

فإنّما أراد الحوامل اللاّتي لم يضعن أحمالهنّ فإذا بُعِثْنَ أسقطن تلك الأحمال من فزع يوم القيامة، ثم إنْ كانت الأحمالُ أحياءً في الدنيا أسقطنها يوم القيامة أحياءً، ولا يتكرّر عليها الموت، وإن كانت الأحمال لم يُنفَخ فيها الرُّوحُ في الدنيا، أسقطنها أمواتاً، كما كانت، لأنّ الإحياء إنّما هو إعادة الحياة إلى من كان حيّاً فأميت، ومن لم يكن له في الحياة الدنيا نصيب، فلا نصيب له في الحياة الآخرة.

وقد ذكر اللّه عزّ وجلّ في غير آية من كتابه إثبات البعث، منها قول اللّه عزّ وجلّ:

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ﴾ [يس: ٨١].

وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٣﴾ [الأحقاف].

فأحال بقدرته على إحياء الموتى على قدرته خَلْقَ السّماواتِ والأرض التي هي أعظم جسماً من النّاس.

ومنها قوله عزّ وجلّ:

﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس].

فجعل النّشأة الأولى دليلاً على جواز النّشأة الآخرة؛ لأنّها في معناها. ثم قال تعالىٰ:

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [يس].

فجعل ظهور النّار على حرّها ويبسها من الشجر الأخضر على نداوته ورطوبته دليلاً على جواز خلقه الحياة من الرّمّة البالية والعظام النّخرة. وقد نبّهنا اللّه عزّ وجلّ في غير آية من كتابه على إحياء الموتى بالأرض، تكون حيّة تُنبت وتُنْمَى وتُثْمر ثم تموتُ فتصير إلى أنْ لا تنبت، وتبقى خاشعة هامدة، ثم تحيى فتصير إلى أن تُنبت وتَنْمَى، وهو الفاعلُ لحياتها وموتها، ثم حياتها، فإذا قدر على ذلك لم يعجزه أن يُميتَ الإنسان، ويسلبه معاني الحياة، ثم يُعيدها إليه ويجعله كما كان ونبّهنا على إحياء النُّطفة التي هي ميتة، وخلق الحيوان منها على قدرته على إحياء الموتى، فقال عزّ وجلّ:

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨].

يعني نطفاً في الأصلاب والأرحام، فخلقكم منها بشراً تنتشرون، وقال تعالىٰ:

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المرسلات].

فأعلمهم أنّه إذا أخرج النّطفة من صُلْب الأب فهي ميتة، ثم أنّه جلّ ثناؤُهُ جعلها حيّةً في رحم الأمّ، يخلقُ مَنْ يخلقُ منها، ويُركّب الحياةَ فيه فهذه إحياء ميتة في المشاهدة، فمَنْ يقدرُ على هذا لا يعجز عن أن يُميت هذا الخَلْقَ، ثم يُعيدُهُ حيّاً. ثم بسط هذا المعنى في آية أخرى، فقال تعالىٰ:

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القيامة].

ونبّهَنا على ذلك بخلق الحَبّ والنّوى، فقال عزّ من قائل:

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ [الأنعام: ٩٥].

وذلك أن الحب إذا جَفّ ويَبس بعد انتهاء تمامه، وقع اليأسُ من ازدياده، فكذلك النّوى إذا تناهى عظمُه وجفّ ويبسَ كانا ميّتين، ثم إنّها إذا أُودِعَا الأرضَ الحيّةَ فَلَقَهُمَا اللّه تعالىٰ، وأخرج منهما ما يشاهد من النّخل والزرع حيّاً ينشأ وينمُو إلى أنْ يبلغ غايتَهُ، ويدخل في هذا المعنى البيضة تُفارق البائض ويجري عليها حكم الموت، ثم يخلق اللّه منها حيّاً، فهل هذا إلاّ إحياء الميتة، وهو أمرٌ مشاهدٌ، والعلم به ضرورة.

وقد نبّهَنا اللّهُ عَزّ وجلّ على إحياء الموتى بما أخبر من إراءة إبراهيم عليه السّلام إحياءَ الأموات، وقد نقلته عامةُ أهل الملل.

وبما أخبر به عن الذين أخرجوا من ديارهم، وهم ألوفٌ حَذَرَ الموت، فقال لهم اللّه: مُوتُوا ثم أحياهم.

وبما أخبر به عن الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها، قال: أنّى يُحيـي هذه اللّهُ بعدَ موتِها؟ فأَمَاتَهُ اللّهُ مائةَ عامٍ، ثمَّ بعثه.

وبما أخبر به عن عصا موسى عليه السّلام وقَلبه إيّاه حيّةً ثم إعادتها خشبةً، ثم جعلها عند محاجّة السّحرة حيّةً، ثم إعادتها خشبةً وقد أُشركتْ عامّةُ أهل الملل في نقله.

وبما أخبر به من شأن أصحاب الكهف الذين ضرب على آذانِهم زيادةً على ثلاثمائة سنة، ثم أحياهم ليدلّ قومَهم عندما أعثر عليهم على أن ما

أُنْذِرُوا به من البعث بعد الموت حقٌّ لا ريبَ فيه، وقد نقلنا الآثار في شرح ذلك في الأوّل من كتاب «البعث والنّشُور»[١].

(١) هذا الكتاب من مؤلفات الإمام البيهقي.

الثَّامِنُ من شُعَبِ الإيمان

الإيمان بحشر الناس بعدما يبعَثون من قبورهم إلى الموقف

فيقُومون ما شاء اللَّه تعالىٰ فإذا جاء الوقت الذي يريد اللَّه محاسبتهم فيه أمر بالكتب التي كَتَبَها الكرامُ الكاتبون بذكر أعمال النّاس فأوتُوها فمنهم مَنْ يُؤتَى كتابه بيمينه، فأولئك هم السعداء، ومنهم من يُؤتَى كتابه بشماله، أو وراء ظهره، وهؤلاء الأشقياء، قال اللَّه تعالىٰ في المطففين[1]:

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين].

وأخبر أنّ النّاس يكونون يوم القيامة واقفين على أقدامهم، وأبان أنه لا حال لهم يومئذٍ سوى القيام.

حدّثنا أبو الحسن العلوي، أخبرنا أبو حامد هو ابن الشرقي، ثنا محمد بن يحيى الذهلي، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، ثنا أبي، عن صالح بن كيسان، ثنا نافع أن عبد اللَّه بن عمر قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم:

«يَقُومُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِرَبِّ العَالَمِينَ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ في رَشَحِهِ إلى أنصافِ أُذُنَيْهِ».

أخرجه مسلم في الصّحيح من حديث يعقوب[2].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ١/٢٤٣ ـ ٢٤٩.

(٢) صحيح مسلم ج ٤/٢١٩٦.

أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ، أخبرني أبو بكر بن عبد اللَّه، أخبرنا الحسنُ بنُ سفيان، ثنا الحكم بن موسى، ثنا يحيىٰ بن حمزة، عن عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر، قال: حدثني سليم بن عامر، حدثني المقداد بن الأسود قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ:

«تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ ميلٍ».

قال سليم بن عامر: فواللَّه ما أدري ما عَنَى بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي يكحل به العين؟ قال:

«فيكون النّاس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم مَنْ يكونُ إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلْجَاماً».

قال: وأومأ رسول اللَّه ﷺ إلى فيه.

رواه مسلم في الصحيح عن الحكم بن موسى(1).

وقد ذكرنا سائر الأحاديث فيه في «كتاب البعث».

قال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].

وقال عزّ وجلّ:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار].

وقال تعالىٰ:

---

(1) صحيح مسلم برقم/ ٢٨٦٤.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية].

وأخبر أن الذين يقرأون كتبهم يقولون:

﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ﴾ [الكهف: ٤٩].

وأنّ مَنْ أوتي كتابه بيمينه، فيقول تعالىٰ:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الحاقة].

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة].

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق].

وإذا وقف النّاس على أعمالهم من الصحف التي يؤتونها حُوسبوا بها، ولعل ذلك ـ واللّه أعلم ـ لأنّ النّاس إذا بعثوا لا يكونون ذاكرين لأعمالهم؛ فإنّ اللّه عزّ وجلّ قال:

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ﴾ [المجادلة: ٦].

فإذا ذكروها ووقفوا عليها حُوسِبُوا عليها.

وقد جاء في كيفيّة المحاسبة أخبارٌ ذكرناها في كتاب «البعث

والنّشُور» منها ما:

أخبرنا أبو الحسين بن بشران، ثنا أبو جعفر محمّد بن عمرو الرزاز، ثنا عبد اللَّه بن محمد بن شاكر، ثنا أبو أسامة، ثنا الأعمش، عن خيثمة بن عبد الرحمٰن، عن عدي بن حاتم قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم:

«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاّ سَيُكَلِّمَهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وبينه حجاب وَلاَ تَرْجُمانٌ، فينظرُ أيمنَ منه فلا يرى شَيْئاً إلا شيئاً قدّمه، وينظُر أشأمَ منه فَلا يرى إلاّ شيئاً قدَّمَهُ، وينظُر أمامَهُ فلا يرى إلاّ النّارَ، فاتَّقُوا النَّارَ ولَوْ بشِقّ تَمْرة».

رواه البخاري في الصحيح عن يوسف بن موسى عن أبي أسامة[1].

وفي هذا دليل على أنه يحاسب المكلفين بنفسه، وأنّه يخاطبهم معاً، ولا يخاطبهم واحداً بعد واحد، وعلى هذا تدلّ سائر الأحاديث عن النّبيّ ﷺ غير أنّ تكليمه أهل رحمته مما يزيدهم بشارة وكرامة، وتكليمه أهل عقوبته ممّا يزيدهم خسارة وحسرة، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يٓس].

مع سائر ما ورد فيه من الكتاب والسّنّة.

وقد قيل إنّه يأمر ملائكته بمحاسبة الخلق بأمره، وقد قيل إنّه يتولى حساب المؤمنين بنفسهِ ويأمر الملائكة بمحاسبة الكفّار. وما دلّ عليه ظاهر ما ذكرناه من السّنّة الصّحيحة، وما أشرنا إليه أصحُ الأقاويل في ذلك، واللَّه أعلم.

وإذا انتهى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء.

---

(١) صحيح البخاري ج ٩/ ١٦٢.

أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ قال: سمعتُ أبا إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى يقول: سمعت أبا عبد اللَّه محمد بن إبراهيم العبدوي يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول: سمعت إسحاق بن إبراهيم بن مخلّد الحنظلي يقول: سمعت أبي يقول سمعت أبا سيف الزاهد يقول:

ما أحبُّ أن يلي حسابنا غير اللَّهِ عزّ وجلّ لأنّ الكريم يتجاوزُ.

وأخبرنا أبو الحسين بن بشران أنا الحسين بن صفوان، ثنا ابن أبي الدنيا، حدثني الحسين بن عمرو، عن يحيى بن يمان، قال: قال سفيان الثوري:

ما أحبُّ أنّ حسابي جُعِلَ إلى والدي ربّي خيرٌ لي من والدي.

وقد أخبر اللَّه عزّ وجلّ ثناؤه أنّ المحاسبة تكون بشهادة النبيّين والشهداء، وقال تعالىٰ:

﴿ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الزمر].

فالشهيد في هذه الآية النّبيّ ﷺ، وشهيد كلِّ أمّة نَبيُّها وأمّا الشهداء في الآية قبلها، فالأظهر أنّهم كَتَبَةُ الأعمال: تُحضَر الأُمّةُ ورسولُها فيُقالُ للقوم «ماذَا أَجَبْتُمُ المُرْسَلِينَ؟ ويُقالُ للرسل ماذا أجبتُم؟ فيقول الرسل لله»:

﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المائدة].

وكأنّهم نسوا ما أجيبوا به، وتأخذ الهيبةُ بمجامع قلوبهم فيذهلون في تلك الساعة عن الجواب ثم يُثبتهُم اللَّه ويُحدث لهم ذكرى فيشهدون بما أجابهم به أممهم.

قال البيهقي رحمه اللَّه فإن كَذّبت أمّةٌ رسولَها وقالتْ: ما أتانا من نذيرٍ،

فقد أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ، ثنا أبو عبد اللَّه محمّد بن يعقوب،

ثنا محمّد بن عبد الوهاب الفراء، أنا جعفر بن عون، ثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم:

«يُدْعَى نُوحٌ عليه السلام يوم القيامة، فيقال: هَلْ بلَّغتَ فيقولُ نَعَمْ! فَتُدْعَى أمّتُهُ فيقال: هَلْ بَلّغكم؟ فيقولون: ما أتَانا مِنْ نذيرَ ومَا أَتَانا مِنْ أحدٍ، قال: فيُقال: مَنْ شهودُكَ؟ قالَ: فيقولُ: محمدٌ وأمّتُهُ. قال: فيُؤتى بكُمْ، فتَشْهدُون أنه قد بلّغَ. وذلكُم قولُ اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾» [البقرة: ١٤٣](١).

أخبرناه محمد بن عبد اللَّه الحافظ، ثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا أبو معاوية فذكره.

فهذا فيما بينَ كلّ نبيّ وقومه، فأمّا كلّ واحد من القوم على الانفراد فالشاهد عليه صحيفةُ عمله وكاتباها، فإنّه قد أُخْبِر في الدنيا بأنّ عليه مَلَكَين موكلين يحفظان أعماله وينسخانها، فأمّا إخبار اللَّه عزّ وجلّ عن شهادة الجوارح على أهلها بقوله تعالىٰ:

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت].

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصّلت: ٢١].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس].

---

(١) صحيح البخاري ج ١٣/٣١٦ الفتح.

وروينا في الحديث الثابت عن أنس بن مالك قال[1]:

كنّا مع رسولِ اللّه ﷺ فضَحِكَ فقال: «أَتَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قَالَ: قُلْنَا اللّهُ ورسولهُ أعلمُ، قال: مِنْ مُخَاطَبَةِ العبدِ رَبَّهُ، يقولُ: يا ربِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلمِ؟ قال: فيقول بلى، قال: فَيَقُولُ فإنّي لاأجيز على نفسي إلاّ شاهداً منّي، قال: فيقولُ: «كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختمُ على فيه ويُقالُ لأركانِهِ: انْطِقِي، قال: فتنطقُ بأعمالِهِ، قال: ثم يُخلّى بينه وبين الكلام، فيقولُ بُعْداً لكنَّ وسُحْقاً! فعنكُنَّ كنتُ أُناضِلُ».

(١) شعب الإيمان ج ١/٢٤٨، وصحيح مسلم ج ٤/ ٢٢٨٠.

التَّاسِعُ مِنْ شُعَبِ الإيمانِ

الإيمان بأن دار المؤمنين ومأواهم الجنّة ودار الكافرين ومأواهم النّار

قال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ في وصفه يوم القيامة:

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود].

وقوله تعالىٰ: ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ [هود: ١٠٧].

يُريد به التأييد على ما كانت العرب تعرف من طول مقامها فكأن يعبر عن التأبيد بدوامها، وقيل معناه ما دامتِ السماواتُ والأرضُ إلاّ ما شاء ربّك من الزيادة عليها. و «إلاّ» بمعنى سوى، وذلك يحسنُ إذا كان المستثنَى أكثر من المستثنَى منه؛ كرجل يقول: «لِفُلانٍ عليّ ألف درهم إلاّ ألفين التي هي إلى سنةٍ»، يريد سوى الألفين وقد بسطنا الكلام في ذلك في كتاب «البعث» عن الفراء وعن الحليمي رحمهما الله تعالىٰ[1].

وعن أبي الزبير، عن جابر بن عبد اللَّه، عن رسول اللَّه ﷺ، قال:

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ١/٣٢٩ ـ ٣٣١.

«مَنْ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّار».

وذكر الحديث في رواية أبي طاهر وذكر النبيّ ﷺ قال: «مَنْ لَقِيَ اللَّه لا يُشْرِكُ به شيئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكَ بِهِ دَخَلَ النَّارَ». ورواه مسلم في الصحيح عن حجاج بن الشّاعر وأبي أيوب سليمان بن عبد اللَّه الغَيْلاني عن أبي عامر[1].

قال الحليمي رحمه اللَّه: وإذا ظهر أنّ مآب المسلمين الجنّة، ومآب الكافرين النار؛ فقد قال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ [المطففين].

و ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨﴾ [المطففين].

وكان المعنى ما كُتِب لِهؤلاء ولهؤلاء، عَلمنا إنّ السّجِّين خلافُ العلِّيِّين، كما أن الفجّار خلاف الأبرار؛ وسمَّى اللَّه جلّ ثناؤُهُ النّار الهاوية، ووصف الجنّة أنها عاليةٌ، وجاء في الحديث «أنّ روح المؤمنِ تعلَى به، ورُوحَ الكافر تهوى به»، ولم نعلم أحداً قال: إنّ الجنّة في الأرض، وثبتَ أنّ الجنّة فوق السّموات ودون العرش ويحتمل قول اللَّه عزّ وجلّ:

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١﴾ [التكوير].

أنها تُكشطُ عمّا وراءها من الجنان ننظر آثارها، وأن يكون ذلك إزْلاَفها في قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠﴾ [الشعراء].

قال البيهقي رحمه اللَّه: قال عبد اللَّه بن سلام:

(وَإنّ أكرم الخلائق على اللَّه تعالىٰ أبو القاسم ﷺ وإنّ الجنّة في السّماء، وإنّ النّار في الأرض. فإذا كان يومُ القيامة بعث اللَّه الخلائق أُمّةً

---

(١) صحيح مسلم ج ١/ ٩٤.

أُمّةً ونبيّاً نبيّاً، ثم يُوضَعُ الجسْرُ على جهنّم، ثم يُنَادي مُنادٍ أين أحمد وأمّته؟ فيقوم وتَتْبعُه أمّتُه: بَرُّهَا وفاجرها، فيأخذون الجسر، فيَطْمِسُ اللّه أبصار أعدائه، فيتهافتُون فيها من يمينٍ وشمالٍ، وينجو النّبيّ ﷺ والصّالحون معه وتتلقّاهم الملائكة وثباً، يُرونهم منازلهم من الجنّة: على يمينك، على يسارك، ثم ذكر مرور كلّ نبيٍ وأمّته»[1].

قال الحليمي رحمه اللّه: وفي ورود الأخبار بذكر الصّراط وهو جسر جهنّم بيانُ أنّ الجنّة في العلوّ، كما أنّ جهنّم في السفل إذ لو لم يكن كذلك لم يحتج الصائر إليها إلى جسر.

ثم قال بعض العلماء: إنّ الكفار لا يُجاوزون على الصّراط لأنّهم في معدن النّار فإذا خلص المؤمنون وخلصُوا على الصّراط انفرد الكفار بمواقفهم وصار مواقفهم من النّار.

قال غيرهم: إنّهم يركبون الصّراط ثم قد تكون أبواب جهنّم فروجاً في الحشر كأبواب السطوح فهم يقذفُون منها في جهنّم، ليكون غمُّهم أشدّ وأفظع، وإلقاؤهم من الجسر أخوف وأهول، وفرحُ المؤمنين بالخلاص أكثر وأعظم، ولعل قول اللّه عزّ وجلّ:

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ [يس].

يكون في هذا الوقت. وما في القرآن من قول اللّه عزّ وجلّ:

﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾ [الملك].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤﴾ [قٓ].

كالدليل على هذا، لأنّ الإلقاء في الشيء أكثر ما يُستعمل في الطّرح من علوّ إلى سفلٍ، واللّه أعلم بكيفيّة ذلك.

وأمّا المنافقون، فالأشبه أنّهم يركبون الجسر مع المؤمنين ليمشوا في

(١) شعب الإيمان ج ١/٣٣١، وأخرجه في دلائل النّبوّة ج ٥/٤٨٥.

نورهم فيظلم اللّه عزّ وجلّ على المنافقين فيقولون للمؤمنين:

﴿ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا ﴾ [الحديد: ١٣].

فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النّور على قدر إيمانهم وأعمالهم فلا يجدون شيئاً فينصرفون إليهم، وقد:

﴿ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ ﴾ نُصلّي بصلاتكم ونغزو مغازيكم؟ ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴿١٤﴾ ﴾ [الحديد].

فيُحمل ـ واللّه أعلم ـ أن هذا السّور إنّما يُضرب عند انتهاء الصّراط ويترك له باب يخلص منه المؤمنون إلى طريق الجنّة، فذلك هو الرحمة التي في باطنه، وأمّا ظاهره فإنّه يلي النّار، وإن كانت النّار سافلة عنه لا محاذية إيّاه، ما دام لم يجد المنافقون إلى باطن السور سبيلاً، فليسَ إلاّ أنْ يُقذَفُوا من أعلى الصّراط، يهوون إلى الدّرْك الأسفل من النّار؛ هذا باستهزائهم بالمؤمنين في دار الدنيا.

فصلٌ

في قوله عزَّ وجلَّ[(١)]

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم].

اختلفَ أهلُ التفسير في معنى هذا الورود، فذهب عبد اللّٰه بن عبّاسٍ في أصحِّ الروايتين عنه إلى أنَّ المراد به الدخول، واستشهدَ له بقوله عزّ وجلّ:

﴿ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنبياء].

وبقوله تعالىٰ: ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [هود].

والمراد به في هذا الموضع الدخول، كذلك قوله تعالىٰ: ﴿ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ والمراد به الدخول وذلك حين جادله نافع بن الأزرق، قال لنافع بن الأزرق: أمّا أنا وأنتَ فسَندخلها، فانظر هل نخرج أم لا؟

ورُوي عن عبد اللّٰه بن السائب عمن سمع ابن عباس يقول: هم الكفار ولا يردها مؤمنٌ. وهذا منقطع، والرواية الأولى عن ابن عباس أكثر

---

(١) شعب الإيمان ج ١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٩ باختصار.

وأشهر، وروينا عن عبد اللّه بن رواحة أنه بكَى وبكتِ امرأتُهُ لبكائه وقال: إنّي أعلم أنّي وارد النّار ولا أدري أناجٍ منها أم لا.

وروى السُّدِّي عن مُرّة الهَمْدَاني عن عبد اللّه بن مسعود أنّه حدّثهم عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال: «يردُ النّاسُ النّار ثم يصدرون بأعمالهم».

وفي روايةٍ أخرى عنه عن مُرّة عن عبد اللّه قال:

يدخلونها أو قال: يلجونها ثم يصدرون منها بأعمالهم[1].

وفي رواية أبي الأحوص عن عبد اللّه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال:

الصّراط على جهنّم مثل حدّ السّيف فتمرُّ الطّائفة الأولى كالبرق والثانية كالرّيح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود الإبل والبهائم؛ ثمرّون والملائكة يقولُون: ربِّ سلِّمْ سلِّمْ.

وقد ذكرنا أسانيد هذه الآثار في «كتاب البعث».

وروينا عن سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«لا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلاَثَةٌ مِنْ الوَلد فَيَلِجَ النَّارَ إلاَّ تَحِلَّةَ القَسَمِ»، ثم قرأ سفيان: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

قال البيهقي رحمه اللّه وهو مخرّج في الصحيح[2]. وفي رواية مالك عن الزهري في هذا الحديث: «فتمسّه النّار إلاّ تحلّة القَسَمِ». وهذا يؤكّد قول من قال: المراد بالورود الدخول.

---

(١) هذه الرواية والتي قبلها من رواية السُّدِّي وهو إسماعيل بن عبد الرحمٰن الإمام المفسّر ت ١٢٧ هـ، وهو صدوقٌ يُكتبُ حديثُهُ، ومرّة الحمداني هو ابن شراحيل، ت نيف وثمانين، وكان ثقة قليل الرواية كثير العبادة. والرواية مضطربة عن السُّدِّي في الرفع والوقف، وكان فيه لِينٌ كما قال أبو زرعة، وتُحمل الروايةُ الموقوفة على المرفوعة للروايات التالية.

(٢) صحيح البخاري ج ١١/٥٤١ الفتح، وصحيح مسلم ج ٤/٢٠٢٨ رقم ٦٦٥٦.

عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود بالبصرة فقال قومٌ: لا يدخلها مؤمنٌ، وقال آخرون: يدخلونَها جميعاً ثم نُنَجّي الَّذينَ اتَّقُوا ونذرُ الظالمين فيها جثياً، فلقيتُ جابرَ بنَ عبد اللّه فسألتُه فقال: يدخلونَها جميعاً فقلتُ إنا اختلفنا فذكر اختلافَهم، قال: فأهوىٰ جابرٌ بإصبعهِ إلى أذنه فقال: صُمَّتْ إنْ لم أكنْ سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ يقول:

«الورودُ: الدخولُ لا يبقى بَرٌّ ولا فاجِرٌ إلاّ دَخَلها، فتكُونُ على المؤمنينَ بَرداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم عليه السّلام، حتّى أنّ النّار [للنّار] أو قال لجهنّم فحيحاً من بردهم، ثم نُنَجّي الذينَ اتَّقُوا ونذرُ الظالمين فيها جثياً».

قال البيهقي رحمه اللّه: هذا إسناد حسن ذكره البخاري في التاريخ وشاهده الحديث الثابت عن أبي الزبير عن جابر عن أم مبشر عن النّبيّ ﷺ إلاّ أنّه قال: «جامدة».

قال أبو عبيدة: وإنّما أراد تأويل قوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾، فيقول: وَرَدُوها ولم يُصبهم من حرّها شيءٍ إلاّ ليبرَّ اللّهُ قَسَمَهُ. وقال رسولُ اللّه صلّى اللّه عليه وسلم:

«لا يدخلُ النّار إنْ شاء اللّه من أصحابِ الشّجرة الذين بايَعُوا تحتها»، قالت [عائشة]: بلى يا رسولَ اللّهِ فانتهرها، فقالت حفصةُ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾؟

فقال النّبيّ ﷺ: «فقد قال الله عزَّ وجل: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم].

رواه مسلم في الصحيح عن هارون عبد اللّه بن حجاج بن محمّد(١).

قال البيهقي رحمه اللّه: وهذا يحتمل أن يكون النّبيّ ﷺ إنّما نفى عن

---

(١) صحيح مسلم ج ٤/١٩٤٢.

أصحاب الشّجرة دخول النّار دخولَ البقاء فيها، أو دخولاً لا يمسُّهم منها أذًى لا أصل الدّخول ألا تراه احتجّ بقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

وقد يكون المحفوظ في الحديث الأول رواية سفيان بن عُيينة فيكون ذلك وُلُوجاً من غيرِ نارٍ وإصابةِ أذى. كما روينا عن خالد بن معدان وهو من أكابر التّابعين أنّه قال: إذا دخلَ أهلُ الجنّة الجنّة قالُوا: يا ربّ ألم تَعِدْنَا أنْ نَرِدَ النّارَ؟ قالَ: بلَى مررتُمْ بها وهي جامدة.

وروينا عن مقاتل بن سليمان أنّه قال: يجعلُ اللَّهُ النّارَ على المؤمنين يومئذٍ برداً وسلاماً كما جعلها على إبراهيم عليه السلام.

فصل
في فداء المؤمنين[1]

أخرج مسلم عن أبي بُرْدَة بن أبي موسى، عن أبيه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إذا كان يومُ القيامة دُفع إلى كُلِّ مؤمنٍ رجلٌ من أهلِ المِلَلِ فقيلَ لهُ: هذا فداؤُكَ مِنَ النّار»[2].

وكان أبو بُردة يحدِّثُ عمرَ بْنَ عبد العزيز عن أبيه أنّ النّبيَّ ﷺ قال: «لا يمُوتُ رجلٌ مسلم إلاّ أدْخَلَ اللّهُ مَكانَهُ النّارَ يهودياً أو نصرانياً».

أخرجه مسلم في الصحيح من حديث عفان بن همّام[3].

قال البيهقي رحمه اللّه: وروينا في الحديث الثابت عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لا يدخل أحدٌ الجنّة إلاّ أُرِيَ مَقْعَدَهُ من النّار لو أَساءَ لِيَزْدَادَ شكراً، ولا يدخلُ النّارَ أحدٌ إلاّ أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الجنَّةِ لو أحسَنَ لِيَكُونَ عليه حَسْرَة».

وفي رواية أخرى: «ما منكم مِنْ رجلٍ إلاّ لهُ مَنْزِلاَنِ: منزلٌ في الجنّة، ومنزلٌ في النّار؛ فإن ماتَ ودخلَ النّارَ ورثَ أهلُ الجنة مَنْزِلَهُ، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ [المؤمنون].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ١/٣٤٠ ـ ٣٤٤ باختصار.

(٢) صحيح مسلم ج ٤/٢١١٩.

(٣) صحيح مسلم ج ٤/٢١١٩.

(٤) صحيح البخاري ج ٨/١٤٦.

فصل

«في أصحاب الأعراف»(١)

قال البيهقي رحمه اللَّه: «روينا عن ابن عباس أنّه قال: الأعراف هو الشيء المُشْرِفُ. وروينا عن حذيفة بن اليمان أنّه قال: أصحاب الأعرافِ قومٌ تجاوزت بهم حسناتُهُم النّار وقَصُرتْ بهم سيّئاتُهم عن الجنّة فإذا ﴿صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأعراف].

فبينما هم كذلك إذ طلعَ عليها ربُّك فقال لهم: «قُومُوا فادْخُلوا الجنّة فإنّي قد غفرت لكم» ورُوي ذلك مرفوعاً بمعناه.

وفي حديث علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله:

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦].

قال يعرفون أهلَ النّارِ بسوادِ الوجوهِ وأهلَ الجنّة ببياض الوجوه، قال: والأعرافُ هو السور بين الجنّة والنّار وقوله:

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

قال: هم رجالٌ كانت لم ذُنُوبٌ عِظامٌ، وكان جسيم أمرِهم للَّه عز وجل، يقومون على الأعراف، فإذا نظروا إلى الجنّة، طمِعُوا أنْ يدخلوهَا، وإذا نظرُوا إلى النّارِ تعوّذُوا باللّهِ منها فأدْخلَهُم اللّه الجنّة، فذلك قوله تعالى: ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ يعني أصحاب الأعراف:

---

(١) شعب الإيمان ج ١/ ٣٤٤ ـ ٣٥٠.

﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأعراف].

قوله تعالى:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأعراف].

فهذا قولهم وهم على السور قبل أن يدخلوا الجنّة لرجالٍ من الكفار، ثم ينظرون إلى أهل الجنّة فَيَرَونَ فيها الضعفاء والمساكين، ممّن كان يستهزئ بهم الكفار في الدنيا فينادُونهم، يعني فيُنادُون الكُفّار ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني الضّعفاء والمساكين ﴿ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ ﴾ يعني حلفتم إذ أنتم في الدنيا ﴿ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ﴾ يعني الجنّة، ويقول اللّه لأصحاب الأعراف:

﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾.

وهكذا فسّره الكلبي فيما رواه عن أبي صالح عن ابن عباس.

وقال مقاتل بن سليمان: هذا قول أصحاب الأعراف لرجال من أهل النار في النّار: ﴿ يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾، فأقسم أهل النّار أنّ أصحاب الأعراف داخلون النّار معهم، فقالت الملائكة الذين حبَسُوا أصحاب الأعراف على الصّراط ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني أصحاب الأعراف ﴿ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ ﴾ يا أهل النّار ﴿ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ﴾ وهم داخلون النّار معكم ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ بالموت.

وأمر أصحاب الأعراف على الأصل الذي قدمنا ذكره. وهو أنّ مَنْ وَافَى القيامة مؤمناً، ولسيئاته وزن في ميزانه، وهو بين أن يُغْفَرَ له من غير تعذيب، وبين أن يعذَّب بقدر ذُنُوبه، ثم يُغْفَرَ له، فقد يكون منهم من لا يدخل الجنّة في الحال، ولا يدخل الجنّة في الحال، ولا يدخل النّار، ولكن يُحْبَس على الأعراف وهو السور - قال مقاتل: على الصّراط - فإذا أراد اللّه دخولهم الجنّة أمرهم بدخولها برحمته أو بشفاعة الشفعاء - واللّه أعلم.

فصـل

الجنّة والنّار مخلوقتان معدّتان لأهلهما

قال الإمام البيهقي:

فيما يحق معرفتُهُ في هذا الباب أنْ تعلم أنّ الجنّة والنّار مخلوقتان مُعَدّتان لأهلهما، قال اللّهُ عزّ وجلّ في الجنّة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

وقال في النّار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

والمُعدَّةُ لا تكون إلاّ مخلوقة موجودة. وقال في الجنّة: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

والمعدومُ لا عَرَضَ لهُ.

عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: يقول اللّهُ عزّ وجلّ:

[أعْدَدْتُ لِعِبادي الصَّالحين مَا لا عَيْنٌ رأَتْ وَلا أُذُن سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ على قلب بَشَرٍ] ثم قرأ:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

أخرجاه في الصحيح من حديث أبي معاوية.

وأخرجه مسلم من حديثِ ابن نمير[1].

---

(١) صحيح البخاري ج ٦/ ١٤٥، وصحيح مسلم ج ٤/ ٢١٧٥.

عن ابن عمر قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ:

«إِذَا مَاتَ أحدُكُمْ عُرِضَ عليه مقعده بالغَدَاةِ والعَشِي، إنْ كان مِنْ أهل الجنّة فمن أهل الجنّة، وإن كان من أهل النّار فمن أهل النّار».

رواه البخاري رحمه اللَّه في الصحيح عن أحمد بن يونس[(١)].

وأخرجاه من حديث مالك عن نافع.

قال البيهقي رحمه اللَّه: وفيه من الزّيادة: «يُقال هذا مقعدك حتى يبعثكَ اللَّه إليهِ يومَ القيامة».

وفي رواية سالم عن ابن عمر: «إنْ كان من أهل الجنّة فالجنّة، وإن كان من أهل النّار فالنّار».

وعن أبي هريرة قال: أنّ رسول اللَّه ﷺ قال:
«لَمّا خَلَق اللَّهُ الجنَّة والنَّارَ أرْسَلَ جِبْرِيلَ عليه السلام إلى الجنَّة فقال: اذْهَبْ فانْظُرْ إليهَا وإلى مَا أعددتُ لأهْلِها فِيهَا، فَذَهبَ فَنظَرَ إليها وإلى ما أعَدَّ اللَّهُ لأهلها فيها، فَرجَعَ فقال: وعزَّتِكَ لا يسمعُ بها أحدٌ إلاّ دَخلَها، فأمَرَ بالجنَّة فحُفَّتْ بالمكاره، فَقَالَ: ارْجَعْ فانظر إليها وإلى مَا أعددتُ لأهلها فيها، قال فَنظَرَ إليها ثم رجع فَقَالَ: وعزَّتِكَ لقد خشيتُ أنْ لا يدخلها أحدٌ. قال: ثم أرسله إلى النّار قال: اذْهَبْ فانظر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، قال: فنظَرَ إليها فإذا هي تركبُ بعضها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزَّتِك لا يدخلها أحد يسمعُ بها، فأمر بها فَحُفَّتْ بالشّهوات، ثم قال: اذهَبْ فانظر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، فنظر إليها فرجع فقال: وعزَّتِكَ لقد خشِيتُ أنْ لا ينجوَ منها أحدٌ إلاّ دخلها»[(٢)].

---

(١) البخاري ج ٤/١٤٢، ومسلم ج ٢/١٢٤، وج ٤/٢١٩٩.

(٢) أخرجه الترمذي برقم ٢٥٦١ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وهو في صحيح سنن الترمذي برقم ٢٠٧٥، والنسائي ج ٧/٣، وأحمد في مسنده ج ٢/٣٣٢، وفي صحيح سنن النّسائي برقم ٣٥٢٣.

قال البيهقي رحمه اللّه: وهذا باب كبير، الأخبار فيها كثيرة وقد ذكرناها في الجزء الثامن من كتاب «البعث» وذكرنا في الآخر بعده ما ورد من الآثار والأخبار في صفة الجنّة وعددها، وصفة النّار وعددها، فأغنى ذلك عن الإعادة هاهنا.

ودلّ الكتاب ثم السّنّة على أنّ عدد الجِنَان أربعة، وذلك لأنّه قال في سورة الرحمٰن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن].

ثم وصفَهما، ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمٰن].

وروينا عن أبي موسى عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «جَنّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيتُهُمَا وما فيهما، وجنّتان من فِضّةٍ آنيتُهما وما فيهما».

وفي رواية أخرى: «جنّتان من ذهبٍ للسّابقين، وجنّتان من وَرِقٍ لأصحابِ اليمين».

وذكر بعضُ أهل العلم أنَّ «جنَّةَ المَأْوَى» اسمٌ للجميع، وكذلك «جنّة عدنٍ» و«جنّة النَّعيم» و«دَارُ الخُلدْ» و«دَارُ السّلام».

ويشبه أن يكون الفردوس أيضاً اسماً للجميع، وقد قيل: هي اسمٌ لأعلاهُنَّ درجةٍ.

وأمّا أبوابُ الجنّة فهُنّ ثمانِيَةٌ، روينا ذلكَ في حديثِ عُمَرَ وسهلِ بْنِ سعد وغيرهما عن النّبيّ ﷺ.

وروينا عن عُتبة بن عبدِ السُّلمي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: وإنّ لها - يعني الجنّة - ثمانية أبواب، ولجهنّم سبعة أبواب.

وقد قال اللّه عزّ وجلّ في جهنّم:

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر].

وروينا في حديث مرسل أنّها سبعة أبواب: جهنّمُ، ولظَى،

والحُطَمَةُ، والسَّعيرُ، وسَقَر، والجحيمُ، والهَاوية.

وقال بعضُ أهل العلم «جهنّم» اسمٌ لجميع الدَّركات، ودَرَكاتُها سبعٌ، فذكرَ هذه وذكر معهُنّ «الحريق».

وفي الصحيحين: أنّ عبد اللّه بن عمر قال: إنّ رسولَ اللّه ﷺ قال:

«يدخل أهلُ الجنّة الجنَّة، ويدخل أهلُ النَّارِ النَّارَ ثم يقومُ مؤذِّنٌ بينَهُمْ: يا أهل الجنّة لا موت، يا أهلَ النّارِ لا موتٌ، كُلٌّ خالدٌ فيما هو فيه»[1].

وروى البيهقي[2] عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري عن النّبيّ ﷺ قال:

«إِذَا دَخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النَّارِ النَّارَ، يُجَاءِ بالموتِ كأَنَّهُ كبشٌ أمْلَحُ، فيُنادِي مُنَادٍ: يا أهلَ الجنَّةِ هل تَعرِفُونَ هذا؟ فَيشرئبُّونَ وينظُرُونَ، وُكلُّهُمْ قدْ رآه، فيقُولُون: نَعم هذا الموتُ، ثم يُؤخَذُ، فيُذْبَحُ، ثم يُقال: يا أهلَ الجنّة خلُودٌ ولا موتٌ، ويا أهل النّار خُلُودٌ ولا موتٌ»[3].

قال: وذكر قول الله عزّ وجلّ:

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩].

وأهلُ الدنيا في غفلة.

[نعوذ باللّه تعالىٰ من أن نغفل عن عبادته وطاعته، وعن الاستعداد ليوم لقائه، إنّه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ].

---

(١) البخاري في صحيحه ج ١١/ ٤٠٦، الفتح. ومسلم في صحيحه ج ٤/ ٢١٨٩.
(٢) شعب الإيمان ج ١/ ٣٥٠.
(٣) صحيح مسلم ج ٤/ ٢١٨٩.

العاشر من شُعَب الإيمان

الإيمان بوجوب محبّة اللّه عزّ وجل

قال اللّه عزّ وجلّ:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال البيهقي[1] رحمه اللّه: فدلَّ ذلك على أنَّ حُبَّ اللّه جلَّ جلاله مِنَ الإيمان، لأن قوله:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

إشارةٌ إلى أنّ الإيمان يُحرّك على حُبّ اللّه جلَّ جلالُه ويدعو إليهِ، وقال اللّه جلَّ ثناؤُه:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

فأبان أن اتّباع نبيّه ﷺ من مُوجِبات محبّة اللّه، فإذا كان اتّباع النّبيّ ﷺ إيماناً، فقد وجب أن يكون حُبُّ اللّه الموجب له إيماناً، وقال اللّه عزّ وجلّ:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ١/ ٣٦٣.

قال البيهقي رحمه اللّٰه: فأبان بهذا أن حُبَّ اللّٰهِ وحُبَّ رسولهِ والجهاد في سبيلهِ فرض، وأنّه لا ينبغي أن يكون شيء سواه أحبَّ إليهم منه، وبمثل ذلك جاءتِ السّنّة، فعن عطاء بن يسار قال:

حدّثني رفاعة بن عرابة الجهني قال: صدرنا مع رسول اللّٰه ﷺ من مكة فجعل النّاسُ يستأذنُون رسولَ اللّٰه ﷺ فجعل يأذن لهم؛ قال: فقال رسولُ اللّٰه ﷺ.

«مَا بَالُ شِقِّ الشَّجرة الَّتِي تلي رسولَ اللّٰه ﷺ أبغضُ إليكم من الشِّقِّ الآخر؟ قال: فلا تَرى مِنَ الْقَومِ إلاّ باكياً، قال: فيقول أبو بكر الصّدّيق رضي اللّٰه عنه: إنّ الذي يستأذنك في نفسي بعد هذا لسفيهٌ، قال: فقام رسولُ اللّٰه ﷺ، فحمد اللّٰه وأثنى عليه ثم قال: «أشهد عند اللّٰهِ - وكان إذا حلف قال: والذي نفسي بيده - ما منكم من أحدٍ يؤمِنُ باللّٰه، ثُمّ يُسدِّدُ إلاّ سُلِكَ به في الجنّة، وقد وعَدَني ربّي أن يدخل من أمتي الجنّة سبعين ألفاً لا حسابَ عليهم ولا عذابَ، وإنّي لأرجُو أن لا تدخلوها حتى تَتبوّؤُوا أنتم ومَنْ صلحَ مِنْ أزواجكم وذُريّاتكم مساكن في الجنّة» وذكر الحديث[١].

وعن أنس بن مالك أن رسولَ اللّٰه ﷺ قال:

«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيه وَجَدَ بِهِنّ حَلَاوَةَ الإيمان: أن يَكُونَ اللّٰهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه ممّا سِوَاهُمَا، وأن يُحِبَّ المرءِ لا يُحبّه إلاّ للّٰه، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكرَهُ أن يوقد له نارٌ فيُقْذَف فيها»[٢].

---

(١) أخرجه ابن حبّان في صحيحه الإحسان إلى ترتيب صحيح ابن حبان ج ١/ ٤٤٤ - ٤٤٥.
وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط البخاري، وأخرجه أحمد ج ٤/ ١٦، وابن ماجه مختصراً برقم ٤٢٨٥، وصحيح ابن ماجه للشيخ ناصر برقم ٢٤٥٨، والأحاديث الصحيحة برقم ٢٤٠٥.

(٢) شعب الإيمان ج ١/ ٣٦٤.

ولفظ حديث محمد بن بشار رواه البخاري في الصحيح عن محمد ابن المثنى عن عبد الوهاب الثقفي[1].

ورواه مسلم عن محمد بن بشار وغيره[2].

قال البيهقي رحمه اللّه، فأبان المصطفى ﷺ بهذا أنَّ حبَّ اللّه وحبَّ رسولِهِ من الإيمان؛ وأبان بما قبله أنّ تَرْكَ متابعتهِ تدلُّ على خلاف المحبة، وفي ذلك دلالة على وجوب المحبة ووجوب ما تقتضيهِ المحبّة من المتابعة والموافقة.

دخل البصري على أبي عباس بن سُرَيج فقال له ابن سُرَيج: أينَ تعرفُ في نصّ الكتاب أنّ محبّة اللّهِ فرضٌ؟ فقال: لا أدري ولكنْ يقول القاضي، فقال له: قوله عزّ وجلّ:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾ الى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ [التوبة: ٢٤].

والوعيد لا يكون إلاّ على تَرْكِ فَرْضٍ.

وعن سفيان بن عُيينة يقول: واللّه لا تبلغُوا ذُرْوَةَ هذا الأمرِ حتّى لا يكون شيءٌ أحبَّ إليكم من اللّه عزّ وجلّ، ومَنْ أحبّ القرآنَ فقد أحبَّ اللّه عزّ وجلّ[3].

---

(١) صحيح البخاري ج ١/ ٦٠ الفتح، وأطرافه في ٢١ و ٦٠٤١ و ٦٩٤١.

(٢) صحيح مسلم ج ١/ ٦٦ رقم ٤٣، وأخرجه الترمذي برقم ٢٦٢٦.

(٣) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ١/ ٣٦٥.

فصـل
في معاني المحبّة[1]

قال الحليمي رحمه اللّه: محبّة اللّه اسمٌ لمعانٍ كثيرة.

أحدها: الاعتقاد أنّه، عزّ اسْمُهُ، محمودٌ مِنْ كلّ وجهٍ، لا شيء من صفاته إلاّ وهو مدحةٌ له.

الثاني: الاعتقاد أنه مُحْسِنٌ إلى عبادهِ، مُنْعِمٌ مُتَفَضِّلٌ عليهم.

والثالث: اعتقاد أنّ الإحسان الواقع منه أكبرُ وأجلُّ من أن يقضي قول العبد وعمله وإن حَسُنَا وكَثُرَ شكره.

والرابع: أن لا يَستَقِلَّ العبدُ قضاياه، ويستكثر تكاليفه.

والخامس: أن يكون في عامّة الأوقاف مُشفِقاً وَجِلاً من إعراضهِ عنه، وسَلْبِهِ معرفته التي أكرمه بها وتوحيده الذي حلاَّهُ وزيّنَهُ به.

والسادس: أن تكون آماله منعقدة به لا يرى في حالٍ من الأحوال أنه غني عنه.

والسابع: أن يحمله تمكّن هذه المعاني في قلبهِ على أن يُديم ذكره بأحْسَنِ ما يقدر عليه.

والثامن: أن يحرصَ على أداء فرائضه والتّقرّب إليه من نوافل الخير ممّا يُطيقُهُ.

---

(١) شعب الإيمان ج ١/ ٣٦٥.

والتاسع: إن سمع من غيره ثناءِ عليه، وعرف منه تقرّباً إليه وجهاداً في سبيله سرًّا أو إعلاناً مَالاَهُ ووَالاَهُ.

والعاشر: أنه إنْ سمع من أحدٍ ذكراً له أعانَهُ بما يُخلّ عنه أو عرف منه غيًّا عن سبيله سراً أو علانيةً باينه، ونَاوَاهُ.

فإذا اسْتُجْمِعَتْ هذه المعاني في قلب أحد فاسْتِجْمَاعُها هو المشارُ إليه باسم محبّةِ اللّه تعالى جدّه: وهي وإن لم تُذكر مجتمعةً في موضع فقد جاءت متفرّقة عن النّبيّ ﷺ، ومن جميل الشعر قول القائل:

مَنْ لَمْ يَبِتْ والحُبُّ حَشْوُ فُؤَادِهِ   لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تُفَتَّتُ الأَكْبَادُ[1]

وقول القائل:

تَعْصِي الإلَـه وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ   هذا[2] مُحَالٌ في الفِعَالِ بَدِيعُ
لَـوْكَـان حُبُّـكَ صَـادِقـاً لأَطَعْتَـهُ   إنَّ المُحِـبَّ لِمَـنْ أحـبَّ مُطِيعُ

---

(١) شعب الإيمان ج ١/ ٣٨٥.

(٢) هذا في رواية، وفي أخرى:

هذا لعمري في القياس بديع

الحادي عَشَر من شُعَبِ الإيمَان
الإيمان بوجوب الخوف من الله عزّوجلّ

لقول الله تعالى[1]:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وأثنى على ملائكته لخوفهم منه فقال:

﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء].

ومدح أنبياءه عليهم السلام وأولياءه بمثل ذلك فقال:
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ١/ ٤٦٣ - ٤٦٨، باختصار.

وعاتب الكفارَ على غفلتهم فقال:

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [نوح].

فقيلَ في التّفسير: مالكم لا تخافون عظمةَ اللّهِ؟.

وذمَّهم في آية أخرى، فقال:

﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ [الفرقان: ٢١].

فقيل أرادَ به: لا يخافون.

فدلَّ جميع ما وصفناهُ على أنّ الخوف منَ اللّه تعالى من تمام الاعتراف بملكه وسلطانه ونفاذ مشيئتهِ في خلقه. وإنّ إغفال ذلك إغفال العبودية، إذْ كان من حقِّ كلّ عبد ومملوكٍ أن يكون راهباً لمولاه لثبوت يد المولى عليه، وعجز العبد عن مقاومتهِ وتركِ الانقيادِ لهُ.

قال الحليمي رحمه اللّه: والخوف على وجوهٍ:

أحدها: ما يَحْدُثُ من معرفة العبد بذلّة نفسهِ وهوانها وقصورها، وعجزها عن الامتناع عن اللّه - تعالى جدّه - إنْ أرادهُ بسوءٍ وهذا نظير خوف الولد والِدَيْهِ، وخوف النّاس سُلطانَهم، وإن كان عادلاً محسناً، وخوف المماليك مُلاّكَهم.

والثاني: ما يحدُث من المحبّة؛ وهو أن يكون العبدُ في عامّةِ الأوقات وَجِلاً من أن يكله إلى نفسه، ويمنعه مواد التّوفيق، ويقطع دُوْنَه الأسباب. وهذا خُلُقُ كلِّ مملوكٍ أحسنَ إليه سيّدُهُ، فعرف قدرَ إحْسَانِهِ فأحبَّهُ، فإنّه لا يزال يُشفِقُ على منزلته عنده خائفاً من السقوط عنها والفقد لها.

الثالث: ما يَحْدُثُ منَ الوعيد، وقد نَبّه الكتابُ على هذه الأنواع كلِّها.

أمّا الأول فقوله تعالى:

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [نوح].

قال ابن عباس: أي لا تخافون للّه عظمة، وفي رواية أخرى: أي لا تعلمون للّه عظمةً.

وعن الحسن: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [نوح].

قال: لا تعلَمُونَ عظمةً ولا تشكرُون له نعمةً.

قال الحليمي رحمه اللّه: لا فرق بين أن يقول السيِّدُ لمملوكهِ: مالكَ لا تخاف سُلْطَاني وملكي؟ وبين أن يقول: مالكَ لا تعرف نفسُك وَزْنَها ولا تُنزِّلها منزلةً مثلها؟.

ففي الكلامين يراد بهما تقرير حال العبد عند نفسه لئلا يأمن من سطوة سيّده فيدعوه ذلك إلى مفارقة طاعته.

وأبين من هذا قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الإسراء].

فعرفهم أنّه لا ينبغي لهم في حال من الأحوال أن يفارقوا طاعته أو يُقَصّروا في شكره، مستشعرين منه أمناً لما يرونه من نِعمهِ السّابغة عليهم. مُقَدِّرينَ أنّه راضٍ منهم باليسير من الطاعة التي يوفونه من أنفسهم، فإنه لا يأمَن مكر اللّه إلاّ القومُ الخاسرون، بل سبيلهم أن يكونوا في الأحوال كلها مشفقين من سخطه ومؤاخذته، مُخطرين بقلوبهم أنه إن أراد بهم هلكاً أو سوء دونه ما كان، لم جدوا من يدفعه عنهم ولا من يمنعه بما يملكه منهم.

وأمّا الثاني فإنّ اللّه جلَّ ثناؤه أثنى على الذين يدعونه فيقولُون:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ وقرأ الآية: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران].

وسمّاهم الراسخين في العلم، ومعلوم أنّ أحداً لا يدعو فيقول: ربِّ لا تُزِغْ قلبي بعد إذْ هديتني، إلاّ وهو خائف على الهُدى الذي أكرمه اللّه تعالى به أن يسلُبَهُ إيّاه.

وأخبر عن أهل الجنّة إنّهم يقولُون:
قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ وقرأ الآيتين: ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الطور].

وجاء في التفسير أنّهم كانوا مشفقين من أن يُسلَبُوا الإسلام، فيورَدُوا يوم القيامة موارد الأشقياء، وكانوا يدعون اللّه أن لا يفعل بهم ذلك وكذلك سائر نعم اللّه وإنْ كان الإسلام أعلاها.

وأمّا الثالث: قال في غير موضع من كتابه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ [لقمان: ٣٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١].

وقال تعالى: ﴿ وَإِيَّٰىَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

فأمر بالتّقوى وهي أن يقي المخاطبُون أنفسهم من نار جهنّم بفعل ما أمر اللّه به وترك ما نهى اللّه عنه. ومعنى (اتَّقُونِ) اتَّقُوا عذابي ومؤاخذتي.

وقال النّبيّ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[1]. وعن عبيد اللّه بن موسى، عن سفيان، عن السُّدّي في قوله:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

قال: إذا همّ بمعصية أو ظلم أو نحو هذا قيل له: اتّقِ اللّهَ؛ وَجِلَ قلبُهُ.

وعاتب رجلٌ بعض إخوانه على طول بكائه، فبكى، ثم قال:

بَكَيْتُ على الذُّنوبِ لِعُظْمِ جُرْمِي ... وَحُقَّ لِكُلِّ مَنْ يَعْصِي البُكَاءُ
فَلَو كَانَ البُكَاءُ يَرُدُّ هَمِّي ... لأسْعَدَتِ الدُّمُوعَ معاً دِمَاءُ

وكان عمر بن عبد العزيز، لا يحفُّ فُوهُ من هذا البيت:

وَلاَ خَيْرَ في عَيْشِ امْرِىءٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ ... مِنَ اللّهِ في دَارِ القَرارِ نَصِيبُ

وسمع أبو الفتح البغدادي هاتفاً يهتف بهذا البيت:

وَكَيْفَ تَنَامُ العَيْنُ وهِيَ قَرِيرةٌ ... وَلَمْ تَدْرِ في أيِّ المَحَلَّيْنِ تَنْزِلُ

[فاللّهمّ إنّا نرجو رحمتَكَ ونخشَىٰ عذابَكَ، فارحمنا بفضلك وكرمِك، يا أرحم الراحمين].

---

(١) شعب الإيمان ج ١/ ٤٦٧، وأخرجه البخاري في صحيحه ج ٢/ ١٣٦، ومسلم في صحيحه ج ٢/ ٧٠٣.

الثّاني عشر مِن شُعَبِ الإيمَان

الإيمان بوجوب الرّجاءِ مِنَ اللَّه عزّ وجلّ[1]

إذا اسْتحكَمَ الرجاء حدثَ عنه من التّخشّع والتّذلّل نحو ما يحدث عن الخوف إذا استحكم، لأنّ الخوف والرجاء متناسبان، إذِ الخائف في حال خوفه يرجو خلاف ما يخافُهُ، ويدعو اللّهَ عزَّ وجلّ به، ويسأله إيّاه، والراجي في حال رجائه خائف ما يرجو، ويستعيذ باللّه منه، ويسأله صرفَهُ، ولا خائف إلاّ وهو رَاجٍ، ولا راجي إلاّ وهو خائف.

قال اللّه تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾ [الإسراء].

وقول اللّه تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف].

وقول اللّه تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر].

وقول اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦].

ولحديث أبي هريرة رضي اللّه عنه في «الصحيحين»: «لو يَعْلَمُ المُؤمِنُ ما عِنْدَ اللّهِ مِنَ العُقُوبَةِ ما طَمِعَ بجنته أحَد، ولَوْ يَعْلَمُ الكافِرُ ما عِنْدَ اللّهِ مِنَ الرّحمةِ ما قَنِطَ مِنْ جنتهِ أحَدٌ»[2].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٢/ ١٧٣ باختصار.

(٢) أخرجه البخاري ج ١١/ ٣٠١ ـ بنحو هذا اللفظ، رقم ٦٤٦٩، ومسلم في =

ولحديث جابر رضي اللّه عنه[1] في «صحيح مسلم»: «لاَ يَمُوتَنّ أَحَدُكُمْ إلاّ وهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ باللّهِ عَزّ وَجَلّ»[2].

وحديث أبي هريرة في «الصحيحين»: يقُولُ اللّهُ عَزّ وجَلّ: أنَا عِنْدَ ظَنِّ عبدِي بي، وأنا معهُ حِينَ يَذْكُرُني[3]...» وذكر الحديث[4].

وأنشد أبو عثمان سعيد بن إسماعيل:

مَا بَالُ دِينِكَ تَرْضَى أنْ تُدَنِّسَهُ ... وإنَّ ثَوْبَك مَغْسولٌ مِنَ الدَّنَسِ
تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ... إنَّ السَّفِينَةَ لاَ تجري عَلَى اليَبَسِ

وقال يحيى بن معاذ الرّازي:

الإيمان ثلاثةٌ: الخوفُ والرجاءُ والمحبّةُ، وفي جوف الخوف تَرْك الذّنُوب، وفيه النّجاة من النّار، وفي جوف الرّجاء والطّاعة، وفيه وجوب الجنّة، وفي جوف المحبّة احتمال المكروهات، وبه تجد رضا اللّه عزّ وجلّ.

وقال أيضاً:

كيف أخافُكَ وأنتَ كريم؟ وكيفَ لا أرْجُوكَ وأَنْتَ عزيز؟ فأنا بينَ

= صحيحه برقم ٢٧٥٥ - واللفظ له.

(١) هو جابر بن عبد اللّه بن عمرو الأنصاري، له ولأبيه صحبة، غَزَا تسع عشرة غزوة، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في مسجد رسول الله ﷺ، توفي بالمدينة المنورة سنة (٧٨هـ) رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٨٧٧).

(٣) اعلم أن الذكر ليس قاصراً على ذكر اللّسان فقط، بل يعم الجوارح كلها، فذكر اللّسان بالثناء، وذكر العَيْنَيْنِ بالبكاء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتّسليم والرضا.

(٤) البخاري في صحيحه ج ١٣/ ٣٨٤، الفتح رقم ٧٤٠٥، ومسلم في صحيحه برقم ٢٦٧٥.

خوفٍ يقطعني ورجاءٍ يُوصلني، فلا رجائي يدعني فأموت خوفاً، ولا خوفي يتركني فأحيى فَرِحاً.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «قال اللَّه تعالى: سَبَقَتْ رحمتي غَضَبِي»(١).

وعن أبي ذرٍّ عن النبيّ ﷺ يرويه عن ربّه عزّ وجلّ قال:

«يا ابنَ آدم ما دعوتني ورجَوتَنِي غفرتُ لكَ على ما كان فيك، يا ابن آدم! إنّك إنْ لَقِيتني بقراب الأرض خطايا بعد أنْ لا تُشْرك بي شيئاً ألقاكَ بقرابها مغفرةً، يا ابن آدم إنّك إن تُذْنِبْ حتى تَبْلُغَ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السّماءِ ثم تَسْتَغْفِرَني غفرتُ لكَ ولا أبالي»(٢).

وهكذا رواه عامر الأحول والمعلى بن زياد، عن شهر بن حوشب، عن معدي كرب، عن أبي ذرٍّ، وقوله: دعوتني يريد ـ والله أعلم ـ دعاءه إيّاه وحده لا يدعو معه إلهاً آخر.

وقد أخرج مسلم حديث أبي ذرٍّ من وجه آخر كما:

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الحسن بن عليّ بن عفان، ثنا ابن نمير، عن الأعمش، عن المعرور بن سويد، عن أبي ذرٍّ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: يعني يقولُ اللَّه عزّ وجلّ:

«مَن عمل حسنةً فجزاؤُهُ عَشْرُ أمثالِها أو أزيد، ومن عمل سيّئةً فجزاؤه مثلها، أو أغفر له، ومَن تقرّب إليّ شِبْراً تقربتُ منه ذراعاً، ومَنْ تقرّب إليّ ذراعاً تقرّبتُ منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيتُهُ هرولةً، ومن لَقِيني بقُراب الأرض خَطَايَا لم يُشركْ بي شيئاً جعلتُ له مثلها مغفرةً».

---

(١) صحيح مسلم برقم ٢٧٥١ ج ٤/٢١٠٨.

(٢) شعب الإيمان ج٢/١٧، وصحيح سنن الترمذي للشيخ محمد ناصر الدّين الألباني برقم ٢٨٠٥ ج ٣/١٧٥ ـ ١٧٦، والأحاديث الصحيحة برقم ١٢٧ و١١٢٨.

أخرجه مسلم من حديث وكيع وأبي معاوية عن الأعمش(١).

قال البيهقي رحمه اللّه: وهذا لأنّه قد يكون المراد بهده المغفرة في المعاقبة وقد يغفر لمن يشاء [في الذنب] العظيم، ويُعذّب مَنْ يشاء على اليسير. وقد يغفرهما لمن يشاء، وقد يُعذّب عليهما من يشاء، ثم يعفو ويغفر، ولا ينبغي لمسلم أن يكون رجاؤه رحمة اللّه خالياً عن خوفه عذاب اللّه ليكون بخوفه مُنتهياً عن معصية اللّه، وبرجائه راغباً في طاعة اللّه تبارك وتعالى.

قال لقمان لابنه:

«يا بُنيَّ أرجُ اللّهَ رجاءً لا يُجرِّئك على معصيتهِ، وخفِ اللّهَ خوفاً لا يُؤسْكَ من رحمته».

عن أبي هريرة، عن رسول اللّه ﷺ قال:

«أسرفَ رجلٌ على نفسهِ فلمّا حضره الموتُ أوصىٰ بنِيهِ فقال: إذا مِتُّ فأحرِقُوني، ثم اسحقُوني، ثم ذرُّوني في الرّيح في البحر، فواللّهٰ لئن يقدر عليّ ربّي ليعذبني عذاباً ما عذّبه أحداً، ففعلوا به، فقال اللّه عزّ وجلّ للأرض أدّي ما أخذتِ فإذا هو قائم، فقال: ما حملكَ على ما فعلتَ؟ قال: خشيتُكَ يا ربِّ ـ أو قال مخافتُك ـ فَغَفَر لهُ»(٢).

قال: وحدثني حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «دَخَلتِ امرأةٌ النّارَ في هرّةٍ رَبطَتْها فلا هي أطْعَمْتَها، ولا هي أرسلَتْها تأكل من خَشَاشِ الأرضِ حتّى ماتَتْ».

قال الزّهري: هي لئلاّ يتّكِلَ أحدٌ ولا ييْأسَ أحدٌ.

ورواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد، عن عبد

---

(١) صحيح مسلم ج ٤/٢٠٦٨ برقم ٢٦٨٧.
(٢) شعب الإيمان ج ٢/١٩، وهو في صحيح مسلم ج ٤/٢١١٠.

الرّزاق[1].

وعن ابن عون، عن عمير بن إسحاق: قال: كان من أدركتُ من أصحاب رسولِ اللَّهِ ﷺ أكبر ممن سبقني فما رأيتُ قوماً أهونَ سيرة ولا أقلَّ تشديداً منهم.

وقد جاء عن عبد اللَّه بن مسعود وغيره في التّشديد في الأَمْنِ من مكرِ اللَّه واليأس من رحمة اللَّه تعالى.

وعن معمر، عن زيد بن أسلم: أنّ رجلاً كان في الأمم مجتهداً في العبادة، ويشدّد على نفسه، ويُقَنِّطُ النّاسَ من رحمة اللَّه تعالى، ثم مات فقال أي ربِّ مالي عندكَ؟ قال: النّارُ، قال: أي ربِّ فأين عبادتي واجتهادي؟ قال فيقولُ: إنّك كنتَ تُقَنِّطُ النّاسَ من رحمتي في الدنيا فأنا أُقْنِطُكَ اليومَ من رحمتي.

قال البيهقي رحمه اللَّه: ولعلّ هذا الرجل كان يرى النّجاةَ في عبادته، ويعتمد عليها، ولا يذكر مغفرةَ اللَّهِ عزّ وجلّ الذنوب لمن يشاء من عباده بل كان يستبعِدُها.

وعن الأعمش، عن أبي سعد، عن أبي الكنود، قال: مرّ عبد اللَّه يعني ابن مسعودٍ على قاصٍّ وهو يُذَكِّرُ فقال: يا مذَكِّر لا تُقنِّط النّاسَ ثم قرأ:

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

قال البيهقي: سمعتُ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: مَن حَمل نَفْسَهُ على الرّجاءِ تَعَطّلَ، ومَن حمَلَ نفسَهُ على الخوف قَنِط، ولكن ساعةً ومرّةً ومرّةً.

---

(١) شعب الإيمان ج ٢/١٨ ـ ١٩، وصحيح مسلم ج ٤/ ٢١١٠.

عن سعيد الجُريري، عن أبي عثمان النّهدي، عن حنظلة التميمي الأسيدي الكاتب قال:

كنّا عند رسول اللّه ﷺ فذكّرنا بالجنّة والنّار كأنّهما رأي عينٍ، فقمتُ وأتيتُ إلى أهلي فضحكتُ ولهوتُ - وفي حديث الفريابي «ولعبتُ» - فلقيتُ أبا بكر فذكرتُ ذلك له فقلتُ يا أبا بكر نافَقَ حنظلةً! فقال أبو بكر: وما ذاك؟ فأخبرتُه، ففلتُ: كنّا عند رسول اللّه ﷺ فذكّرنا بالجنّة والنّار كأنا رأي عين فقمت إلى أهلي فضحكتُ ولعبتُ فقال النبيّ ﷺ:

«يا حنظلة ساعةً وساعةً لو كنتم تكونون كما تكونون عندي لصافَحَتْكُمُ الملائكةُ في بيرتِكُم وعلى فُرُشِكُمْ، يا حنظلة ساعةً وساعةً».

قال: الفريابي أتمّ سياقة للحديث.

رواه مسلم في الصّحيح عن زهير بن حرب عن الفضل بن دكين[(١)].

قال الحليمي رحمه اللّه: إذا علّقَ رجاءهُ باللّه - جلّ ثناؤهُ - ينبغي له أن يسأله ما يحتاج إليه صغيراً أو كبيراً، لأن الكلّ بيدهِ لا قاضي للحاجات غيره قال اللّه عزّ وجلّ:

﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]

وعن منصور، والأعمش، عن ذرّ، عن يُسَيْعٍ الحضرمي، عن النّعمان بن بشير، قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

«إنّ الدُّعاء هوَ العِبادَةُ» ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، الآية[(٢)].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٢/ ٢٣، وصحيح مسلم ج ٤/ ٢١٠٧، وما قبلها ٢١٠٦ رقم ٢٧٥٠.

(٢) صحيح سنن الترمذي برقم ٢٥٩٠ و ٢٦٨٥، وهو في السنن برقم ٣٢٤٧، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وعن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ قال: «ليس شيءٌ أكرمَ على اللّهِ مِنَ الدُّعاءِ»[1].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إنّه مَنْ لم يسألِ اللّهَ يَغْضَبْ عليهِ»[2].

قال البيهقي رحمه اللّه[3]: الدعاء قول للقائل يا اللّه، أو يا رحمٰن، أو يا رحيم وما أشبه ذلك وهو أيضاً نداء قال اللّه عزّ وجلّ:

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم].

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [الأنبياء: ٨٩].

وفي آية أخرى قال تعالى:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ﴾ [آل عمران: ٣٨].

ومعنى: «ربّ» يا رب فثبتَ أنّ الدّعاء نداءٌ، والنداء دعاءٌ غير أنّ له أركاناً وأُولاهُنّ: أن يكون المرغوب فيه مما يبلغُ قدرَ السّائل أن يسأله، وتفسيره أنه ليس لأحدٍ أن يتشبّهَ بإبراهيم عليه السلام فيدعو اللّه جلّ ثناؤه أن يُرِيَهُ كيفَ يحييَ الموتَى، ولا أن يتشبّهَ بموسى عليه السلام فيقول:

﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ولا أن يتشبّه بعيسى عليه السلام، فيقول:

﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤].

---

(١) صحيح سنن الترمذي رقم ٢٦٨٤، وصحيح ابن ماجه برقم ٣٨٢٩.
(٢) صحيح سنن الترمذي رقم ٢٦٨٦، وصحيح ابن ماجه برقم ٣٨٢٧.
(٣) شعب الإيمان للبيهقي ج ٢/ ٤٣ ـ ٤٩ باختصار.

ولا لأحدٍ أنْ يسأل اللّه تعالى إنزالَ مَلَكٍ عليه فيسأله عن خبرٍ من أخبار السماء، أو إحياءَ أبوَيهِ، لأنّ نقض العادات إنّما يكون من اللّه تعالى لتأييد من يدعو إلى دينهِ، لا لشهوات العباد ومُنَاهُم، إلاّ أن يكون السّائل نبيًّا فيجمع إجابته إيّاه أمنيته وتأييده بما يُصدّق دعوتَهُ، ولكنّه إن دعا كما دعا نوح عليه السّلام، فقال:

﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح].

جاز، وإنّما يبعثه عليه بعض أعداء اللّه؛ وكذلك إن حدثت له ضرورةٌ من جوعٍ أو بردٍ شديد أو غير ذلك في بادية هو مأذون له في دخولها من جهة الشرع، أو أصابه عمًى ولا قائدَ لهُ فدعَا اللّهَ أن يكشف ما به الضّرَّ مطلقاً، كان ذلك جائزاً، وإن كان في إصابته إيّاه نقض العادة، وقد يفعل به ذلك من غير مسألته جزاءٍ لتوكلّه وقوّة إيمانه.

قال ومن أركانه: أن لا يكون عليه في سؤال ما يسألِ حرج.

ومنها: أن يكون له في السؤال غرض صحيح.

ومنها: أن يكون حَسَنَ الظّنّ باللّه عزّ وجلّ عند الدّعاء فتكون الإجابة على قلبه أغلب من الرّد.

ومنها: أن يدعو اللّه بأسمائه الحُسْنَى وصفاته العليا قال اللّه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨].

ومنها: أن يسأل ما يَسْأَلُ بجدٍّ وحقيقةٍ، ولا يأخذ دعاءٍ مؤلّفاً فيسردُهُ سَرْداً وهو عن حقائقه غافل.

ومنها: أن لا يُشْغله الدّعاء عن فريضةٍ للّهِ تعالى حاضرةٍ فيفوّتُها.

ومنها: أن يكون دعاؤه سؤالاً بالحقيقة لا اختباراً لربِّهِ جلَّ ثناؤُهُ.

ومنها: أن يُصْلِحَ لسانَهُ إذا دعا فلا يخاطب ربّه جلّ ثناؤُهُ بما لو

خاطب به كُفؤه وقرينَه نسَبهُ إلىٰ قلّةِ الحياءِ وسوءِ الأدب، أو ركاكةِ العقل.

ومنها: أن لا يدعو ضَجِراً مستعجِلاً يُضْمِرُ أنّه إنْ أُجيب في الوقت الذي يُريد، وإلاّ يئسَ وتركَ، بل يدعُو متعبّداً متخشّعاً يُضمر أنّه لا يزال يدعُو ويتضرّع إلى أن يُجاب، وكلّما زادت الإجابةُ عنده تراخياً زادَ الدّعاء تَتَابُعاً وتَوَالياً.

ومنها: أن حاجته إذا عَظُمَتْ لم يسألها اللَّهَ عزّ وجلّ مُسْتَعْظِماً إيّاها في ذات اللَّهِ تعالى بل يسأله الصّغيرة والكبيرة سؤالاً واحداً ويرَى مِنَّةَ اللَّهِ تعالى في إجابته إليها عظيمةً.

وأمّا آدابه فمنها: أن يُقدّم التّوبة أمامَ الدّعاء.

ومنها: الجدُّ في الطّلب والإلحاح.

ومنها: المحافظة على الدعاء في الرخاء دون تخصيص حالِ الشدّة والبَلاَء.

ومنها: أن يَعْزِمَ إذا سألَهُ.

ومنها: أن يدعو ثلاثاً.

ومنها: أن يقتصِرَ على جَوَامِعِ الدّعاء ما لم تَعرضْ للُ حاجةٌ بعينهَا فينصُّ عليها.

ومنها: افتتاح الدّعاء وختمه بالصّلاة على رسول الله ﷺ.

ومنها: أن يدعو وهو طاهر.

ومنها: أن يدعو وهو مستقبل القبلة.

ومنها: أن يدعو في دُبُرِ صلاتِهِ.

ومنها: أن يرفع اليدين حتى يُحاذِي بهما المنكبين إذا دعا.

ومنها: أن يخفض صوتَهُ بالدّعاء.

ومنها: أن يمسحَ وَجْهَهُ بيديه إذا فَرغَ مِنَ الدّعاء.

ومنها: أن يحمد اللَّه عزّ وجلّ إذا عرف الإجابة.

ومنها: أن لا يُخلي يوماً ولا ليلةً منَ الدّعاء.

قال: ويتحرّى للدّعاء الأوقات والأحوال والمواطن التي يرجى فيها الإجابة تماماً.

فأمّا الأوقات فمنها: ما بين الظهر والعصر من يوم الأربعاء.

ومنها: ما بين زوال الشمس من يوم الجمعة إلى أن تغرب الشّمس.

ومنها: الدّعاء في الأسْحَار.

ومنها: عند فَيْىءِ الأفياء.

ومنها: الدّعاء يوم عرفة.

وأمّا الأحوال فمنها: حال النداء للصّلاة.

ومنها: حين فطر الصّائم.

ومنها: عند نزول الغيث.

ومنها: عند الْتِقَاءِ الصّفَّين.

ومنها: عند اجتماع المسلمين على الدّعاء.

ومنها: أدبار المكتوبات.

ومنها: عند القيام مِنَ المجلس.

وأمّا المواطن: فالموقفان، والجمرتان، وعند البيت، والملتزم

خاصَّةً، وعلى الصَّفَا والمَرْوَةَ[1].

وعن سليمان التَّيمي، عن أبي الصّديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما مِن مسلمٍ يَدعُو بدَعوةٍ ليسَ فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رَحِمٍ إلاّ أعطَاهُ اللَّهُ إحدىٰ ثلاثٍ إمّا يُعَجِّلُ لهُ دعوتَه، وإمّا أن يدَّخِرَهَا له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها»[2].

وعن جبير بن نُفير، عن عُبادةَ بنِ الصّامت حدَّثهم أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «ما علَى الأرْضِ مِنْ مسلم يَدْعُو بدعوةٍ إلاّ أعطاهُ اللَّهُ إيّاها، أو كشفَ عنه من السّوءِ مثلها ما لم يَدْعُ بإثمٍ أو قطِيعةِ رحم»[3].

وفي رواية التّرمذي: «فقال رجلٌ من القومِ: إذاً نُكْثِرُ؟ قالَ ﷺ: اللَّهُ أكْثَرُ»!!.

وعن عبد اللَّه بن عباس قال: كُنْتُ رديفَ النّبيّ ﷺ فقال: يا غلامُ! أوَلاَ أُعلِّمْكَ كلماتٍ يَنْفُعُكَ اللَّهُ بهنَّ؟ قلتُ: بلى، قال: احفظِ اللَّه يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أمامَكَ، تَعرَّفْ إلى اللَّهِ في الرّخاءِ يعْرِفْكَ في الشّدّة، إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِن باللَّه، قد جفَّ القلمُ بما هو كائن، فلو أنّ الخَلْقَ كلّهم جميعاً أرادوا أنْ يَنْفَعُوكَ بشيءٍ لم يَقْضِهِ اللَّهُ لكَ لم يقدِرُوا عليه، وإنْ أرادُوا أن يضرُّوك بشيءٍ لم يَقْضِهِ اللَّهُ عليك لم يقدِرُوا عليه، واعْمَلْ للَّهِ بالشّكر في اليقين، واعْلَمْ أنَّ الصَّبْرَ على ما تكره خيرٌ كثير، وأنّ النَّصْرَ مع الصّبْرِ، وأنّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسْراً»[4].

---

(١) شعب الإيمان ج ٢/ ٤٣ ـ ٤٦.

(٢) شعب الإيمان ج ٢/ ٤٨، والمستدرك للحاكم ج ١/ ٤٩٣ وصححه وأقرّه الحافظ الذهبي على تصحيحه.

(٣) صحيح سنن الترمذي برقم ٢٨٢٧.

(٤) شعب الإيمان ج ٢/ ٢٧ ـ ٢٨، وصحيح سنن الترمذي برقم ٢٠٤٣، وفي السّنن =

عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«يا أيّها النّاسُ إنّ اللّه عزّ وجلّ طَيّبٌ لا يقبلُ إلاّ طيّباً، وإنّ اللّهَ عزّ وجلّ أمرَ المؤمنينَ بما أمرَ بهِ المرسلينَ فقالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ثم ذكرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفَرَ أشْعثَ أغْبَر يمدّ يدَهُ إلى السّماء يا ربِّ! يا ربِّ! ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ ومَشْربهُ حَرَامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وغُذِّيَ بالحَرامِ، فأنّى يُسْتَجابُ لهُ»؟!.

أخرجه مسلم في الصّحيح من وجهٍ آخر عن فُضَيْلِ بن مرزوق[1].

أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الخضر بن أبان، ثنا سيّار بن حاتم، ثنا جعفر بن سليمان، ثنا ثابت قال:

«عَبَدَ اللّهَ رجلٌ سبعين سنةً، فكان يقول في دعائه ربِّ اجْزني بعملي، ربِّ اجْزني بعملي، فمات فأُدخِلَ الجنّةَ فكان فيها سبعين سنة فلّما استكملها قيل له: أخْرُجْ فقد استكملتَ عملكَ فأسْقِطَ في يديه، فجعل يقول: أيُّ شيءٍ كان أوثق في الدنيا؟ فلم يجدْ شيئاً كان أوثق في الدنيا من دعاء اللّه والتّضرّع إليه فجعلَ يقول: ربِّ سَمِعْتُكَ ـ وأنا في الدنيا ـ وأنتَ تُقيلَ العَثَراتِ، فَأَقِلِ اليومَ عَثْرتي

= للترّمذي برقم ٢٥١٦.

(١) شعب الإيمان ج ٢/ ٥٥ ـ ٥٦، وصحيح مسلم ج ٢/ ٧٠٣ برقم ١٠١٥.

فَتُرِكَ فيها». والله تعالى أعلم[1].

(١) شعب الإيمان ج ٢/ ٥٦، هـذه القصّة عن ثابت هو ابن أسلم البُناني، وهو ثقة مخرَّج له في صحيح مسلم، قال أحمد بن حنبل: كان يقصُّ. ووثقه أحمد والنسائي، وقال ابن عدي: ما وقع في حديث من النّكرة فإنّما هو من الرّاوي عنه، لأنّه روى عنه الضعفاء - الميزان ج ١/ ٣٦٢. وأما جعفر بن سليمان فقد قال عنه يحيى بن معين: كان يحيى بن سعيد ـ أي القطان ـ لا يكتب حديثه ويستضعفه. قال البخاري: كان أمّيًّا. وقال ابن سعد: ثقةٌ فيه ضعف، وكان يتشيّع. وقال يزيد بن زُرَيع: كان يُنسب إلى الرفض. وذكر العُقيلي: أنّه كان يبغض أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما - الميزان ج ١/ ٤٠٨ وأمّا الخضر بن أبان فقد ضعفه الحاكم وغيره. وتكلّم فيه الدارقطني - الميزان ج ١/ ٦٥٤، فالقصّة إسنادها ضعيف. والله تعالى أعلم بحقيقة الأمور.

الثّالث عَشر من شُعب الإيمان
الإيمان بوجوب التوكل على اللّه عزّ وجلّ

وهو باب التّوكّل باللّه عزّ وجلّ والتّسليم لأمرِه تعالىٰ في كل شيء[1].

قال الله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى لنبيّه ﷺ:

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وغير ذلك من الآيات التي ذكر اللّه عزّ وجلّ فيها التوكل.

قال الإمام رحمه الله تعالى: وجملةُ التّوكّلِ تفويضُ الأمر إلى اللّه جلّ ثناؤه، والثّقةُ به.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٢/ ٥٧ .

قال أهل العلم: كل أمر بيَّنَ اللَّهُ فيه لعباده طريقاً ليسلكُوهُ إذا عُرِضَ لهم فالتّوكّل إنّما يقع منهم في سلوك تلك السّبيل، والتَّسَبّب به إلى المراد، فإن فعلوا ذلك متوكّلين على اللّه عزّ وجلّ في أن يُنْجِحَ سعيَهُمْ ويُبلِّغهم مُرَادَهُم كانوا آتينَ الأمرَ من بابه، ومَنْ جرَّد التّوكّل عن التَّسَبّب بما جعله اللّه سبباً فلم يعملْ لِما أُمِرَ به؛ لم يأتِ الأمْرَ من بابه.

قال سعيد بن جبير: ثنا ابن عباس عن النّبيّ ﷺ قال[1]:

«عُرِضتُ عليّ الأُمَمُ، قال: فرأيتُ النَّبيّ معه الرّهطُ، والنّبيّ معه الرّجلُ والرّجلان، والنَّبيّ ليسَ معه أحدٌ، إذْ رُفِعَ لي سوادٌ عظيمٌ. فقلتُ: هذه أُمّتي، فقيل: هذا موسى وقومُهُ، ولكنِ انْظُرْ إلى الأُفق، قال: فنظرتُ فإذا سوادٌ عظيم، ثم قيلَ: انْظُرْ إلى هذا الجانب الآخر فإذا سوادٌ عظيم، فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً، يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذابٍ».

ثم نهض النّبيّ ﷺ فَدَخَل فخاضَ القومُ في ذلك فقالوا: من هؤلاء الذين يدخلون الجنّة بغير حساب ولا عذاب؟ فقال بعضهم لبعض: لعلّهم الذين صحبوا النّبيّ ﷺ، وقال بعضهم: فلعلّهم الذين وُلدوا في الإسلام ولم يُشْرِكُوا باللّه شيئاً قط. وذكروا أشياء فخرج إليهم النّبيّ ﷺ فقال:

«ما هذا الذي كنتُمْ تخُوضُون فيه؟».

فأخبروه بمقالتهم فقال:

«هم الذين لا يَكْتَوُون، ولا يَسْتَرْقُون، ولا يتطيّرون، وعلى ربّهم يتوكّلُون» فقال عُكّاشَةُ بْنُ مِحْصَن الأسَديّ فقال: أنا منهم يا رسول اللّه؟ فقال: «أنتَ منهم، ثم قام رجلٌ آخر فقال: أنا منهم يا رسولَ اللّهِ؟ قال: سَبَقك بها عُكّاشَةُ».

---

(١) شعب الإيمان ج ٢/٥٨ ـ ٥٩.

أخرجاه في الصحيح من حديث هشيم وغيره[1].

وفي حديث بريدة رخصة في الاسترقاء وقد رواه إسماعيل بن زكرياء وملك بن مغول، عن حصين، عن الشعبي، عن عمران بن حصين عن النّبيّ ﷺ مرفوعاً قوله:

«لا رُقْيَةَ إلاّ مِنْ عينٍ أو حُمَةً»[2].

واللَّه أعلم أنّهما أولى بالرقي لِما فيهما من زيادة الضّرر.

والحُمَةُ سمٌّ ذُوات السّموم.

وأمّا رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس، فقد قال الحليمي رحمه اللَّه تعالىٰ: يُحتمل أن يكون أرادَ بهم الغافلين عن أحوال الدنيا وما فيها من الأسباب المعدّة لدفع الآفات والعَوَارض، منهم لا يعرفون الاكتواء ولا الاسترقاء، ولا يعرفون فيما ينوبهم ملجأ إلاّ الدّعاء والاعتصام باللَّه عزّ وجلّ.

وقيل: هُمُ البُلْهُ عن شهوات الدنيا وزينتها والحبائل التي للشيطان فيها.

وقالَ اللَّهُ عزّ وجلّ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [النور: ٢٣].

فقيل: أراد الغافلات عمّا يُرْمَيْنَ به من الفحشاء لا يتفكّرْنَ فيها، ولا يخطرن بقلوبهنّ، ولا تكون من همّتهنّ فكذلك الذين أثنى عليهم رسولُ الله ﷺ في هذا الخبر هم الغافلون عن طبِّ الأطبّاء ورقيّ الرُّقاة، ولا يُحسِنُونَ منها شيئاً لا الذين يُحسِنُونَ ولا يستعملون ثم احتجّ بما روي عن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٨/ ١٤٠، ومسلم في صحيحه ج ١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٢) حديث صحيح، كما في صحيح سنن أبي داود ج ٢/ ٧٣٦ رقم ٣٢٨٩.

النّبيّ ﷺ في ذلك وهو أنّه ﷺ كوى أسعد بن زُرَارة من الشّوكة.

وبعث إلى أبيّ بن كعب طبيباً فقطع منه عِرْقاً ثم كَوَاهُ عليه وهذا يدلّ على الرّخصة في ذلك.

قال الإمام أحمد رحمه اللّه:

ثم قد روينا[1] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النّبيّ ﷺ قال: «الشّفاء في ثلاثة: شَرْطةِ مِحْجَمٍ، أو شَرْبَةِ عَسَلٍ، أو كيّةٍ بنارٍ، وأنا أنهى أمّتي عن الكيّ»[2].

وهذا القول صدرَ منه بعد قصّة أسْعَد بن زُرَارَةَ. ويُشْبهُ أن يكون بعد قصة أبيّ أيضاً بهذا النّهي ـ واللّه تعالى أعلم ـ التّنزيه. فقد روى هذا الحديث بعينه جابر بن عبد اللّه عن النّبيّ ﷺ قال:

«إنْ كان في شيء من أدويتكم خيرٌ ففي شِرْطَةَ حَجّامٍ، أو شِرْبة عسلٍ، أو لدغةٍ بنارٍ، وما أحبُّ أن أكتوي».

وهذا يدلُّ على أنّ ذلك على غير التّحريم.

وروينا عن عمران بن حصين أنّه قال نهانا رسول الله ﷺ عن الكيّ فاكتوينا فما أفلحنا ولا أنجحنا[3].

وفي هذا ما دل على أنه على غير التحريم إذْ لو كان على طريق التحريم لم يكتو عمران بن حصين بعد علمه بالنّهي غير أنه ركب المكروه ففارقه مَلَكٌ كان يُسلّم عليه فحزن على ذلك. وقال هذا القول: ثم قد رُوي أنّه عاد إليه قبل موته. وإذا كان الكي بحكم هذه الأخبار مكروهاً فارق حكمه حكم سائر الأسباب التي ليست فيها كراهية حين استحقّ تاركه الثناء الذي قدمنا ذكره.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٢/ ٦٠.

(٢) صحيح البخاري ج ١٠/ ١٣٦، الفتح برقم ٥٦٨٠.

(٣) صحيح أبي داود برقم ٣٢٧٤، وصحيح ابن ماجه برقم ٣٤٩٤.

وأمّا الاسترقاء فقد روينا الرّخصة فيه بما يُعْلم من كتاب الله أو ذكره من غير كراهية، وإنّما الكراهية فيما لا نعلم من لسان اليهود وغيرهم فكان التّاركُ لما كان مكروهاً هو المستحق لهذا الثناء، والله تعالىٰ أعلم. ويُحتمل أن يكون هذا هو المراد بما روى عُقار بن المغيرة بن شعبة، عن أبيه عن النّبيّ ﷺ:

«مَنِ اكتوىٰ أو استَرْقَى فقد بَرِىءَ مِنَ التوكُّلِ»[1].

قال الإمام أحمد رحمه الله: وذلك لأنّه رَكِبَ ما يُسْتحب التنزيه عنه من الاكتواء والاسترقاء لِما فيه من الخطر، ومن الاسترقاء بما لا يعرف من كتاب الله عزّ وجلّ أو ذكره لجواز أن يكون ذلك شركاً، أو استعملها معتمداً عليها لا على الله تعالى فيما وضع فيهما من الشّفاء، فصار بهذا أو بارْتِكَابه المكروه بريئاً من التّوكّل، فإن لم يوجد واحدٌ من هذين وغيرهما من الأسباب المباحة لم يكن صاحبها بريئاً من التوكّل والله تعالىٰ أعلم.

وقد ذكرنا أسانيد هذه الأحاديث في الكي والرّقي والأدوية في الرّبع الأخير من كتاب السّنن.

وأمّا التّطير بزجر الطّائر وإزْعَاجِها عن أوكارها عند إرادة الخروج للحاجة حتى إذا مرّتْ على اليمين تفاءلَ به، ومضى على وجهه، وإنْ مرّتْ على الشّمال تشاءم به وقعد، فهذا من فعل أهل الجاهلية الذي كانوا يوجبون ذلك، ولا يُضيفون التدبير إلى الله عزّ وجلّ، فَمَنْ فعل من أهل الإسلام على هذا الوجه استحق الوعيد دون الثناء.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ج ١٠٤٩/٢ برقم ٦٠٨١، وعزاه لأحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم، والأحاديث الصّحيحة برقم ٢٤٤.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

«الطِّيرةُ شِرْكٌ، وما منّا إلاّ، ولكنّ اللّهَ يُذهِبُهُ بالتّوكّلِ»[١].

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: يريد - والله تعالىٰ أعلم - الطِّيرَةُ شِرْكٌ على ما كان أهل الجاهلية يعتقدون فيها، ثم قال: «وما مِنّا إلاّ» يُقال: هذا من قول عبد اللّه بن مسعود وليس من قول النّبيّ ﷺ. وقولُهُ: وما مِنّا إلا وقع في قلبه شيءٌ عند ذلك على ما جرت به العادة، وقضت به التجارب، لكنّه لا يُقِرّ فيه بل يِحسِّنُ اعتقادَهُ أنْ لا مدبّر سِوَى الله عزّ وجلّ.

كما روينا عن النّبيّ ﷺ قال:

«إذا أُريتَ مِنَ الطِّيرَةِ ما تكرَهُ فَقُلْ: اللّهمّ لا يأتي بالحسَنَاتِ إلاّ أنتَ، ولا يدفعُ السّيئاتِ إلاّ أنتَ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بكَ»[٢].

وعن الزّهري، أخبرني عبيد اللّه بن عُتبة أنّ أبا هريرة قال: «سمعتُ النّبيّ ﷺ يقولُ:

«لا طيرَةَ وخيرُهَا الفألُ» قالُوا: «وما الفَألُ يا رسولَ اللّهِ»؟ قالَ: «الكلمةُ الصّالحةُ يسمعُها أحدُكم».

أخرجاهُ في الصحيح من حديث أبي اليمان عن شعيب بن أبي حمزة[٣].

---

(١) شعب الإيمان ج ٢/ ٦٢، وصحيح أبي داود برقم ٣٣٠٩، وصحيح الترمذي برقم ١٦٧٩، وصحيح ابن ماجه برقم ٣٥٣٨، والأحاديث الصحيحة برقم ٤٣٠، وجميعها للشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني.

(٢) سنن البيهقي ج ٨/ ١٣٩، وضعفه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، انظر ضعيف سنن أبي داود ٨٤٣، والمشكاة ٤٥٩١.

(٣) صحيح البخاري ج ١٠/ ٢١٢، الفتح برقم ٥٧٥٤ و ٥٧٥٥، ومسلم في صحيحه ج ٤/ ١٦٤٦ برقم ٢٢٢٤، بلفظ: «لا عَدْوَى ولا طِيرَةَ..».

وعن قتادة عن ابن بريدة عن أبيه:

«أنّ النّبيّ ﷺ كان لا يتطيّرُ مِنْ شيءٍ وكانَ إذا بعثَ عاملاً أو غُلاماً سأل عن اسمهِ، فإنْ أعجبَهُ اسمُهُ فرِحَ ورُئيَ بُشْرَى ذلكَ في وجههِ، وإن كَرِهَ اسمَهُ رُئيَ الكراهيةُ في وجههِ، وإذا دخلَ القريةَ سألَ عن اسمِها فإن أعجبَهُ اسمُها فرِحَ بذلكَ، ورُئيَ ذلكَ في وجههِ، وإن كره ذلك رُئيَ كراهيةُ ذلك في وجههِ»[1].

وعن أبي هريرة قال: إنّ رسولَ اللّه ﷺ:

«سمِعَ كلمةً من رجلٍ فأعْجَبَتْهُ فقال: قَدْ أخذنَا فَألَكَ مِنْ فِيكَ»[2].

عن عمر بن الخطاب قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«لو توكّلت على الله حقَّ توكُّلِهِ لرُزقت كما يُرْزَقُ الطير تَغْدُو خماصاً وتروح بطاناً»[3].

قال وفي رواية يعقوب[4]:

«لو أنّكم تتوكَّلُون على اللّهِ حَقَّ توكّلِهِ لرَزَقَكُم كما يَرْزُقُ الطّيرَ تَغدُو خِمَاصاً وتروحُ بِطَاناً».

وفي رواية أخرىٰ:

«إنّكم لو تَوَكّلُونَ على اللّهِ حقَّ توكّلهِ لرزَقكُم كما يرزُقُ الطَّيرَ تَغْدُو

---

(١) شعب الإيمان ج ٢/ ٦٣، وفي صحيح سنن أبي داود برقم ٣٣١٩، والصحيحة /٧٦٢.

(٢) صحيح سنن أبي داود برقم ٣٣١٧.

(٣) شعب الإيمان ج ٢/ ٦٣.

(٤) صحيح سنن الترمذي برقم ١٩١١، وصحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٣٥٩.

خِماصاً، وتروحُ بِطَاناً»[1].

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: وليس في هذا الحديث دَلاَلَةٌ على القُعُودِ عن الكسب بل فيه ما يدلُّ على طلب الرِّزْق، لأنّ الطير إذا غَدَتْ فإنّما تغدُو لطلبِ الرّزق وإنّما أراد - والله تعالى أعلم - لو توكّلُوا على اللّهِ تعالى في ذَهَابِهم ومجيئِهم وتصرّفهم ورأوا أنّ الخير بيدِهِ ومِنْ عندِهِ لم ينصرفُوا إلاّ سَالِمين غانمين كالطّير تغدُو خِمَاصاً، وتروحُ بِطَاناً، لكنّهم يعتمِدُون على قوّتِهم وجَلَدِهم ويغِشُّون ويكذبون، ولا ينصحون، وهذا خلافُ التّوكّل.

عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطّلب، عن المطّلب بن حنطب أنّ رسولَ الله ﷺ قال:

«ما تركتُ شيئاً ممّا أمَرَكُمْ اللّهُ إلاّ وقد أمرتُكُمْ بهِ، وما تركتُ شيئاً ممّا نَهاكُمُ اللّهُ عنه إلاّ وقد نهيتُكُمْ عنه، وأن الرُّوحَ الأمينَ قد نَفَثَ في رُوْعِي أنّه لن تموت نفسٌ حتّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَها فأجْمِلُوا في الطّلب»[2].

عن محمد بن المنكدِر، عن جابر بن عبد اللّهِ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَسْتَبْطئُوا الرِّزْقَ، فإنّه لم يكن عبدٌ يموتُ حتّى يبلغَهُ آخرُ رزقٍ هو لهُ فاتّقُوا اللّهَ، وأجْمِلُوا في الطّلب من الحلال وترك الحرام»[3].

---

(1) شعب الإيمان ج ٢/ ٣ .

(2) شعب الإيمان ج ٢/ ٦٤، ومسند الإمام الشافعي ج ٢/ ١٨٩ برقم ٦٧٣.

(3) شعب الإيمان ج ٢/ ٦٤، والمستدرك للحاكم وصحّحَهُ وأقرّهُ الذهبي ج ٢/ ٤٠٣، ووافقهما الشيخُ محمد ناصر الدّين الألباني كما في «السّنّة» لابن أبي عاصم ج ١٨٢ رقم الحديث ٤١٨، وفي صحيح الجامع الصّغير برقم ٢٠٨٥: «إنّ رُوْحَ القدس نفثَ في روعي: أنّ نفساً لن تموتَ حتّى تستكمل أجلها وتستوعِبَ رزقها، فاتّقُوا اللّهَ وأجملوا في الطلب. ولا يحملنّ أحدَكُم استبطاءُ الرّزقِ أنْ يطلبَهُ بمعصية الله فإنّ الله تعالىٰ لا ينالُ ما عندَهُ إلاّ بطاعته».

وفي هذا ما دلّ على أنه أمر بطلب الرّزق إلاّ أنّه أمر بإجماله، وإجمال الطّلب هو أن يطلبه من الحلال معتمداً على الله عزّ وجلّ، ولا يُلاحظ في طلبه قواه ومكايده وحِيله ولا يطلبه من الحرام.

عن ابن عباس قال:

كان أهلُ اليمن يحجون ولا يتزوّدُون ويقولُون: نحنُ متوكّلون فيحجُّون إلى مكة، فيسألُون النّاسَ فأنزلَ اللّهُ عزّ وجلّ:

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

أخرجه البخاري في الصّحيح عن يحيى بن بشر بن شبابة[(١)].

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: وفي هذا إنّ الله تعالى أمرَ زُوَّارَ بيتهِ بالتّزوّد. وقال: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾.

يعني ـ والله تعالى أعلم ـ فإنّ خير الزّادِ ما عاد على صاحبه بالتّقوىٰ.

وقال الحليمي رحمه الله تعالىٰ: وهو أن لا يتوكّل على أزْوَادِ النّاسِ فيُؤْذِيهم ويُضيّق عليهم، ومَن دخلَ البادية بلا زَادٍ متوكّلاً فإنّما يرجو أن يُقيّضُ اللّهُ تعالىٰ مَنْ يُواسِيَهُ من زاده وهذا عينُ ما أشارت الآية إلى المنعِ منه، فَبَانَ أنّه لا معنى لاستحبابِهِ، وإنّما المستحب هو التّزوّد أو الجلوس إذا لم يكن زادٌ حتّى يكون.

عن داود بن أبي هند، عن أبي حرب بن أبي الأسْوَد، حدثني طلحةُ البصري، قال[(٢)]:

---

(١) شعب الإيمان ج ٢/ ٧٥، وصحيح البخاري ج ٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤، الفتح برقم ١٥٢٣.

(٢) شعب الإيمان ج ٢/ ٧٦ ـ ٧٧، والمستدرك للحاكم ج ٣/ ١٥، وج ٤/ ٥٤٩.
وصححه الحاكم وأقرّه الذهبي وقال: صحيح، سمعَهُ جماعةٌ من داود، وهو في مسند أحمد، وأخرجه أحمد في مسنده ج ٣/ ٤٨٧.

كان الرَّجُلُ منّا إذا قَدِمَ المدينةَ فكان له بها عرِّيفٌ نزلَ على عرِّيفِه، فإن لم يكن له بها عرِّيفٌ نزل الصُّفّة، فقدمتُ المدينة ولم يكن لي بها عرِّيفٌ فنزلتُ الصُّفّة، وكان يُجْري علينا رسولُ اللّهِ ﷺ كلَّ يومٍ مُدًّا مِن تمرٍ ويكسونا الخُنُف، فصلى بنَا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ بعضَ صلوات النّهار، فلمّا انصرفَ نادَاهُ أهلُ الصُّفَّة يميناً وشِمَالاً: يا رسولَ اللّهِ أحرقَ بطوننا التّمرُ وتخزَّقَتْ علينَا الخُنُفُ، فمالَ رسولُ الله ﷺ إلى منبرِه، فصَعِدَهُ فحمِدَ اللّهَ وأثنى عليه فذكر شدّة ما لقيَ من قومه، حتّى قال:

«فلقد أتى عليّ وعلى صاحبي بِضعَ عشرة يوماً ومالي وله طعام إلاّ البرير» قال: قلتُ لأبي حرب: وما البرير؟ قال: طعام رسول الله ﷺ تَمْرُ الأرَاكِ».

فقدِمْنَا على إخوانِنَا هؤلاء من الأنصار وعُظْمُ طعامهم التمرُ فَوَاسُونا فيه، فوالله لو أجدُ لكم الخبز واللحم لأشبعتُكم منه، ولكن عسى أن تُدرِكُوا زماناً حتى يُغْدَى على أحدكم بجُفْنةٍ، ويُرَاحُ عليه بأخرى». قال: فقالوا يا رسولَ الله أنحن اليوم خيرٌ أو ذلك اليوم؟ قال: «لا، بل أنتم اليومَ خيرٌ منكم يومئذٍ، أنتم مُتحابُّون، وأنتم يومئذٍ يَضْرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ» أراه قال: «مُتباغِضُون».

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: وفي هذا الحديث أنّ أصحاب الصُّفّة لم يصبروا على المجاعة حتى أعلموا من أملوا أن يُغَيِّر أحوالهم فلم ينكر ذلك رسولُ الله ﷺ وسلم عليهم، ولكنّه أجابهم بما سكّنَ عنهم، فدلّ ذلك على أنّ طلب ما تقع إليه الحاجةُ ليس بمضادّ للتّوكّل إذا كان الطالب لا يطلب إلا متوكّلاً على الله تعالى في إظفاره بمطلوبه[1].

وقد روينا عن سيد المتوكّلين ورسولِ ربّ العالمين أنه كانَ يَحْبِسُ ممّا أفاء اللّهُ عليه قُوتَ سنةٍ ثم يجعل ما بقي منه مَجْعَلَ مالِ الله

---

(١) شعب الإيمان ج ٢/ ٧٧ ـ ٧٨.

تعالى[1].

وروينا عنه ﷺ أنّه ظاهَرَ يوم أُحُدٍ بين دِرْعَيْنِ.

ودخل مَكَّةَ عام الفتح وعلى رأسه المِغْفَرَ.

وروينا أنّه احتجَمَ من وَثْيءٍ كان به.

وروينا عنه أدويةً أمرَ بها.

وأنّه قال: «تَدَاوَوْا فإنَّ الله لم يَضَعْ داءً إلاّ وَضَعَ له شفاءً إلاّ الهرم»[2].

وأمر بالاسترقاء وأذِنَ فيها.

وقال: «مَنْ استَطَاعَ منكُمْ أن ينفَعَ أخَاهُ فَلْيَنفعهُ».

وفي حديث أبي خِزَامة عن أبيه أنه قال: يا رسولَ الله أرأيتَ دواءً نَتَداوَى بها ورُقًى نَسْتَرْقِي بها، وتُقًى نتقيها، هل يردُّ ذلك من قَدَرِ اللَّهِ مِنْ شيءٍ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّهُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ»[3].

أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا يحيى بن نصر، ثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن ابن شهاب، أنّ أبا خِزامة حدّثه أنّ أباه حدّثه أنّه قال: يا رسولَ الله، فذكره.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: وهذا هو الأصل في هذا الباب، وهو أن يستعمل هذه الأسباب التي بيّنها الله تعالى لعباده وأذن فيها وهو

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٤١/١٢، وأحمد ٤٨/١ من حديث عمر رضي الله عنه قال: كانت أموال مولى بني النضير ممّا أفاء الله على رسوله مما لم يُوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فكانت للنبيّ ﷺ خاصته فكان يحبس منها نفقة سنة وما بقي جعله في الكراع والسلاح عدّةً في سبيل الله.

(٢) صحيح سنن أبي داود برقم ٣٢٦٤، وصحيح ابن ماجه برقم ٣٤٣٦.

(٣) شعب الإيمان ج ٧٨/٢، والمستدرك للحاكم ج ١٩٩/٤، وقال الذهبي: صحيح.

يعتقد أنّ المسبِّبَ هو الله سبحانه وتعالى، وما يصل إليه من المنفعة عند استعمالها بتقدير الله عزّ وجلّ، وأنّه إنْ شاء حرمة تلك المنفعة مع استعماله السّبب فتكون ثقته بالله عزّ وجلّ واعتماده عليه في إيصال تلك المنفعة إليه مع وجود السبب.

وعن جعفر بن عمرو بن أمية، عن عمرو بن أمية، قال: قلت يا رسولَ الله: أُرْسِلُ ناقتي وأتوكّلُ؟ فقال:

«اعْقِلْها وتوكّلْ»(١).

وعن معاوية بن قرّة أنّ عمر بن الخطاب أتى على قوم فقال: ما أنتم؟ قالوا: نحن المتوكِّلُون، قال بلْ أنتم المُتَّكِلُون، ألاَ أخبركم بالمتوكِّلِين؟ رجلٌ ألقَى حَبّةً في بطن الأرض ثم توكّلَ على ربِّهِ.

وقوله «المتكلون» يعني على أموال النّاس(٢).

---

(١) شعب الإيمان ج ٢/ ٨٠، وهو حديث حسن، وأخرجه ابن حبان في صحيحه الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ٢/ ٥١٠ رقم ٧٣١، وقال مخرّجه الشيخ شعيب الأرناؤوط، حديثٌ حسن.

(٢) شعب الإيمان ج ٢/ ٨١.

الرابع عشر من شُعَبِ الإيمَان

الإيمان بوجوب محبّة النّبيّ ﷺ

قال الحليمي رحمه الله:

وأصل هذا الباب أن يقف على مدائح رسول الله ﷺ والمحاسنِ الثابتة له في نفسه ثم على حُسن آثاره في دين الله عزّ وجلّ وما يجبُ له من الحقِّ على أمّته شرعاً وعادةً، فمَنْ أحاط بذلك وسَلِمَ عقله علم أنّه أحق بالمحبة من الوالد الفاضل في نفسه، البَرِّ الشّفيق على ولده، ومن المعلم الرضى في نفسه، المقبل على التعلم، المجتهد في التخريج[١].

ومدائحُ رسولِ الله ﷺ كثيرةٌ:

منها شرفُ أصلِهِ وطهارة مولده ﷺ.

ومنها أسماؤه التي اختارها الله له، وسمّاه بها.

ومنها إشارة الله تعالى بذكره قبل أن يخلُقَهُ حتى عرَفَهُ الأنبياء صلوات الله عليهم وأممهم قبل أن يعرف نفسَهُ وتعرفَهُ أُمّتُهُ.

ومنها حِسْن خَلْقِهِ وخُلُقِهِ وكرمِ خَصَائله وشمائلِهِ.

ومنها بيانه وفصاحته وقوله «أُوتيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ واخْتُصِرَ لِيَ الحديثُ اختِصَاراً»[٢].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٢/ ١٣٣.

(٢) الشطر الأول في صحيح مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم ٧و ٨: ٥٢٤، ومسند أحمد ج ٢/ ٥٣ و ٣١٤، و ٤٤٢ و٥٠١

ومنها حَدْبُهُ على أُمّته ورأفته بهم وما ساق الله تعالى به إليهم من الخيرات العظيمة في الدنيا وعرضهم له من شفاعته لهم في الآخرة.

ومنها زهده في الدنيا وصبره على شدائدها ومصائبها.

وأمّا المرتبة العظمى وهي النبوّة والرّسالة فله فيها من المآثر الرفيعة عمومُ رسالته الثقلين وشمولها بين الخافقين، وأنه خاتم النّبيّين، وسيّد المرسلين، وأكرمهم في الدنيا أعلاماً، وأحمدهم في الآخرة مقاماً، وذلك أنّه أوّل مَن تنشقُّ عنه الأرض، وأول شافع ومشفّع، وهو صاحب اللواء المحمود، وصاحب الحوض المورود، وأقسم الله بحياته، ولم يخاطبه باسمِهِ في القرآن ولا كنيتِهِ، بل دعاه باسم النّبوّة والرّسالة واصطفاه بذلك على الجماعة.

قال البيهقي رحمه الله: وقد صنّفتُ بتوفيق الله تعالى كتاباً في «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الرسالة من وقت ولادته إلى حال وفاته ﷺ»، وذكرتُ فيه من الأخبار والآثار ما يكون بياناً لِما أَوْرَدَهُ الحليمي رحمه الله.

عن جعفر بن محمد القلانسي، ثنا آدم، ثنا شعبة، ثنا قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«لايجدُ أحدُكم حلاوة الإيمان حتى يُحبَّ المَرْءِ لا يُحِبُّهُ إلاّ للَّهِ، وحتى أن يكونَ أن يُقْذَفَ في النّار أحبُّ إليهِ من أن يرجِعَ إلى الكفر بَعْدَ إذْ أنقذَهُ اللَّهُ منهُ، وحتى يكونَ اللَّهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه ممّا سِوَاهما»[1].

وعن حمّاد بن زيد ثنا ثابت عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى النّبيّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ متَى السّاعةُ؟ فقال: وماذا أَعْدَدْتَ للسّاعَةِ؟ قال: حبُّ اللَّهِ ورسولِهِ، قال: «فإنّكَ معَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قال أنسٌ: فأنا أُحِبُّ

(١) شعب الإيمان ج ٢/ ١٣٠، وهو في الصحيحين: البخاري برقم ٦٠٤١ الفتح، وفي صحيح مسلم قريباً من لفظه ج ١/ ٦٦، رقم ٤٤.

اللَّـهَ ورسـولَـهُ وأبـا بكـر وعمـر وأَرْجُـو أنْ أكـونَ معهـم وإنْ لـم أعمـلْ بأعمالهم».

وقال محمد في حديثه: وإن كنت لا أعمل بأعمالهم فبحبّي إيّاهم.

رواه مسلم في الصحيح[1] عن أبي الربيع ورواه البخاري عن سليمان بن حرب عن حماد قال البيهقي رحمه الله:

وإذا ظهر أنّ حبَّ الصّحابة من الإيمان فحبّهم أن يعتقد فضائلهم ويعترف لهم بها ويعرف لكلِّ ذي حقٍّ منهم حقّه ولكلِّ ذي غناً في الإسلام منهم غناه ولكل ذي منزلة عند الرّسول ﷺ منزلته وينشر محاسنهم ويدعو بالخير لهم ويقتدي بما جاء في أبواب الدِّين عنهم ولا يتّبع زلاّتِهم وهَفَواتِهم.

وعن محمد بن علي بن ميمون الرّقي ثنا أبو سعيد الثعلبي عن أبي بكر بن عياش في أوصاف أهل السّنّة والجماعة ومن كفّ عن أصحاب النّبيّ ﷺ فيما اختلفوا فيه فلم يذكر أحداً منهم إلاّ بخير.

وبالله تعالى التّوفيق[2].

---

(١) صحيح مسلم ج ٤/ ٢٠٣٢ ـ ٢٠٣٣، برقم ١٦٣ من كتاب البر والصلة والآداب.
(٢) شعب الإيمان ج ٢/ ١٩٢.

الخامس عشر من شُعَب الإيمان

الإيمان بوجوب تعظيم النّبيّ ﷺ وتبجيله وتوقيره

وهذه منزلةٌ فوقَ المحبّة، لأنّه ليس كلُّ مُحِبٍّ معظِّماً.. فعلمنا أنّ التّعظيم رتبةٌ فوقَ المحبّة. ومعلوم أنّ حقوقَ رسولِ الله ﷺ أجلُّ الحقوق بعد حقوق الله تعالى. فحقّ علينا أنْ نُحِبّهُ ﷺ ونُجِلّهُ ونعظِّمَهُ كما أمرنا الله تعالى(١).

قال الله تعالى:

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

فأخبر أنّ الفلاح إنّما يكون جمع إلى الإيمان به تعزيره، ولا خلاف في أن التّعزيرَ هٰهُنا التّعظيمُ.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح].

فأبان سبحانه أنّ حقّ رسولِهِ ﷺ في أُمّته أنْ يكونَ معزّراً موقّراً مَهيباً!!..

وقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والتّعزيرُ هاهنا: التّعظيم بلا خلاف.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٢/ ١٩٣ ـ ١٩٥، باختصار.

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النّور: ٦٣].

أي لا تقُولوا له: يا محمد! يا أبا القاسم! بل: يا رسولَ اللّهِ! يا نبيَّ اللّهِ!.

ولقوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾(١) [الحجرات: ١].

ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [الحجرات].

---

(١) أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسّنّة، ولا تسبقُوا الله ورسولَهُ بالقول أو الحكم في أمرٍ من الأمور.

معنى الصلاة على النّبيّ ﷺ

قال الحليمي[1] رحمه الله: أمّا الصّلاة في اللسان فهي التّعظيم، وقيل: الصّلاة المعهودة سُمّيتْ لِما فيها من حنيّ النّبيّ ﷺ وهو وسط الظّهر، لأنّ انحناء الصّغير للكبير إذا رآه تعظيماً منه له في العادات.

ثم سمُّوا قراءتَهُ صلاةً إذا كان المراد منه عامّة ما في الصّلاة من قيامٍ وقُعُودٍ وغيرهما من تعظيم الرّبّ تعالىٰ.

ثم توسَّعُوا وسمّوا كلَّ دعاءٍ صلاةً إذا كان الدّعاءُ تعظيماً للمدعو بالرّغبة إليه والثّناء بيّنَ له تعظيماً للمدعو له بانغاء ما ينْبَغِي له من فضل الله تعالى وجميل نظرِهِ.

وقيل: الصّلوات للّهِ أي الأذكار التي يُراد بها تعظيم المذكور والاعتراف له بجلال العبودية وعلو الرتبة كلها لله أي هو مستحقها لا يليق بأحدٍ سواه، فإذا قلنا: اللّهمَّ صلِّ على محمدٍ فإنّما نُريد به اللّهمَّ عظِّم محمداً في الدنيا بإعلاء ذكرهِ وإظهار دعوتِهِ وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أُمّته وإجزال أجرك ومثوبته وإبداء فضله للأوّلين والآخرين بالمقام المحمود، وتقديمه على كافّة المقرّبين في اليوم المشهود. وهذه الأمور وإن كان الله تعالى قد أوجبها للنّبيّ ﷺ كان كلُّ شيءٍ منها ذُو درجات ومراتب فقد يجوز إذا صلى عليه واحد من أمّته فاستجيبَ دعاؤه فيه أن يزداد النّبيّ ﷺ بذلك الدّعاء في كل شيءٍ ممّا سمّيناها رُتْبةً ودرجةً، ولقد كانتِ الصّلاة ممّا يُقصد بها قضاء حقِّهِ ويتقرّب بإكثارها إلى الله تعالىٰ.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٢/٢١٩ ـ ٢٢١.

ويدل على أنّ قولنا: اللّهمّ صلِّ على محمدٍ صلاةً مِنّا عليه لأنّا لا نملكُ إيصالَ ما يعظم به أمره ويعلو به قدره إليه، وإنّما ذلك بيد الله تعالىٰ فصحّ أن صلاتنا عليه الدّعاء له بذلك وابتغاؤه من الله عز وجل قال: وقد يكون للصّلاة على رسول الله ﷺ وجهٌ آخر وهو أنْ يُقال: الصّلاةُ على رسولِ الله ﷺ كما يُقال السّلام على رسولِ الله ﷺ، السّلام على فلان وقد قال الله عزّوجلّ:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البقرة: ١٥٧].

ومعناه لتكنْ، أو كانت الصّلاةُ على رسولِ الله ﷺ كما يُقال ﷺ أي كانت من الله عليه الصّلاة، أو لتكُنِ الصّلاةُ من اللّهِ عليه. والله أعلم. ووجهُ هذا أنّ التّمنّي على الله عزّ وجلّ سُؤَالٌ.

ألاَ ترىٰ أنّه يُقال: غفرَ اللّهُ لكَ ورحمَكَ الله، فيقوم ذلك مَقامَ اللّهمّ اغْفِرْ لهُ، اللّهمّ ارْحَمْهُ.

وأمّا التّسليمُ فهو أن يُقال: السّلامُ على النّبيّ والسّلام عليك أيّها النّبيّ أو سلامٌ عليك أيّها النّبيّ أو يا رسولَ الله.

ولو قال: اللّهمّ صلِّ وسلم على محمّدٍ لأغْنَى ذلك عن السلام عليه في التّشهد.

ومعنى السّلام عليك: اسمُ السّلام عليك، والسّلامُ اسمٌ من أسماء الله عزّ وجلّ، يُقَالُ اسمُ اللّهِ عليكَ. وتأويلُهُ لا خَلَوْتَ من الخيرات والبركات وسلمتَ من المَكارِهِ والمَذَامّ إذْ كان اسمُ اللّهِ تعالى إنّما يُذْكَرُ على الأعمال توقياً لاجتماع معاني الخير والبركة فيه وانتفاء عوارض الخطَلِ والفَسَاد عنه.

ووجه آخر: هو أن يكون معناه ليكن قضاء الله عليك السّلام وهو السّلامة كمقام والمقامة والملام والملامة أي سلّمكَ الله من المذامّ

والنقائص. فإذا قلنا اللّهمّ سلّمْ على مُحمّدٍ فإنّما نُريدُ به اللّهمّ اكْتُبْ لمحمّدٍ في دعوته وأمّته السّلامة من كلِّ نقصٍ فتزداد دعوته على الأيام علواً وأمّته تكاثراً وذكره ارتفاعاً ولا يعارضه ما يوهن له أمراً بوجهٍ من الوجوه واللّهُ أعلم.

وأما المباركة فإنّها فضلُ الله تعالى جدُّهُ وإنّما يكون هذا التّبريك وهو أن يقول: اللّهمَّ بارِكْ على محمّدٍ. وأصلُ البركة الدّوام. وهو من برك البعير إذا ناخ في موضع يلزمه. وقد يُوضع أيساً موضع التّيمّن فيُقال للميمون مُبَارَكُ الشيءِ موجبةُ دَوَامِهِ.

وقد يُوضع أيضاً موضع اليُمْن بمعنى أنه محبُوبٌ ومرغُوبٌ فيه وذلك لا يخالف ما قلنا لأنّ البركة إذا أُريد بها الدوام فإنّما يستعمل ذلك فيما يُراد ويُرغَّبُ في بقائه فإذا قلنا:

اللّهمَّ بارك على محمّدٍ فالمعنى اللّهمَّ أدِمْ ذكرَ محمّدٍ ودعوتَهُ وشريعتَهُ وكثِّرْ أتباعه وأشياعه وعرِّفْ أمّته من يُمْنِهِ وسعَادَتِهِ أن تشفعْهُ فيهم وتدخلهم جنّاتك وتُحلُّهم دارَ رِضْوَانِكَ فيجمعُ التّبريكَ عليه الدوام والزّيادة والسّعادة.

والله أعلم[1].

---

(١) شعب الإيمان ج ٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢٣.

السّادس عشر من شُعَبِ الإيمان

الحرصُ على الدِّين والشحُّ به حتى يكون القذف في النّار أحبَّ إليه من الكفر[1]

وذلكَ لِما ثبتَ من حديث رسولِ الله ﷺ فيما يرويهِ عنهُ أنسٌ، المتّفق عليه: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بهنَّ حَلاَوَة الإيمانِ، ثم قال: وَأَنْ يُلْقَى في النَّارِ أَحَبُّ إليهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إلى الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ»[2].

ولحديثه ﷺ أيضاً في «صحيح مسلم» أن رجلاً سأل النبيّ ﷺ فأعطاه غَنماً بين جَبلَيْن، فأتى قومَهُ، فقال: أَسْلِمُوا فواللَّهِ إنَّ محمّداً لَيُعطِي عطاءَ رجُلٍ لا يخاف الفَاقَةَ. [فقال أنسٌ:] وإنْ كانَ الرجلُ يجيءُ إلى النّبيّ ﷺ ما يريدُ إلاّ الدُّنيا، فما يُمسِي حتّى يكونَ دِينُهُ أحبَّ إليه وأعزَّ من الدنيا بما فيها[3].

قال البيهقي رحمه الله:

فأبانَ ﷺ بهذا الخبر أن الشُّحَّ بالدِّين مِنَ الإيمان لأنّ ذكر الحلاوة مثل الإيمان وأراد أن الشّحيح بدينِهِ كالمتطعم بالشّيء الحلو فكما أنّ الرّاغب في الإيمان لا يسلم له مقصوده منه إلاّ وأن يكون شحيحاً به فإنه إذا شحَّ بالإيمان لم يأتِ بما يُفسدهُ عليه كما أنّ مَنْ وجدَ حلاوةَ الحلو لم

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٢/ ٢٣٥ ـ ٢٤٣.

(٢) صحيح البخاري ج ١/ ٦٨، وصحيح مسلم برقم ٤٣، وفي سنن الترمذي ٢٦٢٦.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٣١٢، ج ٤/ ١٨٠٦.

يأتِ بما يبطلها عليه. والله أعلم.

ومن الشّح على الدِّين أنّ المؤمن إذا كان بين قوم لا يستطيع أن يوفي الدِّينَ حقوقَهُ بين ظهرانيهم ويخشى أن يفتنوه عن دينهِ، وكان إذا قاربهم يجد لنفسهِ مَأْمَناً يتبوّأه ويكون فيه أحسنَ حالاً منه بين هؤلاء لم يقم بين ظهرانيهم وهاجر إلى حيث يعلم أنّه خيرٌ له وأوفق قال الله تعالى:

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النّساء: ١٠٠].

وعلى هذا الوجه كانت هجرة أصحاب رسولِ الله ﷺ من ديار الكفار وليلقوه ويصحبوه ويهاجروا معه ثم هذا الحكم فيمن لم يمكنه إظهار دينه في موضعه باق بعده.

عن أنس أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «لقد أُخِفْتُ في اللّهِ عزّ وجلّ وما يخافُ أحدٌ، ولقد أُوذيتُ في اللّهِ عزّ وجلّ وما يُؤذَى أحدٌ، ولقد أتى عليَّ وعلى بلالٍ ثلاثون ما بينَ يومٍ وليلةٍ وما لي من طعامٍ يأكلُهُ ذُو كبدٍ إلاّ شيءٌ يواريه إبْط بلالٍ»(١).

وعن قيس بن أبي حازم عن خباب رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسولِ الله ﷺ وهو متوسِّدٌ ببردةٍ له وهو في ظل الكعبة فقلنا ألا تدعُو اللّهَ؟ ألاَ تستنصر اللّهَ لنا؟

قال: فجلس محمراً وجهه ثم قال: واللّهِ إنْ كانَ ممَّنْ قبلكم ليؤخذ الرّجل فتُحفَرُ له الحُفْرَةُ فيُوضع الميشارُ على رأسه فيُشقّ اثنتين ما يصرفه عن دينه ويُمشَّطُ بأمشاط الحديد ما بين عَظْمِهِ ولَحْمِهِ ما يَصْرِفُهُ ذلك عن دينِهِ وَلَيُتِمَّنَّ اللّهُ هذا الأمرَ حتى يسيرَ الرّاكبُ منكم من صنعاءَ إلى حضرموت لا يخشَى إلاّ اللّهَ عزّ وجلّ أوِ الذّئبَ على غنمهِ ولكنّكُمْ قومٌ

---

(١) شعب الإيمان ج ٢/ ٢٤٠، وصحيح سنن الترمذي برقم ٢٠١٢.

تعجَلُون»[1].

عن صُهَيْب أنّ رسولَ الله ﷺ قال[2]: «كان مَلِكٌ ممّنْ قبلكم وكان له ساحرٌ فلمّا كَبُرَ السّاحرُ، قال الساحرُ: إنّي قد كبرتْ سنّي وحضر أجلي فادْفَعْ إليّ غلاماً فلأعلّمه السِّحْرَ، فدفع إليه غُلاماً وكان يعلمه السّحر، وكان بين الملك والسّاحر راهبٌ فأتى الغُلامُ على الرّاهب يسمع من كلامه، فأعجبه نجوه وكلامه، فكان إذا أتى السّاحر ضربه، ويقول ما حَبَسَكَ؟ فإذا أتى أهلَهُ جلسَ عند الرّاهب، فيبطّىء على أهله، فإذا أتى أهله ضربوه وقالوا ما حَبَسَكَ؟.

فشكا ذلك إلى الرّاهب، فقال: إذا أراد السّاحر أن يضر بكَ فقُلْ حبسني أهلي، فإذا أرادَ أهلُكَ أن يضربُوكَ فقُلْ حَبَسَنِي السّاحرُ، قال: فبينمَا هُمْ كذلك إذْ أتى يوماً على دابّةٍ فظيعةٍ عظيمةٍ، قد حَبَسَتِ النّاسَ فلا يستطيعون أن يجوزوا فقالَ: اليومَ أعلمُ أمْرَ الرّاهبِ أحب إلى الله أم أمر السّاحر، فأخذ حجراً فقال: اللّهمَّ إنْ كان أمرُ الرّاهبِ أحبَّ إليكَ وأرضَى لكَ من أمرِ السّاحر فاقْتُلْ هذه الدّابّةِ حتى يجوزَ النّاسُ ورماهَا فقتَلَها، ومضَى النّاسُ فأخْبرَ الرّاهب بذلك فقال: أيْ بُنيّ أنتَ أفضل منّي وإنّك ستُبْتَلىٰ فإنِ ابْتُلِيْتَ فلا تدلّ عليَّ.

فكان الغلام يُبرىء الأكْمَهَ والأبرصَ وسائرَ الأدْوَاءِ وسقمهم.

وكان جليسٌ للملك قد عمي فسَمِعَ به فأتَاهُ بهدايا كثيرة فقال: اشْفِني ولكَ ما هٰهُنَا أجمع.

---

(١) شعب الإيمان ج ٢/٢٤٠، وصحيح البخاري ج ١٢/٣١٥ـ٣١٦ برقم ٦٩٤٣، الفتح.

(٢) شعب الإيمان ج ٢/٢٤١، وصحيح مسلم ج ٤/٢٢٩٩ـ٢٢١٠، برقم ٣٠٠٥.

فقال: ما أشْفِي أنا أحداً إنّما يشْفي اللَّهُ، فإن أردتَ دعوتُ اللَّهَ فَشَفَاك فآمَنَ فدعَا له فَشَفَاهُ، ثم أتَى المَلِكَ فجلس معه نحو ما كان يجلسُ، فقال له المَلِكُ: يا فلان مَنْ رَدَّ عليك بَصَرَكَ؟ قال: ربّي، قال: أنا، قال: لا ولكنّ ربّي وربُّك اللَّهُ. قال: أوَلَكَ ربٌّ غيري؟ قال: نعم فلم يزلْ يعذِّبه حتى دلَّ على الغلام فبعث إليه، فقال: أيْ بُنيَّ قد بلغ من سحرك أنّك تبرىء الأكْمَهَ والأبرصَ، وهذه الأدواء، فقال: ما أشفي أنا أحداً إنّما يشفي اللَّهُ.

قال: أنا. قال: لا. قال: أو إنّ لكَ ربٌّ غيري؟ قال: نعم ربّي وربُّكَ اللَّهُ، فأخذه أيضاً بالعذاب، فلم يزل به حتى دلَّ على الرّاهب فأُتِيَ بالرّاهب. فقال: ارجعْ عن دِينِكَ فأبىٰ. فَوُضِعَ المنشار في مفرق رأسه حتى وقعَ شقاه إلى الأرض. فقال للغلام: ارْجِعْ عن دينِكَ فأبَى، فبعث به مع نفرٍ إلى جبل كذا وكذا. وقال: إذا بلغتُمْ ذروتَهُ فإنْ رجعَ عن دينه وإلاّ فاطْرَحُوهُ من فوقهِ فذهبُوا به فلمّا علوا به الجبل، قال: اللّهمَّ اكفينهِم بما شئتَ فرجفَ بهم الجبلُ فتدهدهوا أجمعُون، وجاء الغُلامُ يمشي حتى دخل على الملك. فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم اللَّهُ. قال: فبعث به مع نفر في قَرْقُورٍ وقال: إذا لججتُمْ بِهِ البحرَ فإن رجع عن دينِهِ وإلاّ فغرِّقُوه، فلججُوا بِهِ البحرَ، فقال الغلامُ: اللّهمَّ اكفنيهم بما شئتَ فغرقُوا أجمعون وجاء الغلامُ يمشي حتى دخل على المَلِكِ فقال: ما فعل أصحابُكَ؟ فقال: كفانيهم اللَّهُ.

ثم قال للملكِ إنّك لستَ بقاتلي حتىٰ تفعل ما آمُرُكَ، فإنْ فعلتَ ما آمُرُكَ به قتلتني وإلاّ فإنّك لن تستطيعَ قتلي. قال: وما هو؟ قال: تجمعُ النّاسَ في صعيد ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي، ثمَّ قل: بسم الله ربِّ الغلام فإنك إذا فعلتَ ما آمركَ بِهِ قتلتني وإلا فإنك لن تستطيع قتلي، ففعلَ ووضعَ السهم في كبد قوسهِ ثم رمى فقال:

بسم الله ربِّ الغلام فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات. فقال الناس: آمنا بربّ الغلام.

فقيل: للملك أرايتَ ما كنتَ تحذر قد والله نزلَ بك، قد آمنَ الناس كلهم. فأمر بأفواه السكك فخدّتْ فيها فكانوا يتقاعدون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست أن تقع في النار. فقال الصبي يا أمّه اصبري فإنك على الحق».

رواه مسلم في الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد وقال في الموضعين وجاء الغلام يمشي حتى دخل على الملك وقال قد انكفأت بهم السفينة فغرقوا[1].

ورواه معمر عن ثابت بإسناده وقال في آخره فجعلهم في الأخدود.

قال الله عز وجل:

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج].

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لما أسري بي مرت بي رائحة طيبة فقلت: ما هذه الرائحة؟ قالوا: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها كانت تمشطها فوقع المشط من يدها فقالت: بسم الله.

فقالت ابنته: أبي؟ فقالت: لا بل ربي وربك ورب أبيك.

فقالت: أخبر بذلك أبي؟ قالت: نعم وأخبرته.

فدعا بها وبولدها. فقال ألَكِ ربٌّ غيري؟

---

(١) صحيح مسلم ج ٢٢٩٩/٤ برقم ٣٠٠٥.

قالت: نعم ربي وربك الله.

وأظنه قال: فأمر بنقرة من نحاس فاحميت ثم أمر بها فتلقى فيها

فقالت: لي إليك حاجة. قال: وما هي؟

قالت: أن تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنه جميعاً.

فقال: ذلك لك لما لك علينا من الحق فأتى بأولادها فألقى واحداً واحداً حتى إذا كان آخر ولدها وكان صبياً مرضعاً، فقال: اصبري يا أماه، فإنك على الحق، ثم ألقيت مع ولدها»[1].

---

(١) المستدرك للحاكم ج ٤٩٦/٢، وصححه وأقره الذهبي فقال: صحيح.

السّابع عشر من شُعَبِ الإيمان
طلب العلم

والعلم إذا أطلق علم الدين وهو ينقسم أقساماً[1]:

فمنها: علم الأصل وهو معرفة الباريء جل ثناؤه وقد تقدم القول فيها.

ومنها: معرفة ما جاء عن الله عز وجل. ودخل في هذا علم النبوة وما تميز به النبي ﷺ عن النبيين وعلم أحكام الله وأقضيته.

ومنها: معرفة ما يطلب علم الأحكام فيه وهو الكتاب والسنة نصوصها ومعانيها وتمييز مراتب النصوص والناسخ والمنسوخ والاجتهاد في إدراك المعاني وتمييز وجوه القياس وشروطه ومعرفة أقاويل السلف من الصحابة والتابعين ومن دونهم وتمييز الاجتماع والاختلاف.

ومنها: معرفة ما به يمكن طلب الأحكام في الكتاب والسنة وهو العلم بلسان العرب وعاداتها في مخاطباتها.

وتمييز مراتب الأخبار لينزل كل خبر منزلته ويوفي بحسبها حقه.

وينبغي لمن أراد طلب العلم ولم يكن من أهل لسان العرب أن يتعلم اللسان أولاً ويتدرب فيه ثم يطلب علم القرآن الكريم فلن تتضح له معاني القرآن إلا بالآثار والسنن ولا معاني السنن والآثار إلا بأخبار الصحابة وأخبار الصحابة إلا بما جاء عن التابعين. فإن علم الدين هكذا أدى إلينا

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٢/٢٥١ - ٢٥٣.

فمن أراده فليتدرج إليه بدرجة فيكون قد أتى الأمر من بابه وقصده من وجهه فإذا بلّغه الله درجة المجتهدين فلينظر في أقاويل المختلفين وليختر منها ما يراه أرجح وأقوم وليقس ما يحدث وينوب على أشبه الأصول فأولاها به.

وعن الربيع بن سليمان أنا الشافعي رحمه الله قال[1]: العلم علمان: علم عامة لا يسع العاجز مغلوب على عقله جهله مثل أن الصلوات خمس وأن الله فرض على الناس صوم شهر رمضان وحج البيت إن استطاعوا وزكاة في أموالهم وأنه حرم عليهم الزنا والقتل والسرقة والخمر وما كان في معنى هذا مما كلف العباد أن يفعلوه ويعلموه ويعظموه من أنفسهم وأموالهم وأن يكفوا عنه مما حرم عليهم منه وهذا صنف من علم موجود نصاً في كتاب الله عز وجل أو موجوداً عاماً عند أهل الإسلام ينقله عوامهم عمن مضى من عوامهم يحكونه عن رسول الله ﷺ ولا ينازعون في حكايته ولا وجوبه عليهم هذا العلم العام الذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر ولا التأويل ولا يجوز فيه التنازع.

والوجه الثاني: ما ينوب العباد من فروع الفرائض وما يخص من الأحكام وغيرهما مما ليس فيه كتاب ولا في أكثره نص سنة وإن كانت في شيء منه سنة فإنما هي من أخبار الخاصة لا أخبار العامة وما كان منه محتمل التأويل ويستدرك قياساً وهذه درجة من العلم ليس يبلغها العامة ولم يكلفها كل الخاصة ولا يحتمل بلوغها من الخاصة ولا يسهم كلهم كافة أن يعطلوها وإذا قام بها من خاصيتهم من فيه الكفاءة لم يخرج غيره ممن تركها إن شاء الله تعالى والفضل فيها لمن قام بها على من عطلها واحتج بقول الله عز وجل: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة].

(١) وهذا في الرسالة للإمام الشافعي ص ٣٥٧ وما بعدها.

وجعل الشافعي رضي الله عنه مثال ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل والصلاة على الجنازة ودفن الموتى ورد السلام.

وروينا في كتاب المدخل عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: يعني السرايا تنفر عصبة وتقعد عصبة ليتفقهوا في الدين يقول: تعلموا ما أنزل الله على نبيهم ﷺ ويعلمون السرايا إذا رجعت إليهم لعلهم يحذرون.

والقرآن والحديث مشحونان بفضيلة العلم والعلماء.

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

[وقال تعالى]: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء].

[وقال تعالى]: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

[وقال تعالى]: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر].

وفي «الصحيحين»[(١)]: من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللّهَ لا يقبضُ العِلْمَ انتزاعاً يَنْتزِعُهُ مِنَ الناس، ولكن يقبضُ العِلمَ بقبضِ العُلَماءِ، حتَّى إذا لَمْ يُبْقِ عالماً[(٢)] اتخذَ الناسُ رؤوساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فأفتوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا

(١) البخاري في صحيحه ج ١/ ١٧٤ ـ ١٧٥ و ١٣/ ٢٤٠ ـ ٢٤١ الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢٦٧٣، ج ٤/ ٢٠٥٨.

(٢) قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على مختصر شعب الإيمان ص ٤١، في بعض نسخ البخاري: «حتى إذا لم يبقَ عالمٌ» وفي مسلم: «حتى إذا لم يترك عالماً».

وأَضَلُّوا».

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيا، نَفَّسَ اللّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القيامة، ومَنْ يَسَّرَ على مُعْسرٍ، يسَّر اللّهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومَنْ سَتَرَ مُسْلِماً، سَتَرَهُ اللّهُ في الدُّنيا والآخرة. واللّهُ في عَوْنِ العبدِ مَا كَانَ العَبْدُ في عَوْنِ أخيهِ، ومَنْ سَلَكَ طريقاً يلتمسُ فيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللّهُ لهُ بهِ طريقاً إلى الجنَّة، وما اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ مِنْ بُيُوتِ اللّهِ يتلُونَ كتَابَ الله ويتدارسُونَهُ بينهم، إلا نزلَتْ عليهِم السَّكينةُ، وحفتّهُمُ الملائكةُ، وغشيتُهُم الرَّحمةُ، وذَكَرَهُمُ اللّهُ فيمن عِندَهُ، ومَنْ بطأَ[2] بهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بهِ نَسَبُهُ».

وفي تحذير رفع العلم دليل على وجوب طلبه وتحريض عليه.

---

(1) صحيح مسلم ج ٤/ ٢٠٧٤، برقم ٢٦٩٩.

(2) «من بطّأ به عملُهُ لم يسرعْ به نسبُهُ» معناه: مَنْ كان عمله ناقصاً لم يُحلق بمرتبة أصحاب الأعمال لعلو نسبه، فينبغي على المسلمين أن لا يتكل على شرف النسب وفضيلة الآباء والأجداد ويقصِّر في العمل.

الثّامن عشر من شُعَب الإيمان
نشر العلم
وهو علم الكتاب والسّنّة

من يسأل عن علم عنده سؤال المسترشد المستفيد وجب عليه أن يخبره ولم يسعه كتمانه والحرج في كتمان النصوص أشد منه في كتمان الاستنباط، قال الله عز وجل[1]:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢].

فأبان أن المقيمين أخبار المتأخرين إذا رجعوا بما جلبوه في حال غيبتهم من علوم الدين ليشارك الفريقان في العلم. وقال الله عز وجل:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

فأخبرنا أن شرطه عز وجل على أن من آتاه الكتاب أن يبينه للناس ولا يكتمه فتبين أن علم الدين محمول على أهله على شريطة الأداء إلى من تعرض له لا على أن ينفرد به حامله ويزد به عن غيره.

وقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٢/ ٢٧٣ - ٣١٧، باختصار.

فلما أمر من لا يعلم أن يسأل العالم دلّ على أن العالم إذا سئل أجاب.

ويجب تبليغ ونشر علوم الكتاب والسنة، وذلك لقوله تعالىٰ:

﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وعن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: نَضَّرَ اللّٰهُ امرَأً سَمِعَ منّا حديثاً فحفظه حتّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هو أفقَهُ منه، وربَّ حاملِ فقهٍ ليسَ بفقيهٍ»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمهُ ألجَمَهُ اللّٰهُ بِلِجامٍ مِنَ النَّارِ يومَ القيامة»[٢].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه[٣] في «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال في خطبته بمنى «ألا لِيُبَلِّغَنَّ الشّاهدُ مِنكُمْ الغائِبَ، فَلَعَلَّ مَنْ يُبَلِّغُهُ يكُونُ أوْعَى لهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ»[٤].

وروى البيهقي بإسناده عن الإمام عمر بن عبد العزيز الأموي رحمة الله عليه أنه قال: مَنْ لم يَعُدَّ كلامه من عمله كثرت خطاياه، ومن عمل بغير علم، كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

وعن الحارث المحاسبي: العلم يُورِثُ الخشية، والزُّهدُ يُورِثُ الراحةَ، والمعرفةُ تُورِث الإنابةَ.

---

(١) صحيح سنن أبي داود برقم ٣١٠٨، وصحيح سنن ابن ماجه برقم ٢٣٠.

(٢) صحيح سنن أبي داود برقم ٣١٠٦، وصحيح سنن ابن ماجه برقم ٢٦١ و ٢٦٤.

(٣) أبو بكرة هو: نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي من أهل الطائف. وكان فرَّ إلى رسول الله ﷺ بعد أن تدلى ببكرة من حصن الطائف، فمسي بأبي بكرة. توفي رضي الله عنه سنة ٥٢هـ.

(٤) صحيح البخاري ج ١/ ١٤٦ و ٣/ ٤٥٩ و ١٣/ ٢٣ الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٦٧٩.

وعن ابن سعد: أنَّ من عَمِل بِعِلْم الرواية وَرِثَ علم الدِّراية، ومن عَمِل بِعِلْم الدراية وَرِثَ علم الرعاية، ومن عمل بعلم الرعاية هُدي إلى سبيل الحقِّ.

وعن مالك بن دينار: إذا طلب العبدُ العِلْمَ ليعملَ به كَسَرَهُ عِلْمه، وإذا طلبه لغير العمل زادهُ كبراً.

وعن معروف الكرخي: إذا أراد اللّهُ بعبدٍ خيراً فَتَح عليه باب العملِ، وأغلق عليه باب الجدلِ، وإذا أرادَ اللّهُ بعبدٍ شراً، أغلق عليه باب العمل، وفتح عليه باب الجدلِ.

نسأل الله التوفيق للعلم والعمل، ونعوذ بجلال وجهه من الخِذلان والحرص والأمل.

وكان من دعاء رسول الله ﷺ:

«اللهمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»(١).

---

(١) رواه مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، ج ٢/٢١٨٨ برقم ٢٧٢٢.

التّاسع عشر من شُعَبِ الإيمان

تعظيم القرآن المجيد بتعلّمه وتعليمه، وحفظ حدوده وأحكامه

قال أبو عبد الله الحليمي رحمه الله[1]:

وذلك ينقسم إلى وجوه:

١ ـ منها تعلمه، وإدمان تلاوته بعد تعلمه، وإحضار القلب إياه عند قراءته والتفكر فيه وتكرر آياته وترديدها أو استشعار ما يهيج البكاء من مواعظ الله ووعيده فيها، وافتتاح القراءة بالاستعاذة، وقطع القراءة في وقته بالحمد والتصديق، والصلاة على رسول الله ﷺ والشهادة له بالتبليغ. فإذا ختم القرآن كله فلذلك آداب:

٢ ـ منها أن يعود إلى أوله فيقرأ أشياء منه ثم يقطع.

٣ ـ ومنها أن يحضر أهله وولده عند الختم.

٤ ـ ومنها أن يتحرى الختم أول النهار أو أول الليل، ومنها التكبير قبل الدعاء ومنها الدعاء بما يراد من أمر الدين والدنيا.

٥ ـ ومن تعظيم القرآن الوقوف عند ذكر الجنة والنار والرغبة إلى الله عز وجل في الجنة والاستعاذة به من النار.

٦ ـ ومنها الاعتراف لله تبارك وتعالى بما يقرر عباده في آيات القرآن.

٧ ـ ومنها السجود في آيات السجود.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٢/٣١٩ - ٣٢٣.

٨ ـ ومنها أن لا يقرأ في حال الجنابة والحيض.

٩ ـ ومنها ألاّ يحمل المصحفَ ولا يمسه في غير حال الطهارة.

١٠ ـ ومنها تنظيف الفم لأجل القراءة بالسّواك والمضمضة.

١١ ـ ومنها تحسين اللباس عند القراءة والتطيّب، وإذا كان الطيب دائماً إلى الفراغ من القراءة فهو أحسن وأفضل.

١٢ ـ ومنها أن يجهر بالقراءة في الليل ويسر بها في النهار إلا أن يكون في موضع لا لغو فيه ولا صخب.

١٣ ـ ومنها أن لا يقطع السورة لمكالمة الناس ويقبل على قراءته حتى يفرغ منها.

١٤ ـ ومنها أن يحسن صوته بالقراءة أقصى ما يقدر عليه.

١٥ ـ ومنها أن يرتل القرآن ولا يهذّه هذًّا.

١٦ ـ ومنها أن لا يقرأ القرآن كله في أقل من ثلاث.

١٧ ـ ومنها أن يعلم القرآن من يرغب إليه فيه ولا يترفع عنه، بل يحتسب الأجر فيه ويغتنمه.

١٨ ـ ومنها أن يقرأ بالقراءات المستفيضة المجمع عليها ولا يتعداها إلى الغرائب الشواذ.

١٩ ـ ومنها أن لا يقبل القراءة إلا من العدول والعلماء مما أخذوا ويؤدّونه.

٢٠ ـ ومنها أن لا يعطل مصحفاً إن كان عنده، ولا يأتي عليه يوم إلا ينظر فيه، ولا يقرأ منه وإن كان يحفظ القرآن قرأه من المصحف وقتاً غير ناظر فيه وقتاً ولا يهمله إهمالاً.

٢١ ـ ومنها أن يقطع قراءته آية آية ولا يدرجها إدراجاً.

٢٢ ـ ومنها أن يتحرى لقراءته وختمه الصلاة فتكون قراءته فيها ما استطاع، ولا يمنعه مانع، أن يعرض القرآن في كل سنة علىٰ من هو أبين فضلاً في القراءات وأولىٰ الأوقات بذلك شهر رمضان.

٢٣ ـ ومنها أن يزداد من القراءة في شهر رمضان على ما يقرأ في غيره، ومنها ترك المماراة في القرآن.

٢٤ ـ ومنها أن لا يفسر القرآن بالظن ولا يقول معنى هذه الآية هكذا إلا بدلالة لائحة تقوم عليها.

٢٥ ـ ومنها أن لا يسافر بالقرآن إلى أرض العدو.

٢٦ ـ ومنها أن يعرب القرآن ويقرأ بالتفخيم ولا يتجوز فيه.

٢٧ ـ ومنها أن من أخذ في سورة منه لم يتجاوزها إلى غيرها قبل أن يستكملها.

٢٨ ـ ومنها أنه إذا أراد أن يتم الختم له بإطلاق استوفى الحروف المختلف فيها فلا يبقى عليه حرف يثبته قارىء من أعلام القراءة ولم يقرأه، وأن يقرأ في كل سورة ما خلا سورة التوبة بسم الله الرحمٰن الرحيم، ويحافظ على ذلك في فاتحة الكتاب أشد من محافظته عليه في غيرها بل لا يحل له إلا بها فيكون قد ترك الآية الأولىٰ منها.

٢٩ ـ ومنها أن يعرف كل سورة جاء في فضلها أثر عن النبيّ ﷺ ولا يدع قراءتها في وقت ورد الخبر بفضل قراءتها فيه.

٣٠ ـ ومنها أن يستشفي قارىء القرآن بما يجيئه منه ويتبرك بقراءته على نفسه وعلى غيره مريضاً وحزيناً وخائفاً ومقيماً ومسافراً رقية وغير رقية، ويتبعه بالدعاء والمسألة.

٣١ ـ ومنها أن يفرح بما آتاه الله من القرآن فرح الغني بغناه وذي السلطان بسلطانه، ويستعظم نعمة الله تعالى عليه ويحمده عزَّ اسمهُ عليه.

٣٢ ـ ومنها أن لا يباهى بقراءة القرآن قارئاً غيره، ومنها أن لا يقرأ في الأسواق والمجالس ليُعطى فيستأكل الأموال بالقرآن ومنها أن لا يقرأ في الحمام والمواضع القذرة، ولا في حال قضاء الحاجتين، ومنها أن لا يتعمق في القرآن فيقومه تقويم القدح وسحر الألفاظ عند ذلك بلسانه كما يلاك الطعام.

٣٣ ـ ومنها أن الجماعة إذا اجتمعوا في مسجد أو غيره يقرؤون القرآن لم يجهر به بعضهم على بعض جهراً يكونون فيه متخالين متنازعين وهذا في غير الصلاة والخطبة، وأما فيها فالإمام يقرأ وينصت المأموم لما يجهر به منه وإن قرؤوا خلفه لم يظهروا به ولم يزيدوا على أن يسمعوا أنفسهم، ولا يقرأ أحد في حال الخطبة إذا كان يسمعها شيئاً، وإن قرأ أحد الجماعة في صلاة جهراً أنصت له الباقون إلا أن يكون فيهم مصل فلا ينصت.

٣٤ ـ ومنها أن لا يحمل على المصحف كتاب آخر ولا ثوب ولا شيء إلا أن يكون مصحفان فيوضع أحدهما فوق الآخر فيجوز.

٣٥ ـ ومنها أن يفخم المصحف فيكتب مفرجاً بأحسن خط يقدر عليه، ولا يصغر مقداره ولا يقرفط حروفه.

٣٦ ـ ومنها أن لا تخلط في المصحف ما ليس من القرآن بالقرآن كعدد الآيات والسجدات والعشرات والوقوف واختلاف القراءات ومعاني الآيات.

٣٧ ـ ومنها أن ينور البيت الذي يقرأ فيه القرآن بتعليق القناديل ونصب الشماع فيه. ويزاد في شهر رمضان في أبواب المساجد وتحليقها.

٣٨ ـ ومنها تعظيم أهل القرآن وتوقيرهم لتعظيم العلماء بالأحكام وأكثر.

وبالله التوفيق.

قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾[1] [الواقعة].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾[2] [الرعد: ٣١].

وقال النبي ﷺ فيما رواه البخاري عن عثمان بن عفان رضي الله عنه:
«أَفْضَلُكُمْ ـ أَوْ خَيْرُكُمْ ـ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[3].

وقال ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «تَعَاهَدُوا القرآنَ، فَوَالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تفلُّتاً مِنَ الإبلِ في عُقُلِها»[4].

وقال ﷺ فيما روياه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «لاَ حَسَدَ إلاَّ في اثنتين: رَجُلٌ آتاهُ الله هَذَا الكِتَابَ فَقَامَ بِهِ آناءَ الليلِ والنَّهارِ، ورجُلٌ آتاهُ اللَّهُ مَالاً فهُوَ يَتصدَّقُ بِهِ آناءَ اللّيلِ والنَّهارِ»[5].

---

(١) أي لا يمس الكتاب الذي في السماء إلا الملائكة المطهرون، وقال البعض: لا يمسّ المصحف الذي بين أيدينا: إلاّ المطهرون من الجنابة والحَدَث.

(٢) أي: لو أن قرآناً وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى، لَمَا آمنوا به.

(٣) رواه البخاري (٩/٦٦، ٦٧) و (٩/٦٨، ٦٩) بلفظ: «إن أفضلكم من تعلّم القرآن وعلّمه».

(٤) صحيح البخاري ج ٩/٧٣/ وصحيح مسلم برقم ٧٩.

(٥) صحيح البخاري ج ٩/٦٥/ وصحيح مسلم برقم ٨١٥.

وقال ﷺ فيما رواه مسلم عن عمر رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ يرفعُ بِهَذَا الكِتابِ أقواماً ويَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»[1].

---

(1) صحيح مسلم برقم ٨١٧.

العشرون من شُعَبِ الإيمان

الطهارات

قال الله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦].

وفي حديث أبي مالك الأشعري[١] رضي الله عنه في «صحيح مسلم»[٢] «الطُّهُورُ شطْرُ الإيمانِ، والحَمْدُللَّهِ تمْلأُ الميزانَ، وسُبْحَانَ اللَّهِ واللَّهُ أكْبَرُ تملآنِ ـ أو تملأُ ـ ما بَيْنَ السَّمَاءِ والأرْضِ، والصَّلاةُ نورٌ، والصَّدقَة بُرْهَانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أو مُوبِقُهَا»[٣].

روى الحليمي عن يحيى بن آدم في قوله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَانِ» لأنّ الله تعالىٰ سمّى الصلاة إيماناً، فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]. أي صلاتكم إلى بيت المقدس. ولا تجوزُ الصّلاةُ إلاّ بالوضوء، فهما شيئان، كل واحدٍ منهما نصفُ الآخر.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما في «صحيح مسلم» أيضاً قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّوجلَّ صَلاَةً بغيرِ طُهُورٍ، ولاَ صَدَقَةً مِن

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٣/ ٣.

(٢) صحيح مسلم ج ١/ ٢٠٣، برقم ٢٢٣ ولفظه: «.. وسبحان الله والحمد لله».

(٣) «الطُّهورُ»: فعل الطهارة، والطَهور: الماء الذي يطهر به، «شطر» أي نصف، «فبائع نفسه» أي للشيطان، «فمُوبقها» أي مُهلكها، أو بائع نفسه لله، «فمُعْتِقُها» أي: من يبيعُ نفسه لله بالطاعة والعبادة يعتقها من العذاب.

غُلُولٍ»[1].

وفي حديث حسنٍ عن أبي كبشة السَّلُوليِّ، عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْتَقِيمُوا ولَنْ تُحْصُوا، واعلَمُوا أنَّ خَيْرَ أعْمَالِكُمْ الصَّلاَةُ، ولا يُحافِظُ على الوُضوءِ إلاَّ مُؤْمِنٌ»[2].

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ:

«خمسٌ مَنْ جاءَ بهِنَّ مع إيمانٍ دخلَ الجنَّة، مَنْ حافظ على الصّلوات الخمس علىٰ وُضُوئِهِنَّ ورُكوعهِنَّ وسجُودِهِنَّ ومَوَاقيتهِنَّ، وصامَ رمضانَ، وحجَّ البَيْتَ إنِ استطاعَ إليه سبيلاً، وأعطى الزكاةَ طيّبةً بها نفسه، وأدّىٰ الأمانة» قالوا: يا أبا الدّرداء! وما أداءُ الأمانَةِ؟ قال: الغُسْل مِنَ الجَنابَةِ[3].

وعن عثمان بن عفان أنّه دَعَا بوَضُوءٍ، فتوضّأ، فغسَلَ كفَّيهِ ثلاثَ مرَّاتٍ، ثم مَضْمَضَ واستنثَرَ، ثم غسَلَ وَجْهَهُ ثلاثَ مراتٍ، ثم غسَلَ يَدَهُ اليُمْنَى إلى المِرْفَقِ ثلاث مراتٍ، ثم غسَلَ يدَهُ اليُسْرَى مثلَ ذلك، ثمّ مسحَ رأسَهُ، ثم غَسَلَ رِجْلَهُ اليُمْنَى إلى الكعبين ثلاث مرات، ثم غَسَلَ اليُسْرَى مثلَ ذلك، ثم قال: رأيت رسولَ الله ﷺ توضّأ نحوَ وُضوئي هذا، ثم قال رسول الله ﷺ: «مَنْ توضّأ نحوَ وُضُوئي هذا، ثم قام فركَعَ ركعتين، لا يحدِّثُ فيهما نَفْسَهُ، غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِهِ»[4].

---

(١) صحيح مسلم ج ١/ ٢٠٤ برقم ٢٢٤. والغُلُول: السرقة من مال الغنائم قبل القسْمةِ.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج ٥/ ٢٨٢، والدارمي في سننه ج ١/ ١٦٨، وابن حبان في صحيحه، ولفظه «سَدِّدوا وقَارِبُوا، الإحسان ج ٣/ ٣٣١ برقم ١٠٣٧، وقال الشيخ شعيب في تعليقه: حديث صحيح وإسناده حسن. وكذا قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، مختصر شعب الإيمان ٤٩.

(٣) صحيح سنن أبي داود برقم ٤١٤، وقال الشيخ محمد ناصر الدِّين الألباني: حسن.

(٤) صحيح مسلم ج ١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥ برقم ٢٢٦.

وعن عمرو بن سعيد بن العاص قال: كنتُ عندَ عثمان، فَدعَا بطَهورٍ، فقال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «ما مِن امْرِىءٍ مسلمٍ تَحْضُرُهُ صلاةٌ مكتُوبةٌ، فيُحسِنُ وضُوءِهَا وخُشُوعَها ورُكُوعَها، إلاّ كانتْ كفّارةً لِما قَبْلَها مِنَ الذُّنوبِ، ما لم يُؤتِ كبيرةً، وذلك الدَّهْرَ كلَّهُ»(١).

وعن عثمانَ بن عفّان قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ توضّأ فأحسَنَ الوُضُوءِ، خرجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جسدهِ، حتى تخرجَ مِنْ تحتِ أظفارِهِ»(٢).

وعن أبي هريرة أنّ رسول اللَّه ﷺ قال:

«إذا توضأ العبدُ المسلمُ (أو المُؤمِنُ) فغسَلَ وَجْهَهُ، خرَجَ مِنْ وجههِ كلُّ خطيئةٍ نظرَ إليها بعينيه معَ الماء - أو معَ آخرِ قَطْرِ الماءِ - فإذا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيهِ كلُّ خطيئةٍ كان بطشَتْهَا يَدَاهُ مع الماء - أو مَعَ آخرِ قَطْرِ الماء - فإذا غسَلَ رجليه خرجتْ كلُّ خطيئةٍ مَشَتْهَا رِجْلاَهُ معَ الماءِ - أو معَ آخرِ قَطْرِ الماءِ - حتّى يخرج نقياً مِنَ الذّنُوبِ»(٣).

وعن عُقْبَةَ بنِ عامر قال: سمعتُ رسولَ الله يقول: «ما مِنْ مسلمٍ يتوضَّأُ فيُحسِنُ وُضُوءَهُ، ثم يقومُ فيُصلّي ركعتين، مُقْبِلٌ عليهما بقلبهِ ووجهِهِ، إلاّ وجَبَتْ لهُ الجنَّةَ»(٤).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أمّتي يُدْعَوْنَ يومَ القيامةِ غرًّا مُحجَّلِينَ مِن آثارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ استطَاعَ منكم أن يُطيلَ غُرّتَهُ فَلْيَفْعلَ»(٥).

---

(١) صحيح مسلم ج ١/ ٢٠٦ برقم ٢٢٨.

(٢) صحيح مسلم ج ١/ ٢١٦ برقم ٢٤٥.

(٣) صحيح مسلم ج ١/ ٢١٥ برقم ٢٤٤.

(٤) صحيح مسلم ج ١/ ٢٠٩ - ٢١٠ برقم ٢٣٤.

(٥) صحيح البخاري ج ١/ ٢٣٥ برقم ١٣٦ الفتح، وصحيح مسلم ج ١/ ٢١٦ برقم ٢٤٦.

الحادي والعشرون من شُعَب الإيمان

الصَّلوَات الخمس

قال البيهقي: وليسَ في العبادات ـ بعد الإيمان بالله الرَّافِعِ للكفر ـ عبادةٌ سَمَّاهَا جلَّ وعلا إيماناً، وسمَّىٰ رسولُ اللَّهِ ﷺ تَرْكَهَا كُفْراً، إلاّ الصّلاةَ.

وذكر ما في الحديث الذي [أخرجه بإسناده][1] عن ابن عباس قال: لمّا وُجِّهَ رسولُ الله ﷺ إلىٰ الكعبة، قالوا: يا رسول الله! فكيفَ بالّذينَ ماتُوا وهُم يُصلُّون إلىٰ بيت المقدس؟ فأنزلَ اللَّهُ عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

هذا الحديث يُحبركَ أنّ الصَّلاةَ من الإيمان.

وعن جابر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ بينَ الرّجلِ وبينَ الشّركِ والكُفرِ تَرْكُ الصَّلاةِ»[2].

وعن عبد اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين[3] قال: سألتُ النّبيَّ ﷺ، أَيُّ الأعمال أحبُّ إلىٰ اللَّهِ عزَّ وجلّ؟ قال: «الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا»، قلتُ: ثُمَّ أيُّ؟ قال: «برُّ الوَالِدين»، قلتُ: ثُمَّ أيُّ؟ قالَ «الجهادُ في سَبِيلِ

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ٣/ ٣٣.

(٢) صحيح مسلم ج ١/ ٨٨ برقم ٨٢.

(٣) صحيح البخاري ج ٢/ ٧ـ٨، وج ١٠/ ٣٣٦. صحيح مسلم برقم ١٣٩، والترمذي برقم ١٨٩٩.

اللَّهِ» قالَ: وحدثني بِهِنَّ ولو استزدتُهُ لزَادَنِي.

عن ابن عُمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: صَلاَةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاة الفَذِّ بِسَبْعٍ وعشرين دَرَجَةً»(١).

وعن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «والذي نفسي بِيَدِهِ! لَقَدْ هَمَمْتُ أن آمُرَ بِحَطَبٍ يُحتطب، ثُمَّ آمُرَ بالصَّلاةِ فيؤذَّنَ لها، ثُمَّ آمُرَ رجُلاً فَيؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أخالِفَ إلى رِجالٍ لا يشهدون الصَّلاةَ فَأُحَرِّقَ عليهم بُيوتَهُمْ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَو يَعلمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يجدُ عِرقاً سَميناً، أو مِرْماتَيْنِ حسنتين لَشَهِدَ العِشَاء»(٢).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «أتىٰ النَّبيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَىٰ فقال: يا رسولَ الله! إِنَّهُ لَيْسَ لي قائِدٌ يقودُنِي إلىٰ المَسْجِدِ، فَسَأَلَ أن يُرَخِّصَ له فيُصلي في بيتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّىٰ دعاهُ فقال: هل تسمعُ النِّدَاءِ بالصَّلاةِ؟ قال: نعم، قالَ: فأجِبْ»(٣).

وقال ابن عمر: «إنّ النَّبيَّ ﷺ كان يأمرُ المؤذِّنَ إذا كانت ليلةٌ ذات بَرْدٍ ومطرٍ يقولُ: أَلا صَلُّوا في الرِّحالِ»(٤).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «إذا وُضِعَ عَشَاءُ أحدِكُمْ وأقيمتِ الصَّلاةُ، فابْدَؤُا بالعَشَاء، ولا يَعْجَلْ حتىٰ يَفْرُغَ منهُ»(٥).

وقال: «لا صلاةَ بحضرةِ طعَامٍ، ولا وَهُوَ يُدافِعُهُ الأخبثانِ»(٦) ترويه

---

(١) صحيح البخاري ج ٢/ ١٣١ رقم ٦٤٥، ومسلم في صحيحه برقم ٦٥٠.

(٢) صحيح البخاري ج ٢/ ١٢٥، رقم ٦٤٤، ومسلم في صحيحه برقم ٦٥١.

(٣) صحيح مسلم برقم ٦٥٣.

(٤) صحيح البخاري ج ١١٢/٢ رقم ٦٣٢، ومسلم في صحيحه برقم ٦٩٧. والرِّحال: البيوت.

(٥) صحيح البخاري ج ٢/ ١٥٩ رقم ٦٧٣، ومسلم في صحيحه برقم ٥٥٩.

(٦) صحيح مسلم برقم ٥٦٠. والأخبثان: البول والغائط. والمدافعة من الاحتقان منهما أو من أحدهما.

عائشةُ رضي الله عنها.

وقال رسول الله ﷺ: «إذا أُقيمتِ الصّلاةُ فلا صلاةَ إلاّ المكتوبةَ»[1].

وقال ﷺ: «إذا استأذَنَتْ امرَأَةُ أحدِكُمْ إلى المسجدِ فلا يَمْنَعْهَا»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «إذا شهدت إحداكُنَّ المسجِدَ فلا تَمَسَّ طِيباً»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «أيُّما امرأةٍ أصابتْ بَخُوراً فلا تشهدْ معنا العِشاءِ الآخِرَةَ»[4].

وعن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تمنعُوا نِسَاءَكم المسَاجد، وبيوتُهُنَّ خيرٌ لَهُنَّ»[5]،

وقال رسول الله ﷺ: «صلاةُ المرأةِ في بَيْتِها أفضلُ منْ صَلاتِهَا في حُجْرَتِهَا وصَلاتُها في مخدعِهَا أفضلِ من صلاتِهَا في بيتها»[6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال النبيّ ﷺ: «لا تُقبَلُ لامْرأةٍ صَلاةٌ تَطيَبَتْ لِهذا المسجد حتى تَرْجِعَ فَتَغْتسِلَ غُسْلَهَا من الجَنابةِ»[7].

وعن أبي موسى الأشعري عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «كُلُّ عَيْنٍ زانيةٌ، فالمرأةُ إذا اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ بالمَجْلسِ فهي كذا وكذا، يعني

(١) صحيح مسلم برقم ٧١٠.
(٢) صحيح البخاري ج ٩/ ٣٣٧ رقم ٥٢٣٨، ومسلم في صحيحه برقم ٤٤٢.
(٣) صحيح مسلم برقم ٤٤٣.
(٤) صحيح مسلم برقم ٤٤٤.
(٥) صحيح سنن أبي داود للشيخ محمد ناصر الدّين الألباني برقم ٥٣٠، وأخرجه أحمد في مسنده ج ٧٦/٢ ـ ٧٧، والحاكم ج ٢٠٩/١ وقال صحيح على شرطهما.
(٦) صحيح سنن أبي داود للشيخ محمد ناصر الدّين الألباني برقم ٥٧٠، والحاكم ج ٢٠٩/١. وصححه ووافقه الذهبي.
(٧) صحيح سنن أبي داود برقم ٣٥١٧، وصحيح ابن ماجه برقم ٤٠٠٢.

زانية»(١).

وعن أُبي بن كَعْبٍ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ صلاة الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ... واللَّهُ أعْلَم أزْكَىٰ مِنْ صلاتِهِ وَحْدَهُ، وصلاتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أزكَىٰ من صلاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وما كَثُرَ فهو أحبُّ إلىٰ اللَّهِ»(٢).

وعن أبي الدَّرْدَاء قال، قال رسول الله ﷺ: «ما من ثَلاثَةٍ في قَرْيَةٍ ولا بَدْوٍ لا تُقامُ فِيهِمْ الصَّلاةُ إلاَّ قَدْ اسْتَحْوَذَ عليهم الشَّيْطانُ، فعليك بالجماعَةِ، فإنَّمَا يأكُلُ الذِّئْبُ القاصِيَةَ»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول اللَّهِ ﷺ أنه قال: «من سَمِعَ المُنَادِي فَلَمْ يَمْنَعْهُ من اتّبَاعِهِ عُذْرٌ، قالوا: وما العُذْرُ؟ قال: خَوْفٌ، أو مَرَضٌ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلاةُ التي صَلاَّها»(٤).

وقال رسولُ الله ﷺ: «ثَلاثٌ لا يحِلُّ لأحَدٍ أن يَفْعَلَهُنَّ: لا يَؤُمُّ رَجُلٌ قوماً فَيَخُصَّ نَفْسَهُ بالدُّعاءِ دُونَهُمْ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ خانَهُمْ، ولا ينظُرْ في قَعْرِ بَيْتٍ قَبْلَ أن يستأذِنَ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ دَخَلَ، ولا يُصَلِّي وهو حَقِنٌ حتّى يَتخَفَّفَ»(٥).

---

(١) صحيح سنن الترمذي برقم ٢٢٣٧، وقال: حسن. وبلفظ قريب منه في صحيح سنن أبي داود برقم ٣٥١٦.

(٢) صحيح سنن أبي داود للشيخ محمد ناصر الدِّين برقم ٥١٨، وقال: حسن. وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم ١٤٧٦.

(٣) صحيح سنن أبي داود برقم ٥١١، وأخرجه أحمد في مسنده ج ١٩٦/٥.

(٤) صحيح سنن أبي داود برقم ٥١٥، دون جملة «عذر...» وبلفظ « ولا صلاة له».. وفي صحيح ابن حبان [الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ٤١٥٥ رقم ٢٠٦٤] بلفظ: «من سمع النداءَ فلم يجب فلا صلاةَ له إلا من عُذْرٍ» وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٥) أخرجه مالك في الموطأ ج ١٥٩/١، وأحمد في مسنده ج ٤٨٣/٣، والشطر الأخير منه في صحيح سنن الترمذي برقم ١٢٣، والحاكم ج ١٦٨/١ وصححه وأقره الذهبي.

وعن النُّعْمَانِ بن بشيرٍ رضي الله عنه أنّه قال: «كانَ رسولُ الله ﷺ يِسَوِّي صفوفَنا حتّى كَأَنّما يُسَوِّي القِدَاحَ، فَرَأَى رَجُلاً بادِياً صَدْرُهُ من الصَّفِ فقال: عِبادَ اللّهِ! لَتُسَوُّنَّ صُفوفَكُمْ أو ليخالِفَنَّ اللّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»[1].

وقال رسول اللّهِ ﷺ: «سَوُّوا صفوفَكُمْ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفوفِ مِنْ إقامَةِ الصَّلاةِ». وفي رواية: «مِنْ تَمامِ الصَّلاةِ»[2].

وقال أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه: «كان النبيُّ ﷺ يمسحُ مَناكِبَنا في الصّلاةِ، ويقولُ: استووا ولا تختلِفُوا فتختلفَ قلوبُكم»[3].

عن عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «لِيَلِنِي منكمْ أولُو الأحلامِ والنُّهىٰ ثُمَّ الذينَ يلونَهُم، [قالها] - ثلاثاً - وإيَّاكُمْ وهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ»[4].

وعن أبي سعيدٍ الخدري: «أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى في أصحابه تأخُّراً فقال لهم: تَقَدَّمُوا وائْتَمُّوا بي، وليأتَمَّ بكُمْ مَنْ بعدكُمْ، لا يزالُ قومٌ يتأخرونَ حتى يؤخِّرَهُم اللّهُ»[5].

وقال جابرُ بن سَمُرَةَ رضي اللّهُ عَنْهُ: «خَرَجَ علينَا رسولُ الله ﷺ فَرَآنا حِلَقاً فقال: مالي أراكم عِزِينَ؟ ثُمَّ خَرَجَ علينَا فقالَ: ألا تَصُفُّون كما تَصُفُّ الملائِكَةُ عندَ رَبِّها؟ فقُلْنَا: يا رسولَ الله! كيف تَصُفُّ الملائِكَةُ عندَ رَبِّها؟ قال يُتِمُّونَ الصُّفوفَ الأولىٰ، ويَتَرَاصُّونَ في الصَّفِّ»[6].

---

(١) صحيح البخاري ج ٢/٢٠٦ - ٢٠٧ رقم ٧١٧. ومسلم في صحيحه برقم ٤٣٦.

(٢) الروايتان في صحيح مسلم برقم ٤٣٣ و٤٣٤. وإحدى الرّوايتين عند البخاري برقم ٧٢٣.

(٣) صحيح مسلم برقم ٤٣٢.

(٤) صحيح مسلم برقم ٤٣٢.

(٥) صحيح مسلم برقم ٤٣٨.

(٦) صحيح مسلم برقم ٤٣٠.

وعن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «رُصُّوا صُفُوفَكُمْ وقَارِبُوا بَيْنَها وحاذوا بالأَعْنَاقِ، فوالذي نَفْسِي بِيَدِهِ! إنِّي لأَرَىٰ الشَّيطان يدخُلُ من خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّها الحَذَفُ»[1].

وقال رسولُ الله ﷺ: «أتِمُّوا الصَّفَّ المُقَدَّمَ ثُمَّ الذي يَليهِ، فما كانَ مِن نَقْصٍ فليكُنْ في الصَّفِّ المُؤَخَّرِ»[2].

قال عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهُما: «بِتُّ في بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي، فقمت عَنْ يسارِه، فأَخَذ بِيَدِي مِن وَراءِ ظهرِه، فَعَدَلَنِي كذلِكَ مِن وَراءِ ظَهْرِهِ إلى الشِّقِّ الأيْمَنِ»[3].

وقال جابر رضي اللَّهُ عنهُ: «قَامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّي، فجِئْتُ حَتَّى قُمْتُ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ الله ﷺ، فأخَذَ بيدي فأدارني خَلْفَهُ حتَّى أقَامَني عَنْ يمينِهِ، ثُمَّ جاء جَبَّارُ بنُ صَخْرٍ فقامَ عن يَسَارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فأخَذَ بيَدَنا جميعاً فدَفَعَنا حتَّىٰ أقامَنَا خَلْفَهُ»[4].

وقال أنسٌ: «صَلَّيتُ أنَا ويَتِيمٌ في بيتِنَا خَلْفَ النَّبيِّ ﷺ وأم سُلَيْمٍ خَلْفَنا»[5].

وعن أنسٍ رضي الله عنه: «أنَّ رسول اللَّهِ ﷺ صَلَّىٰ بِهِ وبأُمِّهِ ـ أو خالتِهِ ـ قالَ: فأقامني عن يمينِهِ، وأَقامَ المَرْأَةَ خَلْفَنا»[6].

وعن أبي بَكْرَةَ: «أنَّهُ انْتَهَىٰ إلى النَّبيِّ ﷺ وهو راكِعٌ، فَرَكَعَ قَبْلَ أن

(١) صحيح سنن أبي داود برقم ٦٢١، والحَذَفُ: غَنَمٌ صغارٌ سُودٌ.
(٢) صحيح سنن أبي داود برقم ٦٢٣، وصحيح ابن حبان [الإحسان ج ٥/٥٢٩، برقم ٢١٥٥] وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: الحديث صحيح.
(٣) صحيح البخاري ج ٣/١٩٢، رقم ٦٩٩. ومسلم في صحيحه برقم ٧٦٣.
(٤) صحيح مسلم برقم ٣٠١٠.
(٥) صحيح البخاري ج ٢/٢١٢، رقم ٧٢٧ .
(٦) صحيح مسلم برقم ٦٦٠.

يَصِلَ إلى الصَّفِّ، ثُمَّ مشىٰ إلى الصَّفِّ فذكَر ذلِكَ للنَّبيِّ ﷺ، فقالَ: زادَكَ اللَّهُ حِرْصاً ولا تَعُدْ»[1].

عن أبي مسعودٍ الأَنْصاريِّ رضي اللَّهُ عنه أنّهُ قال، قال النَّبيُّ ﷺ: «يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لكتابِ اللَّهِ تعالىٰ، فإنْ كانُوا في القِرَاءَةِ سَواء فَأَعْلَمُهُمْ بالسُّنَّةِ فإنْ كَانُوا في السُّنَّةِ سَواءً فأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فإنْ كَانُوا في الهِجْرَةِ سواءً فأقدمهم سِنًّا، ولا يَؤُمَّنَّ الرَّجلُ الرَّجُلَ في سلطانِهِ ـ ويُرْوَىٰ في أَهْلِهِ ـ ولا يَقْعَدْ في بيتِهِ علىٰ تَكْرِمَتِهِ إلاّ بإِذْنِهِ»[2].

---

(١) صحيح البخاري ج ٢/٢٦٧، رقم ٧٨٣.

(٢) صحيح مسلم برقم ٦٧٣. وفي رواية عند مسلم برقم ٦٧٢ بِلَفْظ: «إذا كانوا ثَلاثَةً فليؤمَّهُمْ أحدُهُم وأحقهم بالإمامَةِ أَقْرَؤُهُمْ».

الثّاني والعشرون من شُعَبِ الإيْمانِ

الـزكاة

وهي التي جعلها اللَّهُ تَعالىٰ جَدُّهُ قرينةً للصّلاةِ، وهذا في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة].

وقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ۝٣٥﴾(1) [التوبة].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما في «الصحيحين»؛ أن رسولَ الله ﷺ لمّا بعثَ معاذاً إلى اليمن، قال له: «إنَّكَ تَأْتِي قَوْماً أَهْلَ

---

(١) انظر إلى هذه الآيةِ الشريفة ونظائرها الدالة على توبيخ مَانِعِي الزكاة وتقريعهم وتعذيبهم العذاب الأليم، والأحاديث الواردة في ذلك ممّا يحمل الإنسان على إخراجه زكاةَ مالِهِ، وبدنه، وإعطائها مستحقيها، لأنّها تربي المال وتزيده حسًّا ومعنى، كما هو مشاهد لمخرجيها، من حفظِ مالهم من الآفات وعدم تضييعه في الهلكات، ومتىٰ إلى الكتاب والسنـة يرجعون وبآثار السّلف يقتدون، وإنَّا لله وإنّا إليه راجعون. [من تعليق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط على مختصر شعب الإيمان ص ٥٢، ط دار ابن كثير. دمشق].

كِتَابٍ فَادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وأني رسولُ الله، فَإِنْ هُمْ أجابُوكَ لذلكَ فأعْلِمْهِمْ أنّ اللّهَ افْتَرَض عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هِمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِن أَغْنِيَائِهِمْ، وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وكَرَائِمَ، أَمْوَالِهِمْ[١]، وَإِيَّاكَ ودَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال، قالَ رسول اللَّهِ ﷺ: «ما مِن صاحبِ ذهبٍ ولا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي منها حقَّها، إلاّ إذا كانَ يومُ القيامةِ صُفِّحَتْ له صَفَائِحُ مِن نارٍ فَأُحْمِيَ عليها في نارِ جهنّم، فيُكْوىٰ بها جَنْبُهُ وجَبينُهُ وظَهْرُهُ، كلّمَا بَرَدَتْ أُعيدتْ له، في يومٍ كان مِقْدَارُهُ خمسين ألفَ سَنَةٍ، حتى يُقْضَى بين العبادِ، فَيرى سبيلَهُ إمّا إلىٰ الجنّةِ وإمّا إلىٰ النّارِ، قيلَ: يا رسولَ اللّهِ فالإبلُ؟ قالَ: ولا صاحبَ إبلٍ لا يُؤَدِّي منها حقَّهَا، ومِن حقِّها حَلْبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا[٣]، إلاّ إذا كان يومُ القيامةِ بُطِحَ لها بقاعٍ قرقرٍ[٤] أوْفَرَ ما كانتْ، لا يفقِدُ منها فَصِيلاً واحداً، تَطؤُهُ بأخفافِها وتَعَضُّه بأفواهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عليه أُوْلاَهَا رُدَّ عليه أُخراها في يومٍ كانَ مِقْدَارُهُ خمسين ألفَ سنةٍ حتى يُقضَىٰ بينَ العبادِ، فَيَرَىٰ سبيلَه إمّا إلىٰ الجنّةِ وإمّا إلىٰ النّارِ، قيل: يا رسولَ اللّهِ فالبقرُ والغَنَمُ؟ قالَ: ولا صَاحبَ بقرٍ ولا غنمٍ لا يُؤَدِّي منها حَقَّهَا، إلاّ إذا كان يومُ القيامةِ بُطِحَ لهل بقاعٍ قَرْقَرٍ لا يَفْقِدُ منها شيئاً، ليسَ فيها عَقْصَاءُ ولا جُلْحَاءُ ولا عَضْبَاءُ[٥]، تنطحُهُ بقرونِها وتَطؤُهُ بأظْلاَفِهَا

---

(١) كرائم الأموال: أحسنها وأفضلها.

(٢) صحيح البخاري ج ٣/٢٨٢، ٢٨٥ و ٨/٥١، فتح الباري. ومسلم في صحيحه برقم ١٩، وأبو داود في سننه برقم ١٥٨٤، والترمذي برقم ٦٢٥.

(٣) معناه ومن حقّها أن يحلبها في يوم شربها الماء، دون غيره لئلا يُصِبْهَا العطشُ، ومشقة الحلب.

(٤) قرقر: أي أملس، أي مستوٍ.

(٥) عقصاء: ملتوية القرنين. والجلحَاء: لا قرن لها. والعضباء: مكسورة القرن، أي=

كلَّما مَرَّ عليه أُوْلاَهَا رُدَّ عليهِ أُخراها، في يومٍ كانَ مِقْدَارُه خمسينَ ألفَ سَنَةٍ حتى يُقْضَىٰ بينَ العبادِ، فَيَرَى سبيلَهُ إمَّا إلىٰ الجنَّةِ وإمَّا إلىٰ النَّارِ، قيل: يا رسولَ اللَّهِ فالخيلُ؟ قال: الخيلُ ثلاثةٌ: هي لِرَجُلٍ أجرٌ، ولرجُلٍ سِتْرٌ، وعلى رجلٍ وِزْرٌ، فأمَّا الذي هي له أجرٌ: فرجلٌ رَبَطَها في سبيلِ اللَّهِ فأطالَ لها في مَرْجٍ أو رَوْضَةٍ، فما أصابَتْ في طِيَلِها[1] ذلك من المرجِ أو الروضةِ كان له حَسَناتٍ، ولو أنَّه انقطعَ طِيَلُها فاستَنَّتْ شَرَفاً[2] أو شَرَفَيْنِ كانتْ آثارُهَا وأَرْوَاثُها حسناتٍ له، ولو أنَّها مَرَّت بنهرٍ فَشَرِبَتْ منه ولم يُرِدْ أن يسقيَها كانَ ذلكَ حسناتٍ له، وأمَّا الذي هي له سِتْرٌ: فرجلٌ ربطَها تَغَنياً وَتَعَفُّفاً ثم لم يَنْسَ حقَّ اللَّهِ تَعالى في رِقابِها ولا ظهورِها فهي له سترٌ، وأمّا الذي هي عليه وِزْرٌ: فرجلٌ ربطَها فخراً ورياءً ونِواءً[3] لأهلِ الإسلامِ، فهي على ذلك وِزْرٌ، وسُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن الحُمُرِ؟ فقال: ما أُنزِلَ عليَّ فيها شيءٌ إلاّ هذه الآيةُ الفاذَّةُ الجامعةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[4] [الزلزلة].

= سالمة القرون ليكون أنكى للمنطوح بها، وهو صاحبها الذي امتنع عن زكاتها.

(١) طِيَلها: هو حبلها الذي تُربط به في مرعاها.

(٢) استنَّتْ شرفاً: أي عدَتْ ومرجت ونشطت لِمرَاحِهَا. والشَّرَفُ: المرتفعُ من الأرض.

(٣) النواء: المنازعة والمعاداة.

(٤) صحيح مسلم برقم ٩٨٧، والبخاري بنحوه في صحيحه برقم ١٤٠٢ و ٢٨٦٠ الفتح.

فضل الإنفاق وكراهية الإمساك

قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لو كانَ لي مِثْلُ أُحُدٍ ذهباً لسرّني أنْ لا يمرَّ عليَّ ثلاثُ ليالٍ وعندي منه شيء، إلاّ شيءٌ أَرْصُدُه لِدَيْنٍ»(١).

وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما مِن يوم يُصبحُ العبادُ فيه إلاّ مَلَكانِ ينزلانِ فيقولُ أحدُهما: اللَّهمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، ويقولُ الآخرُ: اللَّهمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»(٢).

وقال ﷺ لأسماء: «أَنْفِقي ولا تُحصي فيُحْصِيَ اللَّهُ عليكِ، ولا تُوعي فيُوعِيَ اللَّهُ عليكِ، ارْضَخي ما اسْتَطَعْتِ»(٣). [وهذا معناهُ الحثُّ على النّفقة في الطّاعة، وعدمُ البُخل].

وقال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أَنْفِقْ يا ابْنَ آدمَ أُنْفِقْ عليكَ»(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «يا ابنَ آدمَ إنّكَ أنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خيرٌ لكَ، وأنْ تُمسِكَهُ شرٌّ لك، ولا تُلامُ على كَفَافٍ، وابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ البخيلِ والمتصدِّقِ، كَمَثَلِ رجلينِ عليهما جُنَّتانِ من حديدٍ، قد اضْطُرَّتْ أيديهما إلى ثُدِيِّهِمَا وتَراقيهما، فجَعَلَ

---

(١) صحيح البخاري ج ٥/٥٥ رقم ٢٣٨٩، ومسلم في صحيحه برقم ٩٩١.
(٢) صحيح البخاري ج ٣/٣٠٤ رقم ١٤٤٢، ومسلم في صحيحه برقم ١٠١٠.
(٣) صحيح البخاري ج ٥/٢١٧ برقم ٢٥٩١، ومسلم في صحيحه برقم ١٠٢٩.
(٤) صحيح البخاري ج ٩/٤٩٧ برقم ٥٣٥٢، ومسلم في صحيحه برقم ٩٩٣.
(٥) صحيح مسلم برقم ١٠٣٦.

المتصدِّقُ كلّما تَصَدَّقَ بصدقةٍ انبسطَتْ عنه، وجَعَلَ البخيلُ كلّما همَّ بصدقةٍ قَلَصَتْ وأخذتْ كُلُّ حلقةٍ بمكانِها»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «اتقوا الظّلمَ فإنّ الظّلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ، واتّقُوا الشُّحَّ فإن الشُّحَّ أهْلَكَ مَنْ كانَ قبلكم، فحملَهم على أنْ يسفِكُوا دماءِهم، واستَحَلُّوا محارِمَهم»[٢].

وقال ﷺ: «تصدَّقوا فإنه يأتي عليكم زمانٌ يمشي الرجلُ بصدقتِهِ فلا يجدُ مَنْ يقبلُها، يقولُ الرّجلُ: لو جِئْتَ بها بالأمسِ لَقَبِلْتُها، فأمّا اليومَ فلا حاجةَ لي بها»[٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قالَ رجلٌ: يا رسولَ اللّهِ أيُّ الصّدقةِ أعظمُ أجراً؟ قال: أنْ تَصَدَّقَ وأنتَ صحيحٌ شحيحٌ، تخشَىٰ الفقرَ وتأملُ الغِنَىٰ، ولا تُمهِلْ حتّى إذا بلغتْ الحُلْقُومَ قلتَ: لفلانٍ كذا، ولفلانٍ كذا، وقد كانَ لفلانٍ كذا»[٤].

وعن أبي ذرٍّ قال: «انتهيتُ إلى النّبيِّ ﷺ وهو جالسٌ في ظِلِّ الكعبةِ، فلمّا رآني قال: هُمُ الأخْسَرُونَ ورَبِّ الكعبةِ، فقلتُ: فِدَاكَ أبي وأُمّي مَنْ هُم؟ قال: هُمُ الأكثرونَ أموالاً إلاّ مَنْ قالَ هكذَا وهكذَا، مِنْ بينِ يديهِ ومِن خلفِه، وعن يمينِه وعن شِمَالِهِ وقليلٌ ما هُمْ»[٥].

وقال رسولُ اللّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعِدْلِ ثمرةٍ مِنْ كسبٍ طيّبٍ، ولا يقبلُ اللّهُ إلاّ الطيّبَ، فإنَّ اللّهَ يتقبَّلُها بيمينِهِ، ثم يُرَبِّيها لصاحِبِها كما يُرَبّي أحدُكم فلُوَّهُ، حتّى تكونَ مثلَ الجَبَلِ»[٦].

---

(١) صحيح البخاري ج ٣/ ٣٠٥ برقم ١٤٤٣، ومسلم في صحيحه برقم ١٠٢١.
(٢) صحيح مسلم برقم ٢٥٧٨.
(٣) صحيح البخاري ج ٣/ ٢٨١ برقم ١٤١١، ومسلم في صحيحه ١٠١١.
(٤) صحيح البخاري ج ٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ برقم ١٤١٩، ومسلم في صحيحه برقم ١٠٣٢.
(٥) صحيح البخاري ج ١١/ ٥٢٤ برقم ٦٦٣٨، ومسلم في صحيحه برقم ٩٩٠.
(٦) صحيح البخاري ج ٣/ ٢٧٨ برقم ١٤١٠، ومسلم في صحيحه برقم ١٠١٤.

وقال رسول اللَّهِ ﷺ: «ما نَقَصَتْ صدقةٌ مِنْ مالٍ، وما زَادَ اللَّهُ عَبْداً بعفوٍ إلاّ عِزًّا وما تواضَعَ أحدٌ للَّهِ إلاّ رفعَهُ اللَّهُ»(١).

وقال رسول اللَّهِ ﷺ: «مَن أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شيءٍ مِنَ الأشيَاءِ في سبيلِ اللَّهِ، دُعِيَ من أبوابِ الجنّةِ، وللجنّةِ [ثمانيةُ](٢) أبوابٍ، فمَنْ كانَ مِنْ أهلِ الصّلاةِ دُعِيَ من بابِ الصّلاةِ، ومَنْ كان من أهلِ الجهادِ دُعِيَ مِنْ بابِ الجهادِ، ومَنْ كانَ مِن أهلِ الصّدقةِ دُعِيَ من بابِ الصّدقةِ، ومن كان من أهلِ الصّيامِ دُعِيَ من باب الرّيانِ» فقال أبو بكرٍ: ما على مَنْ دُعِيَ مِنْ تلك الأبوابِ مِنْ ضَرورةٍ، فهل يُدعَى أحدٌ مِنْ تلك الأبوابِ كلِّها؟ قال: «نعم! وأرجُو أنْ تكُونَ منهُمْ»(٣).

وقال رسول اللَّهِ ﷺ: «لا تحقِرَنَّ مِنَ المعرُوفِ شيئاً ولو أنْ تَلقَى أخاك بوجهٍ طليقٍ»(٤).

وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «على كلِّ مسلمٍ صدقةٌ، قالُوا: فإن لم يجدْ؟ قال: فيعملُ بيديهِ فينفعُ نفسَهُ ويتصدَّقُ، قالُوا: فإن لم يستطعْ أو لم يفعلْ؟ قال: فيُعينُ ذَا الحاجَةِ المَلْهُوفِ، قالُوا: فإنْ لم يفعلْ؟ فيأمرُ بالخيرِ، قالُوا: فإنْ لم يفعلْ؟ قالَ: فيُمْسِكُ عن الشّرِّ فإنّه له صدقةٌ»(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «كُلُّ سُلاَمَىٰ مِنَ النّاسِ عليه صَدَقَةٌ كلَّ يومٍ تَطْلُعُ فيهِ الشّمسُ، يَعْدِلُ بينَ الاثنينِ صدقةٌ، ويُعينُ الرّجلَ على دابّتِهِ، فيحملُ عليها أو يرفعُ عليها متاعَهُ صدقةٌ، والكلمةُ الطّيّبةُ صَدَقَةٌ، وكلُّ خطوةٍ يخطُوها إلىٰ الصّلاةِ صَدَقَةٌ، ويُميطُ الأذى عنِ الطّريقِ

---

(١) صحيح مسلم برقم ٢٥٨٨.

(٢) هذه زيادة ليست في أصل الحديث، وإنّما ذكرناها لورود ذكر الثمانية الأبواب للجنّة في رواية مسلم في كتاب الإيمان باب ٤٦.

(٣) صحيح البخاري ج ٤/١١١ برقم ١٨٩٧، ومسلم في صحيحه برقم ١٠٢٧.

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٦٢٦.

(٥) صحيح البخاري ج ١٠/٤٤٧ برقم ٦٠٢٢، ومسلم في صحيحه برقم ١٠٠٨.

صَدَقةٌ»[1].

وقال رسول اللّهِ ﷺ: «خُلِقَ كلُّ إنْسَانٍ مِنْ بني آدَمَ على سِتّينَ وثلاثمائةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كبَّرَ الله، وحَمِدَ الله، وهلَّلَ اللّهَ، واستغفرَ اللّهَ عزَّ وجلَّ، وعَزَلَ حجراً عن طريق النّاسِ، أو شوكةً، أو عَظْماً، أو أمرَ بمعروفٍ أو نَهىٰ عن منكرٍ عَدَدَ تلك السِّتّينَ والثلاثمائةِ فإنّه يمشي يَوْمَئِذٍ وقد زَحْزَحَ نفسَهُ عنِ النّارِ»[2].

وقال رسولُ اللّهِ ﷺ: «إنَّ بكلِّ تسبيحةٍ صدقةٌ، وكلِّ تكبيرةٍ صدقةٌ، وكلِّ تحميدةٍ صدقةٌ، وكلِّ تهليلةٍ صدقةٌ، وأمرٍ بالمعروفِ صدقةٌ، ونهيٍ عن منكرٍ صدقةٌ، وفي بُضْعِ أحدِكُم صدقَةٌ، قالوا: يا رسولَ اللّهِ أيأتِي أحدُنَا شهوتَهُ ويكونُ له فيها أجرٌ؟ قال: أرأيتُم لو وَضَعَها في حرامٍ أكانَ عليهِ فيهِ وِزْرٌ، فكذلكَ إذا وَضَعَها في الحلالِ كانَ له أجرٌ»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «نِعْمَ الصّدقةُ اللِّقْحَةُ الصَّفِيُّ مِنْحَةً، والشّاةُ الصَّفِيُّ مِنْحةً، تغدُو بإناءٍ وتروحُ بآخرَ»[4].

قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْ مسلمٍ يغرِسُ غرساً أو يزرعُ زرعاً، فيأكُلُ منهُ إنسانٌ أو طيرٌ أو بهيمةٌ، إلاّ كانتْ له صدقة»[5] وفي رواية: «ما سُرِقَ منه لهُ صدقةٌ»[6].

---

(١) صحيح البخاري ج ١٣٢/٦ برقم ٢٩٨٩، ومسلم في صحيحه برقم ١٠٠٩.
(٢) صحيح مسلم برقم ١٠٠٧.
(٣) صحيح مسلم برقم ١٠٠٦.
(٤) صحيح البخاري ج ٧٠/١٠ برقم ٥٦٠٨، ومسلم في صحيحه برقم ١٠٢٠.
(٥) صحيح البخاري ج ٤٣٨/١٠ برقم ٦٠١٢، ومسلم في صحيحه برقم ١٥٥٣.
(٦) صحيح مسلم برقم ١٥٥٢.

الثّالث والعُشرون من شعَب الإيمَان

الصيـام

قال الإمام البيهقي[(١)]:

قال اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ قال أبو عبد اللّهِ الحليمي رحمه الله في مبسوط كلامهِ قد أبان اللّهُ تعالىٰ أنّ الصَّومَ من أسباب التّقوى، وحقيقةُ التّقْوَىٰ فعلُ المَأمورِ بهِ والمندوبِ إليه، واجْتِنَابُ المُنهي عنهُ والمكروهِ والمنزَّهِ عنه، لأنّ المرادَ من التّقوىٰ وقايةُ العبد نفسَه من النّار وهو إنّما يَقِي نفسَهُ النّارَ بما ذكرتُ، قال: والصّلاةُ أحدُ شُعَبِها قال اللّهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾.

والانتهاء عنِ الفحشاء والمنكرِ هو التّقوى، وهذا لأنّ مَنْ حبَّبَ اللّهُ إليه الصّلاةَ ووفقَهُ لها فقدْ ذَلّلَ أعضاءهُ وجوارحَهُ بها لم يكن إلاّ منتهياً عن الفحشاء والمنكر وكذلك الصّيام من شعبها؛ لأنّ التملأ من الطّعام والشّراب رأسُ البواعث على الفحشاء والمناكير، ومعلوم في العادات أنّ الجائعَ العطشانَ لا يجدُ في نفسه من قلقِ الشّهوات ما يجدُ منه الممتلئُ من الطّعام والشّراب وإذا كان ذلك فقد حصل من الصيام التقوى.

وفيه وجه آخر: وهو أنّ المعنى لعلّكم تتقُون الكفرَ والتّغَافُلَ والتّجاهل بقدر النّعْمة عن شكرها، وذلك أنّ النّاس إذا كانوا ممسكين طول الدّهر ليلاً ونهاراً من الأكل والشّرب، نسوا الجوع والعطش، وغفلوا عن

(١) شعب الإيمان: للإمام البيهقي ج ٣/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

شدتهما وبحسب ذلك يجهلون موقع نعمة الله عليهم بالطعام والشّراب ويغفلون عن شكرها فَفُرِضَ الصّومُ عليهم مدّة من المُدَد ليستشعروا أنّ التملأ من الأكل والشّرب لا يقعُ بمجرد وجود الطّعام والشّراب، لكن تحتاج مع الوجود إلى إطلاق المولىٰ وإباحته، فيكون ذلك أَطْرأً لإيمانهم ثم يكفُّوا عنهما لوجههِ، فيكون ذلك عبادةً لهم، ثم يجدوا خلال الكفّ تَوَقَاناً إليهما، ويصبروا فيكون ذلك ادّكاراً بقدر النّعْمة التي كانت عليهم طوال الدّهر بالإطلاق والإباحة، حتى إذا رُدّتْ إليهم شكرُوها وأدُّوا حقَّها، وهذا لا شك باب من أبواب التّقوى، وهو نظير ما قيل في الأمراض.

وفيه وجه آخر: وهو أن يكون المعنى لعلّكم تَتَّقُون البُخْلَ وإهمال المحتاجين والتغافل عنهم، وذلك أنّ الجوع والعطش أمران جُبِلَ النّاسُ عليهما وفيهم أغنياءُ وضعفاءُ فإذا استمرأ الأغنياءُ الأكل والشّرب سهواً ولم يَدْرُوا ما الجوع، فَفُرِضَ عليهم الصِّيامُ مدّةً، حتى إذا أحسُّوا من تأخير الطّعام عنهم باليسير من الجهد تذكّرُوا بذلك حال من يطوي يوماً بليلته أو أكثر من ذلك لا صائماً ولا طاعماً لشدّة فقره فيصير ذلك سبباً لعطفهم على الضّعفاء والإحسان إليهم وشكرهم نعمة اللّهِ عندهم، ولا شكَّ أنَّ المواسَاةَ والإحسانَ من التَّقْوى.

وعن عبد اللّه بن عُمَر رضي الله عنهما في «الصحيحين» قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بُنِيَ الإسْلاَمُ على خَمسٍ: شَهادَةِ أنْ لا إلٰه إلا الله وأنَّ محمداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وإقَامِ الصَّلاَةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وصوم رَمَضَان، وَحَجِّ البَيْتِ»[1].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه فيهما، أنّ رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ عَمَلِ ابْن آدَمَ يُضَاعَفُ، الحسنةُ بِعَشْرِ أمثالِها، إلىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قال اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إلاّ الصَّوْمَ، فإنَّهُ لِي وأنا أجزي به، يَدَعُ طَعَامَهُ وشَهوَتَهُ مِن

---

(١) صحيح البخاري ج ١/ ٤٩ برقم ٨، ومسلم في صحيحه برقم ١٦.

أَجْلِي، لِلْصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وفَرْحَةٌ عند لِقَاء رَبِّهِ، وَلَخلُوف[1] فَمِ الصَّائمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ»[2].

قال الحليمي رحمه اللَّهُ: وهذا والله أعلم على أن جماع العبادات فَعَلَ أشياء وكفّ عن أشياء، والصّوم يقمع الشّهوات، فيتيسر به الكفّ عن المحارم وهو شطر الصّبر، لأنّه صبر عن الشّهوات، ويبقى وراءه الصّبر عن المشاق وهو تخلف الأفعال المأمور بها، فهما صبران: صبر عن أشياء، وصبر على أشياء، والصوم يُعين على أحدهما، فهو إذاً نصف الصّبر، ومنها أنه سماه فرضاً مجزياً وفي خبر آخر زكاةً ويرجعُ معناهما إلىٰ أنّه ينقص من قوّة البدن وينحلُّ الجسم فيكون الصائم كأنه أخرج شيئاً من جسده لوجهِ الله وهو يجزيه به.

وقال رسولُ الله ﷺ: «إذا دخلَ رمضانُ، فُتِحتْ أبوابُ السّماء. [وفي رواية] فُتِحَتْ أبواب الجنّة ـ وغُلِّقتْ أبوابُ جَهَنّم، وسُلْسِلَتِ الشّياطين» وفي رواية: «فُتِحَتْ أبوابُ الرَّحمةِ»[3].

وقال رسولُ الله ﷺ: «صُومُوا لرؤيتِهِ وأَفْطِرُوا لرؤيتِهِ، فإنْ غُمَّ عليكُم فأَكْمِلُوا عِدَّةَ شعبانَ ثلاثينَ»[4].

---

(١) الخُلُوفُ: تغيّر ريح الفم من طول الإمساك عن الطعام والشراب.
(٢) صحيح البخاري ج ٤/ ٨٨ و ٩٤، ومسلم برقم ١٥١ واللفظ له وبرقم ١٦١ و ١٦٢ و١٦٣ و ١٦٤.
(٣) صحيح البخاري ج ٤/ ١١٢ برقم ١٨٩٩ و ١٨٩٨ واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم ١٠٧٩.
(٤) صحيح البخاري ج ٤/ ١١٩ برقم ١٩٠٩، ومسلم في صحيحه برقم ١٠٨١.

الرَّابع والعُشرون من شُعَب الإيمَان

الاعتكَافُ(١)

قال الله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة].

وفي حديث عائشة في «الصحيحين» أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يَعْتكِفُ(٢) العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّىٰ توَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اعْتكَفَ أَزْوَاجُهُ مِن بَعْدِهِ»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: كان يُعْرَضُ علىٰ النبيِّ ﷺ القرآن كلَّ عام مرّةً، فعُرِضَ عليهِ مرّتين في العامِ الذي قُبِضَ فيهِ، وكانَ يَعْتكِفُ كُلَّ عامٍ عشراً، فاعتكفَ عِشْرِينَ في العامِ الذي قُبِضَ فيهِ»(٤).

---

(١) شعب الإيمان: للإمام البيهقي ج ٣/ ٤٢٣.

(٢) الاعتكاف لغة: لزوم الشيء وحفظ النّفس عليه، وشرعاً: اللّبث في المسجد على هيئة مخصوص، وهذه السّنّة قد أضاعها أكثر المسلمين، مع أنّ النبي ﷺ داوم عليها حتى توفاه الله. اللهم اهدنا ووفقنا للعمل بهذه السّنّة الشّريفة.

(٣) صحيح البخاري ج ٤/ ٢٧١ برقم ٢٠٢٦، ومسلم في صحيحه برقم ١١٧٢.

(٤) صحيح البخاري ج ٩/ ٤٣ برقم ٤٩٩٨.

الخامس والعشرون من شُعَب الإيمان

مناسك الحج والعمرة[1]

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران].

وقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾[2] [الحج].

وقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما في «الصحيحين» أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَىٰ خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وصَوْمِ رَمَضان، وَحَجِّ البَيْتِ»[3].

وفي حديث عمر رضي الله عنه في «صحيح مسلم»، قال: «بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إذْ جَاءَ رَجُلٌ، فقال: يا محمد ما الإسلامُ؟ قال: أن تَشْهَدَ أن لاَ إلٰهَ إلّا اللّهُ، وأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ، وأَنْ تُقِيمَ الصَّلاَةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكَاة، وتَحُجَّ البَيْتَ، وتَعْتَمِرَ، وتَغْتَسِلَ مِنَ الجَنابَةِ، وتُتِمَّ الوُضُوءِ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، قال: فإنْ فعلتُ هذا، فأنا مسلم؟ قال: نَعَمْ،

---

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي ج ٣/ ٤٢٧ ـ ٤٧٠، باختصار.

(٢) يَأْتُوكَ رِجَالاً: يعني مُشَاةً على أرجلهم. من كلِّ فجٍّ: من كل طريق. والفجُّ: المسلك.

(٣) صحيح البخاري ج ١/ ٤٧، الفتح ومسلم في صحيحه رقم ١٦.

قال: صَدَقْتَ. . .». فذكر الحديث[١].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال، قال رسول الله ﷺ: «يا أيُّها النَّاسُ! قد فَرَضَ الله عليكُمْ الحجَّ فَحُجُّوا، فقال رجلٌ: أَكُلَّ عامٍ يا رسولَ الله؟ فسكَتَ حتَّىٰ قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: لو قلتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ ولَمَا اسْتَطَعْتُمْ»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّهُ قال: «سُئِلَ رسولُ الله ﷺ أيُّ العَمَلِ أفضلُ؟ قال: إيمان باللَّهِ ورسولِهِ، قيلَ: ثُمَّ ماذا؟ قال: الجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ، قيلَ: ثُمَّ ماذا: قال: حَجٌّ مَبْرُورٌ»[٣].

وقال رسولُ الله ﷺ: «مَن حَجَّ لله فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «العُمْرَةُ إلىٰ العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، والحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إلاّ الجَنَّةَ»[٥].

وقال رسول اللَّهِ ﷺ: «إن عُمْرَةً في رمضانَ تَعْدِلُ حَجَّةً»[٦].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «إنَّ النَّبيَّ ﷺ لَقِيَ رَكْباً بالرَّوْحَاءِ فَرَفَعَتْ إليهِ امرأةٌ صَبِيًّا، فقالَتْ: أَلِهَذا حَجٌّ؟ قال: نعم، ولكِ أَجْرٌ»[٧].

---

(١) صحيح ابن حبان [الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان] ج ١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨ برقم ١٧٣، وإسناده صحيح كما قاله الشيخ شعيب. وصحيح ابن خزيمة برقم ١ وصحيح مسلم بنحوه برقم ٨.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٣٣٧.

(٣) صحيح البخاري ج ١/ ٧٧ برقم ٢٦، ومسلم في صحيحه برقم ٨٣.

(٤) صحيح البخاري ج ٣/ ٣٨٢ برقم ١٥٢١، وصحيح مسلم برقم ١٣٥٠.

(٥) صحيح البخاري ج ٣/ ٥٩٧ برقم ٨٧٧٣، وصحيح مسلم برقم ١٣٤٩.

(٦) صحيح البخاري ج ٣/ ٦٠٣ برقم ١٧٨٢، وصحيح مسلم برقم ١٢٥٦.

(٧) صحيح مسلم برقم ١٣٣٦. والركب: ما كان فوق العشرة. والروحاء موضع على أربعين ميلاً من المدينة.

وعن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما: «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ خَثْعَمَ قَالَتْ يَا رسولَ اللَّهِ! إنَّ فَرِيضةَ الله على عبادِهِ في الحَجِّ أَدْرَكَتْ أبي شَيْخاً كبيراً لا يثبتُ على الرَّاحِلَةِ أفأحُجُ عنه؟ قال: نعم. وذلكَ في حجَّةِ الوداع»[1].

وقال ابن عبّاس: قال رجلٌ: إنَّ أُختي نَذَرتْ أن تحُجَّ وإنّها ماتَتْ، فقال النَّبيُّ ﷺ: لو كانَ عليها دَيْنٌ أكُنْتَ قاضيهِ؟ قال: نعم، فاقْضِ دَيْنَ الله، فهو أَحَقُّ بالقَضَاء»[2].

وقالت عائشةُ رضي اللَّهُ عنها: «اسْتَأْذَنْتُ النَّبيَّ ﷺ في الجهاد، فقال: جِهَادُكُنَّ الحَجُّ»[3].

وعن ابن عَبَّاس رضي اللَّهُ عنهما أنَّهُ قال، قال رسول الله ﷺ: «يا أيها النَّاسُ: إنَّ اللَّهَ كتبَ عليكُمُ الحَجَّ، فقامَ الأقرعُ بنُ حابس[4] فقال: أَفِي كُلِّ عام يا رسولَ الله؟ قال: لو قلتُها لَوَجَبَتْ، ولَوْ وَجَبَتْ لم تَعْمَلُوا بها ولم تَسْتَطِيعُوا»[5]. وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «تابِعُوا بينَ الحَج والعُمْرَةِ، فإنَّهُمَا يَنفِيَانِ الفَقْرَ والذُّنُوبَ، كما يَنفي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ والذَّهَبِ والفِضَّةِ، وليسَ للحجَّةِ المبرُورَةِ ثَوابٌ إلاّ الجَنَّةُ»[6].

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ الحجَّ فَلْيُعَجِّلْ»[7].

---

(١) صحيح البخاري ج ٣/ ٣٧٨ برقم ١٥١٣، ومسلم في صحيحه برقم ١٣٣٤.

(٢) صحيح البخاري ج ١١/ ٥٨٤ برقم ٦٦٩٩، ومسلم في صحيحه برقم ١١٤٨.

(٣) صحيح البخاري ج ٦/ ٧٥ برقم ٢٨٧٥.

(٤) الأقرع بن حابس بن عقال: صحابي كان حَكَماً في الجاهلية وَفَدَ على النَّبيِّ ﷺ وشهد فتح مكة وحُنَيْناً والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم، وقد حَسُنَ إسلامه، وإنما قيل له الأقرع لِقَرَعٍ كان برأسه، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام، قُتِلَ في اليرموك في عشرة من بنيه (ابن حجر بالإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٧٢).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ج ١/ ٢٥٥، والدارمي في سننه ج ٢/ ٣٩، وهو في صحيح سنن أبي داود برقم ١٥١٤ بأخصر مما هنا.

(٦) صحيح سنن الترمذي برقم ٦٥٠.

(٧) صحيح سنن أبي داود برقم ١٥٢٤ وقال الشيخ ناصر: حسن.

السَّادِسَ والعُشرون مـن شُعَب الإيمَان

الجهاد في سبيل اللَّهِ(١)

قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾ [التوبة: ١٢٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ [الأنفال: ٦٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في «الصحيحين»، سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أيُّ الأعمالِ أفضل؟ قال: الإيمانُ باللَّهِ وَرَسُولِهِ، فقيل: ثُمَّ ماذا؟ قال: الجِهَادُ في سَبِيلِ اللَّهِ، قيل: ثُمَّ ماذا؟ قال: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»(٢).

وعن عبد اللَّه بن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما في «صحيح البخاري»: «لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، واعْلَمُوا أَنَّ الجنَّةَ تَحْتَ ظِلَاَلِ السُّيُوفِ»(٣).

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٤/٣ ـ ٣٧.

(٢) صحيح البخاري ج ٣/٣٠٢ و ١/١٧٣، الفتح، وصحيح مسلم برقم ٣٨، والترمذي برقم ٨، ١٦، والنسائي ج ٥/١١٣، وأحمد ج ٢/٢٦٨ و٢٦٩.

(٣) صحيح البخاري ج ٦/٨٥ و ١٠٩، وصحيح مسلم برقم ١٧٤٢، وأحمد في مسنده ج ٤/٣٥٣ و ٣٥٤، وأبو داود برقم ٢٦٢٢.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ آمَنَ باللَّهِ وبِرَسُولِهِ وأقامَ الصّلاةَ وصَامَ رَمضانَ كانَ حقّاً على اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجنَّة، جاهَدَ في سبيلِ اللَّهِ أو جَلَسَ في أرضِهِ التي وُلِدَ فيها، قالوا: أفلا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قال: إنَّ في الجَنَّةِ مائةَ درجةٍ أعَدَّها اللَّهُ للمجاهِدِينَ في سبيلِ اللَّهِ، ما بين الدَّرجتَيْنِ كما بينَ السَّماءِ والأرضِ، فإذا سألتُمُ اللَّهَ فاسْألُوهُ الفِرْدَوْسَ، فإنّه أوْسَطُ الجنّةِ وأَعلَى الجنةِ، وفوقَهُ عرشُ الرحمٰنِ، ومنه تَفَجَّر أنهارُ الجنةِ»[1].

وقال رسولُ الله ﷺ: «انتدبَ اللَّهُ لِمَنْ خرجَ في سبيلِهِ لا يُخْرِجُهُ إلاَّ إيمانٌ بي وتصديقٌ برُسُلِيْ أنْ أُرْجِعَهُ بما نالَ مِن أجرٍ أو غنيمةٍ، أو أُدْخِلَهُ الجنَّةَ»[2].

وقالَ رسولُ الله ﷺ: «والَّذي نفسِي بيدِهِ، لَو أَنَّ رِجَالاً من المؤمنينَ لا تطيبُ أنفُسُهم أن يَتَخَلَّفُوا عنِّي، ولا أجدُ ما أَحملُهم عليه، ما تَخلَّفْتُ عن سَرِيَّةٍ تغزو في سبيلِ اللَّهِ، والَّذي نفسي بيدِهِ، لَوَدَدْتُ أنّي أُقْتَلُ في سبيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»[3].

وقال ﷺ: «رِباطُ يومٍ في سبيلِ اللَّهِ خيرٌ من الدُّنْيَا وما فيها»[4].

وقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لسهلِ بنِ سعدٍ: «لَغَدْوَةٌ في سبيلِ اللَّهِ أو رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدّنيا وما فيها»[5].

---

(١) صحيح البخاري ج ٦/٦ و ١١، برقم ٢٧٨٧، الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٨٧٨.

(٢) صحيح البخاري ج ١/٩٢، من كتاب الإيمان برقم ٣٦، وصحيح مسلم برقم ١٨٧٦.

(٣) صحيح البخاري ج ٦/١٦، كتاب الجهاد برقم ٢٧٩٧، وصحيح مسلم برقم ١٨٧٦.

(٤) صحيح البخاري ج ٦/٨٥، كتاب الجهاد، برقم ٢٨٩٢، الفتح.

(٥) صحيح البخاري ج ١١/٢٣٢، كتاب الرقاق، برقم ٦٤١٥، الفتح، وصحيح =

وقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «رِباطُ يومٍ وليلةٍ خيرٌ من صيامِ شهرٍ وقيامِهِ، وإنْ ماتَ جَرَىٰ عملُهُ الذي كانَ يعمَلُهُ، وأُجْرِيَ عليه رزقُهُ، وأَمِنَ الفَتّانَ»[1].

وقال رسولُ الله ﷺ: «ما اغبَرَّت قَدَمَا عبدٍ في سبيلِ اللَّهِ فتمسَّهُ النَّارُ»[2].

وقال رسولُ الله ﷺ: «لا يجتمعُ كافرٌ وقاتِلُهُ في النَّار أبداً»[3].

وقال رسولُ الله ﷺ: «مِن خيرِ مَعَاشِ النَّاسِ لهم، رجلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ في سبيلِ اللَّهِ، يطيرُ على مَتْنِهِ، كلّما سَمِعَ هَيْعَةً أو فزْعَةً طارَ عليه يبتغي القتلَ والموتَ مَظَانَّهُ، أو رجلٌ في غُنَيْمَةٍ في رأسِ شَعَفَةٍ من هذه الشّعَفِ، أو بطنِ وادٍ من هذه الأوديةِ، يُقيمُ الصَّلاةَ ويُؤْتي الزّكاةَ ويعبدُ ربّه حتى يأتيَهُ اليقينُ، ليسَ مِنَ النَّاسِ إلاّ في خَيْرٍ»[4].

وقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غازِياً في سبيلِ اللَّهِ فقد غَزَا، ومَن خَلَفَ غازياً في أهلِهِ فقد غَزَا»[5].

وقال رسول الله ﷺ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ المجاهدينَ على القاعدين كحُرمَةِ أُمهاتِهِم، وما مِن رجلٍ من القَاعِدين يَخْلُفُ رجلاً من المجاهدينَ في أهلِهِ، فيخونُه فيهم، إلاّ وُقِفَ لهُ يومَ القيامَةِ فيأخذُ من عملِهِ ما شاءَ، فما

= مسلم برقم ١٨٨١.

(١) صحيح مسلم برقم ١٩١٣، كتاب الإمارة، باب فضل الرِّباط.

(٢) صحيح البخاري ج ٦/ ٢٩، كتاب الجهاد برقم ٢٨١١، الفتح.

(٣) صحيح مسلم برقم ١٨٩١، كتاب الإمارة، باب مَنْ قتل كافراً.

(٤) صحيح مسلم برقم ١٨٨٩. وقوله «هَيعة» أي صيحة. و «غُنيمة» تصغير «غنم»، و «مظانّه» جمع مظنّة، وهي الموضع الذي يُعْهَدُ فيه الشّيء ويُظنُّ أنّه فيه. و «شَعَفة» أي رأس.

(٥) صحيح البخاري ج ٦/ ٤٩، كتاب الجهاد برقم ٢٨٤٣، الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٨٩٥.

ظَنُّكُم»[1].

عن أبي مسعودٍ الأنصاري رضي الله عنه قال: «جاءَ رجُلٌ بناقةٍ مَخْطُومَةٍ فقالَ: هٰذهِ في سبيلِ اللَّهِ، فقال رسولُ الله ﷺ: لكِ بها يومَ القيامَةِ سَبْعُمَائَةِ ناقةٍ كلُّها مَخْطُومَةٌ»[2].

وعن أبي سعيد: أنَّ رسول الله ﷺ بعثَ بَعْثاً إلى بَنِي لِحْيَانَ مِن هُزَيْلٍ، فقالَ: لِيَنْبَعِثْ مِن كلِّ رجلينِ أحدُهما والأجرُ بينهما»[3].

وقال رسولُ الله ﷺ: «لَنْ يَبْرَحَ هذا الدِّينُ قائماً يقاتِلُ عليهِ عصابةٌ مِنَ المسلمين حتّى تقومَ السّاعةُ»[4].

وقال رسولُ الله ﷺ: «لا يُكْلَمُ أَحَدٌ في سبيلِ اللَّهِ، واللَّهُ أعلم بمَنْ يُكْلَمُ في سبيلِهِ، إلا جاءَ يومَ القيامَةِ وجُرْحُهُ يَثْعَبُ دمًا اللَّونُ لونُ الدَّمِ والرِّيحُ ريحُ المسكِ»[5].

وقال رسولُ الله ﷺ: «ما أحدٌ يدخلُ الجنَّةَ يحبُّ أن يرجِعَ إلى الدُّنيا وله ما في الأرض من شيء إلاّ الشّهيدُ يتمنّىٰ أنْ يرجعَ إلى الدنيا فيُقْتَلَ عَشْرَ مرّاتٍ لِمَا يرىٰ من الكرامةِ»[6].

وسُئِلَ عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴿١٧٠﴾ ﴾[7] قال: إنّا

---

(١) صحيح مسلم برقم ١٨٩٧، باب حرمة نساء المجاهدين.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٨٩٢، باب فضل الصدقة في سبيل الله تعالى.

(٣) صحيح مسلم برقم ١٨٩٦، باب فضل إعانة المجاهدين.

(٤) صحيح مسلم برقم ١٩٢٢.

(٥) صحيح البخاري ج ٦/ ٢٠، كتاب الجهاد برقم ٢٨٠٣، الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٨٧٦، باب فضل الجهاد.

(٦) صحيح البخاري ج ٦/ ٣٢، كتاب الجهاد برقم ٢٨١٧، وصحيح مسلم برقم ١٨٧٧، باب فضل الجهاد.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩ - ١٧٠.

قد سَألْنا عن ذلكَ فقال: أرواحُهُم في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لها قناديلُ مُعلَّقةٌ بالعرشِ، تشرحُ من الجنَّةِ حيثُ شاءتْ، ثُمَّ تَأْوِي إلى تلكَ القناديلِ، فاطَّلَعَ إليهم ربُّهم اطِّلاعةً فقال: هل تشتهُونَ شيئاً؟ قالوا: أيَّ شيءٍ نَشْتَهِي ونحن نَسْرَحُ مِن الجنَّةِ حيثُ شِئْنا! فَفَعَلَ ذلك بهم ثلاث مرَّاتٍ، فلمَّا رأَوْا أنَّهم لن يُتْرَكُوا مِن أنْ يُسْألُوا، قالوا: يا ربِّ نُريدُ أن تَرُدَّ أرواحَنَا في أجسادِنَا حتى نُقْتَلَ في سبيلِكَ مرَّةً أُخرَى، فلمَّا رَأى أن ليس لهم حاجةٌ تُرِكُوا»[(١)].

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: «قالَ رجُلٌ: يا رسولَ اللَّهِ أرأيْتَ إن قُتِلْتُ في سبيلِ اللَّهِ يُكَفَّرُ عنِّي خطايَايَ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: نعمْ، إنْ قُتِلتَ في سبيلِ اللَّهِ وأنتَ صابرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ، ثم قال: كيفَ قلتَ؟ قال: أرأيتَ إنْ قُتِلتُ في سبيل اللَّهِ أيكفَّر عني خطايَايَ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: نعم، وأنتَ صابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ، إلاَّ الدَّيْنَ فإنَّ جبريلَ قال لي ذلكَ»[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ: «القَتْلُ في سبيلِ اللَّهِ يُكَفِّر كلَّ شيءٍ إلاّ الدَّيْن»[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إلى رَجُلَيْنِ يَقتلُ أحدُهما الآخر يَدخُلانِ الجنَّة، يُقَاتِلُ هذا في سبيلِ اللَّهِ فيُقْتَلُ ثم يتوبُ اللَّهُ علىٰ القاتِلِ فيُسْتَشْهَدِ»[(٤)].

وقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَألَ اللَّهَ الشهادَةَ بصدقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنازِلَ الشُّهداءِ وإنْ ماتَ على فراشِهِ»[(٥)].

---

(١) صحيح مسلم برقم ١٨٨٧، باب بيان أرواح الشهداء.
(٢) صحيح مسلم برقم ١٨٨٥، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله تعالى.
(٣) صحيح مسلم برقم ١٨٨٦.
(٤) صحيح البخاري ج ٦/٣٩، كتاب الجهاد برقم ٢٨٢٦، الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٨٩٠.
(٥) صحيح مسلم برقم ١٩٠٩، كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة.

عن أنس رضي الله عنه: «أنَّ الرُّبَيِّع بنتَ البَراءِ وهي أُمُّ حارِثَةَ بنِ سُراقَةَ أَتَتِ النَّبيَّ ﷺ فقالتْ: يا نبيَّ اللَّهِ أَلاَ تُحَدِّثُني عن حَارِثَة، وكانَ قُتِلَ يومَ بَدرٍ أصابَهُ سهمٌ غَرْبٌ، فإنْ كانَ في الجَنَّةِ صبرتُ، وإنْ كانَ غيرَ ذلكَ اجتهدتُ عليهِ في البُكَاءِ؟ قال: يا أُمَّ حارِثَةَ إنّها جِنانٌ في الجنّةِ، وإنَّ ابنَكِ أصابَ الفِردوسَ الأعلىٰ»[1].

عن أنسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: «انطلَقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُهُ، حتى سَبقُوا المشركين إلى بدرٍ وجاءَ المشركونَ فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: قُومُوا إلى جنَّةٍ عرضُها السّماواتُ والأرضُ، قال عُمَيْر بنُ الحُمَام[2]: بَخٍ بَخٍ فقال رسولُ الله ﷺ: ما يَحمِلُكَ على قولِكَ: بَخٍ بخٍ؟ قال: لا واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ، إلاَّ رجَاءِ أن أكونَ من أهلِها، قال: فإنَّكَ مِن أهلِهَا قال: فاخْترج تمراتٍ فَجَعَلَ يأكُلُ مِنهُنَّ ثم قال: لئنْ أنَا حَيِيتُ حتّى آكُلَ تَمراتِي إنّها لحَيَاةٌ طويلةٌ قال: فَرَمَىٰ بما كانَ معَهُ مِنَ التَّمرِ ثم قاتَلَهُمْ حتّىٰ قُتِلَ»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما تَعدُّون الشهيدَ فيكم؟ قالوا: يا رسول اللَّهِ مَنْ قُتِلَ في سبيلِ اللَّهِ، قال: إنّ شهداءِ أمتي إذاً لقليلٌ! مَنْ قُتِلَ في سبيلِ الله فهو شهيد، ومن ماتَ في سبيل اللَّهِ فهو شهيد، ومن مات في الطّاعونِ فهو شهيدٌ، ومن مات في البطنِ فهوَ شهيدٌ»[4].

---

(١) صحيح البخاري ج ٢٦/٦، كتاب الجهاد برقم ٢٨٠٩، الفتح. قوله «سهم غرب» أي لا يُدرى راميه.

(٢) قال القاري في المرقاة ١٧٨/٤: (عُمَيرُ بالتّصغير، ابن الحُمَام، بضم الحاء المهملة، وتخفيف الميم. . .، أحد بني سلمة، قيل: إنّه أول من قُتِل من الأنصار في الإسلام، قتله خالد بن الأعلم، «بخ بخ» بفتح الموحدة وسكون الخاء المعجمة، وفي نسخة بالتنوين في الكلمتين، وهي كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء).

(٣) صحيح مسلم برقم ١٩٠١، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنّة للشهيد.

(٤) صحيح مسلم برقم ١٩١٥، كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء.

وقال رسول الله ﷺ: «ما من غازيةٍ أو سريّةٍ تغزُو فتغنمُ وتسلَمُ إلاّ كانوا قد تعجَّلُوا ثُلُثي أجورِهم، وما من غازيةٍ أو سريّةٍ تُخفِقُ وتُصابُ إلاّ تمَّ أجورُهم»[١].

وقال رسولُ اللّهِ ﷺ: «مَنْ ماتَ ولم يَغْزُ، ولم يحدِّث نفسَهُ، ماتَ على شُعبةٍ من نِفاقٍ»[٢] وعن أبي موسى قال: «جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: الرّجلُ يُقاتِلُ للمغنمِ، والرجلُ يُقاتلُ للذِّكْرِ، والرجلُ يقاتلُ ليُرى مكانهُ، فمن في سبيل اللّهِ؟ قال: من قاتَلَ لتكونَ كلمةُ اللّهِ هي العُليا فهوَ في سبيلِ اللّهِ»[٣].

وعن أنس: «أنَّ رسول اللّهِ ﷺ رجعَ مِن غزوةِ تَبُوك فدَنا مِنَ المدينةِ فقال: إنَّ بالمدينةِ أقواماً ما سِرْتُم مَسيراً ولا قطعْتُم وادياً إلاّ كانوا معكم - وفي رواية: إلاّ شَرِكُوكُم في الأجرِ[٤] قالوا: يا رسولَ اللّهِ وهُم بالمدينةِ! قالَ: وهمُ بالمدينةِ حَبَسَهُم العُذْرُ»[٥].

عن عبد اللّه بن عمرو قال: «جاء رجلٌ إلى النّبيِّ ﷺ فاستأذَنَهُ في الجهاد، فقال: أحَيٌّ والِداكَ؟ قال: نعم؟ قال: ففيهما فجاهد»[٦] وفي رواية: «فارجِعْ إلى والديْك فأحْسِنْ صُحْبتهُما»[٧].

وعن ابن عبّاس: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ يومَ الفتحِ: «لا هِجْرَةَ بعدَ الفتحِ

---

(١) صحيح مسلم برقم ١٩٠٦، قوله: «غازيةٍ» أي قطعة من الجيش أو جماعةٍ من المجاهدين و «سرية» هي أربعمائة مقاتل.
(٢) صحيح مسلم برقم ١٩١٠، كتاب الإمارة، باب ذمّ من مات ولم يغْزُ.
(٣) صحيح البخاري ج ٦/ ٢٧ ـ ٢٨، كتاب الجهاد برقم ٢٨١٠، الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٩٠٤.
(٤) صحيح مسلم برقم ١٩١١.
(٥) صحيح البخاري ج ٨/ ١٢٦، كتاب الجهاد برقم ٤٤٢٣، الفتح.
(٦) صحيح البخاري ج ٦/ ١٤٠، برقم ٣٠٠٤، وصحيح مسلم برقم ٢٥٤٩.
(٧) صحيح مسلم برقم ٢٥٤٩.

ولكنْ جِهَادٌ ونيَّةٌ وإذا استُنْفِرْتُمْ فانْفِرُوا»[1].

---

(1) صحيح البخاري ج ٦/٣، كتاب الجهاد برقم ٢٧٨٣، الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٣٥٣، كتاب الحجّ، باب تحريم مكة.

السَّابع والعُشرون من شُعَب الإيمان

المرابطة في سبيل الله عز وجل[1]

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وفي حديث سهل بن سعد الساعدي رضي اللَّهُ عنه، في «صحيح البخاري» قال رسول الله ﷺ: «رِباطُ يَوْمٍ في سبيل اللَّهِ عزَّ وجل خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وَمَا فيهَا، ومَوْضِعُ سَوْطِ أحدِكُمْ مِنَ الجنَّةِ خيرٌ مِنَ الدنيا وما عليها»[2].

وقوله تعالى: ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ أي على طاعة اللَّهِ تعالىٰ ﴿وَصَابِرُواْ﴾ في جهاد أعداء اللَّهِ تعالى: ﴿وَرَابِطُواْ﴾ في سبيلِ اللَّهِ تعالىٰ.

قال كعب القرظي: اصبروا على الطَّاعة، وصَابِرُوا لانتظارِ الوَعْد، ورَابِطُوا العَدُوَّ، واتَّقُوا الله فيما بينكم. وقال زيدٌ بن أسلم: اصبرُوا على الجهاد، وصابروا العدوَّ، ورابِطُوا الخيلَ. وقال ابن قتيبة: أصلُ الرِّباط أن يربط هؤلاءِ خيلهم وهؤلاءِ خيلهم استعداداً للقتال، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[3].

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٤/ ٣٩ - ٤٦.

(٢) رواه البخاري ٦/ ٦٤ في الجهاد: باب فضل رباط يوم في سبيل اللَّهِ، ورواه أيضاً أحمد في «المسند» ٣/ ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٥/ ٣٣٠ من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٦/ ٨٥ ـ ٨٦.

عن شُرَحْبيل بن السمط أنّه مرّ عليه سلمانُ وهو مُرابِطٌ، فقال: ما تصْنَعُ هاهنا يا شُرَحبيل؟ فقال شَرَحْبِيْل: أُرابِطُ في سبيل اللّهِ، قال سلمانُ: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقولُ: «رِبَاطُ يومٍ أو ليلةٍ خيرٌ من صِيَامِ شهرٍ وقيامِهِ»(١).

وعن فُضَالة بن عُبيد يحدّثُ عن رسولِ الله ﷺ قال: «كلُّ ميّتٍ يُخْتَمُ على عَمَلِهِ إلاّ الذي ماتَ مُرابطاً في سبيلِ اللّهِ، فإنّهُ يَنمُو لهُ عملُهُ إلى يومِ القيامةِ، ويأمَنُ فتنةَ القَبْرِ». صحيح ابن حبّان(٢).

وعن سلمانَ أنه سمعَ النّبيَّ ﷺ يقولُ: «مَنْ ماتَ مُرَابِطاً في سبيلِ اللّهِ، أُومِنَ عَذابَ القبرِ، ونَمَا لَهُ أجْرُهُ إلى يومِ القيامةِ» صحيح ابن حبّان(٣).

وعن مكحول عن شُرَحْبِيل أنّه مرّ عليه سلمانُ وهو مُرابطٌ، فقالَ: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «مَنْ ماتَ مُرَابطاً أجريَ عليه عملُهُ الذي كان يعملُ، وأومِنَ الفتّانَ، ويَجْرِي عليهِ رِزْقُهُ». صحيح ابن حبّان(٤).

وعن عبد اللّه بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «عينان لا تَمسُّهُمَا النّارُ: عينٌ بكتْ من خشيةِ اللّهِ، وعينٌ باتتْ تحرسُ في سبيلِ اللّهِ»(٥).

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ١٠/ ٤٨٣، وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح. وهو في صحيح مسلم برقم ١٩١٣.

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ١٠/ ٤٨٤، برقم ٤٦٢٤، وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح. وأخرجه أحمد ج ٦/ ٢٠، والترمذي ١٦٢١، وأبو داود ٢٥٠٠، والحاكم ج ٢/ ٧٢، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) الإحسان برقم ٤٦٢٥، وقال الشيخ شعيب: إسناده قوي.

(٤) الإحسان برقم ٤٦٢٦، وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح.

(٥) صحيح سنن الترمذي برقم ١٣٣٨، ورقم السنن ١٦٣٩.

الثامن والعشرون من شعب الإيمان

الثبات للعدو وترك الفرار من الزّحف(١)

قال الله تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۝ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝﴾ [الأنفال].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝﴾ [الأنفال].

وفي حديث عبد اللّه بن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما(٢) في «صحيح البخاري» قال رسول الله ﷺ: «لا تتمنَّوا لقاءَ العدُوِّ، وَسَلُوا اللّهَ العافِيَةَ، فإذا لَقَيْتُموهُمْ فاصبِرُوا، واعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»(٣).

ثم قال: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، ومُجْرِيَ السَّحابِ، وهازِمُ الأحزابِ،

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٤/ ٤٩ ـ ٥٧.

(٢) هو الصحابي عبد الله بن أبي أوفى، واسمه علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، ولأبيه صحبة، شهد الحديبة، وروى أحاديث شهيرة، وسكن الكوفة، وكان آخر من مات بها من الصحابة سنة ٨٠ هـ. رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري ج ٦/ ٨٥ برقم ٢٩٦٦، وصحيح مسلم برقم ١٧٤٢.

اهزِمْهُمْ، وانْصُرْنَا عليهم»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «اجتنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ: الشّركُ باللَّهِ، والسِّحرُ، وقتلُ النفسِ التي حرَّم اللَّهُ إلاّ بالحقِّ، وأكلُ الرِّبَا، وأكلُ مالِ اليتيمِ، والتولِّي يومَ الزّحف، وقذفُ المحصناتِ المؤمناتِ الغافلاتِ»[٢].

وعن أبي قتادةَ يُحدِّثُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّهُ قامَ فيهم، فذكرَ لهم، أنَّ الجهادَ في سبيلِ اللَّهِ والإيمانَ باللَّهِ أَفضلُ الأعمالِ، فقامَ رجلٌ فقال: يا رسولَ اللَّهِ! أرأيتَ إن قُتِلتُ في سبيلِ اللَّهِ تُكَفَّرُ عنِّي خطايَايَ؟ فقال له رسولُ الله ﷺ: «نعم! إنْ قُتِلتَ في سبيلِ اللَّهِ، وأنتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ» ثم قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «كيفَ قلتَ؟» قالَ: أَرأيتَ إنْ قُتِلْتُ في سبيلِ اللَّه، أتُكفَّرُ عنِّي خطَايَايَ؟ فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ! وأنتَ صابرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ، إلاّ الدَّينَ، فإنّ جبريلَ عليه السَّلامُ قالَ لي ذلكَ»[٣].

---

(١) صحيح البخاري برقم ٢٩٦٦ و ٣٠٢٥/ وصحيح مسلم برقم/ ١٧٤٢.

(٢) صحيح البخاري ج ٥/٣٩٣، برقم ٢٧٦٦، وصحيح مسلم برقم ١٤٥.

(٣) صحيح مسلم برقم ١٨٨٥، وصحيح سنن الترمذي برقم ١٣٩٩.

التاسع والعشرون من شعب الإيمان

الخُمُس من المغنم إلى الإمامِ وعمّاله على الغانِمين[1]

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٦١].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في «الصحيحين» عن وَفْدِ عَبْدِ القيس[2]: قال رسول الله ﷺ: «آمُرُكُمْ بأَرْبَعٍ، وأنهاكم عَنْ أَرْبَعٍ، آمُرُكُمْ: بالإيمانِ باللَّهِ وَحْدَهُ. أَتَدْرُونَ مَا الإيمانُ باللَّهِ وَحْدَهُ؟ قالُوا: اللَّهُ ورسولُهُ أعلمُ، قال: شَهَادَةُ أنْ لا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وإِقَامُ الصَّلاَةِ، وإيتاءِ الزَّكَاةِ، وصِيَامُ رَمَضَانَ، وأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ، وأَنْهَاكُمْ عَنِ الحَنْتَمِ[3]، والدُّبَّاءِ، والنَّقِيرِ، والمُزَفَّتِ. قال: احْفَظُوهُنَّ وأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ»[4].

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٤/ ٥٩ ـ ٦٤.

(٢) الوفد: الجماعة من عظماء القوم. وكان وفد عبد القيس ١٤ وافداً.

(٣) الحَنْتم: الجِرارُ المدهونة. والدُّبَّاء: القرع، يُفرَّغ جوفه. والنقير: ما يُنقر من أصول النخل. والمزفّت: هو المطلي بالزّفت.

(٤) صحيح البخاري ج ١/ ١٢٠ ـ ١٢٥ و ١٦٦ وج ٦/ ١٤٦، وصحيح مسلم برقم ١٧، وأبو داود برقم ٣٦٩٢، والترمذي برقم ٢٦١٤، والنسائي ج ٨/ ١٢٠، وأحمد في المسند ج ١/ ٢٢٨.

الثلاثون من شعب الإيمان

العتق بوجه التقرّب إلى الله عزّ وجلّ[(١)]

قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [البلد].

وفي حديث أبي هريرة رضي اللّهُ عنه في «الصحيحين» قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً، أَعْتَقَ اللّهُ بِكُلِّ عُضوٍ مِنْهَا عُضْواً مِن أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرجَهُ بِفَرْجِهِ»[(٢)].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: «سألتُ النبيَّ ﷺ أيُّ العملِ أفضلُ؟ قال: إيمانٌ باللّهِ وجهادٌ في سبيلِهِ قالَ، قلتُ: فأيُّ الرقابِ أَفضلُ؟ قال: أَغلاها ثمناً وأنفسُها عند أهلها، قلتُ: فإنْ لم أفعَلْ؟ قال: تُعِينُ صَانِعاً أو تَصنعُ لأخْرَقَ، قلتُ: فإنْ لم أَفعَلْ؟ قال: تَدَعُ النّاسَ مِن الشّرِّ، فإنّها صدقةٌ تَصَدَّقَ بها على نفسِك»[(٣)].

وعن أبي نجِيح السُّلَمِي قالَ: حَاصَرْنا مع رسولِ اللّهِ ﷺ، وسمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقولُ: «أيُّما رجلٍ مسلمٍ أعتقَ رجلاً مسلماً، فإنَّ اللّهَ عزَّ وجلّ جاعِلٌ وِقاءَ كلِّ عَظْمٍ من عظامِ محرِّرِهِ عظماً من عظامِهِ مِنَ النَّارِ،

---

(١) شعب الإيمان الحافظ البيهقي ج ٤/ ٦٥ ـ ٦٩.

(٢) صحيح البخاري ج ٥١٩/١١، وصحيح مسلم برقم ١٥٠٩، وأحمد في مسنده ج ٢/ ٤٢٠ و ٤٢٢ و ٤٤٧.

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان برقم ٤٣٠٩، وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح، وأحمد في مسنده ج ٤/ ١١٣ و ٣٨٦، وأبو داود برقم ٣٩٦٦.

وأيُّما امرأةٍ مسلمةٍ أعتقتْ امرأةً مسلمةً فإنّ الله جلّ وعَلاَ جاعلٌ وِقاءَ كلِّ عظمٍ من عظامِ محرِّرِها عظماً مِن عِظامها مِنَ النّارِ»[1].

وعَن البَراء بن عازِب رضي الله عنه قال: «جاء أعرابي إلىٰ النبيّ ﷺ قال: علِّمْني عملاً يُدخِلُني الجنةَ، قال: لئنْ كنتَ أَقْصَرتَ الخطبةَ لقد أَعْرَضْتَ المسألةَ، اعتِقِ النَّسمةَ، وفُكَّ الرَّقَبَة، قال: أَوَ لَيسَا واحداً؟ قال: لا، عِتْقُ النَّسمةِ أنْ تفرّدَ بعِتْقِهَا، وفَكُّ الرقبةِ أنْ تُعينَ في ثمنِها، والمنحة الوَكُوفَ، والفيءَ على ذي الرّحمِ الظّالمِ، فإن لم تُطِقْ ذلك فأطعِمِ الجائعَ، واسقِ الظمآنَ، وأمُرْ بالمعروفِ، وأنْهَ عن المنكر فإنْ لم تُطِقْ ذلكَ فكُفَّ لسانَكَ إلاّ مِن خيرٍ»[2].

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان برقم ٤٣٠٩، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج ٤/٢٩٩، والبغوي في شرح السنة ج ٩/٣٥٤، وحسّنه في مصابيح السنة برقم ٢٥٣١.

الحادي والثلاثون من شعب الإيمان
الكَفّارات الواجبات بالجنايات(١)

وهي في الكتاب والسُنّةِ أربعُ كَفّاراتٍ(٢): كَفّارة القَتْلِ، وكَفّارةُ الظِّهَارِ، وكَفّارةُ اليمين، وكَفّارة المَسِيسِ في صومِ رمضانَ، وممّا يقرُب منها ما يجب باسم الفديةِ، لأنّها إمّا عَن ذَنْبٍ سَبَقَ، أو يُرَادُ التقرُّبُ إلى اللّهِ تعالىٰ بشيء، يعني إثْر أمرٍ قد وقعَ، ذنباً كان أو غير ذنبٍ.

[والدّيات التي ثبتت في السُّنن الصّحيحة داخلة في حكم كفّارات الذنوب. ويطولُ هنا ذكرُ الروايات الواردة في شأن الكَفَّارات الواجبة في الصِّيام والحج والجنايات والظِّهار والأيمان، وأقتصِرُ على ذكر كفارة المجلس]:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ جلسَ في مجلسٍ فكَثُرَ فيه لَغَطُهُ فقال قَبلَ أن يقومَ من مجلسِهِ ذلك: سبحانَكَ اللّهمَّ وبحمدِكَ، وأشهدُ أنْ لا إله إلاّ أنت، أستغفرك وأتوبُ إليكَ، إلا غُفِرَ لهُ ما كان في مجلسِهِ ذلك»(٣).

وعن أمِّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا جلسَ مجلساً، أو صلى، تكلّم بِكلِماتٍ، فسألَتْهُ عائشةُ عن الكلماتِ؟

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٤/ ٧٣.

(٢) جمع كفّارة وهي الخصلة التي من شَأْنِها أن تكفر الخطيئة أي تسترها وتمحوها وتختلف باختلاف متعلقها. قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

(٣) صحيح سنن الترمذي برقم ٢٧٣٠.

فقالَ: «إنْ تكلَّمَ بخيرٍ كانَ طابعاً عليهنَّ إلى يوم القيامةِ، وإنْ تكلَّمَ بغير ذلكَ، كانَ كفَّارةً لهُ: سبحانك اللّهم وبحمدِكَ، أستغفِرُكَ وأتُوبُ إليكَ»[1].

(١) صحيح سنن النسائي برقم ١٢٧٥.

الثاني والثلاثون من شُعَب الإيمان

الإيفاء بالعقود[1]

قال الله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]. وقال ابن عبَّاس رضي اللَّهُ عنهما: يعني ما أَحَلَّ اللَّهُ، ومَا حرَّم، ومَا فَرَضَ، وما حَدَّ في القرآن كُلِّهِ.

وقوله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

وفي حديث عبد اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه في «صحيح مسلم» قال رسولُ الله ﷺ: «لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يَوْمَ القِيامَةِ، يُقالُ: هذِهِ غَدْرَةُ فُلانٍ»[2].

وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في «الصحيحين» قال رسولُ الله ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفاقِ حتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّث كَذَبَ، وإِذا عَاهَدَ غَدَرَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خاصَمَ فَجَرَ»[3].

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٤/ ٧٥ ـ ٨٣.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٧٣٦، وبنحوه عند البخاري ج ١٠/ ٤٦٤.

(٣) صحيح البخاري ج ١/ ٨٤، وج ٥/ ٧٧، وج ٦/ ٢٠٠، وصحيح مسلم برقم ٥٨ =

وحديث عقبة بن عامر الجهني[١] في «صحيح مسلم» قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَقَّ الشُّرُوطِ أَنْ يُوفَّىٰ بِهِ[٢] مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الفُرُوجَ»[٣].

وعن عبد اللَّهِ بن عامر أنه قال: «دَعَتْنِي أُمِّي يوماً ورسولُ اللَّهِ ﷺ قاعِدٌ في بَيْتِنا، فقالَتْ: ها تعالَ أُعْطيكَ، فقاله لها رسولُ الله ﷺ: وما أَرَدْتِ أن تُعْطِيهِ؟ قالت: أعطيهِ تمراً، فقال لها رسولُ الله ﷺ: أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تعطِهِ شَيْئاً كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ»[٤].

= في كتاب الإيمان.

(١) هو عقبة بن عامر الجهني، أميرٌ من الصّحابة، حضر فتح مصر مع عمرو بن العاص وكان شجاعاً فقيهاً شاعراً قارئاً من الرُّماة، توفي بمصر سنة (٥٨هـ) رضي الله عنه.

(٢) وهذا محمول على شروط لا تنافي مقتضىٰ النكاح، بل تكون من مقتضياته ومقاصده، كاشتراط العشرة بالمعروف والإنفاق عليها وكسوتها وسكناها بالمعروف، وأن لا يقصّر في شيء من حُقوقها، وأنها لا تخرج من بيته إلاّ بإذنه، ولا تأذن في بيته إلاّ بإذنه، ولا تَتَصَرَّفُ في متاعه إلا برضاه، ونحو ذلك.

(٣) صحيح البخاري ج ٥/٢٣٧، وصحيح مسلم برقم ١٤١٨.

(٤) صحيح سنن أبي داود برقم ٤١٧٦، وأحمد في سنده ج ٣/٤٤٧.

الثَّالث والثَّلاثون مِن شُعَبِ الإيمَان

تعديد نعم الله عزّ وجلّ وما يجب من شكرها[1]

قال الله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحىٰ].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة].

وغير ذلكَ مِمَّا مَنَّ اللَّهُ تعالىٰ على عباده وذكَّرهم بها في كتابِهِ.

وفي حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه في «صحيح البخاري» قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أخَذَ مَضْجعَهُ مِنَ اللّيلِ قال: «بِاسْمِكَ أَمُوتُ وأَحْيَا»، وإذا استَيْقَظَ قال: «الحَمْدُ للَّهِ الّذي أَحْيَانِي بَعْدَمَا أَمَاتَنِي، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»[2].

وفي حديث صُهَيْب رضي الله عنه في «صحيح مسلم» قال رسولُ الله ﷺ: «عَجَباً لأمرِ المُؤمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذَلكَ لأحَدٍ إلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فكانَ خَيْراً لَهُ، وإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ»[3].

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٤/ ٨٥ ـ ١٩٥.

(٢) صحيح البخاري ج ١١/ ١١١ و ١٣/ ٣٢١، الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢٧١١.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٩٩٩، وأحمد في مسنده ج ٤/ ٣٣٢ و ٣٣٣، وج ٦/ ١٥، ١٦.

وعن عمرو بن شُعيب عن أبيهِ عن جدِّهِ قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أنْ يُرَى أَثَرُ نعمتِهِ على عبدِهِ»[1].

وعَن أنس بن مالكٍ أنّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «إنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عن العبدِ أن يأكُلَ الأكلَةَ أو يشربَ الشَّرْبةَ فيحمدَهُ عليها»[2].

(١) صحيح سنن الترمذي برقم ٢٢٦٠.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٧٣٤، وصحيح سنن الترمذي برقم ١٤٨٣.

الرّابع والثّلاثون من شُعَبِ الإيمَان
حفظ اللِّسَان عمّا لا يحتاج إليه(١)

ويدخلُ فيه اجتنابُ الكذب، والغيبة، والنّميمة، والفُحْش. إذِ القرآن والسُّنّة محشوّان بالنهي عن ذلك.

كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ [الزمر: ٣٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل].

وفي حديث عبد اللّه بن مسعود رضي اللّهُ عنه، في «الصحيحين» قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الصّدقَ يَهْدِي إلَىٰ البرِّ، وإنَّ البرَّ يَهْدِي إلَىٰ الجنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ ليَصْدُقُ حتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللّهِ صدِّيقاً، وإنَّ الكَذِبَ يهدِي إلَىٰ الفُجُورِ، وإنَّ الفُجورَ يَهْدِي إلَىٰ النّارِ، وإنَّ الرَّجلَ لِيَكْذِبُ حتّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٤/ ١٩٧ ـ ٣١٨.

اللَّهِ كَذَّاباً»[1].

وحديث سهلِ بنِ سَعْدٍ رضي اللَّهُ عنه في «صحيح البخاري»: «مَنْ يَضْمَنْ[2] لي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ فَخْذَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ»[3].

وحديث أبي شُرَيح الخُزاعيّ فيه أيضاً «مَنْ كَانَ يُؤمِنْ باللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خيْراً أو لِيَصْمُتْ»[4].

وقال ﷺ: «إِنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ مِن رضوانِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَها بَالاً يرفعُهُ اللَّهُ بها درجاتٍ، وإنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ مِن سُخْطِ اللَّهِ لا يُلقي لها بالاً يهوى بها في جهنَّمَ» وفي لفظه: «يهوي بها في النَّارِ أبعدَ ما بين المشرقِ والمغربِ»[5].

وقال ﷺ: «سِبابُ المُسلِمُ فُسُوقٌ وقِتالُهُ كفرٌ»[6].

وقال ﷺ: «أيُّمَا رجلٍ قالَ لأخيهِ: كافرٌ فقد بَاءَ بها أحدُهما»[7].

وقال ﷺ: لاَ يرمِي رجلٌ رجلاً بالفُسوقِ، ولا يرميهِ بالكفرِ، إلاّ

---

(1) صحيح البخاري ج ١٠/٤٢٣، وصحيح مسلم برقم ٢٦٠٧، والموطأ ج ٢/٩٨٩، وأبو داود برقم ٤٩٨٩، والترمذي برقم ١٩٧٢.

(2) الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية، فأطلق وأُريدَ لازمه، وهو أداء الحقِّ الذي عليه، قال في «الفتح»: والمعنىٰ مَنْ أدّى الحقَّ الذي علىٰ لسانه من النّطق بما يجب عليه، أو الصمت عمّا لا يعنيه، وأدّى الحقّ الذي على فرجه من وضعِهِ في الحلال وكفِّهِ عن الحرام اهـ.

(3) صحيح البخاري ج ١١/٢٦٤ و ٢٦٥، والمراد من لحييه العظمان اللّذان في جانبيّ الفم، وما بينهما هو اللّسان، وحفظه هو بعدم التكلم بشرٍ أو كفرٍ. والمراد «ما بين الفخذين» هو الفرج، وحفظه من الزّنا.

(4) صحيح البخاري ج ١٠/٣٧٣، وج ١١/٢٦٥.

(5) صحيح البخاري ج ١١/٣٠٨، الفتح برقم ٦٤٧٨، و ٦٤٧٧، وصحيح مسلم برقم ٢٩٨٨.

(6) صحيح البخاري ج ١/١١٠، وصحيح مسلم برقم ٦٤.

(7) صحيح البخاري ج ١٠/٥١٤، وصحيح مسلم برقم ٦٠.

ارتدَّتْ عليه إنْ لم يكُنْ صاحبُهُ كذلك»(١).

وقال ﷺ: «مَنْ دَعَا رجلاً بالكفرِ، أو قالَ عَدُوًّا للّهِ وليسَ كذلك إلاّ حارَ عليهِ»(٢).

وقال ﷺ: «إنّ اللّعّانينَ لا يكونونَ شهداء، ولا شُفَعاءَ يومَ القِيامةِ»(٣).

وقال ﷺ: «تجِدُون شرّ النّاسِ يومَ القيامةِ ذَا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ»(٤).

وقال ﷺ: «لا يدخلُ الجنّةَ قَتّاتٌ»(٥). وفي لفظ «لا يدخُلُ الجنّةَ نَمّامٌ»(٦).

وقال ﷺ: «إنّ الصّدقَ برٌّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلىٰ الجنَّةِ، وإنَّ الكذبَ فجُورٌ وإنَّ الفجُورَ يهدي إلى النّارِ»(٧).

قال البيهقي: والكذبُ مراتبُ، فأعلاها في القُبْحِ والتَّحريمِ الكذبُ على الله تعالىٰ، ثُمَّ على نبيّهِ ﷺ، ثمّ المَرْءِ على عينيهِ وعلى لسانه وسائر جوارحه، وكذبه على وَالديهِ، ثمّ على الأقرب فالأقرب من المسلمين، وأغلظُ ذلكَ كلّهِ ما يضرُّ به أحداً في نفسِه، وماله وأهله أو ولده. ثمّ الكذب الموبق باليمين أغلظُ من الكذب المتجرّد عن اليمين، ويتلو الكذب في الكراهة المَلَقُ والإفراط في مدح الرّجل، وأقبح من ذلك مَا كانَ في

---

(١) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٦٤، برقم ٦٠٤٥، الفتح.

(٢) صحيح مسلم برقم ٦١.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٥٩٨.

(٤) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٧٤، برقم ٦٠٥٨، الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢٥٢٦.

(٥) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٧٢، برقم ٦٠٥٦، وصحيح مسلم برقم ١٠٥.

(٦) صحيح مسلم برقم ١٠٥.

(٧) صحيح مسلم برقم ٢٦٠٧، وتقدم الحديث أطول مما هنا في أول البحث.

وجهه، ويتلوه الخوض فيما لا يعني ولا يرجع إلىٰ الخائِضِ فيه من نفعٍ، ولا يعود عليه من السّكوت ضرر، ويتلو هذه كثرة الكلام وإطالته مع الاكتفاء ببعضه، وترديده وتكريره مع الاستغناء بالمرّة الواحدة منه. اهـ(١). وقد وردت أحاديث كثيرة في قبح الكذب، وأنَّهُ مجانبٌ للإيمان، وأكثر ما يكون في السّوقة والتّجار.

وقال رسول الله ﷺ: «لَيسَ الكَذّابُ الّذِي يُصْلِحُ بينَ النّاسِ ويقولُ خيراً ويَنْمِي خيراً»(٢).

وقال ﷺ: «إذا رَأَيْتُمُ المَدّاحين فاحْثُوا في وُجُوهِهِم التُّرَابَ»(٣).

وعن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه قال: «أثنىٰ رجلٌ على رجلٍ عندَ النّبيِّ ﷺ فقال: وَيْلَكَ قطعتَ عُنُقَ أخيكَ، ثلاثاً، مَن كَان منكم مادِحاً لا محالَةَ فليَقُلْ: أحسَبُ فلاناً، واللَّهُ حَسِيْبُهُ، إنْ كانَ يَرَى أنَّهُ كذلك، ولا يُزَكِّي على اللَّهِ أحداً»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أتَدْرُوْنَ ما الغِيبَةُ؟ قالُوا: اللَّهُ ورسُولُهُ أعلمُ، قالَ: ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ، قيلَ: أرأيتَ إنْ كانَ في أخي ما أقولُ؟ قال: إنْ كانَ فيهِ ما تقولُ فقد اغْتَبْتَهُ، وإنْ لم يكنْ فيه فقدْ بَهَتَّهُ»(٥)، وفي لفظ: «إذا قلتَ لأخيكَ ما فيهِ فقد اغتَبْتَهُ وإذا قلتَ ما ليسَ فيهِ فقد بَهَتَّهُ»(٦).

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٤/ ١٩٧.

(٢) صحيح البخاري ج ٥/ ٢٩٩، برقم ٢٦٩٢، وصحيح مسلم برقم ٢٦٠٥، واللفظ له.

(٣) صحيح مسلم برقم ٣٠٠٢.

(٤) صحيح البخاري ج ١٠/ ٥٥٢، برقم ٦١٦٢، واللفظ له. وصحيح مسلم برقم ٣٠٠٠.

(٥) صحيح مسلم برقم ٢٥٨٩.

(٦) هذا اللفظ، أخرجه البغوي في شرح السُّنَّةِ ج ١٣/ ١٣٩، برقم ٣٥٦١.

وعن عائشة رضي الله عنها: «أنّ رجلاً استأذنَ على النبيِّ ﷺ فقال: ائذنوا له، فبئس أخو العشيرة، فلمّا جلسَ تطلّق النّبي ﷺ في وجهِهِ وانبسطَ إليه فلمَّا انطلقَ الرجلُ قالتْ عائشةُ رضي الله عنها: يا رسولَ اللّهِ قلتَ له كذا وكذا، ثم تَطَلَّقْتَ في وجهِهِ وانبسطتَ إليهِ؟ فقالَ رسول اللّهِ ﷺ: «مَتى عَهِدْتِني فَحّاشاً؟ إنَّ شرَّ النّاسِ عندَ اللّهِ منزلةً يومَ القيامةِ مَنْ تركَهُ النّاسُ اتّقاءَ شرِّهِ»[1]، وفي لفظ: «اتّقاءَ فُحْشِهِ»[2].

وعن أبي هريرة رضي اللّهُ عنه قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «كلُّ أُمتي مُعَافَىٰ إلاّ المجاهرينَ، فإنَّ مِن المجاهرةِ أنْ يعملَ الرجلُ باللّيلِ عملاً ثم يُصبحُ وقد سَتَرَهُ اللّهُ فيقولُ: يا فلان، عَمِلْت البارحةَ كذا وكذا، وقد باتَ يسترُهُ ربُّهُ، ويُصْبحُ يكشِفُ سِتْرَ اللّهِ عنه»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليتكلّم بالكلمة مِن الخيْرِ ما يعلمُ مَبْلَغَها، يكتبُ اللّهُ له بها رضوانَهُ إلى يوم يلقَاهُ، وإنَّ الرّجلَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ مِنَ الشّرِّ ما يعلمُ مبلغَها، يكتبُ اللّهُ بِهَا عليهِ سُخْطَهُ إلى يوم يَلْقَاهُ»[4].

وقال ﷺ: «كفَىٰ بالمَرْءِ إثماً أنْ يُحدِّثَ بكلِّ ما سَمِعَ»[5].

وقال عقبةُ بن عامر: لقيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: ما النَّجَاةُ؟ فقال: «أمْلِكْ عليكَ لِسَانَكَ، ولْيَسَعْكَ بيتُكَ، وابْكِ على خطيئتِكَ»[6].

---

(١) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٥٢، برقم ٦٠٣٢، الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢٥٩١.

(٢) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٧١، وصحيح مسلم ٢٥٩١.

(٣) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٨٦، برقم ٦٠٦٩، الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢٩٩٠.

(٤) صحيح سنن الترمذي برقم ١٨٨٤، وموطأ مالك ج ٢/ ٩٨٥.

(٥) صحيح سنن أبي داود برقم ٤١٧٧.

(٦) صحيح سنن الترمذي برقم ١٩٦١، وأحمد في مسنده ج ٥/ ٢٥٩.

عن أبي سعيد رفعه قال: «إذا أصبحَ ابن آدمَ فإنَّ الأعضاءِ كلَّها تُكَفِّرُ اللِّسانَ، فتقولُ: اتّقِ اللَّهَ فينا، فإنّما نحنُ بكَ فإنِ استقمتَ استقمْنا، وإنِ اعوججْتَ اعْوَجَجْنَا»[1].

(1) صحيح سنن الترمذي برقم ١٩٦٢، وأحمد في مسنده ج ٣/٩٦.

الخامس والثلاثون من شعب الإيمان

الأمانات، وما يجب فيها من أدائها إلى أهلها[1]

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

وفي حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «أَدِّ الأَمَانَةَ[2] إِلىٰ مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»[3].

وحديث في «الصحيح» قال رسول الله ﷺ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ منَافِقٌ وإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ»[4].

وعن أَنَسٍ أَنَّه قَالَ: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «لا إيمان لِمَنْ لا أمانَةَ لهُ،

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٣١٩/٤ ـ ٣٣٥.

(٢) الأمانة تأتي بمعاني كثيرة، منها الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والأمان، ولا مانع من إرادة الجميع هنا، وقد عظّم الشّارع أمر الأمانة ووردت أحاديث كثيرة في هذا الباب. وقوله: «ولا تَخُنْ مَنْ خانَكَ» فيه إشارة إلىٰ مزايا هذا الدِّين وبيان لطائفه، وهو أنّ الإنسان المسلم لا يُقابل من أساء إليه بالمثل بل يعفو ويصفح ويتناسى ذلك.

(٣) صحيح سنن أبي داود برقم ٣٠١٨ و ٣٠١٩، وصحيح سنن الترمذي برقم ١٠١٥.

(٤) هذا اللفظ عند أحمد ج ٥٣٦/٢، وفي صحيح مسلم بلفظ قريب منه برقم ٩٥، و ١٠٩ و ١١٠.

ولا دينَ لِمَنْ لا عهدَ له»[1].

وعن عبد اللَّهِ بن عمروٍ عن النَّبي ﷺ قالَ: «أربعٌ إِذَا كُنَّ فيكَ فلا عليكَ ما فاتَكَ من الدُّنيا: حفظُ أمانةٍ وصدقُ حديثٍ، وحُسْنُ خليقةٍ، وعِفَّةُ طُعْمةٍ»[2].

(١) صحيح الجامع الصغير برقم ٧١٧٩ وعزاه لأحمد وابن حبّان.

(٢) صحيح الجامع الصغير برقم ٨٧٣، والأحاديث الصحيحة برقم ٧٣٣.

السّادس والثلاثون من شعب الإيمان

تحريم قتل النفوس والجنايات عليها(١)

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [النساء: ٩٣].

ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء].

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في «الصحيحين» قال رسول الله ﷺ: «قِتَالُ المُسْلِمِ كُفْرٌ وَسِبَابُهُ فُسُوقٌ(٢)»(٣).

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٤/٣٣٧ ـ ٣٥٠.

(٢) السِّباب بكسر السن وفتح الباء بمعنى السّبّ وهو الشّتم والتكلم في عرض الإنسَان بما يعيبه. والفُسُوق: الفجور والخروج عن الحق، والتّرك لأمر اللّهِ تعالى، والقتال: المقاتلة والمخاصمة. والكفر: كفران النِّعم، لا الخروج عن الملة والدِّين، لأن الإجماع من أهل السنة منعقدٌ على أنّ المؤمن لا يكفر بالقتال ولا بفعل معصية أخرى غير الشرك واستحلال المحرم المعلوم بالضرورة من الدّين، وإنّما أطلق عليه الكفر مبالغةً في التّحذير.

(٣) صحيح البخاري ج ١/١٠٣، و ١٠/٣٨٧، الفتح، وصحيح مسلم برقم ٦٤، كتاب الإيمان.

وعنه في «صحيح البخاري» قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَىٰ بينَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ في الدِّمَاءِ[1]»[2].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما في «الصحيح» قال رسول الله ﷺ: «لا يَزَالُ المُسْلِمُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَماً حَرَاماً»[3].

وعن عبد اللَّهِ بن مسعودٍ رضي اللَّهُ عنه أنّه قال: قالَ رسولَ الله ﷺ: «لا يَحِلُّ دمُ امرىءٍ مسلمٍ يشهدُ أنْ لا إله إلا اللَّهُ وأنّي رسولُ اللَّهِ إلاّ بإحدَى ثلاثٍ: النفسُ بالنفسِ، والثيِّبُ الزاني والتّاركُ لدينِهِ المُفَارِقُ للجَماعَةِ»[4].

وقال رسول اللَّهِ ﷺ: «لا تُقتَلُ نَفسٌ ظُلْماً إلاّ كانَ على ابنِ آدمَ الأولِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لأنَّهُ أوَّلُ مَنْ سَنَّ القتلَ»[5].

وعن المقداد بن الأسود الكِنْدِي أنَّهُ قال: «يا رسولَ اللَّهِ أرأيتَ إنْ لقيتُ رجلاً مِنَ الكُفَّارِ فاقْتَتَلْنَا فضربَ إحدىٰ يديَّ بالسيفِ فقطعَها ثم لاذَ مِنِّي بشجرةٍ، فقالَ: أسلمتُ للَّهِ، أَأَقْتُلُهُ بعدَ أَنْ قالها؟ قال: لا تقتلْهُ، فقالتَ: يا رسولَ اللَّهِ إنه قطع إحدى يَدَيَّ! فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: لا تقتلْهُ،

(١) يعني أن أول القضايا القضاء في الدّماء، أو أوّل ما يقضى فيه الأمر الكائن في الدماء، وهذا لا يُعارض ما رواه أبو هريرة مرفوعاً «إنَّ أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة صلاتُه» لأنّ الأول محمول على ما يتعلّق بمعاملات الخلق، والثاني فيما يتعلق بعبادة الخالق.
وفي الحديث تعظيمُ أمرِ الدَّم لأنّ البداءة إنّما تكون بالأهم، والذّنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتفويت المصلحة، وإعدام البنية الإنسانية غاية في ذلك.

(٢) صحيح البخاري ج ١١/ ٣٤٣، و ١٢/ ١٦٦، الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٦٧٨، والترمذي برقم ٣٩٦، وأحمد ج ١/ ٣٨٨.

(٣) صحيح البخاري ج ١٢/ ١٦٥، الفتح، ومسند أحمد ج ٢/ ٩٤.

(٤) صحيح البخاري ج ١٢/ ٢٠١، برقم ٦٨٧٨، الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٦٧٦.

(٥) صحيح البخاري ج ٦/ ٣٦٤، برقم ٣٣٣٥، الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٦٧٧.

فإنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمنزِلَتِكَ قبل أَنْ تقتُلَهُ، وإنّكَ بِمنزِلَتِهِ قبل أن يقولَ كلمتَهُ التي قالها»[١].

وعن أسامة بن زيدٍ رضي اللَّه عنه أنَّهُ قال: «بعثنا رسولُ اللَّهِ ﷺ إلىٰ أُناسٍ مِن جُهَينَةَ، فأَتيتُ على رجلٍ منهم فَذَهبتُ أَطعنهُ. فقال: لا إله إلاّ اللَّهُ فطعنتُهُ فقتلتُهُ، فجئتُ إلى النبيِّ ﷺ فأخبرْتُهُ فقالَ: أَقتَلْتَهُ وقد شهد أن لا إله إلاّ اللَّهُ؟ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ إنّما فَعَلَ ذلك تَعَوُّذاً، قال: فهلاّ شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ»[٢]؟!.

وعن جُنْدُبٍ البَجلي أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كيفَ تصنعُ بلا إله إلاّ اللَّهُ إذا جاءَتْ يومَ القيامَةِ[٣]؟» قالَهُ مِراراً..

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَرَدَّىٰ مِن جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فهوَ في نارِ جهنّمَ يَتَرَدَّىٰ فيه خالِداً مُخَلَّداً فيها أبداً. ومَنْ تحَسَّىٰ سُمّاً فَقَتَلَ نفسَهُ فَسُمُّهُ في يدِهِ يتحسَّاهُ في نارِ جهنّم خالِداً مُخَلَّداً فيها أبداً، ومَن قتل نفسه بحديدَةٍ فحديدتُهُ يده يَجَأُ بها في بطنِهِ في نارِ جهنَّمَ، خالداً مُخَلَّداً فيها أبداً»[٤].

---

(١) صحيح البخاري ج ١٢/١٨٧، برقم ٦٨٦٥، الفتح، وصحيح مسلم برقم ٩٥، كتاب الإيمان.

(٢) صحيح البخاري ج ١٢/١٩١ ـ ١٩٢، برقم ٦٨٧٢، الفتح، وصحيح مسلم برقم ٩٦، كتاب الإيمان.

(٣) صحيح البخاري ج ٦/٢٦٩ ـ ٢٧٠، برقم ٣١٦٦، الفتح.

(٤) صحيح البخاري ج ١٠/٢٤٧، برقم ٥٧٧٨، الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٠٩، كتاب الإيمان.

السّابع والثّلاثون من شعبِ الإيمان
تحريم الفروج وما يجب فيها من التّعفُّفِ(١)

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ﴾ [النور: ٣٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥] و [المعارج: ٢٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

وفي حديث أبي هريرة رضي اللَّهُ عنه في «الصحيحين» قال رسول الله ﷺ: «لا يَزْني الزَّاني حِينَ يَزْني وَهُوَ مُؤْمِنٌ(٢)، ولا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، ولاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ المُؤْمِنُونَ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(٣).

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٤/ ٣٥١ ـ ٣٨٣.

(٢) قال النووي: هذا الحديث ممّا اختلف العلماء في معناه. فالقول الصحيح الذي قاله المحققون: أنَّ معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان وهذه من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويُراد نفي كمالهِ، كما يُقال: لا عِلْمَ إلاَّ ما نفع، ولا عيش إلاّ عيش الآخرة.

(٣) صحيح البخاري ج ٥/ ٨٦، و ١٠/ ٢٨، و ١٢/ ٥٠، و ١٠١، الفتح، وصحيح مسلم برقم ٥٧. كتاب الإيمان. باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، وأبو داود برقم ٤٦٨٩، والترمذي برقم ٢٦٢٧.

=

وعن أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «لا يزني الزّاني وهو مؤمنٌ، ولا يسرقُ السّارق وهو مؤمنٌ، ولكنَّ التّوبةَ معروضةٌ»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيِّ ﷺ قال: «إذا زَنَى العبدُ خرجَ منهُ الإيمانُ فكانَ فوق رأسهِ كالظُّلَّةِ، فإذا خَرَجَ من ذلك العملِ عادَ إليهِ الإيمان»[(٢)].

وقال النبيُّ ﷺ في الزّنا والسّرقة: «مَنْ أصابَ من ذلك شيئاً فأُقيمَ عليه الحدُّ فهو كفّارةُ ذنبهِ، ومَنْ أصابَ من ذلك شيئاً فسترهُ اللَّهُ، فهو إلىٰ الله تعالىٰ إنْ شاءَ عَذَّبَهُ يومَ القيامةِ، وإنْ شاءَ غَفَرَ لهُ»[(٣)].

= وفي صحيح البخاري بعد أن روى هذا الحديث: قال عكرمةُ: قلتُ لابنِ عباسٍ: كيف يُنْزَعُ الإيمانُ منه؟ قال: هكذا، وشبَّكَ بين أصابعهِ، ثم أخرجها، فإن تابَ عادَ إليهِ هكذا، وشبَّكَ بينَ أصابعهِ.

(١) صحيح سنن الترمذي برقم ٢١١٧، وصحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٩٣٦.

(٢) صحيح سنن الترمذي برقم ٢١١٧.

(٣) صحيح سنن الترمذي برقم ٢١١٧، والأحاديث الصحيحة برقم ٢٣١٧.

الثامن والثلاثون من شعب الإيمان

قبض اليد عن الأموال المحرَّمة[1]

ويدخُلُ فيها تحريم السرقة، وقطع الطريق، وأكل الرِّشا، وأكل ما لا يستحق شرعاً.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾ [المطففين].

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء: ٣٥].

وفي حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة[2] في «الصحيحين» عن أبيه رضي الله عنهما، قال: خَطَبنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بِمِنَى، فقالَ: «إنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ وأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ...» الحديث[3].

وقال رسول الله ﷺ: «لا يَحِلُّ مَالُ امرىءٍ مسلمٍ إلاّ عن طيبِ نفسٍ

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٤/ ٣٨٥ ـ ٤٠٧.

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه أبي بكرة نُفيع بن الحارث الثقفي، من أعيان التابعين. توفي بالبصرة سنة (٩٦هـ).

(٣) صحيح البخاري ج ١/ ١٤٥ ـ ١٤٦، وج ٣/ ٤٥٩، و ١٣/ ٢٣، الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٦٧٩.

منه»[1].

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة: «لا يزني الزّاني حين يزني وهو مؤمن...» وفي آخره: «... ولا يسرقُ حينَ يسرقُ وهو مؤمنٌ، ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يرفعُ النَّاسُ إليه فيها أبصارَهُمْ، حينَ ينتهِبُهَا وهو مؤمنٌ»[2].

[والنُّهْبَى: أخذ الشيء من أحدٍ عِياناً وقهراً].

وعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ فهو شهيدٌ، ومَنْ سرقَ من الأرضِ شبراً طُوِّقَهُ يومَ القيامةِ من سَبْعِ أَرَضينَ»[3].

---

(1) حديث صحيح، صححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل ج ٥/ ٢٧٩، برقم ١٤٥٩، وج ٦/ ١٨٠.
وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج ٤/ ٣٨٧، وفي السنن الكبرى ج ٦/ ١٠٠، وج ٨/ ١٨٢، والدارقطني في سننه ج ٣/ ٢٦، وابن عبد البر في التمهيد ج ١٠/ ٢٣١، وابن حجر في التخيص الحبير ج ٣/ ٤٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٤/ ١٧٢.

(2) صحيح البخاري برقم ٢٣٤٣، من كتاب المظالم باب رقم ٣١: النّهيُ عن النُّهْبى بغير إذنِ صاحبِهِ.

(3) سنن الترمذي برقم ١٤١٨، وقال: حسن صحيح.

التاسع والثلاثون من شعب الإيمان

وجوب التورّع في المطاعم والمشارب واجتناب ما لا يحلّ منها[1]

وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣)﴾ [المائدة].

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا[2] أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥)﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ[3] وَالْمَيْسِرُ[4] وَالْأَنصَابُ[5] وَالْأَزْلَامُ[6] رِجْسٌ[7] مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٥/٣ ـ ١٣٢.

(٢) أي أو أن يكون المأكول فِسْقاً.

(٣) الخمر: كلُّ ما يُخامر العقل من أيِّ شرابٍ كان.

(٤) وهو القمار.

(٥) الأنصاب: أصنامٌ تنصب فتُعبد من دون اللَّهِ، أو حجارة كانوا يذبحون عليها.

(٦) الأزلام: قِدَاح، واحدها زل، كانوا إذا أرادوا غدواً أو رواحاً كتبوا في قدحين في أحدهما: أمرني ربّي، وفي الآخر: نهاني ربّي، ثُمَّ يضربون بهما، فأيّهما خرج عملوا، وهو كالقمار.

(٧) رجسٌ، قال ابن عباس: سخط.

﴿ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢﴾ [المائدة].

وقوله تعالى: ﴿ ۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩﴾ الآية [البقرة] فأثبت فيها الإثم.

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣]، فحرم الإثم نصاً.

ويقال: إنّ الإثم اسم من أسماء الخمر، وأنْشَدَ:

شَرِبْتُ الإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عقلي   كذاك الإثْمُ يَذهَبُ بالعُقولِ

ولحديثِ عائشة رضي اللَّهُ عنها[1] في «الصحيحين» سُئِلَ رسُولُ اللَّه ﷺ عن البِتْعِ[2]، فقال: «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ»[3].

وفي حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما في «صحيح مسلم»، قال رسول اللَّه ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ»[4].

وحديثه في «الصحيحين»، قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ في الدُّنيا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ منها حُرِمَهَا في الآخِرَةِ»[5].

وفي حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه «فيهما» قال: «أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ به بإيلياءَ[6] بقدحين مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا،

---

(١) عائشة رضي اللَّهُ عنها، زوج رسول اللَّهِ ﷺ وبنت أبي بكر الصديق رضي اللَّهُ عنهما، روت عن رسول اللَّه ﷺ (٢٢١٠) حديثاً، توفيت بالمدينة المنورة سنة ٥٨ هـ رضي اللَّه عنها.

(٢) البِتْعُ بكسرٍ فسكونٍ، وقد تحرك التاء: نبيذ العسل وكان أهل اليمن يشربونه.

(٣) صحيح البخاري ج ١٠/ ٣٥ الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢٠٠١، وأبو داود برقم ٣٦٨٢، والترمذي برقم ١٨٦٤ و ١٨٦٧، والنسائي ج ٨/ ٢٩٨، وابن ماجه برقم ٣٣٨٦، وأحمد في مسنده ج ٦/ ٩٦ و ١٩٠ و ٢٢٦.

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٠٠٣.

(٥) صحيح البخاري ج ١٠/ ٢٥ و ٢٦، وصحيح مسلم برقم ٢٠٠٣.

(٦) إيلياء: اسم بيت المقدس، معجم البلدان ج ١/ ٢٩٣.

ثُمَّ أَخَذَ اللَّبَنَ، فقالَ لَهُ جِبْرِيلُ عليهِ السَّلامُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ، لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ لغوَتْ أُمَّتُك»[1].

وفي حديثه فيهما، قال رسول اللَّه ﷺ: «ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ الشَّارِبُ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ...» الحديث[2].

وفي «صحيح مسلم» وغيره من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال رسول اللَّه ﷺ: «أَيُّها النَّاسُ إنَّ اللَّهَ طيبٌ[3] لا يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّباً، وإنَّ اللَّهَ تعالىٰ أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ: يا رَبِّ! يا رَبِّ! ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرَامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وغُذِيَ بالحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لَهُ»[4]؟!.

وفي «الصحيحين» من حديث النّعمان بن بَشيرٍ رضي اللَّه عنه، قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وإنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وبَيْنَ ذٰلِكَ مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كثيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ ٱتَّقَىٰ الشُّبُهاتِ فَقَد ٱسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ ودِينِهِ، وَمَنْ وَقَعَ في الشُّبُهاتِ وَقَعَ في الحَرَامِ، كالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ

---

(١) صحيح البخاري ج ١٠/٢٧ و ٦/٣٠٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٨/٢٩٧، وصحيح مسلم برقم ٢٠٠٩.

(٢) صحيح البخاري ج ٥/٨٦ و ١٠/٢٨ و ١٢/٥٠. ومسلم برقم ٥٧.

(٣) الطيب هنا معناه: الطّاهر، أي إن اللَّه مقدّسٌ منزّه عن النّقائص والعُيوب كلّها، لا يقبل من الأعمال إلاّ ما كان طيّباً طاهراً من المفسدات والخبائث كلها، كالرياء والعُجْب، ولا من الأموال إلاّ مَا كان حَلالاً، وقد بيّن المولىٰ جلّ وعلا أنّ الرسل وأممهم مَأمورون بالأكل من الطيّبات التي هي الحلال، وبالعمل الصالح.

(٤) صحيح مسلم برقم ١٠١٥، والترمذي برقم ٢٩٩٢، والمسند ج ٢/٣٢٨.

يَقَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمىً، وحِمَىٰ اللَّهِ في الأَرْضِ مَحَارِمُهُ»[1].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنِّي لأَنْقَلِبُ إِلىٰ أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَىٰ فِرَاشِي أَو في بَيْتِي، فَأَرْفَعُها لآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدقَةِ فَأُلْقيها»[2].

وفي «صحيح البخاري» عن عائشة رضي اللَّهُ عنها، قالت: كان لأبي بَكْرٍ غُلامٌ يُخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خَرَاجِهِ، فجاء يوماً بشيءٍ فأكل منه أبو بكرٍ، فقال له الغلامُ: أتدري ما هذا؟! فقال: أبو بكرٍ رضي اللَّه عنه: ومَا هُوَ؟ قال: كنتُ تكهَّنتُ لإنسان في الجاهلية، ومَا أُحْسِنُ الكَهانة[3]، إلا أنّي خدعتُهُ فلقيني فأعطاني بذلكَ، فهذا الذي أكلتَ منه، قالتْ: فأدخلَ أبو بكرٍ يدَهُ فقاءَ كلَّ شيءٍ في بطنِهِ»[4].

وعن زيد بن أسلم[5] أنّ عمر بن الخطاب رضي اللَّهُ عنه شرب لبناً فأعجبَهُ، فقال للذي سقاه: من أينَ لكَ هذا اللبن؟ فأخبره أنه ورد على ماءٍ قد سمّاه، فإذا نَعَمٌ من نعَمِ الصدقة وهم يسقون فحلبوه لي من ألبانها، فجعلته في سقائي، وهو هذا، فأدخل عمرُ يدَهُ فاستقاءَهُ.

---

(١) صحيح البخاري ج ١/١١٧ ـ ١١٩ و ٤/٢٤٩، وصحيح مسلم برقم ١٥٩٩، وأبو داود برقم ٣٣٢٩ و ٣٣٣٠، والترمذي برقم ١٢٠٥.
(٢) صحيح البخاري ج ٥/٦٣، ومسلم برقم ١٠٧٠.
(٣) الكاهن هو الذي يتعاطى الإخبار عن المغيّبات، ويزعم أنّه يعلم الأسرار.
(٤) صحيح البخاري ج ٧/١١٧.
(٥) هو زيد بن أسلم العدوي أبو عبد الله المدني الفقيه، مولى عمر رضي اللَّه عنه فقيه مفسّر من أهل المدينة، وكان ثقَة كثير الحديث، كانت له حلقة بالمسجد النبوي، توفي سنة ١٣٦ هـ.

الأربعـون من شعب الإيمان

تحريم الملابس والزِّي والأواني وما يكره منها[١]

ففي حديث أنس بن مالك في «الصحيحين» قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ في الدُّنْيَا فَلَنْ يَلْبَسَهُ في الآخِرَةِ»[٢].

وفي حديث حذيفة رضي اللَّهُ عنه[٣] قال رسول اللَّه ﷺ: «لاَ تَلْبَسُوا الحَرِيرَ، ولا الدِّيبَاجَ ولا تشرَبُوا في آنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ[٤]، ولا تأكلُوا في صِحَافِهَا، فإنَّهَا لَهُمْ في الدُّنْيَا، وهي لَكُمْ في الآخِرَةِ»[٥].

وفي حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه في «صحيح مسلم» قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ[٦] الحقِّ وغَمْطُ

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٥/ ١٣٣ ـ ٢٣٣.

(٢) صحيح البخاري ج ١٠/ ٢٤٢ و ٢٤٣ الفتح. وصحيح مسلم برقم ٢٠٧٣، وبرقم ٢٠٦٩ و ٢٠٧٤.

(٣) هو حذيفة بن اليمان، واليمان لقبٌ، واسم أبيه حسل، ويُقال: حسيل، العبسي أبو عبد اللَّهِ، كاتم سرِّ رسول اللَّه ﷺ، من الوُلاَة الشّجعان الفاتحين، ولاّه عمر رضي اللَّه عنه على المدائن، توفي بالمدائن سنة ٣٦ هـ، رضي اللَّه عنه.

(٤) الذهب والفضة نقدان كريمان للتعامل بهما في البيع والشراء والإيجار والمهور، وللإنفاق منها في الجهاد في سبيل اللَّهِ، فلا يصلح أن يُجعلا في أصنافِ المعادن الرخيصة ليصنع منها الأواني والأطباق للطعام والشّراب. وقد خصَّ اللَّه تعالىٰ أهلَ الجنَّةِ باستعمالهما فيما يشتهون من القصور والبيوت، وغير ذلك...

(٥) صحيح البخاري ج ٩/ ٤٨١ الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢٠٦٧، والنسائي ج ٨/ ١٩٨، ١٩٩، وأحمد في مسنده ج ٥/ ٣٩٠.

(٦) البطر: الطغيان عند النّعْمة واستصغارها وعدم شكر اللَّهِ تعالىٰ عليها. ومن البطر: أن يُجْعَلَ ما هو لله تعالىٰ من توحيده وعبادته باطلاً، أو يمتنع عن الإقرار =

النَّاسِ»[١].

وفي حديث أبي بُرْدَة[٢] رضي اللّه عنه في «الصحيحين» قال: «أَخرَجَتْ إلينا عائِشَةُ كِساءً مُلَبَّداً وإزاراً غَلِيظاً، فقالت: قُبِضَ رسُولُ اللّهِ ﷺ في هٰذَيْنِ»[٣].

وحديث عبد اللّه بن عمر «فيهما» قال رسول اللّه ﷺ: «لا يَنْظُرُ اللّهُ تَعالَىٰ يَوْمَ القِيامَةِ إلى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءِ»[٤].

= بالحق بعد بيانِهِ.

(١) صحيح مسلم برقم ٩١.

(٢) أبو بردة هو ابن أبي موسى الأشعري، الفقيه، اسمه الحارث، يروي عن أبيه، توفي سنة ١٠٤ هـ.

(٣) صحيح البخاري ج ١٠/٢٣٥ الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢٠٨٠، وأحمد ج ٦/٣٢.

(٤) صحيح البخاري ج ١٠/٢١٦ و ٢١٧ و ٢٢٣، وصحيح مسلم برقم ٢٠٨٥.

الحادي والأربعون من شعب الإيمان

تحريم الملاعب والملاهي المخالفة للشريعة[(١)]

قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ [الجمعة: ١١].

وفي حديث سمعان بن بُرَيْدة في «صحيح مسلم» عن أبيه بُرَيْدَة بن الحُصَيْبُ[(٢)] رضي اللّهُ عنه: قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ لَعِبَ بالنَّرْدَشِيرِ[(٣)] فكأنَّما صَبَغَ يَدَهُ في لَحْمِ خِنزِيرٍ ودَمِهِ»[(٤)].

[قال الحافظ المنذري في كتابه الترغيب والترهيب ج ٤/ ٤٩: قد ذهب جمهور العلماء إلى أنَّ اللعب بالنردِ حرامٌ، ونقل بعضُ مشايخنا الإجماعَ على تحريمه، واختلفوا في اللعب بالشطرنجِ، فذهب بعضهم إلى

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٥/ ٢٣٥ ـ ٢٤٧.

(٢) هو بريدة بن الحُصَيب الأسلمي أبو سهل صحابي، أسلم قبل بدر، ولم يشهدها، شهد خيبر، وفتح مكة، وسكن المدينة، وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مرو، فمات بها سنة ٦٣ هـ رضي اللّه عنه.

(٣) النردشير هو النّرد، وهذا الحديث حجّة في تحريم اللعب بالنّرد.

(٤) رواه مسلم رقم ٢٢٦٠ في كتاب الشعر، باب تحريم اللعب بالنردشير، ورواه أيضاً أبو داود رقم ٤٩٣٩ في الأدب، باب النهي عن النرد، وأحمد في المسند ٥/ ٣٥٤ و ٣٥٧ و ٣٦١، وابن ماجه رقم ٣٧٦٣، من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه بريدة بن الحُصيب الأسلمي رضي اللّه عنه. ورواه أيضاً أحمد في المسند ٤/ ٣٩٤. و ٣٩٧ و ٤٠٠، وأبو داود رقم ٤٩٣٨، وابن ماجه رقم ٣٧٦٢ من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه، وهو حديث صحيح. والنردشير هو النرد، فالنرد عجمي معرب، وشير معناه حلو.

إباحته لأنَّه يُستعان به في أمور الحرب ومكائده، ولكن بشروط ثلاثة: أحدها أنْ لا يُؤخِّرَ بسببهِ صلاةً عن وقتها - أي وقت الجماعة - والثاني أن لا يكون فيه قمار. والثالث أن يَحْفَظَ لسانه حال اللعب عن الفحش والخَنَا ورديء الكلام. فمتى لعب به، أو فعل شيئاً من هذه الأمور كان ساقط المروءة مردود الشهادة].

وفي حديث عُقبة بن عامر الجهني عن النبيّ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ لَيُدْخل بالسَّهم الواحد الثلاثة الجنَّةَ...»، وفيه: «وكلُّ ما يلهُو به المَرْءُ المسلمُ باطلٌ، إلاّ رميَهُ بقوسِهِ، وتأديبَهُ فرسَهُ، وملاعبتَهُ امرأتَهُ»(١).

قال الحافظ البيهقي: قال الحليمي رحمه اللَّه: ومعنى هذا واللَّه أعلم أنّ كلَّ ما يَتلهَّىٰ به الرجلُ ممّا لا يُفيده في العاجل ولا في الآجل فائدةً فهو باطلٌ، والإعراض عنه أَوْلَى، إلاّ هذه الأمور الثلاثة، فإنّه وإنْ يفعلها على أنّه يتلهّى بها ويستأنس بها وينشط، فإنّها حقٌّ لاتّصالها بما قد يُفيد، فإنّ الرّميَ بالقوس وتأديب الفرس جميعاً من معاون القتال، وملاعبة الأهل قد يُؤدّي إلى ما يكون عنه الولدُ يُوحِّدُ اللَّهَ تعالىٰ ويعبده، فلهذا كله هذه الثلاثة من الحق»، ثم قال: «واللعب بالنّرد والشّطرنج... عندي تحريمه، واللَّه أعلم»(٢).

(١) صحيح سنن ابن اجه برقم ٢٢٦٧، والأحاديث الصحيحة ٣١٥.
(٢) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٥/٢٣٦.

الثاني والأربعون من شعب الإيمان

الاقتصاد في النفقة وتحريم أكل المال بالباطل(١)

قال اللّٰه تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان].

وفي حديث المغيرة بن شعبة رضي اللّٰهُ عنه(٢) في «الصحيحين»(٣)

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٥/ ٢٤٩ ـ ٢٦٢.

(٢) هو المغيرة بن شعبة الثقفي أبو عبد اللّٰه، أحد الدُّهاة والقادة، صحابي، يُقال له: مغيرة الرأي، ولد غي الطائف، أسلم في السّنة الخامسة من الهجرة، وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام، وشهد القادسية ونهاوند وهمذان، ولاّه عمر بن الخطاب على البصرة، وفتح عدة بلاد، وعزله ثمّ ولاّه الكوفة، وتوفي بها رضي اللّٰه عنه سنة ٥٠ هـ.

(٣) وهو في حديث المغيرة بن شعبة رضي اللّٰه عنه، رواه البخاري ١١/ ٢٦٣ في الرقاق: باب ما يكره من قيل وقال بلفظ: «وكان ينهىٰ عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»، ورواه مسلم برقم ١٧١٥/ ١٤ في الأقضية: باب النهي عن كثرة المسألة من غير حاجة، بلفظ: «ونهىٰ عن ثلاثٍ: قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال»، وهو جزء من حديث طويل، رواه أيضاً البخاري ٥/ ٥١ في الاستقراض: باب ما ينهى عن إضاعة المال، و ٤/ ٢٧٠ في الزكاة قول الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ و ١٠/ ٣٤٠ و ٣٤١ في الأدب: باب عقوق الوالدين من الكبائر، ومسلم رقم ١٧١٥/ ١٢ و ١٣ في الأقضية: باب كثرة المسائل من غير حاجة، من حديث المغيرة بن شعبة أيضاً بلفظ: «وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»، وأوّله عندهما: «إنَّ اللّٰه حرَّمَ =

عن رسول اللّه ﷺ: «ونهىٰ عَن ثلاثٍ: قِيلٍ وَقَالٍ، وإِضَاعَةِ المَالِ، وكَثْرَةِ السُّؤَالِ».

= عليكم عقوق الأمهات ووَأْدَ البنات، ومَنْعاً وهات، وكره لكمل قيل وقال، وكثرة السّؤال وإضاعة المال». والحديث رواه مسلم فقط من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه رقم ١٧١٥ في الأقضية: باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة بلفظ «إنَّ اللّه يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل اللّه جميعاً ولا تفرَّقُوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال». [من تعليق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط على مختصر شعب الإيمان ص ٩٠ ـ ٩١].

الثّالث والأربعون من شُعَب الإيمان
ترك الغِلّ والحَسَد ونحوهما(١)

قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤].

ولحديث أنس رضي اللّه عنه في «صحيح مسلم»: «لا تَحَاسَدُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَقَاطَعُوا، وكُونُوا عبادَ اللّهِ إخْوَاناً»(٢).

وفي حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه في «صحيح البخاري» عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال: «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، ولا تَدَابَرُوا، وكُونُوا عِبَادَ اللّهِ إخْواناً، ولا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ، يَصُدُّ هٰذَا، ويَصُدُّ هٰذا، وخَيْرُهُمَا الّذي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ»(٣).

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أنّ رسول اللّه ﷺ قال: «لا يَجْتَمِعُ في جَوْفِ عبدٍ مُؤْمِنٍ غُبَار في سبيل اللّهِ وفيحُ جهنّم، ولاَ يَجْتَمِعُ في جَوْفِ عبدٍ الإيمَان والحَسَدُ»(٤).

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٥/ ٢٦٣ ـ ٢٧٨.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٥٥٩.

(٣) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٠٢ الفتح، وج ١٠/ ٤١٣، وصحيح مسلم برقم ٢٥٥٩ و ٢٥٦٠.

(٤) صحيح ابن حبان، الإحسان ج ١٠/ ٤٦٦ برقم ٤٦٠٦، وقال الشيخ شعيب: إسناده حسن. وأخرجه النسائي ج ٦/ ١٢ ـ ١٣.

قال الحافظ البيهقي: فالحسدُ مذمومٌ، والحاسدُ غيرُ الغابطِ؛ لأنَّ الحاسد من لا يُحبُّ الخيرَ لغيرهِ ويتمنَّى زوالَهُ عنه، والغَابِطُ مَنْ يتمنَّىٰ أن يكون له من الخير مثل ما لغيرهِ، والحاسد يعتبر إحسانَ اللَّهِ تعالىٰ إلى أخيه المسلم إساءةً إليهِ، وهذا جهلٌ منه، لأنَّ الإحسان الواقع بمكان أخيه لا يضرُّه شيئاً، فإنَّ ما عندَ اللَّه واسعٌ، وقد يكون الحاسدُ متسخِّطاً لقضاء اللَّه، وذلك يُدْنيهِ مِنَ الكفرِ، لولا أنَّه ما دلَّ فيقول إنّما أكره الغَمَّ الذي بِي فيما آتاهُ اللَّهُ لا القضاء نفسه، والذي وردَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا حَسَدَ إلاَّ في اثنتينِ: رَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ على هلكتهِ في الحقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ حكمةً فهو يَقْضِي بها ويُعلِّمها»[1].

وعن الزّهري قال: أخبرني أنسُ بنُ مالكٍ قال: كُنّا جلوساً عند النّبيِّ ﷺ فقال: «يَطّلِعُ عليكم الآن من هذا الفجِّ رجلٌ من أهلِ الجنَّةِ، قال: فطلع رجلٌ من الأنصار تنظفُ لحيتُهُ منْ وُضوئه وقد علَّق نعليه في يده الشّمال فسلم، فلمّا كان من الغد قال النّبيُّ ﷺ مثلَ ذلكَ، فطَلَعَ الرجلُ على مثل صورتِهِ الأولى، فلمّا كان اليوم الثالث، قال النّبيُّ ﷺ مثلَ مقالته الأولى أيضاً، فطلع الرجلُ على مثل حالته الأولى، فلما قام النّبيُّ ﷺ تَبِعَهُ عبدُ اللَّه بنُ عَمْروٍ بنِ العاص فقالَ: إنّي لاَحَيْتُ أبِي، فأقْسَمْتُ أنْ لا أدخلَ عليه ثلاثاً، فإنْ رأيتَ أن [تُؤْوِيني][2] إليكَ حتّى تمضيَ الثلاثُ، فَعَلْتَ. قال: نَعَمْ. قالَ أنسٌ: وكانَ عبدُ اللَّه يعني ابْنَ عمروٍ يُحدِّثُ أنّه باتَ معه ثلاثَ ليالٍ، قالَ: فلم يَرَهُ يقومُ من اللّيلِ شيئاً، غير أنّه إذا تعارَّ منَ اللَّيلِ لا يقول إلاّ خيراً. قال: فلمّا مضتِ الثّلاثُ ليالٍ، وكِدْتُ أحتَقِرُ عملَهُ، قلتُ: يا عبد اللَّه! لمْ يكنْ بيني وبينَ وَالِدي غضبٌ ولا هجرةٌ، ولكنّي سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: يَطّلِعُ الآنَ عليكم رجلٌ من أهلِ الجنّة، فطلعتَ أنتَ الثّلاثَ مرّاتٍ، فأردتُ أنْ آوِي إليكَ فانظرَ ما عملُكَ، فلم

---

(١) صحيح البخاري ج ١/ ١٦٥ الحديث رقم ٧٣، وصحيح مسلم برقم ٨١٦.
(٢) صحيح البخاري ج ١/ ١٦٥ الحديث رقم ٧٣، وصحيح مسلم برقم ٨١٦.

أرَكَ تعملُ كثيرَ عملٍ. فلمّا ولّيْتُ دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيتَ، غيرَ أنّي لا أَجِدُ في نفسِي على أحَدٍ من المسلمينَ غِشّاً ولا أحسدُهُ على خيرٍ أَعْطاهُ اللّه إيّاهُ[(١)].

فقال عَبْدُ اللّه: فهذهِ التي بلغتَ بها وهي التي لا تطاق.

وفي رواية ذكرها البيهقي بعد هذه أنَّ الرَّجُلَ هو «سعد بن أبي وقاص»، وكذا في مجمع الزوائد[(٢)].

وقد أثنى اللّهُ تبارك وتعالىٰ على الأنصار لاتّصافهم بسلامة القلب وصفائه، فقال في سورة الحشر: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر].

فمدَحَهُمْ سبحانه وأبَانَ فَضْلَهم وشرَّفَهم على ما اتَّصَفُوا به من الصّفات الكريمة، فهُمْ يُحبّون المهاجرين، ويُواسونَهم بأموالِهم، ولا يجدون في أنفسِهم حَسَداً أو غيظاً أو بُغْضاً لإخوانهم المهاجرين، وكانوا يُقدِّمونهم على أنفسهم في حظوظهم الدنيوية، ولو كان بهم حاجة أو فاقة، فهذه هي صفة أهل الإسلام على الدّوام!!..

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٥/٢٦٤ ـ ٢٦٥، ورواه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٨/٧٨ ـ ٧٩، وقال: رواه أحمد والبزار بنحوه. ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) مجمع الزوائد ج ٨/٧٩: وفي رواية البزار أنه قال: فطلع سعد بدل قوله: فطلع رجلٌ... وقال في آخره: فقال سعد: ما هو إلا ما رأيت يا ابن أخي، إلاّ أنّي لم أبت ضاغناً على مسلم. أو كلمة نحوها.

الرَّابع والأربعون مِنْ شُعَبِ الإيمَانِ(١)

تحريم أعراض النَّاس وما يجب من ترك الوقيعة فيها(٢)

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ(٣) ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ٢٣]، وغير ذلك من الآياتِ، والأخبارِ الكثيرةِ.

وعن أبي هريرةَ رضي اللَّه عنه، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لا تَحَاسَدُوا، ولا تَنَاجَشُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، ولا يَبِعْ بعضُكُمْ على بَيْعِ بعضٍ، وكُونُوا عبادَ اللَّهِ إخواناً، المسلمُ أخو المسلمِ، لا يظلِمُهُ، ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى ها هنا -ويُشير إلى صدرِهِ ثلاثَ مرَّاتٍ- بحسب امرئٍ منَ الشر أن يحقر أخاه المسلمَ، كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ، دَمُهُ ومالُهُ وعِرْضُهُ»(٤).

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٥/ ٣٧٩ - ٣٢٣.

(٢) الأعراض: جمع عرض بكسر فسكون: هو موضع المدح والذم من الإنسان، سواء كان في نفسه أو في سَلَفِهِ، أو فيما يلزمُهُ أمرُهُ.

(٣) أي الغافلات عن الفواحش.

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٥٦٤، وحديث آخر رواه البخاري ٥/ ٧٠ و ٧١ في المظالم: باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يُسْلِمُهُ، و ١٢/ ٢٨٨ في الإكراه: باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه، ومسلم رقم ٢٥٨٠ في البرّ والصلة: باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما ولفظه بتمامه: «المسلم أخو المسلم لا يظلمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، ومَنْ كان في حاجةِ أخيهِ كانَ اللَّه في حاجتهِ ومَنْ فرّجَ عن مسلمٍ كُرْبَةً فرّج اللَّه =

وفي حديث أبي ذرّ رضي اللّه عنه[1] في «الصحيح»: قال رسول اللّه ﷺ: «لا يَرْمي رَجُلٌ رَجُلاً بالفِسْقِ، ولا يَرْمِيهِ بالكُفْرِ، إلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذٰلِكَ»[2].

= عنه كُرْبَةً من كُرُباتِ يوم القيامة، ومَنْ سَتَرَ مسلماً سَتَرَهُ اللهُ يومَ القيامةِ».

ومعنى «لا يُسْلِمُهُ» أي لا يتركه مع من يؤذيه، ولا فيما يؤذِه، بل ينصره ويدفع عنه، وهذا أخصُّ من ترك الظلم. وقد يكون ذلك واجباً، وقد يكون مندوباً بحسب اختلاف الأحوال. وزاد الطبراني من طريق أُخرى عن سالمٍ: «ولا يُسْلِمُهُ في مُصيبةٍ نزلت به».

(١) هو جُنْدُب بْنُ جُنَادة الغفاري أبو ذر، من كبار الصحابة، ومن زُهّادهم، هاجرَ بعد وفاة رسول اللّه ﷺ إلى الشام، وسَكن دمشق، واستقدمه عثمان المدينة ثمّ أمره أن يذهب إلى الرّبذة، فسكنها إلى أنْ مات رضي اللّه عنه سنة ٣٢ هـ.

(٢) رواه البخاري ج ١٠/٣٨٨، الفتح.

الخامسُ والأربعونَ مِنْ شُعَبِ الإيمان[1]
إخلاص العمل لله تعالى، وترك الرِّياء[2]

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[3] [البيّنة: ٥].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

وفي حديث لأبي هريرة في «صحيح مسلم»: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[4]: [أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وهو لِلَّذِي أَشْرَكَ]»[5].

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٥/ ٣٢٥ ـ ٣٦٩.

(٢) الإخلاص: هو إفرادُ الحق سبحانه وتعالىٰ بالقصد في الطاعة وتصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، فالمخلصُ لا رياءَ له، والصّادق لا إعجاب له، ولا يتم إلاّ بالصدق، ولا الصّدقُ إلاّ بالإخلاص، ولا يتمّان إلاّ بالصّبر.

(٣) أي مائلين عن الأديان إلى دين الإسلام.

(٤) يعني في الحديث القدسي.

(٥) صحيح مسلم برقم ٢٩٨٥، وابن ماجه برقم ٤٢٢٠٢، وأحمد في مسنده =

وفي حديث جندب رضي اللّه عنه[1] في «الصحيحين» قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي[2] يُرَائِي اللّهُ بِهِ»[3].

وعن أبي سعيد بن أبي فُضَالة الأنصاري قال: سمعتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يقولُ: «إذَا جمعَ اللّهُ تباركَ وتعالىٰ النَّاسَ ليوم القيامةِ ليوم لا ريبَ فيهِ، نادَى مُنَادٍ: من كان أَشْرَكَ في عملٍ عَمِلَهُ لِلّهِ أحداً، فليطلبْ ثوابَهُ مِنْ عندِ غيرِ اللّهِ، فإنَّ اللّهَ أغْنَىٰ الشُّرَكاءِ عَن الشِّركِ»[4].

وعن أبي سعيد قال: خرج علينا رسولُ اللّهِ ﷺ ونحنُ نتذاكَرُ المسيحَ الدَّجالَ، فقال: «ألاَ أخبرُكم بما هو أخوفُ عليكم عندِي من المسيحِ الدَّجالِ؟ قالَ: قُلْنا: بَلىٰ، فقالَ: الشِّرْكُ الخَفِيُّ: أنْ يقومَ الرَّجُل يُصَلّي فيُزَيِّنُ صلاتَهُ لِمَا يرى من نَظَرِ رَجُلٍ»[5].

= ج ٢/٣٥١ و ٤٣٥.

(١) هو جُنْدُبُ بنُ عبد الله بن سفيان البَجلي أبو عبد اللّهِ، ورُبّما نُسِبَ إلى جدِّه، وهو من صغار الصحابة مات بعد السّتين رضي اللّه عنه.

(٢) الرِّياء: بكسر الرّاء وتخفيف الياء والمدّ: إظهار العبادة لقصدِ رُؤيةِ النَّاسِ لها فيُحْمَدُ صَاحِبُها، والسُّمْعَةُ بضم السين وسكون الميم: في نحو ما من الرِّياء، إلاّ أنّها تتعلق بحاسّةِ السّمع، والرّياء بحاسة البصر.

ومعنى الحديث: أنَّ من عمل عملاً على غير إخلاصٍ يُريد أنْ يراه الناسُ ويسمعُوهُ يُجازَى يومَ القيامةِ على ذلكَ.

(٣) رواه البخاري ١١/٢٨٨ في الرقاق: باب الرياء والسّمعة و ١٣/١١٥ في الأحكام: باب من شاقّ شاقّ اللّه عليه، ومسلم رقم ٢٩٨٧ في الزهد والرقاق: باب من أشرك في عمله غير اللّه، وابن ماجه رقم ١٢٠٧ في الزهد: باب الرياء والسمعة من حديث جندب بن عبد اللّه البَجَلي رضي اللّه عنه.

(٤) صحيح سنن الترمذي برقم ٢٥٢١، وصحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٣٨٧، وسنن ابن ماجه برقم ٤٢٠٣.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٣٨٩، وفي السنن برقم ٤٢٠٤.

السَّادِسُ والأَرْبعون مِنْ شُعَبِ الإيمان(١)
السرور بالحسنة، والاغتمام بالسيئة(٢)

وفي حديث جابر بن سَمُرَة(٣)، عن عُمَر بن الخطاب رضي اللَّه عنه في «مسند أحمد» قال رسول اللَّه ﷺ: «ومَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»(٤).

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٥/ ٣٧١ ـ ٣٠٧٨.

(٢) سرور العبد بالشيء على قدر تعلّقه به ومحبته له ورغبته فيه، فسرورُ الشخص بالعلم والإيمان، والأعمال الصالحات، والعاملين بالكتاب والسّنّة وإجماع الأمة، دليلٌ على تعظيمها لديه، ومحبّته لها، ورغبته فيها، وإيثارها على غيرها، واغتمامه بضدّها، دليلٌ على قوّة إيمانه، وشدَّةِ يقينه، وصلابة دينه.

(٣) هو جابر بن سَمُرَة بن جُنادة السّوائي، له ولأبيه صحبة، نزل الكوفة وابتنى بها داراً، تُوفي رضي الله عنه سنة ٧٤ هـ.

(٤) المسند ج ١/ ٢٦ عن جابر بن سَمُرَة عن عمر بن الخطاب. ورواه أيضاً أحمد في «المسند» ١/ ١٨ من حديث عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما، ولفظه عنده: «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وساءتْهُ سَيئتُهُ فهو مؤمنٌ»، ورواه الترمذي برقم ٢١٦٦ في الفتن: باب ما جاء في لزوم الجماعة وإسناده حسن. والحديثُ بتمامه عند أحمد من حديث جابر بن سمرة ١/ ٢٦ قال: خطب عمرُ النّاسَ بالجابية، فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قام في مثل مَقَامي هذا، فقال: «أَحْسِنُوا إلى أصحابي، ثمَّ الذين يلونهم، ثم يجيء قوم يحلف أحدُهُم على اليمين قبل أن يُسْتَحْلَفَ عليها، ويشهد على الشهادة قبل أن يُسْتَشْهَدَ، فَمَنْ أحبَّ منكم أن ينالَ بحبوحة الجنّة فليلزم الجماعةَ، فإنَّ الشّيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون رجل بامرأةَ، فإنَّ ثالثهما الشيطان، ومَنْ كان منكم تَسُرُّهُ حَسَنَتُهُ وَتَسُوؤُهُ سَيّئَتُهُ فهو مؤمنٌ»، ورواه بنحو أحمد في «المسند» ١/ ١٨، والترمذي رقم ٢١٦٦ مطولاً، ورواه مختصراً الحاكم ١/ ١٣ من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه وصححه، ووافقه الذهبي، وأحمد في «المسند» ٣/ ٤٤٦ من حديث عامر بن ربيعة و ٥/ ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٦ من حديث أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه، فهو حديث صحيح.

السّابعُ والأرْبَعُونَ مِنْ شُعَبِ الإيمَان
معالجة كل ذنبٍ بالتّوبة[1]

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١ ﴾[2] [النور].

وقال تعالىٰ: ﴿ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٩ ﴾ [الزمر].

وفي حديث أبي بُرْدَة بن أبي موسىٰ الأشعريّ، عن الأَغرِّ المُزْنيِّ[3]،

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٥/ ٣٧٩ ـ ٤٦٩.

(٢) التوبة: هي الإنابة إلى الله تعالىٰ والرُّجوع إلى طاعته، وعدم معصيته ومخالفة أمره، وترك محرَّماته، واجتناب نواهيه. وللتوبة شروط ثلاثة: هي النَّدمُ على ما كان من الذُّنوب، والإقلاع عنها، والعزم على أنْ لا يعود إلىٰ المعاصي.
وللتّوبة الصحيحة المقبولة علاماتٌ، منها لا يزالَ الخوفُ مصاحباً له لا يؤمَنْ طرفةَ عينٍ؛ ومنها أنْ يكون بعد التوبة خيراً منه قبلها، ومنها انخلاع قلبه وتقطّعه ندماً وخوفاً على قدر عِظَمِ الجَناية وصِغَرِها.

(٣) هو الأغرُّ بنُ يسار المزني، ويقال: الجُهَني، والمزني أصح، صحابي من المهاجرين.

في «صحيح مسلم»، و «سنن أبي داود» وغيرهما: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي[(١)] وإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ في اليَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»[(٢)].

وفي صحيح مسلم عن الأغرّ: قال رسول اللَّه ﷺ: «يا أيّها النّاسُ تُوبُوا إلى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ في اليومِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[(٣)].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي اللَّهُ عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ العبدَ إذَا اعترَفَ ثم تابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»[(٤)].

وفي صحيح مسلم عن أبي موسىٰ الأشعريّ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بالليْلِ ليتوبَ مُسيءُ النَّهار، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهارِ ليتوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمسُ من مغربِها»[(٥)].

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «للَّهُ أَشدُّ فرحاً بتوبةِ عبدِهِ حينَ يتوبُ إليه مِنْ أَحَدِكُم كانَ على راحلتِهِ بأرضٍ فَلَاةٍ، فانفلتَتْ منهُ، وعليها طعامُهُ وشَرَابُهُ، فأيسَ منها، فأتىٰ شجرةً فاضطجَعَ في ظلِّهَا قد أَيِسَ مِنْ راحلتِهِ، فبينما هو كذلك إذَا هو بها قائمةً عندَهُ، فأخذَ بِخطَامِهَا ثم قال من شدّةِ الفرحِ: اللَّهمّ أنتَ عَبْدي وأنَا رَبُّكَ، أخطأَ من شدّةِ الفَرَحِ»[(٦)].

---

(١) الغين: الغيم، يقال: غنيتِ السّماء تغان، إذا أطبق عليها الغيم، والمراد به هنا ما يغشاه من السّهو الذي لا يخلو منه البَشَرُ، لأنّ قلبه أبداً كان مشغولاً باللَّهِ تعالىٰ فإنْ عرضَ له في وقتٍ ما عارضٌ بشري يشغله عن أمور الأُمّة والمِلَّةِ ومصالحهما، عَدَّ ذلك تقصيراً، فيفزع ﷺ إلى الاستغفار، ويصحُّ أن يكون إظهاراً للعبودية والافتقار، وملازمة الخشوع، وشكراً لِمَا أَوْلَاه؛ لأنّ خوف الأنبياء والملائكة خوفٌ وإعظامٌ.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٧٠٢، وأبو داود في سننه برقم ١٥١٥.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٧٠٢.

(٤) صحيح البخاري ضمن حديث الإفك ج ٧/ ٤٣١ ـ ٤٣٥ رقم ٤١٤١ الفتح وصحيح مسلم ضمن حديث الإفك برقم ٢٧٧٠.

(٥) صحيح مسلم برقم ٢٧٠٣.

(٦) صحيح البخاري ج ١١/ ١٠٢ برقم ٦٣٠٩، وصحيح مسلم برقم ٢٧٤٧.

وفي صحيح مسلم عن جُنْدُبٍ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حدَّث أنَّ رجلاً قال: واللَّهِ لا يغفرُ اللَّهُ لِفُلانٍ، وإنَّ اللَّهَ تعالىٰ قال: مَنْ ذَا الَّذي يتألّى عليَّ أن لا أغفِرَ لفُلَانٍ، فإني قد غفرتُ لفُلانٍ، وأحْبَطْتُ عملكَ»[1].

وعن عبد اللَّه بن بُسْرٍ يقولُ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «طُوبىٰ لِمَنْ وَجَدَ في صَحِيفَتِهِ استغفاراً كثيراً»[2].

وعن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّهُ عنهما عن النَّبيّ ﷺ: «إنّ اللَّهَ يقبلُ تَوْبَةَ العبدِ مَا لَمْ يُغرْغِرْ»[3].

وعن أنس بن مالكٍ قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «قالَ اللَّهُ تباركَ وتعالىٰ: يا ابْنَ آدَمَ إنَّكَ ما دعوتني ورَجَوْتَني غفرْتُ لكَ، على ما كانَ فيكَ ولا أُبالي، يا ابْنَ آدَمَ لو بلغتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتني غَفَرْتُ لكَ ولا أُبالي، يا ابْنَ آدَمَ إنَّكَ لَوْ أتيتني بقُرابِ الأرضِ خَطَايَا ثمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بي شيئاً لأتيتُك بقُرابِهَا مَغْفِرَةً»[4].

وَعَن أبي عُبيدَةَ بن عبد اللَّه عن أبيه قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذنبَ لَهُ»[5].

وعن أنسٍ قالَ: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «كُلُّ ابنِ آدَمَ خَطَّاءٍ، وخيرُ الخطائينَ التَّوَّابُونَ»[6].

وعن أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: كان رجلان في بني إسرائيل متوَاخِيَيْنِ، فكانَ أحدُهما يُذْنبُ، والآخَرُ مجتهدٌ في العبادة،

---

(١) صحيح مسلم برقم ٢٦٢١.
(٢) صحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٠٧٨.
(٣) صحيح سنن الترمذي برقم ٢٨٠٢، وسنن ابن ماجه برقم ٤٢٥٣.
(٤) صحيح سنن الترمذي برقم ٢٨٠٥، والأحاديث الصحيحة برقم ١٢٧ و ١٢٨.
(٥) صحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٤٢٧ وإسناده حسن.
(٦) صحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٤٢٨ وإسناده حسن.

فكان لا يزالُ المجتهدُ يرى الآخَرَ على الذّنب، فيقولُ: أَقْصِرْ، فوجدَه يوماً على ذنبٍ، فقال له: أَقصِرْ، فقال: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عليَّ رقيباً؟ فقال: واللّهِ لا يغفِرُ اللّهُ لكَ ـ أو لا يدخلك الجنّة ـ فقبضَ أرواحَهُمَا، فاجتمعا عندَ ربِّ العالمين، فقالَ لهذا المجتهِدِ: كُنْتَ بي عالماً؟! أو كنتَ على ما في يديَّ قادراً؟! وقال للمذنب: اذْهبْ فادْخُلِ الجنّة برحمتي، وقال للآخر: اذهَبُوا به إلى النّارِ»(١)، قال أبو هريرة رضي اللّه عنه: والّذي نَفِسي بيدِهِ! لَتكلّمَ بكلمةٍ، أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وآخرتَهُ.

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أنّ رسول اللّهِ ﷺ قالَ: «إنَّ عبداً أذنبَ ذنباً فقالَ: ربِّ أذنبتُ ذنباً فاغفِرْهُ، فقالَ ربُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ ربّاً يغفِرُ الذنبَ ويأخذ به غَفَرْتُ لعبدي، ثم مكث ما شاءِ اللّهُ ثم أذْنَبَ ذَنْباً، فقال: ربِّ أذنبتُ ذنباً آخر فاغفِرْهُ، فقالَ: عَلِمَ عبدي أَنَّ له ربّاً يغفِرُ الذنبَ ويأخذُ به قد غفرتُ لعبدي، ثم مكثَ ما شاءِ اللّهُ ثمَّ أذنبَ ذَنْباً فقال: ربِّ أذنبتُ ذنباً آخرَ فاغفرهُ لي، فقالَ: عَلِمَ عبدي أَنَّ له رَبّاً يغفرُ الذنب ويأخذُ به، غفرتُ لعبدي فليعملْ ما شاء»(٢).

وعن شَدَّاد بن أوس قال: قال رسول اللّهِ ﷺ: «سَيِّدُ الاستغفارِ أنْ تقولَ: اللّهمَّ أنت ربّي لا إلٰه إلاّ أنت، خلقتني وأنا عبدُكَ، وأنا على عَهْدِكَ ووعدِكَ ما استطعتُ، أعوذُ بكَ من شَرِّ ما صنعتُ، أَبُوءُ لكَ بنعمتِكَ عليَّ، وَأَبُوءُ بذنبي، فاغفِرْ لي فإنّه لا يغفِرُ الذُّنُوبَ إلاّ أنتَ، قالَ: ومَنْ قالَها من النَّهارِ موقِناً بها، فماتَ مِنْ يومِهِ قبلَ أن يُمْسِيَ فهوَ مِنْ أهلِ الجنَّةِ، ومن قالها مِن اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فماتَ قبلَ أن يُصْبِحَ فهو مِنْ أهلِ الجنَّةِ»(٣).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «قالَ اللّهُ تعالىٰ: يا

---

(١) صحيح سنن أبي داود برقم ٤٠٩٧.
(٢) صحيح البخاري ج ٤٦٦/١٣ برقم ٧٥٠٧ الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢٧٥٨.
(٣) صحيح البخاري ج ٩٧/١١ و ٩٨ برقم ٦٣٠٦ الفتح.

ابْنَ آدمَ إنَّكَ ما دَعوْتَني ورَجَوتني غفرتُ لك مَا كانَ فيكَ ولا أُبالي، يا ابْنَ آدمَ لو بلغَتْ ذُنُوبُك عَنانَ السّماءِ، ثمَّ استغفرتَنِي غَفَرْتُ لكَ ولا أُبالي، يا ابْنَ آدَمَ إنّكَ لو أتيتني بقُرابِ الأرضِ خطايا، ثم لقيتني لا تُشْرِكُ بي شيئاً لأتيتُك بقُرابِها مَغْفِرَةً»[1].

وهذا الحديث أصل من أصول الإيمان بالمغفرة، فالرَّجاءُ والدُّعاءُ مُكفِّراتٌ للذُّنوب، والاستغفارُ مُكَفِّرٌ للذنُوب، وتوحيدُ اللّهِ تعالىٰ من أعظم المُكفِّرات للذنوب والآثام والخطايا، وقد ثبت عن رسول اللّه ﷺ الآحاديث الكثيرة في بيان فضل التَّوحيد، وثواب شهادة التَّوحيد.

(١) صحيح سنن الترمذي برقم ٢٨٠٥، ورقمه في سننه ٣٥٤٠.

الثامن والأربعون من شُعَب الإيمان
الأضاحي والقَرَابين(1)

وجملتها الهَدْيُ والأُضْحِيَةُ والعَقِيقَةُ «وهي نُسُك المولُود».

قال اللّه تعالىٰ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ [الحج: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج].

وفي حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه في «الصحيحين»: «أنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يُضحِّي بكبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ(2)، ولقَدْ رَأَيْتُهُ يَضع

---

(1) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٥/ ٤٧١ ـ ٤٨٥.

(2) قال ابن الأعرابي اللغوي: الأملح: هو الأبيض الخالص البياض، وقال الأصمعي هو الأبيض يشوبه شيءٌ من السواد.

رِجْلَهُ في صِفَاحِهِمَا[1] ويُسَمِّي ويُكَبِّرُ». وفي رواية: «وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَذْبَحُهُمَا بِيَدِهِ»[2].

وعن مَخْنَفِ بن سليمٍ، قالَ: ونحن وُقوفٌ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بعرفاتٍ فقالَ: «يا أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ على كُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ في كُلِّ عامٍ أُضْحِيَةً، وَعَتِيرَةً[3]. أتدرون مَا العَتِيرَةُ؟ هذه الّتي يقولُ النّاس: الرَّجبيّةُ»[4].

وعلى الرَّجل ألاّ يأخذَ من شعرهِ في العَشْرِ وهو يريد أن يُضحّي.

عن أمّ سلمة قالتْ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ذِبح يَذْبَحُهُ، فَإِذَا أَهَلَّ هِلاَلُ ذي الحِجَّةِ فَلاَ يَأَخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ، وَلاَ مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئاً حَتَّى يُضَحِّي» (حسن صحيح)[5].

وعن عائشة: أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بكبش أقرن يطأ في سَوادٍ وينظرُ في سَوادٍ، ويبركُ في سواد، فأُتي به فضحّىٰ به، فقالَ:

«يا عائشةُ هَلُمِّي المُدْيَةَ»، ثم قال: «اشْحَذِيهَا بحَجَرٍ» ففعلتْ، فأخَذَهَا وأخذَ الكبشَ فأضجعه وذبحَهُ وقالَ: «بسم اللَّهِ، اللَّهمَّ تقبَّلْ من مُحَمَّدٍ، وآلِ مُحَمَّدٍ، ومن أمَّةِ محمَّدٍ»، ثمّ ضحّىٰ به صلّى اللَّه عليه وسلّم[6].

عن زيد بن خالد الجُهَني، قال: قَسَمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ في أصحابِهِ

---

(١) أي في صفحة العُنق، وهي جانبه، وإنَّما فعل ذلك ليكون أثبتُ له وأمكنَ لئلا تضطربَ الذبيحة برأسها فتمنعه من إكمالِ الذبح أو تُؤذيه.

(٢) صحيح البخاري ج ١٠/٧ و ٨ الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٩٦٦.

(٣) العَتيرة ـ بفتح أوله ـ ذبيحة كانوا يذبحونها في العشر الأوائل من رجب، وكانوا يسمّونها الرجبية. وفي نسخة: «إن على أهلِ كل بيتٍ» الخ، انظر صحيح الترمذي ١٢٢٥، صحيح ابن ماجه ٢٥٣٥.

(٤) صحيح سنن الترمذي برقم ١١٢٥.

(٥) صحيح مسلم برقم ١٩٧٧ ـ ٤٢، وصحيح أبي داود برقم ٢٤٢٢.

(٦) صحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٢٣، وفي السنن ٢٧٩٢.

ضَحَايَا، فَأعطاني عَتُوداً[1] جذعاً، قال: فرجعتُ به إليه، فقلتُ: إنّه جذع؟ قال: «ضَحِّ به» فضحيتُ به.

وعن البَرَاءِ، قال: خطبنا رسولُ اللّهِ ﷺ يومَ النّحر بعد الصّلاةِ فقال: «مَنْ صَلَّىٰ صَلاتَنَا، ونَسَكَ نُسُكَنَا، فقدْ أَصَابَ النُّسُكَ، ومن نَسَكَ قَبْلَ الصَّلاةِ فتلكَ شاةُ لَحْمٍ»، فقام أبو بردة بن نِيَارٍ فقالَ: يا رسولَ اللّهِ! واللّهِ لقد نسكتُ قبلَ أن أخرجَ إلى الصّلاةِ، وعرفت أنّ اليومَ يومُ أكلٍ وشُرْبٍ فتعَجَّلْتُ فأكلتُ وأطعمتُ أهلي وجيراني. فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «تِلْكَ شاةُ لَحْمٍ»، فقالَ: إنّ عندي عناقاً جَذَعَةً وهي خير من شاتَيْ لَحْمٍ فهل تُجزىء عنّي؟ قال: «نَعَمْ ولن تجزىء عن أحدٍ بَعْدَكَ». «الصحيحان»[2].

وعن البَراء بن عازب، قال: ضَحَّىٰ خالٌ لي يقال له: أبو بردة، قبلَ الصّلاة، فقالَ له رسولُ اللّهِ ﷺ: «شاتُكَ شاةُ لَحْمٍ»، فقالَ: يا رسول اللّه، إنَّ عندي دَاجناً جَذعة مِنَ المعز، فقال: «اذْبَحْهَا ولا تَصْلُحُ لغيركَ» «الصحيحان»[3].

وعن عُبيدةَ بن فيروزٍ، قال: سألتُ البَراء بْنَ عازِبٍ: ما لا يجوز في الأضاحي؟ فقالَ: قامَ فينا رسولُ اللّهِ ﷺ، وأصابعي أقصر من أصابعه، وأناملي أقصر من أنامله، فقال: «أَرْبَعٌ لا تجوزُ في الأضَاحِي، العَوْرَاءُ بَيِّنٌ عَوَرُها، والمَرِيضَةُ بيِّنٌ مَرَضُهَا، والعَرْجَاءُ بَيِّنٌ ظَلْعُهَا، والكَسِيرُ الّتي لا تَنْقَىٰ»، قال: قلتُ: فإنّي أكره أن يكون في السِّن نَقْصٌ، قال: ما كرهتَ فَدَعْهُ، ولا تُحَرِّمْهُ على أحدٍ. «صحيح»[4].

---

(١) «عتوداً جذعاً» العتود ؛ بفتح أوله ـ الصغير من أولاد المعز إذا قوي وأتى عليه حولٌ.

(٢) صحيح البخاري برقم ٩١٢ و٥٢٤٣ من طبعة البغا، وصحيح مسلم برقم ١٩٦٠/٧، وصحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٢٩.

(٣) الصحيحان: المصدر السابق، وصحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٣٠.

(٤) صحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٣٨، وفي السنن ٢٨١٢، وهو في الصحيحين مختصراً.

وعن نُبيشةَ، قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّا كُنَّا نَهَيْنَاكُمْ عَنْ لُحُومِهَا أَنْ تَأْكُلُوهَا فَوْقَ ثلاث لِكَيْ تَسعَكُمْ، فقد جاءَ اللَّهُ بالسَّعَةِ، فكُلُوا وادَّخِرُوا واْتَجِرُوا[1]، أَلاَ وَإِنَّ هٰذِهِ الأَيّامَ أيّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ»[2].

وعن عائشةَ تقول: دَفَّ ناسٌ من أهل البَاديةِ حضرة الأضاحي، في زمانِ رسولِ اللَّه ﷺ، فقالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «ادَّخِرُوا الثُّلُثَ وتَصدَّقُوا بِمَا بَقِيَ». قالتْ: فلمّا كان بعد ذلك قيل لرسولِ اللَّه ﷺ: «يا رسولَ اللَّه لقدْ كان النّاسُ ينتفِعُون من ضحاياهم ويَجْمُلُونَ منها الوَدْكَ، ويتّخذونَ منها الأسقيةَ، فقالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «وما ذاكَ؟» أو كما قال، قالُوا: يا رسولَ اللَّه ﷺ نَهَيْتُ عن إمساكِ لحوم الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلاث، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنّما نهيتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَّةِ التي دَفَّتْ عليكُمْ فَكُلُوا وتَصَدَّقُوا وادَّخِرُوا».

قوله: «دفَّ ناسٌ» أي جاؤُوا، والمرادُ هنا مَنْ وَرَدَ مِنْ ضُعفَاءِ الأعراب للمواساةِ. و«حضرة الأضحىٰ» مثلث الحاء: الحضورُ والمُشَارِكة.

وعن شَدَّاد بن أوس، قال: خصلتان سمعتُهما من رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإحسانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فإذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا»، وعند غير مسلم يقولُ: «فأحْسِنُوا القِتْلَةَ»، «وإذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شفرتَهُ ولْيُرِحْ ذبيحتَهُ»، صحيح مسلم[3].

وعن ابن عباس قالَ: كنّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ في سَفَرٍ، فحَضَرَ الأَضْحَى، فاشْتَرَكْنا في البقرةِ سبعةٌ، وفي البعيرِ عشرةٌ»[4].

---

(١) واتَّجِرُوا ـ بهمزة قطع ـ من الأجر وهو الثواب.
(٢) صحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٣٩، وفي السنن ٢٨١٣.
(٣) صحيح مسلم برقم ١٩٥٥، وصحيح أبي داود ٢٤٤١.
(٤) صحيح سنن الترمذي برقم ٩٠٧ و ١٢١٤، وفي السنن ١٥٥٣.

وعن البراء بن عازب رفعه قال: «لا يُضحى بالعَرْجاء بيّنٌ ظلعُها، ولا بالعَوْراء بيّنٌ عَورُها، ولا بالمريضة بيّنٌ مَرَضُهَا، ولا بالعجفاء التي لا تُفْتَى»[١].

والعَقِيقَةُ: نُسُكُ المولود، قد صحَّ عن رسولِ اللّه ﷺ الأمرُ بها والترغيب فيها.

فعَنْ أُمِّ كرز الكعبيّة قالتْ: سمعت رسولَ اللّه ﷺ يقولُ: «عنِ الغُلام شَاتَانِ مُكافِئَتَانِ، وعن الجاريةِ شَاةٌ»[٢]، والمكافِئَتَانِ: المتقاربتَان بالسِّنِّ، المقبولتان في الزّكاة والأضحية.

وعن سَمُرَة عن رسولِ اللّه ﷺ قالَ: «كُلُّ غُلامٍ رَهِينَةٌ بعقيقتِهِ، تُذْبَحُ عنهُ يومَ السَّابعِ، ويُحْلَقُ رَأسُهُ ويُسَمَّىٰ»[٣].

وعن سلمانَ بن عامر الضُّبِّي قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «مَعَ الغُلامِ عَقيقتُهُ، فأَهْرِيقُوا عَنه دَماً، وأميطُوا عنهُ الأَذَىٰ»[٤].

وعن عَمْرِو بن شُعيب عن أبيه عن جدِّه قال: سُئِلَ رسولُ اللّه ﷺ عن العقيقةِ فقال: «لا يحبُّ اللّهُ العقوقَ»، كأنّه كرِهَ الاسْمَ، وقالَ: مَنْ وُلِدَ له ولدٌ، فأحبَّ أن يَنْسُكَ عنه فَلْيَنْسُكْ عنِ الغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ، وعن الجاريةِ شاةٌ»[٥].

وقال الحافظ في فتح الباري[٦]: قال أبو عبيدة والأصمعي: أصلُهَا الشَّعْرُ الذي يخرجُ على رأسِ المولود، وسُمِّيت الشّاةُ الّتي تُذْبَحُ عنه في

---

(١) صحيح سنن الترمذي برقم ١٢١١، د وصحيح ابن ماجه ٣١٤٤.

(٢) صحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٥٨.

(٣) صحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٦٢ و ٢٤٦٣.

(٤) صحيح البخاري برقم ٥٤٧٢ الفتح، وصحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٦٤.

(٥) صحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٦٧.

(٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٩/٥٨٦ ـ ٥٨٧.

تلك الحالة «عقيقة» لأنَّه يُحلَقُ عنه ذلك الشّعر عند الذَّبح. وقال ابن فارس: الشّاةُ التي تُذْبَحُ، والشعر كل منهما يُسَمَّىٰ عقيقة، يُقال: عقَّ يعِقُّ إذا حلق عن ابنه عقيقتَهُ، وذبَحَ للمساكين شاةً.

التَّاسع والأربعون من شُعب الإيمان

طاعة أولي الأمر(١)

قال اللّه تعالىٰ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩].

قِيلَ هُمْ أمراءُ السَّرايا. وقيلَ: هُمْ العُلماء، ويُحتمل أنْ يكونَ عاماً لهما، فإنْ كان خاصّاً، فبأميرِ السَّرايا أشبه.

وفي حديث أبي هريرة في «الصحيحين» قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَىٰ اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»(٢).

وفي حديث أبي ذرٍّ «فيهما»: قال رسول اللّه ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ عَبْداً حَبَشِيًّا، مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ(٣)»(٤).

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/ ٣ ـ ٥٨.

(٢) رواه البخاري ١٣/ ٩٩ في الأحكام: باب قوله تعالىٰ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ و ٦/ ٨٢ في الجهاد: باب يقاتل من وراء الإمام ويتقي به، ومسلم رقم ١٨٣٥ في الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، والنسائي ٧/ ١٥٤ في البيعة: باب الترغيب في طاعة الإمام، وأحمد في «المسند» ٢/ ٢٤٤ و ٢٢ و ٢٧٠ و ٣٤٢ و ٤١٦ و ٤٦٧ و ٤٧١ و ٥١١، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) مجدع الأطراف: مقطوعها، والمقصود أخسّ العبيد، والمعنى اسْمَعْ واطع للأمير، وإن كان دنيء النَّسَب حتى لو كان عبداً أسودَ مقطوعَ الأطرافِ يأمر بالطاعة، فطاعتهُ واجبةٌ، وإمارةُ العبد تُتصوّر إذا ولاَّه بعض الأئمة، أو إذا تغلّب على البلاد بشوكته وأتباعه، فطاعته وبقاؤه أميراً مع جمع الكلمة واتحاد القلوب خير من التّفرّق والاختلاف عليه وتشتيت أمرهم.

(٤) صحيح البخاري ج ٢/ ١٦٠ الفتح، وصحيح مسلم برقم ٦٤٨ و ١٨٣٧، وأحمد =

وعن ابنِ عمر رضي اللّه عنهما قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «السَّمْعُ والطَّاعَةُ على المَرْءِ المسلم فيمَا أحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ»[1].

وعن عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «لا طاعَةَ في معصيةٍ، إنَّما الطَّاعَةُ في المعروفِ»[2].

قالَ ابْنُ عمرَ رضي اللّه عنهما: «كُنَّا إذا بَايَعْنَا رسولَ اللّهِ ﷺ على السَّمْعِ والطَّاعةِ، يَقُولُ لنَا: «فيما اسْتَطَعْتُمْ»[3].

وعن عُبادَةَ بنِ الصَّامتِ رضي اللّهُ عنه قالَ: «بايَعْنَا رسولَ اللّه ﷺ على السَّمْعِ والطَّاعَةِ، في العُسْرِ واليُسْرِ، والمَنْشَطِ والمَكْرَهِ، وعلىٰ أثَرَةٍ علينَا، وعلىٰ أنْ لا نُنَازِعَ الأمْرَ أَهْلَهُ، وعلىٰ أنْ نقولَ بالحَقِّ أينَمَا كُنَّا، لا نَخَافُ في اللّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ»[4].

وفي رواية: «على أنْ لا نُنَازِعَ الأمْرَ أَهْلَهُ، إلاَّ أنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ اللّهِ فيه بُرْهَانٌ»[5].

= في مسنده ج ٥/ ١٦١ و ١٧١، وابن ماجه برقم ٢٨٦٢.

(١) صحيح البخاري برقم ٧١٤٤ الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٨٣٩.

(٢) صحيح البخاري ج ١٣/ ٢٣٣ رقم ٧٢٥٧ الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٨٤٠.

(٣) صحيح البخاري ج ١٣/ ١٩٣ رقم ٧٢٠٢، وصحيح مسلم برقم ١٨٦٧.

(٤) صحيح البخاري ج ١٣/ ١٩٢ رقم ٧١٩٩، وصحيح مسلم برقم ١٧٠٩.

(٥) صحيح البخاري ج ١٣/ ٥ رقم ٧٠٥٥ و ٧٠٥٦، وصحيح مسلم برقم ١٧٠٩.

الخمسون من شعب الإيمان

التمسّك بما عليه الجماعة[1]

قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وفي حديث أبي هريرة في «صحيح مسلم» قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ خَرجَ مِنَ الطَّاعَةِ وفارَقَ الجماعَةَ، ثمَّ ماتَ، مَاتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً»[2].

وفي حديث عَرْفَجَة بن شُرَيح الأشجعي[3] رضي اللّه عنه في «صحيح مسلم» أيضاً: قال رسول اللّه ﷺ: «ستَكُونُ هَنَاتٌ وهَنَاتٌ[4]، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ يُفرِّقَ أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَٱقْتُلُوهُ كَائِناً مَنْ كانَ مِنَ النَّاسِ»[5].

وقال أبو هريرة رضي اللّه عنه أنَّ رسولَ اللّه ﷺ قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وفارَقَ الجماعَةَ فماتَ، ماتَ مِيتَةً جاهلية، ومَنْ قاتَلَ تَحْتَ رايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لعصبيَّةٍ، أو يَدْعُو لعصبيَّةٍ، أو ينصُرُ عصبيَّةً، فقُتِلَ فَقِتْلَتُهُ

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/ ٥٩ ـ ٧٠.
(٢) صحيح مسلم برقم ١٨٤٨، وأحمد في مسنده ج ٢/ ٢٩٦ و ٣٠٦ و ٤٨٨.
(٣) عرفجة بن شريح الأشجعي: ذكره الحافظ بن حجر في الإصابة برقم ٥٤٩٩ ج ٦/ ٤١١ وذكرَ له حديثَهُ الذي يقولُ فيه: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: «مَنْ خَرجَ من أُمَّتي وهو جَمْعٌ على رجل يُريدُ أنْ يشقَّ عَصَاهُم ويُفرِّقَ جماعتهم» وحديثُه عند مسلم وأبي داود والنَّسائي.
(٤) الهَنَاتُ: جمع هنَّة، وهي كناية عن اسم جنسٍ، والمراد بها الأمور الحادثة من الفتن والشّرور والفساد.
(٥) صحيح مسلم برقم ١٨٥٢، وأبو داود برقم ٤٧٦٢، وأحمد في مسنده ج ٤/ ٣٤١.

جاهليّةٌ، ومَنْ خرَجَ على أُمّتي بسيفِهِ يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، ولاَ يَتَحَاشَىٰ مِنْ مُؤْمِنِهَا، ولا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فليسَ منّي ولَسْتُ منهُ»[1].

والجماعة لا تنعقد إلاّ بالتمسّك بالسُّنّة، عقيدةً ومَنْهَجاً وسُلُوكاً.

وهنا لا بُدَّ من تعريفِ أهلِ السّنّة، وأهلِ الجماعةِ.

أولاً تعريفُ أهل السّنّة:

بعدَ افتراقِ الفِرَقِ ونُشُوءِ البِدَعِ، وتَشَعُّبِ الأهواء، صارَ لفظُ السّنّة حين يُقال: فُلانٌ من أهل السّنّة، أو فلانٌ متبعٌ للسّنّة ـ يُطلق على ما يقابل البدعة، فيُقال: فلان على سُنّةٍ؛ إذا عمل على وفْقِ ما عمل عليه النّبيّ ﷺ[2]. وعلى كلِّ ما دلَّ عليه دليلٌ شرعي، سواء كان ذلك في الكِتَابِ العزيز أو عن النّبيّ ﷺ، أو اجتهدَ فيه الصّحابة رضي اللّهُ عنهم، كجمع المصحف، وحمل النّاس على القراءة بحرفٍ واحدٍ، وتدوين الدّواوين[3]. ثم صارَ في عُرْفِ كثير من العلماء المتأخّرين من أهل الحديث وغيرهم: السُّنّةُ عبارة عمّا سَلِمَ من الشُّبهات في الاعتقادات، خاصّةً في مسائل الإيمان باللّه، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر، وفضائل الصحابة، وصنَّفُوا في هذا العلم تصانيف وسموها «كتب السُّنّة»، وإنّما خصُّوا هذا العلم باسم السّنّة لأنّ خطَرَهُ عظيمٌ، والمخالف فيه على شَفَا هَلَكَةٍ.

إنّ مُصْطَلَحَ السُّنّة، وإنِ اشتهر عند المتأخّرين باختصاصه بجانب العقائد، لعظم شأنها وخطورة المخالفة فيها، فإن اللفظ إذا أُطلق دَلَّ على طريقة النّبيِّ ﷺ وأصحابه رضي اللّه عنهم، علماً وعملاً وخُلُقاً وسُلوكاً وأدباً، إلى كل ما يَشْمَلُ نواحي الحياة المختلفة. يقول ابنُ رجب: وعن

---

(١) صحيح مسلم برقم ١٨٤٨.

(٢) الموافقات للإمام الشاطبي ج ٤/ ٤.

(٣) السنة للدكتور مصطفى السباعي ص ٤٨.

سفيان الثوري قال: «استوصوا بأهل السّنّة خيراً، فإنّهم غُرَباء». ومُراد هؤلاء الأئمة بالسّنّة: طريقة النبيّ ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه، السّالمة من الشُّبُهاتِ والشّهوات. ولهذا كان الفُضَيل بنُ عياض يقولُ: «أهل السّنّة: مَنْ عرفَ ما يدخلُ في بطنِهِ مِنْ حَلالٍ». وذلك لأنّ أكلَ الحَلَالِ من أعظم خصال السّنّة التي كان عليها النبيّ ﷺ وأصحابه رضي اللّه عنهم».

ثانياً: تعريف الجماعة

الاشتقاق اللغوي للجماعة واضح، فهو مشتقٌّ من الاجتماع، وضدّ الاجتماع الفُرْقة. يقول ابنُ تيميةَ: «الجماعة هي الاجتماع، وضدُّها الفُرْقةُ، وإن كان لفظ الجماعة قد صار إسماً لنفسِ القوم المجتمعين»[(١)].

ولكن إذا ذُكِرَ لفظُ الجماعة مع السُّنّة فقيلَ: أهل السّنّة والجماعة، كان المراد بها سَلَفُ هذه الأُمّة من الصّحابة والتابعين الذين اجتمعُوا على الحقِّ الصّريح من كتابِ اللّهِ وسُنّةِ رسوله صلّى اللّه عليه وسلّم»[(٢)].

فما كان عليه الرسولُ ﷺ وأصحابُه رضي اللّه عنهم فهو الحقُّ الذي يجب الاقتداءُ بهم فيه واتّباعه، وكلُّ مَنْ جاءَ بعدَهُم سالكاً سَبِيلَهم مُقْتَفِياً آثارَهُم فهم «الجماعة» سواء كان فرداً أم جمعاً.

يقول أبو شامة: «حيثُ جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزومُ الحقِّ واتّباعُهُ، وإن كان المتمسِّكُ بالحقِّ قليلاً والمُخَالفُ كثيراً، لأنّ الحقَّ الذي كانت عليه الجماعةُ الأُولى مِنَ النبيّ ﷺ وأصحابه رضي اللّه عنهم، ولا نظر إلى كثرةِ أهل الباطل بَعْدَهُم»[(٣)].

ولمّا سُئِلَ عبدُ اللّه بن المبارك عن «الجماعة» قال: «أبو بكر وعمر»،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميمة ج٣/ ١٥٧.
(٢) شرح الواسطية للدكتور خليل هرار ص ١٦.
(٣) الباعث لأبي شامة ص ٢٢.

فقيلَ لهُ: قد ماتَ أبو بكر وعمر. قال: «ففُلان وفُلان»، فقيل له: قد مات فلان وفلان، قال ابن المبارك: «أبو حمزة السّكري جماعةٌ»[1].

فابن المبارك أراد أن يُفسّرَ الجماعَةَ بمَنِ اجتمعت فيه صفات الاتباع الكامل للكتاب والسُنّة، ولذلك ضُرِبَ امثل بمن يُقْتَدَى بهم من هؤلاء، فلم يذكر في زمنه إلاّ أبا حمزة السُكري الذي كان من أهل العلم والفضل والزُّهد.

وأمّا الأحاديث التي أوجبت الالتزامَ بالجماعةِ وعدمَ الخروج عليها، فقد اختلفَ العلماءِ في المقصود بالجماعة الواردة في الأحاديث خلافَ تنوّعٍ لا تَضادَّ ولا تعارضَ فيه فيما نرى.

١ ـ فذهبَ البعضُ إلى أنّ الجماعةَ هنا هُمُ الصّحابة دونَ مَنْ بعدَهُم، «فإنّهم الذين أقامُوا عِمَادَ الدِّين وأَرسَوْا أَوْتَادَه، وهُمُ الّذين لا يجتمعُون على ضلالةٍ أبداً»[2]، وهذا القولُ مرويٌّ عن عمرَ بنِ عبد العزيز رضي اللّه عنه.

فعلى هذا القولِ فلفظُ الجماعةِ مُطَابِقٌ للرواية الأخرى في قوله عليه الصّلاة والسّلام: «مَا أنا عليه اليوم وأَصْحَابِي». فكأنّه راجع إلى ما قالُوهُ وما سَنُّوهُ وما اجتهدُوا فيه، فهو حُجَّةٌ على الإطلاق بشهادة رَسُولِ اللّه ﷺ لهم بذلكَ خُصُوصاً في قوله: «فعليكُم بسُنَّتي وسنةِ الخُلَفَاءِ الرّاشدين... الحديث»، وأشباهه.

٢ ـ وقيل: هُمْ أهلُ العلمِ والفقهِ والحديثِ مِنَ الأئمة المجتهدين؛ «لأنّ اللّه جعلهم حُجّةً على الخلقِ، والنّاسُ تَبَعٌ لهم في أمر الدِّين»[3]. وهذا قول البخاري فإنّه قال: «باب ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾: وما أمر

(١) شرح السنة للإمام البغوي ج ١/٢٠٥، ط المكتب الإسلامي دمشق.

(٢) الاعتصام للإمام الشاطبي ج ٢/٢٦٢.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر ج ١٣/٢٧.

النَّبيُّ ﷺ بلُزومِ الجماعةِ، وهُمْ: «أهلُ العلم»[1]. وقال الترمذي: (وتفسيرُ الجماعةِ عندَ أهلِ العلمِ: هُمْ أهلُ الفقهِ والعلمِ والحديثِ، ثم ساقَ روايتَهُ عن ابن المبارك حينَ قال: أبو بكر وعمر ـ لمّا سُئِلَ عن الجماعة)[2]. وقال ابنُ سِنانَ: «هُمْ أهلُ العلمِ وأصحابُ الآثار»[3].

وعلى هذا فالجماعةُ هُمُ أهل السّنّة العالمون العارفون المجتهدون، فيخرجُ من هؤلاء المبتدعةُ كما يخرجُ منهم العامّة المقلّدُون، فإنّهم لا يُقتدىٰ بهم، وإنّما الغالب فيهم أنّهم يكونون تبعاً للعلماء.

٣ ـ وقيل الجماعةُ هُمْ جماعةُ أهلِ الإسلام إذا أجمعُوا على أمرٍ من أمور الشّرع. «أي أهل الإجماع إذا أجمعوا على مسألةٍ أو حكمٍ سواء كان في الشّرع أو الاعتقاد. وهذا القولُ مأخوذٌ من الحديثِ «لا تجتمع أُمّتي على ضَلاَلةٍ»[4].

يقول ابن حجر تعليقاً على قول البخار ـ وهُمْ أهلُ العلم: «والمرادُ بالجماعة: أهلُ الحَلِّ والعَقْدِ في كلّ عصرٍ». وقال الكرماني: مقتضىٰ الأمرِ بلزومِ الجماعةِ أنّه يُلزمُ المكلفَ مُتابعةَ ما أجمعَ عليه المجتهدون، وهو المراد بقوله ـ وهُمْ أهلُ العلم ـ والآية التي ترجمَ لها «أيْ البخاري» احتجَّ بها أهلُ الأصولِ لكونِ الإجماع حُجَّةً لأنّهم عُدِّلُوا بقوله تعالىٰ: ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي عُدُولاً. ومقتضىٰ ذلك أنّهم عُصِمُوا من الخطأ فيما أجمعوا عليه قولاً وفعلاً»[5]. وهذا القولُ راجعٌ إلى القولِ الثّاني.

٤ ـ وقيل: هُمُ السّوادُ الأعظم. وعليه تُحمل روايةُ «وهم السّوادُ الأعظم»، قال في النّهاية: «وفيه: عليكم بالسّواد الأعظم: أي جملةُ النّاس

---

(١) فتح البـاري ج ١٣/٣١٦.
(٢) سنن الترمذي ج ٤/٤٦٥.
(٣) شرف أصحاب الحديث ص ٢٦ ـ ٢٧.
(٤) الاعتصام للإمام الشاطبي ج ٢/٢٦٣.
(٥) فتح الباري ج ١٣/٣١٦.

ومعظمهم الذين يجتمعون على طاعةِ السّلطان، سلوك النّهج القويم»[1].

وهذا القول مروي عن أبي غالب الذي قال: «إنّ السَّوادَ الأعظم هم النّاجون من الفِرَق، فما كانوا عليه من أمرِ دينهم فهو الحقُّ، ومَنْ خالفهم مات ميتةً جاهليّة، سواء خالفهم في شيءٍ من الشريعة أو في إمامهم وسُلْطانِهم فهو مخالفٌ للحقِّ»[2]. وممَّنْ قال بهذا أبو مسعودٍ الأنصاري.

يقول الشاطبي مُعَقِّباً: «فعلى هذا القولِ يدخلُ في الجماعةِ مجتهدُو الأُمّة وعلماؤُها وأهلُ الشريعةِ العامِلون بها. ومَنْ سِوَاهم دَاخِلُونَ في حُكمهم لأنّهم تابعون لهم ومقتدُون بهم، فكلُّ مَنْ خرج عن جماعتِهِم فهُمُ الذين شذُّوا وهُمْ نهبةُ الشّيطان.

ويدخلُ في هؤلاء جميعُ أهلِ البِدَعِ لأنّهم مُخَالِفُون لِمَنْ تقدّم مِنَ الأُمّة، ولم يدخلُوا في سَوَادِهم بحالٍ»[3].

٥ ـ وقيلَ: الجماعةُ هي جماعةُ المسلمين إذا اجتمعُوا على أمير، وهذا رأي الطبري الذي ذكر الأقوال السّابقة، ثمّ قالَ: «والصَّوابُ أنّ المرادَ منَ الخَبرِ لزومُ الجماعةِ الّذينَ في طاعةٍ مَنِ اجتمعوا على تأميره، فَمَنْ نكثَ بَيْعَتَهُ خرجَ عن الجماعةِ»[4].

«فأمرَ عليهِ الصَّلاةُ والسّلام بلزومه ونَهى عن فراق الأمة فيما اجتمعُوا عليه من تقديمه عليهم»[5]، وقال: «أمّا الجماعة الّتي إذا اجتمعتْ على الرّضا بتقديم أميرٍ، كانَ المُفَارِقُ لها مَيّتاً مَيْتَةً جاهليّةً، فهي الجماعةُ الّتي وصفها أبو مسعودٍ الأنصاري، وهم معظمُ النّاس وكافّتهم من أهل العلم

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ٢/ ٤١٩.
(٢) الاعتصام للإمام الشاطبي ج ٢/ ٢٦٠.
(٣) الاعتصام للإمام الشاطبي ج ٢/ ٢٦١.
(٤) فتح الباري ج ١٣/ ٣٧.
(٥) الاعتصام ج ٢/ ٢٦٤.

والدِّين وغيرهم وهم السّوادُ الأعظم»[1].

وحاصل هذا القول: «أنّ الجماعةَ راجعةٌ إلى الاجتماع على الإمام الموافقِ للكتاب والسُّنّة، وذلك ظاهرٌ في أنّ الاجتماع على غير سُنّةٍ خارجٌ عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديثِ المذكورة»[2].

هذه أهمُّ الأقوالِ في معنى الجماعةِ التي وَرَدَ الأمرُ بلزومِها، وحاصلها أنّ الجماعة ترجع إلى أمرين:

(أ): أنها الجماعةُ إذا اجتمعُوا على إمام على مقتضىٰ الشّرع، فيجبُ لزومُ هذه الجماعة ويحرمُ الخروجُ عليها.

(ب): أنّها ما عليه أهلُ السُّنّة من الاتّباعِ وترك الابتداع، أو هي المذهب الحقّ. وهذا معنى تفسير الجماعةِ بالصّحابة، أو أهلِ العلم، أو أهلِ الإجماع، أو السّوادِ الأعظم، فهي كلُّها ترجعُ إلى معنى واحدٍ وهو: مَنْ كان على مِثْلِ ما عليهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وأصحابُهُ، سواء كان قليلاً أو كثيراً، فحسب أحوال الأُمّة واختلاف أمكنتِها وأزمانِها. ولهذا قال عبد اللّه بن مسعود: «الجماعَةُ مَا وَافَقَ الحَقَّ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ»[3].

وفي لفظٍ: «إنّما الجماعةُ ما وَافَقَ طاعةَ اللّهِ وإنْ كُنْتَ وَحْدَكَ»[4].

وفي صحيح الترمذي من حديث الحارث الأشعري الطويل: أنَّ رسولَ اللّه ﷺ قال: «إنَّ اللّهَ أمرَ يحيىٰ بْنَ زكريا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بها، ويأمرَ بني إسرائيلَ أنْ يعملُوا بها. . .»، قالَ النّبيُّ ﷺ: «وأنا آمركُمْ بخمسٍ، اللّهُ أمرني بهنَّ: السّمْع، والطاعةِ، والجهادِ، والهجرة، والجماعة؛ فإنَّهُ مَنْ فارَقَ الجماعةَ قَيْدَ شِبرٍ فقد خَلَعَ رِبقَةَ الإسْلامِ من

(١) الاعتصام ج ٢/ ٢٦٤.
(٢) الاعتصام ج ٢/ ٢٦٥.
(٣) الحوادث والبدع لأبي شامة ص ٢٢.
(٤) اللالكائي في شرح السنة ج ١/١٠٨ ـ ١٠٩.

عُنُقِهِ، إلاّ أن يُرَاجِعَ. ومَنْ ادَّعَىٰ دَعْوَى الجاهليةِ، فإنّه مِنْ جُثَىٰ جهنَّمَ».

فقال رجلٌ: يا رَسُولَ اللّهِ! وإنْ صَلَّىٰ وَصَامَ؟ قال: «وإنْ صَلَّى وَصَامَ، فادْعُوا بدَعْوَى اللّهِ الذي سَمّاكُمْ المسلمين المؤمنين عِبَادَ اللّهِ»(١).

ولقدْ تكلّم شيخُ الإسلام ابْنُ تيمية رحمه اللّه تعالىٰ عن منهج أهل السُنّة والجماعة في فتاواه، وسنذكر منها أخصَّها في موضوع بحثنا هذا(٢).

أصول منهج أهل السنة والجماعة:

لمّا كانَ الأصل الأول الذي يتميّز به أهلُ السُنّة والجماعة عن غيرهم هو الالتزام «بسُنَّة» رسول اللّه ﷺ، والإلتزام «بجماعة» صحابته رضي اللّه عنهم، فإنَّ ذلك قد شكَّلَ لهم ملامحَ عامّة يمكنُ من خلالها التّعرف عليهم والإشارة إليهم وسطَ هذا الخِضَمّ من الفِرَقِ، والتّيارات والأهواء المختلفة.

١ ـ أهلُ السنة يَجْمَعُون الدِّين علماً وعملاً وسلوكاً ظاهراً وباطناً:

فأهل السّنّة يَجْمَعُون الدِّين كلّه علماً وعملاً وظاهراً وباطناً ويتمسّكون بالإسلام الخالص الذي بُعِثَ به محمّدٌ ﷺ وحَفِظَهُ عنه صحابتُهُ رضي اللّه عنهم.

قال شيخ الإسلام: «اعتقاد الفِرْقَة النّاجيةُ هي الفِرْقَةُ التي وصفها النّبيُّ ﷺ بالنّجاة، حيثُ قال: «تَفْتَرِقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فِرْقة، إثنتان وسبعون في النّار، وواحدة في الجنّة، وهي ما كان على مثل ما أنا عليهِ اليومَ وأصْحَابي».

فهذا الاعتقادُ هو المأثورُ عن النّبيّ ﷺ وأصحابه رضي اللّه عنهم، وهم ومَنِ اتبعهم الفِرْقَةُ النّاجيةُ» [ج ٣ ص ١٨٩].

---

(١) صحيح سنن الترمذي برقم ٢٢٩٨.

(٢) النقول في هذا من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، وسنذكر عقب كل نقل رقم الجزء ورقم الصفحة فيها.

ـ وطريقتُهُم هي دِينُ الإسلام الذي بعث اللّه به محمّداً ﷺ، لكن لمّا أخبر النّبيُّ ﷺ «أنّ أُمّته ستَفْتَرِقُ على ثلاثٍ وسبعين فِرْقَة كلِّها في النّار إلاّ واحدة» وهي الجماعة. وفي حديثٍ عنه ﷺ أنّه قال: «هُمْ مَنْ كانَ على مثلِ ما أنَا عليهِ وأصْحَابي» صارَ المتمسّكون بالإسْلام المحضِ الخَالِصِ مِنَ الشَّوْبِ؛ هُمْ أهلُ السّنّة والجماعة»[ج ٣ ص ١٥٩].

٢ ـ أهل السُّنّة هم أهل الجماعة:

وأهلُ السُّنّة لمّا كانُوا يجمعون الدِّين كلّه ويقُومونَ به كلِّهِ، فإنّهم «أجمعوا» على ذلك، لأنّ الجماعةَ، سببٌ ونتيجةٌ، طاعةٌ ورحمةٌ، فَمِنْ طاعةِ اللّه المحافظةُ على الجماعةِ، ومن رحمةِ اللّه بأهل طاعته المحافظةُ على جماعتهِم.

ـ «إنّ سبَبَ الاجتماع والأُلْفَةِ جمعُ الدِّين، والعملِ به كلِّهِ، وهو عبادةُ اللّه وحده لا شريكَ له، كمَا أمرَ بِهِ باطناً وظاهراً».

وسبَبُ الفُرْقَةِ: تَرْكُ حظِ ما أُمِرَ العبدُ به، والبغي بَيْنَهُمْ.

ونتيجةُ الجماعةِ: رحمةُ اللّهِ ورضوانُهُ وصَلَواتُهُ، وسعادةُ الدنيا والآخرة وبياض الوُجُوهِ.

ونتيجةُ الفُرْقَةِ: عَذَابُ اللّهِ ولعنتُهُ، وسوادُ الوُجُوهِ، وبراءةُ الرَّسُولِ منهم، وهذا أحدُ الأدلّة على أنّ الإجماعَ حُجّةٌ قاطعةٌ، فإنّهم إذا اجتمعوا كانُوا مُطيعين للّهِ بذلك مَرْحُومين، فلا تكونُ طاعةُ اللّه ورحمتُهُ بفعل لم يأمر اللّه به، من اعتقاد أو قول أو عمل، فلو كان القول أو العمل الذي اجتمعُوا عليه لم يأمرِ اللّهُ به، لم يكنْ ذلكَ طاعةً للّهِ، ولا سبباً لرحمتهِ» [ج ١ ص ١٧].

ـ «فمتَى تركَ النَّاسُ بعضَ ما أَمَرَهُمُ اللّهُ به وقعتْ بينهم العَدَاوَةُ والبَغْضَاءِ، وإذا تَفَرّقَ القومُ فَسَدُوا وهَلَكُوا، وإذا اجتمعُوا صلحُوا وملكُوا،

فإنّ الجماعةَ رحمةٌ والفُرْقَةَ عَذَابٌ» [٣/ ٤٢١].

٣ ـ أهل السُّنّة هُمْ أهلُ التّوسط والاعْتِدَال:

وأهلُ السُّنّة والجماعةِ هُمْ أهلُ التّوسطِ والاعتدالِ بينَ الإفراط والتّفريط وبينَ الغلو والجفاء، فهم وَسَطٌ في فِرَقِ الأُمّة، كما أنّ الأُمّةَ وَسَطٌ في المِلَلِ.

ـ «وهذا الصّراط المستقيم» هو دينُ الإسلام المَحْضِ، وهو ما في كتابِ اللّهِ تعالىٰ وهو «السُّنّة والجماعة»، فإنّ السّنّة المحضةَ هي دينُ الإسلامِ المحض، فإنّ النّبيّ ﷺ رُوي عنه من وجوهٍ متعدّدةٍ رَوَاهَا أَهْلُ السُّنن والمسانيد كالإمام أحمد وأبي داود والتّرمذي وغيرهم أنه قال: «سَتَفْتَرِقُ هٰذِه الأُمّةُ على ثِنتَيْنِ وسبعينَ فرقةً كلّها في النّار إلاّ واحدةً، وهي الجماعةُ»، وفي رواية: «مَنْ كانَ على مِثْلَ مَا أنَا عَلَيْهِ اليومَ وَأَصْحَابِي».

وهذه الفِرْقَةُ النّاجية «أهل السّنّة» وهم وسط في النِّحَلِ، كما أنّ مِلّةَ الإسلام وَسَطٌ في المِلَلِ» [٣/ ٣٦٩].

ـ وكذلك في سائر «أبواب السّنّة» هُمْ وَسَطٌ، لأنّهم مُتَمَسِّكُونَ بكتاب اللّه وسُنّةِ رسولهِ ﷺ، وما اتّفقَ عليه السّابقُون الأوّلون مِنَ المهاجرين والأنْصَار والذينَ اتبعُوهم بإحسانٍ» [٣/ ٣٧٥].

ـ هُمْ الوَسَطُ في فِرَقِ الأُمّةِ، كما أنّ الأُمّةَ هي الوَسَطُ في الأُمَمِ: فهم وسطٌ في «باب صفات اللّه» سبحانه وتعالىٰ بينَ أهل التعطيل الجهمية وأهل التّمثيل المُشَبّهة، وهم وسطٌ في «باب أفعالِ اللّه تعالىٰ» بينَ القدريةِ والجبريةِ. وفي «باب وعيد اللّه» بينَ المُرْجِئَةِ والوَعِيدِيَّةِ، من القدريّة وغيرهم.

وفي «باب أسماء الإيمان والدّين» بينَ الحَرُورِيَّةِ والمعتزلةِ، وبينَ المرجئة والجهنية.

وفي «أصحاب رسولِ اللّه ﷺ»: بينَ الرّوَافِضِ والخوارج. [٣/ ١٤١].

٤ ـ أهل السُّنّة هم أصحاب الجُمَلِ الثّابتةِ بالقرآن والسُّنّة والإجماع:

وأهل السُّنّة إذن هم أهل الجُمَلِ الثّابتة في القرآن والسّنّة والإجماع، الملتزمون بالدِّين الذي أتى به رسول اللّه ﷺ، لا دين الفلاسفة والمتكلمين.

ـ من جمع «الخصال الثلاث» التي هي جماع الصلاح وهي: الإيمان بالخلق، والبعث بالمبدأ والمعاد، الإيمان باللّه واليوم الآخر، والعمل الصّالح: وهو أداء المأمور به وترك المنهي عنه، فإنّ له حصول الثواب وهو أجره عند ربّه، واندفاع العقاب، فلا خوف عليه ممّا أمامه، ولا يحزن على ما وراءه»، ج [١٢/ ٤٦٩].

٥ ـ أهل السنة هم الامتداد التاريخي لأهل ملّة الإسلام:

فأهل السنّة إذن هُمُ الأصلُ في أمّة محمّد ﷺ وهُمُ الامتدادُ الطّبيعي والصّحيح لأهل هذه الملّة، كما أنّ ملّة محمّد ﷺ هي الامتداد الطبيعي والصّحيح لملل الأنبياء السّابقين. فأهلُ الفِرَق الأخرى إذنْ دُخَلاء على هذه المِلّة وأقليات شَاذّةٌ خارجة عن المسار الأصلي والصحيح للأمة المسلمة.

ـ «الحديثُ صحيحٌ مشهور في السّنن والمَسانيد: كسُنَن أبي داود والترمذي والنّسائي وغيرهم ولفظه: «افترقتِ اليَهُودُ على إحْدَى وسبعين فرقةٍ كلّها في النّار إلاّ واحدة، وافترقتِ النّصارى على اثنين وسبعين فرقة كلّها في النّار إلاّ واحدة، وستفترقُ هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين فِرْقةً كلّها في النّار إلا واحدة»، وفي لفظ: «علىٰ ثلاثٍ وسبعين مِلّةً»، وفي رواية قالُوا: يا رسولَ اللّهِ! مَنِ الفِرقةُ النّاجية؟ قالَ: «مَنْ كانَ على مِثْلِ مَا أَنَا عليهِ اليَوْمَ وأَصْحَابي»، وفي روايةٍ قال: هي «الجماعةُ، يَدُ اللّهِ على

الجماعة». ولهذا وَصفَ الفِرقَةَ النّاجية بأنّها أهل السّنّة والجماعة، وهم الجمهور الأكبر، والسّواد الأعظم، وأمّا الفِرَقُ الباقيةُ فإنّهم أهلُ الشُّذوذِ والتفرّق والبدع والأهواء، ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريباً من مبلغ الفِرْقةِ النّاجيةِ فَضْلاً عن أن تكون بقدرها، بل قد تكون الفُرْقةُ منها في غاية القِلّةِ.

وشِعارُ هذه الفِرَقِ مُفارَقَةُ الكِتابِ والسُّنّة والإجماع، فَمَنْ قال بالكتاب والسّنّة والإجماع كان من أهل السُّنّة والجماعة» [٣/ ٢٤٥].

٦ ـ أهل السّنّة هُمْ أهل الشّريعة:

فأهل السّنّة هُمْ أهلُ الشريعة التي سَنّها رسولُ اللّه ﷺ في كافّة جوانب الدِّين من عقائد ومناهج للنّظر، وأفعال ومقاصد وعبادات وسياسيات شرعية وغيرها.

ـ (فالسنة كالشريعة: هي ما سَنّهُ الرّسولُ وما شَرعَهُ، فقد يُراد بهِ ما سَنّه وشرعَهُ من العقائد، وقد يُرادُبه ما سَنّهُ وشرعَهُ منَ العملِ، وقد يُرادُ به كِلاَهُمَا فلفظ السُّنّة يقعُ على معانٍ كلفظ الشّرعة، ولهذا قال ابنُ عباس وغيرُه في قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾: سُنّةً وَسبيلاً، فسَّرُوا الشِّرْعَةَ بالسّنّة، والمنهاج بالسبيل. واسْمُ «السُّنّة» و «الشِّرعة» قد يكون في العقائد والأقوال، وقد يكون في المقاصد والأفعال. فالأُوْلى في طريقة العلم والكلام، والثّانية في طريقة الحال والسّماع.

وقد تكونُ طريقةُ العبادات الظاهرة والسّياسات السّلطانيّة» [١٩/ ٣٠٧].

٧ ـ أهلُ السّنّة لا يأخذُون إلاّ ما كان ثابتاً عن الرّسُولِ ﷺ والسّلَفِ الصّالحِ:

وأهلُ السُّنّة لا يأخذون إلاّ ما كان ثابتاً عن رسولِ اللّه ﷺ وما كانَ عليه السّلَفُ الصّالحُ رضي اللّه عنهم.

ـ «إنّ السّنّة يجب اتّباعها، ويُحمد أهلُها ويُذمّ مَنْ خالَفَهَا: هي سنّة

رسول اللَّه ﷺ في أمور الاعتقادات، وأمور العبادات، وسائر أمور الديانات وذلك إنّما يعرف بمعرفة أحاديث النبيّ ﷺ الثابتة عنه في أقواله وأفعاله وما تركه من قولٍ وعمل، ثم ما كان عليه السّابقون والتّابعون لهم بإحسان» [٣/٣٧٨].

٨ ـ أهل السُّنّة هم أعلَمُ النّاسِ بأحوالِ الرّسُولِ ﷺ وأقوالِهِ وأفعالِهِ:

وأهل السُّنَّة هم أعلم النّاس بأحوال صاحبها ﷺ وأقواله وأفعاله، وأعظمهم محبّةً ومُوالاةً لها ولأهلها.

ـ «إنّ أحقَّ النّاسِ بأنْ تكون هي الفِرْقَةُ النّاجيةُ: أهلُ الحديثِ والسُّنّةِ الّذِينَ ليسَ لهم متبوعٌ يتعصّبُونَ له إلاّ رسولُ اللّه ﷺ. وهُمْ أعلمُ النّاسِ بأقوالِهِ وأفعالِهِ وأحواله وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتُهم فقهاء فيها، وأهلُ معرفةٍ بمعانيها واتباعاً لها، تصديقاً وعملاً، وحبّاً ومُوالاةً لِمَنْ وَالاَهَا. وَمُعادَاةً لِمَنْ عَادَاها، الّذين يَرْوُون المقالات المجملة إلى ما جاء بِهِ منَ الكتابِ والحكمةِ» [٣/٣٤٧].

٩ ـ أهلُ السُّنّة هُم كلُّ مَنْ يُحِبُّ الحديثَ النّبويَّ ويلتزمُ به:

وأهلُ السُّنَّةِ أو الحديثِ ليسَ مقصودٌ بهم فقط المشتغلون بهذا الفَنّ ـ علم الحديث ـ بل هُمْ كلُّ مَنْ يُحِبُّ الحديثَ ويعيَ مَعَانِيهِ ويلتزمُ به ويَدْعُو إليه سواء كان مُحَدِّثاً أمْ فقيهاً أم قاضياً أمْ أميراً أَمْ عاميّاً.

ـ «ونحنُ لا نَعْنِي بأهلِ الحديث المُقْتَصِرين على سَماعِهِ، أو كتابته، أو رِوَايتِهِ، بل نَعْنِي بهم: كلَّ مَنْ كان أحقَّ بحفظِهِ ومعرفتِهِ وفهمِهِ ظاهراً وباطناً، واتّباعه باطناً وظاهراً وكذلك أهل القرآن. وأدنىٰ خصلة في هؤلاء: محبّة القرآن والحديث والبحث عنهما وعن معانيهما، والعمل بما عَلِمُوهُ من مُوجِبِهِمَا» [٤/٩٥ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللّه تعالىٰ].

الحادي والخمسون من شعب الإيمان

الحكم بين الناس بالعدل(١)

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في «الصحيحين»: قال رسول الله ﷺ: «لا حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ مالاً فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وآخَرُ آتاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فهو يَقْضِي بِهَا ويُعَلِّمُهَا»(٢).

قال الحافظ البيهقي: إنَّ العدل بينَ الناس في الأحكام وعامة

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/ ٧١ ـ ٧٧.

(٢) صحيح البخاري ج ١/ ١٥٢ و ١٥٣ و ج ٣/ ٣١٩ و ج ١٣/ ٢٥٣، وصحيح مسلم برقم ٨١٦، وأحمد ج ١/ ٣٨٥ و ٤٣٢.

المعاملات من فرائض الدِّين، وأمّا ما اتّصل بغير الحكم فالنّاسُ كلُّهم مأمورون بأن يُنْصِفَ بعضُهم بعضاً من نفسِهِ، فلا الطَّالب يطلبُ ما ليسَ له، ولا المطلوبُ يَمنعُ ما عليه.

وأمّا ما اتَّصلَ منه بالحُكْمِ فجملتُهُ أنّ الحاكمَ لا ينبغي له أن يتَّبعَ هَوَاهُ، ولا يتعدّىٰ الحقَّ إلى ما سواه؛ كما قال اللّه تعالىٰ لداودَ عليه السّلام: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [صٓ: ٢٦].

فإنَّ الحاكمَ ليسَ رجلاً خُصَّ من بينِ النَّاسِ فقيلَ لهُ: احْكُمْ بما شِئْتَ فإنَّ هذا لم يكنْ لمَلَكٍ مقرَّبٍ ولا نبيٍّ مُرسَلٍ، وإنَّما ائْتُمِنَ على حكم اللّه تعالىٰ جَدُّهُ، ليفصلَ بينَ عبادِهِ، ويحملَ المختلِفَيْن عليهِ بكل ما قاله بينَ الخصمين، وما لَيْسَ بحكم للّهِ عزَّ وجلَّ فهو مردُودٌ عليه، وهو أسوأ حالاً ممَّن قاله، وهو غير حاكمٍ، لأنَّهُ ائْتُمِنَ فَخانَ وكَذَبَ علىٰ اللّه تعالىٰ، واختيانُ الأمانةِ والكَذِبُ على اللّهِ شِقَاقٌ، واللّهُ تعالىٰ يقولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧]، ويقولُ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

قال: وينبغي للإمام أنْ لا يُولِّيَ الحُكْمَ بينَ النَّاس إلاّ مَنْ جمعَ إلىٰ العلمِ السَّكينة والتثبّت، وإلىٰ الفَهْمِ الصَّبرَ والحِلْمَ، وكانَ عَدْلاً أميناً نزيهاً عن المطاعم الدّنية وَرِعاً عن المطامع الرّديئة، شديداً قوياً في ذات اللّه تعالىٰ متيقّظاً مُتحفّظاً من سُخْطِ اللّهِ[1].

عن ابن بُرَيْدَةَ الأسلمي عن أبيه قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «القُضاةُ ثلاثةٌ: اثنانِ في النَّارِ، وواحدٌ في الجنَّة. رَجُلٌ عَلِمَ الحقَّ فَقَضىٰ به فهو في الجنَّةِ، ورجلٌ قَضَى للنّاس علىٰ جهلٍ فهو في النَّار، ورجلٌ جارَ في الحُكْمِ

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/ ٧٣ ـ ٧٤.

فَهو في النَّارِ»[1].

[والحاكم الذي يجتهدُ في الوصول إلى الحق في الحكم إذا أخطأ لهُ أجْرُ اجْتِهَادِهِ].

عن عمرو بن العاص أنَّه سمع رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «إذا حَكَمَ الحاكمُ، فاجتهدَ، فأصَابَ فله أجْرَانِ، وإذا حكمَ فاجتهدَ فأخطأ فلهُ أجرٌ»[2].

وعن أُمِّ سلمةَ رضي اللَّه عنها زوج النَّبيِّ ﷺ قالتْ: سمعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ خُصُومَةً ببابِ حُجْرَتِهِ، فخرجَ إليهم، فقالَ: «إنَّما أنَا بَشرٌ، وإنَّهُ يأتيني الخَصْمُ، فَلَعَلَّ بعضكُمْ أن يكونَ أبلغَ من بعضٍ، فأحسِبُ أنَّهُ صَدَقَ فأقضِي له بذلك، فمَنْ قضيتُ له بحقِّ مسلمٍ، فإنّما هي قطعةٌ مِن النّار، فليأخُذْهَا أو فليترُكْهَا»[3].

وقوله ﷺ: «فَلْيَأْخُذْهَا» تهديدٌ ووعيدٌ. وقوله: «أو فليترْكهَا» نصيحةٌ وتذكير لاجتناب غضب اللَّه تعالىٰ في أكل الحرام.

وفي رواية في سنن ابن ماجه برقم ٢٣١٧ بلفظ:

«إنَّكم تختصِمون إليَّ، وإنَّما أنَا بَشَرٌ، ولعلَّ بعضَكُمْ أن يكونَ ألْحَنَ بحُجَّتِهِ من بعضٍ، وإنَّما أقضي لكم على نحوٍ ممّا أَسْمَعُ منكُم، فَمَنْ قضيتُ له من حقِّ أخيهِ شيئاً، فلا يأخُذْهُ، فإنَّما أقطعُ له قطعةً من النَّار، يأتي بها يومَ القيامةِ»[4].

---

(١) سنن أبو داود برقم ٣٥٧٣، وسنن ابن ماجه برقم ٢٣١٥ وفي صحيح سنن ابن ماجه برقم ١٨٧٣ وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: صحيح الإرواء برقم ٢٦١٤.

(٢) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفقَ عليه الشيخان برقم ١١١٨، وصحيح سنن ابن ماجه ١٨٧٢.

(٣) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان برقم ١١١٤.

(٤) صحيح سنن ابن ماجه برقم ١٨٧٥، وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: صحيح. الإرواء برقم ٢٦٢٤، والصحيحة برقم ٤٥٦ و ١١٦٢.

الثاني والخمسون من شعب الإيمان

الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر(١)

قالَ اللّهُ تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران].(٢)

وقال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقالَ تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/ ٧٩ ـ ٩٩.

(٢) إعلمْ أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من أهم الأمور وأعظمها، إذ به قِوام الأمر وملاكه، وحفظ الشريعة المطهرة، وردع المنافق، وزجر الفاسق، وبه يتميّز الخبيثُ عن غيره. وبه يرتفع البلاء عن المطيع، ولا يعم اللّه الكُلّ بعذابٍ، لأنّه إذا كَثُر الخَبَثُ عمّ العقابُ الصّالحَ والطّالحَ، وإذا لم يأخذوا على يَدِ الظالم أوشك أن يعمّهم اللّه تعالىٰ بعقاب منهم، فينبغي لطالب الآخرة، ومُحبّ الشّريعة، والسّاعي في تحصيل رضا اللّه عزّ وجلّ أن يعتنِيَ بهذا الأمر، فإنّ نفعَهُ عظيمٌ، لا سيما في هذا الزّمان الذي كثر فيه الفَسَادُ، وعمّ التّجاهر بالمعاصي، وفُقد الآمر بالمعروف، والنّاهي عن المنكر، لذلك تَساهَلتِ العَوَامُّ، وارتكبُوا كلّ مُوبقةٍ، وتوسّعُوا في كلِّ معصيةٍ، حتى عَمَّ ذلك الخَوَاصُّ، وكاد النّاسُ أن يرجعوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية الأولى، ولا شكّ أنّ الأجر على قدر المشقةِ، وأنّ اللّهَ ناصر أوليائِهِ وهاديهم، وحافظهم من شرّ أعدائه، قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. [من تعليق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط على مختصر شعب الإيمان ص ١٠٥].

بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

والقُرآنُ مَشْحُونٌ بهما.

وفي حديث أبي سعيد رضي اللَّه عنه[(١)] في «صحيح مسلم» قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ رَأىٰ مِنكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ[(٢)]، وذلِكَ أَضْعَفُ الإيمان»[(٣)].

---

(١) هو سعد بن مالك بن سِنَان الخدري الأنصاري الخزرجي أبو سعيد، من فقهاءِ شَبَابِ الصحابة، روى عن رسول اللَّه ﷺ ١١٧٠ حديثاً. وغزا معه اثنتي عشرة غزوة، توفي رضي اللَّه عنه بالمدينة المنورة سنة ٧٤ هـ.

(٢) أشار النَّبيُّ ﷺ بذلك إلى صفة النَّهي ومراتبه، وهذا الترتيب على سبيل الوجوب، فليس للمنكر أن ينتقلَ من مرتبةٍ إلى أخرى إلاَّ إذا عجزَ عن القيام بها، والإنكار في القلب ليس بتغيير في الحقيقة للمنكر ولا إزالة له، ولكنّه هو الـذي في وسع المكلّف، ثم إنّه إنّما يأمر وينهىٰ مَنْ كانَ عالماً بما يأمر به وينهىٰ عنه، وذلك يختلف باختلاف الشّيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة، والمحرّمات المشهورة، كالصّلاة والصّيام، والزّكاة، والزنا والخمر ونحوها، فكلُّ المسلمين علماءُ بها، وإن كان من دقائق الأقوال والأفعال ممّا يتعلّق بالاجتهاد، لم يكن للعوام مدخلٌ فيه، بلْ ذلك للعلماء. وينبغي للآمر بالمعروف والنّاهي عن المنكر، أن يكون أمرُهُ ونهيُهُ بمعروف، وبرفق، ليكون أقرب إلى تحصيل القَبُول، وحصولِ المطلوبِ، لذلك قال الإمام الشّافعي رحمه اللَّه: مَنْ وَعَظَ أخاه سرّاً فقد نصحه وزانَهُ، ومَنْ وعظَهُ علانيةً فقد فضحهُ وشانهُ. [من تعليق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط على مختصر شعب الإيمان ص ١٠٦].

(٣) صحيح مسلم برقم ٤٩، وأحمد في مسنده ج ٣/١٠ و ٢٠ و ٤٩ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٩٢، والترمذي برقم ٢١٧٣، وأبو داود برقم ٤٣٤٠ و ١١٤٠، وابن =

وحديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه «فيه» أيضاً قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا مِنْ نَبيٍّ بعثَهُ اللَّهُ في أُمَّةٍ قَبْلِي إلاَّ كَانَ لَهُ في أُمَّتِهِ حَوارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، ويَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِن بَعْدِهِم خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذٰلِكَ مِنَ الإيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»(١).

وعلى هذا فالسّلفيون هم حواريو هذه الأمة دائماً، لأخذهم بسنن رسول الله ﷺ واقتدائهم به ﷺ، وهم المجدِّدون في هذه الأمّةوالسير على منهاج النّبوّة. جعلنا الله تعالى منهم، بمنِّه وكرمِهِ ورحمتهِ.

= ماجه برقم ٤٠١٣.

(١) صحيح مسلم برقم ٥٠، وأحمد في مسنده مختصراً ج ٤٥٨/١ و ٤٦١.

الثالث والخمسون من شعب الإيمان
التعاون على البرّ والتّقوى(١)

قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وفي حديث أنسِ بنِ مالكٍ رضي اللّه عنه في «الصحيح» قال: قال رسول اللّه ﷺ: «انْصُرْ أخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً»، فقال رجلٌ: يا رسولَ اللّهِ! أنْصُرهُ مَظلُوماً، فكيفَ أنصرُهُ ظالماً؟ فقال: «تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فذٰلِكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ»(٢).

قال الحافظ البيهقي(٣): ومعنىٰ هذا الباب أنّ المعاونةَ على البرِّ برٌّ، لأنها إذا عُدِمَتْ مع وجود الحاجة إليه لم يُوجَد البِرُّ، وإذا وجدتْ وُجِدَ البِرُّ، فبَانَ بأنّها في نفسها برٌّ، ثم رجع هذا البِرُّ الذي ينفردُ بِهِ الواحد بما فيهِ من حصول برٍّ كثيرٍ مع موافقةِ أهل الدِّين، والتّشبُّه بما بُنِيَ عليه أكثرُ الطّاعاتِ من الاشتراك فيها، وأدائها بالجماعة.

ونُصْرَةُ الظالم بمنعه عن الظلم عونٌ له علىٰ تركِ الظّلم وهو من البرّ والتقوىٰ، وهو أيضاً دفعٌ عن الظالم إثْمَ الظُّلمِ، وإنّما أمرَ رسولُ اللّه ﷺ كلَّ واحدٍ بنصرةِ أخيه المسلمِ إذا رآه يظلمُ، وقدرَ على نَصْرِهِ، لأن الإسلامَ

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/١٠١ ـ ١٢٩.

(٢) صحيح البخاري ج ٥/٧١ الفتح وج ١٢/٢٨٩، وأحمد في مسنده ج ٣/٢٠١، والترمذي برقم ٢٢٥٥، والدارمي في سننه ج ٢/٣١١.

(٣) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/١٠١.

إذا جمعهما صَارَا كالبدن الواحدِ، كما أنْ أخوة النّسب لو جمعتهما كانَا كالبَدَنِ الواحدِ، والدِّينُ أقْوَى من القَرابةِ، وأولى بالمحافظة عليه منها، وإلىٰ هذا وقعت الإشارةُ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [سورة الحجرات: آية ١٠].

وعن النّعمان بن بشير قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «مَثَلُ المؤمنينَ في تَرَاحُمِهِم، وتوادِّهم وتَوَاصلهم كمثَلِ الجَسَدِ إذا اشْتكَى عضوٌ منه تداعىٰ له سائرُ الجَسَدِ بالحُمَّى والسَّهر»(١).

---

(١) صحيح البخاري ج ٤٣٨/١٠ الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٦، وأحمد في مسنده ج ٤/ ٧٠.

الرابع والخمسُون من شعب الإيمان

الحَيَاء[1]

حديثُ سالمِ بنِ عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما في «الصحيحين» عن أبيه، عن النَّبيِّ ﷺ أنه سَمِعَ رَجُلاً يَعِظُ أَخَاهُ في الحَيَاءِ، فقالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإيمانِ»[2].

وفي حديث عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ رضي اللَّه عنه[3] «فيهما»: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ الحَيَاءَ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ»[4].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه «فيهما» أيضاً، قال: «كان رسول اللَّه ﷺ أَشَدَّ حياءً من العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا، وكانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئاً عَرَفْنَاهُ في وَجْهِهِ»[5].

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/ ١٣١ ـ ١٧٤.
وإنَّ الحياء خُلُقٌ إسلامي مبارك يحمي المؤمنين من فعل القبائح والرّذائل، ويكسبه الوَقَارَ والسَّكِينَةَ والطمأنينة، ولهذا جعله رسولُ اللَّه ﷺ خُلُقَ الإسلام، أخرج ابن ماجه في سننهِ برقم ٤١٨١ عن أنسٍ قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «إِنَ لكلِّ دينٍ خُلُقاً، وخُلُقُ الإِسْلام الحَيَاءُ». [صحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٣٧٠، والأحاديث الصحيحة برقم ٩٤٠].

(٢) صحيح البخاري ج ١/ ٦٩ و ج ١١/ ٤٣٣ الفتح، وصحيح مسلم برقم ٣٦، والموطأ ج ٢/ ٩٠٥، وأبو داود برقم ٤٧٩٥، والترمذي برقم ٢٦١٨.

(٣) هو عمران بن حُصين بن عُبيد أبو نُجَيْد الخُزَاعي، من علماء الصّحابة. أسلم عام خيبر سنةَ ٧ هـ، وبعثه عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه إلىٰ البصرة ليُفَقّه أهلها، توفي بها سنة ٥٢ هـ، رضي اللَّه عنه.

(٤) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٣٣ الفتح، وصحيح مسلم برقم ٣٧.

(٥) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٢١ الفتح. وصحيح مسلم برقم ٢٣٢٠، ومسند أحمد =

وفي حديث أبي مسعود الأنصاري رضي اللّه عنه[1]، في «صحيح البخاري» قال رسول اللّه ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولىٰ[2] إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ[3]»[4].

= ج ٣/ ٧١ و ٧٩.

(١) أبو مسعود الأنصاري: هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة البدري، سكَنَ بدراً، شهد العقبة وأُحُداً وما بعدها، نزل الكوفةَ، توفي رضي اللّه عنه قبل سنة ٤٠ هـ.

(٢) أي مما أطبقت عليه شرائع الأنبياء، ولم يُنسخ فيما نُسخ من شرائعهم، لأنّه خُلُقُ الأنبياء عليهم السّلام.

(٣) قوله ﷺ: «فاصْنع ما شئت» هذا للتّهديدِ والوعيدِ، فمن لم يستحِ لا يمتنع عن الرذائل والقبائح.

(٤) صحيح البخاري ج ٦/ ٣٨٠ وج ١٠/ ٤٣٤، وأبو داود برقم ٤٧٩٧، وأحمد في مسنده ج ٥/ ٢٧٣ و ٣٨٣.

الخامس والخمسون من شعب الإيمان

بر الوالدين(١)

قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

وفي حديث عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه في «الصحيحين»، قالَ: سألتُ النبيّ ﷺ: أيُّ العَمَلِ أحبُ إلى اللّه عزَّ وجلَّ؟ قال: «الصَّلاةُ لِوَقْتِها»، قلت: ثم أيّ؟ قالَ: «بِرُّ الوالِدَيْنِ» قلتُ: ثمّ أيّ، قال: «الجِهادُ في سَبيلِ اللّه»، قال: حَدَّثَني بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزادَني(٢).

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قالَ: قال رجلٌ: يا رسول اللّه! مَنْ أحقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحابَتِي؟ قال: «أُمُّكَ»، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ»، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ»، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «ثُمَّ أبُوكَ»(٣).

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قالَ: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ»، قيلَ: مَنْ يا رسولَ اللّهِ؟ قال: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/ ١٧٥ ـ ٢١١.
(٢) صحيح البخاري ج ٢/ ٧ و ٨ و ١٠/ ٣٣٦، وصحيح مسلم برقم ١٨٩٩.
(٣) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٠١ رقم ٥٩٧١ الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢٥٤٨.

الكِبَرِ، أَحَدُهما أو كليهِمَا، ثمَّ لم يَدْخُلِ الجَنَّة»[1].

وفي الصحيحين: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «إنَّ اللّهَ حَرَّمَ عليكم عُقُوق الأمّهات» الحديث[2].

---

(1) صحيح مسلم برقم ٢٥٥١.

(2) صحيح البخاري ج ٥/٦٨ رقم ٢٤٠٨، وصحيح مسلم برقم ١٧١٥/١٢، وفي رواية عنده بلفظ: «حَرَّمَ عُقُوقَ الوَالِدِ»، رقم ١٤ من كتاب الأقضية.

السّادس والخمسون من شُعب الإيمان

صلة الأرحام(١)

قال اللّه تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد].

وفي حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه في «الصحيحين»: قال رسولُ اللّه ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(٢).

وفي حديث محمد بن جبير بن مطعم رضي اللّه عنه «فيهما» أيضاً عن أبيه(٣) قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قاطِعٌ»(٤)، يعني قاطع رحمٍ.

قلت: ولا فرق بين أن يكون برّاً أو فاجراً.

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/٢١٣ ـ ٢٢٨.

(٢) صحيح البخاري ج ١٠/٣٤٨ و ٤/٢٥٦، وصحيح مسلم برقم ٢٥٥٧. وقوله: «يُنْسَأ له في أثَره»، أي يُؤخَّر له في أجله ويبارك له في عمره.

(٣) هو جُبير بن مُطْعِم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النّوفلي، صحابي عارف بالأنساب، مات سنة ٥٨ أو ٥٩ هـ رضي اللّه عنه.

(٤) صحيح البخاري ج ١٠/٣٤٧، وصحيح مسلم برقم ٢٥٥٦.

[وظاهر الحديث يُعارض قولهُ تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾، وقد جمع العلماء بينهما من وجهين:

أحدهما: أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التّوفيق إلى الطّاعات، وتوسيع وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك، فصلة الرحم تكون سبباً للتوفيق للطاعة، والصيانة عن المعصية، فيبقىٰ بعده الذكر الجميل بسبب ما تركه بعده من العلم النّافع أو الصّدقة الجارية، أو الخَلَفِ الصّالح فكأنّه لم يَمُتْ. وثانيهما: أنّ الزيادة علىٰ حقيقتها][(١)].

[والرحم كلُّ ما بينكَ وبينَهُ نَسَبٌ، سواء كان من ذوي الأرحام في الميراث أم لا، قال القاضي عياض: لا خلافَ أنَّ صِلَةَ الرّحم واجبةٌ في الجملة، وقطيعتها مصيبة كبيرة، وللصِّلَة درجات، فأدناها ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام ولو بالسّلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجبٌ، ومنها مستحبٌ، فلو وصل بعض الصلة ولم يصلْ غايتها، لا يسمىٰ قاطعاً][(٢)].

وفي حديث عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنها في الصحيح[(٣)]: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «إنَّ مِنْ أبرِّ البرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ وُدَّ أبيهِ بَعْدَ أن يُوَلِّي الأبُ».

وعن أبي هريرةَ رضي اللّه عنه قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «خلَقَ اللّهُ الخلقَ، فلَمّا فَرَغَ منهُ قامتِ الرَّحِمُ فأخذتْ بحِقْوَيْ الرّحمٰن[(٤)]، فقال: مَهْ! قالتْ: هذا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ من القطيعةِ، قال: ألَا تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَنْ

(١) مختصر شعب الإيمان ط دار ابن كثير ص ١١٤ من تعليق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

(٢) مختصر شعب الإيمان ص ١١٣.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٥٥٢.

(٤) هذا ممّا يجب التّصديق به بلا تكييف ولا تَشْبيهٍ ولا تمثيل، فنُؤْمِنُ بذلك على مُرَادِ رسولِ اللّه ﷺ.

وَصَلَكِ، وأَقْطَعَ مَنْ قطعَكِ؟ قالتْ: بَلَىٰ يا رَبِّ، قالَ: فذاكَ لَكِ»[١].

وعن أنس بن مالك قالَ: قال رسولُ اللّه ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أن يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ له في أَثَرِه فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٢].

وفي صحيح البخاري: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «الرَّحِمُ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ، قالَ اللّهُ تعالىٰ: مَنْ وَصَلَكِ وصلتُهُ، ومَنْ قطَعَكِ قطعتُهُ»[٣].

وفي الصحيحين: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْشِ، تقولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللّهُ، ومَنْ قَطَعَنِي قطعهُ اللّهُ»[٤].

وفي صحيح البخاري: قال رسولُ اللّه ﷺ: «لَيْسَ الواصِلُ بالمُكَافِىءِ، ولٰكنَّ الواصِلَ الذي إذا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها»[٥].

وعن ثَوْبانَ رضي اللّه عنه أنَّه قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «لا يَرُدُّ القَدَرَ إلاَّ الدُّعاءِ، وَلاَ يَزِيدُ في العُمُرِ إلاَّ البِرُّ»[٦].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرةَ قالَ: إنَّ رجلاً قالَ: يا رسول اللّه! إنَّ لي قرابةً أَصِلُهُمْ ويَقْطَعُوني، وأُحْسِنُ إليهم ويُسِيئُونَ إليَّ، وأَحْلُمُ عنهم ويَجْهَلُونَ عليَّ؟ فقالَ: لَئِنْ كُنْتَ كما قُلْتَ فكأنَّما تُسِفُّهُمُ المَلَّ ـ أي الرماد

---

(١) صحيح البخاري ج ٨/ ٥٨٠ رقم ٤٨٣٠ و ٤٨٣١ و ٤٨٣٢ وج ١٠/١٣/ ٤٦٥ رقم ٧٥٠٢، وصحيح مسلم برقم ٢٥٥٤.

(٢) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤١٥ برقم ٥٩٨٦، وصحيح مسلم برقم ٢٥٥٧.

(٣) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤١٧ رقم ٥٩٨٨ الفتح.

(٤) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤١٧/ ٥٩٨٩ الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢٥٥٥.

(٥) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٢٣/ ٥٩٩١ الفتح.

(٦) صحيح سنن الترمذي برقم ١٧٣٨، وفي السنن ٢٢٣٩، وقال: حَسَنٌ. وانظر الأحاديث الصحيحة برقم ١٥٤، وأخرجه ابن حِبّان في صحيحه برقم ٨٧٣ من الإحسان ج ٣/ ١٥٤، والحاكم في المستدرك ج ١/ ٤٩٣ وصححه وأقرّه الذهبي، وفيهما زيادةٌ: «إنَّ الرجل لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذَّنْبِ يُصيبُهُ».

ضَحَايَا، فَأعطاني عَتُوداً[1] جذعاً، قال: فرجعتُ به إليه، فقلتُ: إنّه جذع؟ قال: «ضَحِّ به» فضحيتُ به.

وعن البَرَاءِ، قال: خطبنا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ النّحر بعد الصّلاةِ فقال: «مَنْ صَلَّىٰ صَلاتَنَا، ونَسَكَ نُسُكَنَا، فقدْ أَصَابَ النُّسُكَ، ومن نَسَكَ قَبْلَ الصَّلاةِ فتلكَ شاةُ لَحْمٍ»، فقام أبو بردة بن نِيَارٍ فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ! واللَّهِ لقد نسكتُ قبلَ أن أخرجَ إلى الصّلاةِ، وعرفت أنّ اليومَ يومُ أكلٍ وشُرْبٍ فتعَجَّلْتُ فأكلتُ وأطعمتُ أهلي وجيراني. فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «تِلْكَ شاةُ لَحْمٍ»، فقالَ: إنّ عندي عناقاً جَذَعَةً وهي خير من شاتَيْ لَحْمٍ فهل تُجزىء عنّي؟ قال: «نَعَمْ ولن تجزىء عن أحدٍ بَعْدَكَ». «الصحيحان»[2].

وعن البَراء بن عازب، قال: ضَحَّىٰ خالٌ لي يقال له: أبو بردة، قبلَ الصّلاة، فقالَ له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «شاتُكَ شاةُ لَحْمٍ»، فقالَ: يا رسول اللَّه، إنَّ عندي دَاجِناً جَذعة مِنَ المعز، فقال: «اذْبَحْهَا ولا تَصْلُحُ لغيركَ» «الصحيحان»[3].

وعن عُبيدةَ بن فيروزٍ، قال: سألتُ البَراء بْنَ عازِبٍ: ما لا يجوز في الأضاحي؟ فقالَ: قامَ فينا رسولُ اللَّه ﷺ، وأصابعي أقصر من أصابعه، وأناملي أقصر من أنامله، فقال: «أَرْبَعٌ لا تجوزُ في الأَضَاحِي، العَوْرَاءُ بَيِّنٌ عَوَرُها، والمَرِيضَةُ بيِّنٌ مَرَضُهَا، والعَرْجَاءُ بَيِّنٌ ظَلْعُهَا، والكَسِيرُ الّتي لا تَنْقَىٰ»، قال: قلتُ: فإنّي أكره أن يكون في السّن نَقْصٌ، قال: ما كرهتَ فَدَعْهُ، ولا تُحَرِّمْهُ على أحدٍ. «صحيح»[4].

---

(١) «عتوداً جذعاً» العتود ؛ بفتح أوله ـ الصغير من أولاد المعز إذا قوي وأتى عليه حولٌ.

(٢) صحيح البخاري برقم ٩١٢ و٥٢٤٣ من طبعة البغا، وصحيح مسلم برقم ٧/ ١٩٦٠، وصحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٢٩.

(٣) الصحيحان: المصدر السابق، وصحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٣٠.

(٤) صحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٣٨، وفي السنن ٢٨١٢، وهو في الصحيحين مختصراً.

الحار ـ ولا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهيرٌ عليهم ما دُمتَ علىٰ ذلكَ»[1].

وفي صحيح ابن حبّان عن عبد اللَّهِ بن عمر رضي اللَّه عنهما، قال: أتىٰ رسولَ اللَّه ﷺ رَجُلٌ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ! إنّي أَذْنَبْتُ ذَنْباً كبيراً، فهلْ لي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقالَ له رسولُ اللَّه ﷺ: «أَلَكَ وَالِدان؟» قال: لاَ، قال: «فلكَ خَالَةٌ»؟ قال: نَعَمْ، قالَ: «فَبِرَّهَا إذاً»[2].

وفي صحيح ابن حبان عن أنس رضي اللَّهُ عنه: أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال في مَرَضِهِ: «أَرْحَامَكُمْ أَرْحَامَكُمْ»[3]، أي: إلْزَمُوا صِلَةَ أَرْحَامِكُمْ.

---

(١) صحيح مسلم برقم ٢٥٥٨/ وقوله «ظهيرٌ» أي مُعينٌ ودافعٌ لأذاهم. شرح النووي على صحيح مسلم ج ١١/١١٥.

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حِبّان ج ٢/١٧٧ ـ ١٧٨ برقم ٤٣٥، وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط الشّيخين.

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حِبّان ج ٢/١٧٩/ برقم ٤٣٦، وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط الشّيخين.

السّابع والخمسون من شعب الإيمان

حسن الخلق(١)

ويدخل فيه كَظْمُ الغَيْظِ، ولِينُ الجانبِ، والتّواضُعُ.

قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران].

وفي حديث عبد اللّه بن عمرو رضي اللّه عنهما في «الصّحيحين» أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ: لَمْ يَكُنْ فَاحِشاً وَلاَ مُتَفَحِّشاً(٢)، وقال: «إِنَّ مِنْ خِيارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقاً».

وفي رواية: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إليَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقاً»(٣).

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/ ٢٢٩ ـ ٣٦٧.

(٢) قوله: «فَاحِشاً» من الفُحْش، وهو الخروج عن الحدّ، «ولا متفحشاً» أي متكلّفاً الفُحْشَ، يعني أنَّ النبيّ ﷺ لم يكن الفُحش جِبِلّيّاً لهُ، ولا كَسْبِيّاً، وما كان يجزي بالسيّئة سيّئةً، ولكن يَعْفُو ويصفح.

(٣) البخاري في صحيحه ج ١٠/ ٣٧٨ و ٣٨٢ وج ١٠/ ٤١٩ الفتح. وصحيح مسلم برقم ٢٣٢١. والخُلق: بذل النّدى، وكفُّ الأذى، واختيار الفضائل، وتَرْك الرّذائل، وهو صفة الأنبياء صلوات اللّه عليهم، وخصال الأولياء.
قال ابن عباس ومجاهد في تفسير ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أي: لَعَلَىٰ دِينٍ عظيمٍ، لا دينَ أحبَّ إليَّ ولا أرضىٰ عندي منه، وهو دينُ الإسلام.
وفي «الصّحيحين» أنَّ هشام بن حكيم سأل عائشة رضي اللّه عنها عن خُلُقِ رسولِ اللّهِ ﷺ، فقالتْ: كان خُلُقُهُ القُرآنُ، يغضب لغضبه، ويرضىٰ لرضاه، وقد جُمِعَتْ مكارمُ الأخلاق في قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ =

وفي حديث عائشة في «الصحيحين» أيضاً أنّها قالتْ: «ما خُيِّرَ رسولُ اللَّه ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلاّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا ما لَمْ يَكُنْ إثماً، فَإنْ كَانَ إثْماً، كانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، ومَا ٱنْتَقَمَ رسولُ اللَّه ﷺ لِنَفْسِهِ، إلاّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمُ للَّهِ بِهَا»[1].

قال الحافظ البيهقي:

ومعنى حُسْنِ الخُلُقِ: سَلاَمَةُ النَّفْسِ نحو الأَرْفَق الأَحْمَدِ من الأفعال، وقد يكونُ ذلك في ذاتِ اللَّه تعالىٰ، وقد يكون فيما بينَ النّاس، وهو في ذاتِ اللَّه عزّ وجلّ، أن يكون العبدُ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ بِأَوَامِرِ اللَّه تعالىٰ ونَوَاهِيهِ، بفعل ما فُرِضَ عليه، طَيِّبَ النّفس بهِ، سَلِساً نحوه، وينتهي عما حَرَّمَ عليهِ، راضياً به، غير متضجِّرٍ منهُ، ويرغبُ في نوافل الخير، ويترك كثيراً من المباح لوجههِ تعالىٰ وتقدّس، إذَا رأىٰ أنّ تركَهُ أقربُ إلى العُبودية من فعله، مستبشراً لذلك، غير ضَجِرٍ منه، ولا متعسِّرٍ بهِ، وهو في المعاملاتِ بينَ النّاس، أنْ يكون سَمْحاً لحقوقهِ، لا يُطالبُ غيرَهُ بها، ويُوفي ما يجبُ لغيرِهِ عليه منها، فإنْ مَرِضَ ولم يُعَدْ، أو قَدِمَ من سَفَرٍ فلم يُزَرْ، أو سلَّمَ فلم يُرَدَّ عليهِ، أو ضَافَ فلم يُكْرَمْ، أو شَفَعَ فلم يُجَبْ، أو أَحْسَنَ فلم يُشْكَرْ، أو دخل على قومٍ فلم يُمَكَّنْ، أو تكلَّمَ فلم يُنْصَتْ له، أو استأذَنَ على صديقٍ فلم يُؤْذَنْ له، أو خَطَبَ فلم يُزَوَّجْ، أو اسْتَمْهَلَ الدَّيْن فلم يُمْهَلْ، أو استنْقَصَ منهُ فلم يُنْقَص، وما أَشْبَهَ ذلك، ولم يَغْضَبْ، ولم يعاقِبْ، ولم يَتَنكَّره مِن حالِهِ حالٌ، ولم يَسْتَشْعِرْ في نفسِهِ أنّه قد جُفي وأُوحِشَ، وأنّه لا يُقابِلُ كُلَّ ذلكَ إذا وَجَدَ السَّبيلَ إليهِ بمثلهِ، بل يُضْمِرُ أَنَّهُ لا يَعْتَدُّ بشيءٍ من ذلك، ويُقابل كلاًّ منه بما هو أحسنُ وأفضلُ وأقربُ إلى البرِّ والتّقوىٰ، وأشبَهُ بما يُحْمَد ويرضى، ثم يكون في إيفاء ما

= ﴿ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

(1) صحيح البخاري ج ٦/٤١٩، وج ١٠/٤٣٦، وج ١٢/٧٥ و١٥٩ الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢٣٢٧.

يكونُ عليه، كهو في حفظِ ما يكونُ له، فإذا مَرِضَ أخوهُ المسلمُ عادَهُ، وإنْ جاءَ في شفاعةٍ شفَّعَهُ، وإن استمهله في قضاءِ دَيْن أمْهَلَهُ، وإنِ احتاجَ منه إلى مَعُونَتِهِ أعَانَهُ، وإنِ اسْتَسْمَحَهُ في بيع سمحَ لهُ، ولا ينظرُ إلى أنّ الذي يُعامله كيفَ كانتْ مُعاملتُه إيّاه فيما خلاَ، وكيفَ يُعامل النّاسَ، إنّما يتّخذُ الأحسنَ إماماً لنفسِهِ، فينحُو نحوه، ولا يُخالِفُهُ.

والخُلُقُ الحَسَنُ، قد يكونُ غَرِيزَةً، وقد يكونُ مُكْتَسَباً(١).

وإنّما يصحُّ اكتسابُهُ ممّن كان في غريزتِهِ أمْثَلُ منه، فهو يضمُّ باكتسابِهِ إليه ما يُتمِّمُهُ.

ومعلومٌ في العادات أن ذَا الرَّأي يزدادُ بمُجَالَسَةِ أُولي الأَحْلامِ والنُّهَىٰ رأياً، وأنّ العَالِمَ يزدادُ بمخالطةِ العُلَماءِ عِلْماً، وكذلك الصّالحُ والعَاقِلُ بمجالسةِ الصلحاء والعُقَلاء، فلا يُنْكَرُ أن يكونَ ذُو الخُلُقِ الجميل يَزْدَادُ حُسْنُ الخُلُقِ بمجالسةِ أُولي الأَخْلاقِ الحَسَنَةِ، وباللّهِ التّوفيق.

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «أكْمَلُ

---

(١) ما ذهب إليه من أنّ الخُلُق منه ما هو طبيعي، ومنه ما هو كَسْبي، هو الصواب، وهو رأي الأكثر من الحكماء، ويشهدُ له ما جاءَ عن النّبيّ ﷺ، أنّه قال لأشج عبد القيس: «إنَّ فيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللّهُ: الحِلْمُ والأَنَاةُ، فقالَ: أَخُلُقَيْنَ تَخَلَّقْتُ بِهِمَا؟ أمْ جَبَلَنِي اللّه عليهما؟ فقالَ: «بلْ جَبَلَكَ اللّه عليهما»، فقالَ: الحمدُ للّهِ الذي جَبَلَني على خُلُقَيْنِ يُحِبُّهما اللّه ورسولُه، فأفاد أنَّ مِنَ الخُلُقِ ما هو طبيعة وجِبِلّة، وما هو متكلَّفٌ ومُكْتَسَبٌ. وكان النّبيُّ ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح: «اللّهمَّ آهْدِني لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إلاَّ أنتِ، واصْرِفْ عنّي سَيِّئَهَا، لا يصرفُ عنّي سيّئها إلاّ أنتَ»، فأفادَ أنّه يأتِي بطريق الكَسْبِ إذا وُفِّقَ لذلك، ويَكْتَسِبُ الخُلُقَ بالتّأديب والتّعليم، والوعظ والإرشاد وبمصاحبة الأَخْيَار وأُولي النُّهَىٰ، والنّاسُ ليسُوا في ذلك سواء، فمنهم مَنْ يقبلُ التّأديبَ، ويتحرّكُ إلى الفضيلةِ بسرعةٍ، ومنهم من يقبله ويتحرّكُ إلى الفضيلة بإبطاء، ومنهم من لا يتحرّكُ أصلاً، وذلك فيما إذا كان شريراً بالطبع، بل يزدادُ شرّاً بمخالطة أهل الشّرِّ والفُسُوق، حمانا اللّه تعالىٰ من ذلك. [من تعليق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط على مختصر شعب الإيمان ص ١١٧، ط دار ابن كثير].

المُؤْمِنِينَ إيماناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً»[1].

وعن عبد الله بن عمرو أنّ رسول الله ﷺ لم يكُنْ فَاحِشاً ولا مُتَفَحِّشاً. وقال: «خِيَارُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أخْلاقاً»[2].

وعن أبي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيّ قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «أَحَبُّكُمْ إليَّ وأَقْرَبُكُمْ منِّي مجلساً يومَ القيامةِ أحاسنُكُمْ أخلاقاً، وأبغضُكُمْ إليَّ وأَبْعَدُكُمْ منّي مجلساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَسَاوِئُكُمْ أَخْلاقاً»[3].

وعن أبي الدَّرداء عن النَّبيِّ ﷺ أنّه قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ في المِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ»[4].

---

(١) صحيح سنن أبي داود برقم ٣٩١٦، وصحيح سنن الترمذي برقم ١١٧٨.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٥٥٩ و ٣٧٥٩ و ٦٠٢٩، وصحيح مسلم برقم ٢٣٢١.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ج ٦/ ٢٣٤، وفي مجمع الزوائد ج ٨/ ٢١، وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٤) صحيح سنن أبي داود برقم ٤٠١٤، وأحمد في مسنده ج ٦/ ٤٤٢، والبيهقي في شعب الإيمان ج ٦/ ٢٣٨.

الثّامن والخمسون من شعب الإيمان

الإحسان إلى المماليك[1]

قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٣٦].

وفي حديث المعرور بن سُويد رضي اللّه عنه[2] في «الصحيحين» قال: رأيتُ أبا ذَرٍّ الغفاريَّ رضي اللّه عنه وعليه حُلَّة، وعلىٰ غُلامِهِ حُلَّةٌ مثلُهَا، فسألناهُ عن ذلك، فقال: إنِّي سابَبْتُ رجلاً، فشكاني إلى رسولِ اللّهِ ﷺ، فقال لي رسولُ اللّه ﷺ: «أعَيَّرْتَهُ بأُمِّهِ؟! إنَّكَ ٱمْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، ثمَّ قال: «إنَّ إخْوانَكُمْ خَوَلُكُمْ[3] جعَلَهُمُ اللّهُ تحتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تحتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مِنَ العَمَلِ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ»[4].

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال: كنتُ أَضْرِبُ غُلاماً لي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتاً: «اعْلَمْ أبا مَسْعُودٍ! لَلَّهُ أَقْدَرُ عليكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»، فالْتَفَتُّ فإذا هو رسولُ اللّه ﷺ، فَقلتُ: يا رسولَ اللّهِ! هو حُرٌّ

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/ ٣٦٩.

(٢) هو المعرور بن سويد الأسدي أبو أمية الكوفي من التابعين، عاشَ مائة وعشرين سنة رحمه اللّه.

(٣) الخول: الحشم والخدم، واحده خائل، يقع على العبد والأمة، وهو مأخوذ من التخويل وهو التمليك، والمراد بالإخوان إخوة الإسلام.

(٤) صحيح البخاري ج ١/ ٨٠ و ٨١ وج ١٠/ ١٢٦، وصحيح مسلم برقم ١٦٦١.

لوَجْهِ اللَّهِ، فقالَ: «أمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، للَفَحَتْكَ النَّارُ، أو لَمَسَّتْكَ النَّارُ»[1].

وعن عبد اللَّه بن عمر قالَ: جاءِ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ! كَمْ نَعْفُو عن الخَادِمِ؟ فصَمَتَ، ثم أعادَ عليهِ الكَلامَ، فصمتَ، فلمَّا كان في الثَّالثةِ، قال: «اعْفُوا عنه في كلِّ يومٍ سبعينَ مرَّةً»[2].

(١) صحيح مسلم برقم ٣٥ ـ ١٦٥٩ من كتاب الإيمان، وشعب الإيمان للبيهقي ج ٦/ ٣٧٤.

(٢) صحيح سنن أبي داود برقم ٤٣٠١، وصحيح سنن الترمذي برقم ٢٠٣١.

التَّاسِعُ والخمسُون من شعب الإيمان

حقّ السَّادة على المماليك[1]

وهو لزوم العبد سَيِّدَهُ، وإقامتُهُ حيثُ يَراهُ له، ويأمرُهُ بهِ، وطاعتُهُ له فيما يطيقهُ.

وفي «الصحيحين» من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «إنَّ العَبْدَ إِذَا نَصحَ لِسَيِّدِهِ[2] وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ»[3].

وفي «صحيح مسلم» من حديث جرير بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه[4] أنّ رسول اللَّه ﷺ قال: «أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ»[5].

وفي «سنن أبي داود» من حديثه أيضاً: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «العَبْدُ الآبِقُ لا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَلاَتَهُ حتّى يَرْجِعَ إلىٰ مَوَالِيهِ»[6].

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/ ٣٨١ ـ ٣٨٧.

(٢) قوله: «إذا نصح لسيده» بأن حفظ ماله من الضّياع، وحافظ على عرضه من الخداع، وخلصه من الخلل والغش، وحافظ على عبادة ربِّهِ، بإقامتها بشروطها، والمداومة عليها، له أجران: أجرٌ في عبادة ربّه، وأجر في نصح سيّده، إلاّ أنَّ الأجرين مختلفان، لأنَّ طاعة الربّ تعالىٰ أوجبُ من طاعة السَّيِّد وآكد.

(٣) صحيح البخاري ج ٥/ ١٢٦ و ١٢٨، وصحيح مسلم برقم ١٦٦٤.

(٤) هو جرير بن عبد اللَّه البجلي، أسلم سنة ١٠ هـ ثم نزل الكوفة، ثم انتقل إلى قرقيسيا، توفي سنة ٥١ هـ.

(٥) صحيح مسلم برقم ٦٩ من كتاب الإيمان، وأحمد في مسنده ج ٤/ ٣٥٧ و ٣٦٢.

(٦) صُحيح مسلم برقم ٢٦٣١.

قال الحافظ البيهقي: إنَّ اللَّهَ تعالىٰ عزّ وجلّ قطعَ من الحقوق الذي يكون الحرُّ في نفسِهِ كثيراً عن العبدِ لأجل سيِّدِهِ، وجعَلَ سيِّدَهُ أحقُّ به منهُ بنفسِهِ في أمورٍ كثيرةٍ، فإذا استعصىٰ العَبْدُ على سَيِّدِهِ فإنَّما يستعصِي على اللَّهِ، لأَنَّهُ هو الحاكم عليهِ بالمُلْكِ لسيِّدِهِ، وقد قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].».

وقد قضى اللَّه تعالىٰ بوجوب طاعةِ العبدِ لسيّده في طاعة اللَّه تعالىٰ وطاعته بالمعروف.

السُّنُونَ من شعب الإيمان

حقوق الأولاد والأهلين[(١)]

وهي قيام الرّجل على ولده وأهله، وتعليمه إيّاهم من أمور دِينهم ما يحتاجون إليه.

قال اللّه تعالىٰ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

قال الحسن: أي مُروهم بطاعة اللّه وعلِّموهم الخير، وقال عليٌّ رضي اللّه عنه: علِّموهم: أدِّبُوهم.

وفي حديث أنس في «صحيح مسلم» قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّىٰ تَبْلُغَا جاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ هٰكَذَا، وضَمَّ أُصْبعَيْهِ»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، قال: أبصَر الأقرعُ بن حابس النّبيّ ﷺ وهو يُقَبِّلُ الحسَنَ، فقال: إنَّ لي مِنَ الوَلَدِ عشرةٌ ما قبّلتُ أحداً منهم، فقالَ رسولُ اللّه ﷺ: «إنَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ»[(٣)].

وعن عائشةَ رضي اللّه عنها قالتْ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «مَنِ ابْتُلِيَ بشيءٍ مِنَ البنَاتِ فَصَبرَ عليهِنَّ كُنَّ له حِجَاباً مِنَ النَّارِ»[(٤)].

وعن عائشةَ رضي اللّه عنها قالتْ: دخلتِ امرأة معها ابْنَتَانِ لها،

---

(١) شعَب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/٣٨٩ ـ ٤٢١.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٦٣١.

(٣) صحيح البخاري ج ١٠/٤٢٦ رقم ٥٩٩٧، وصحيح مسلم برقم ٢٣١٨.

(٤) صحيح سنن الترمذي برقم ١٥٦١.

فسألَتْ فلم تجِدْ عندي شيئاً غير تمرةٍ، فأعطيتُهَا إيَّاها، فقسَمَتْها بين ابنتيها ولم تأكلْ منها، ثم قامتْ فخرجتْ، ودخلَ النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: «مَنِ ابْتُلِيَ بشيءٍ من هذه البَنَاتِ كُنَّ له سِتْراً مِنَ النَّارِ»(١).

وذلك لكبيرِ أجرِ مَنْ ربَّى البناتِ تربيةً طيّبةً مباركة، لأنهنّ الأمّهات في المستقبل، وعليهنّ تقومُ دعائمُ الأُسْرةِ الصّالحة، فإنْ صَلحتِ الأُمُّ صلحتِ الأُسْرة، وإنْ فسدتِ الأُمُّ ـ والعياذ باللّه تعالىٰ ـ فسدتِ الأسرةُ، وبالتّالي فسَدَ المجتمعُ، نسألُ اللّه تعالىٰ العافية والسلامة من شرّ كلّ فسادٍ.

وعن أنسٍ بن مالكٍ رضي اللّه عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «مَنْ عالَ جَارِيَتَيْنِ دخلتُ أنا وهو الجَنَّةَ كَهاتَيْنِ»، وأشار بأصْبعَيْهِ(٢).

وعن سهل بن سعدٍ قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «أنَا وكَافِلُ اليتيم، في الجنّة كهاتَيْنِ»، وأشارَ بأصْبعَيْهِ، يعني السَّبَّابَةَ والوُسْطَى(٣).

وعَنْ أنسٍ بن مالكٍ قال: جاءَ شيخٌ يُريدُ النَّبيَّ ﷺ، فأبطأ القَوْمُ عنهُ أنْ يُوَسِّعُوا، فقالَ النبيّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، ولم يُوقِّرْ كَبِيرَنا»(٤).

وفي حديث وفاة إبراهيم بن رسولِ اللّهِ ﷺ: فجعلتْ عَيْنَا رسولِ اللّهِ ﷺ تذرفانِ، فقالَ له عبدُ الرحمٰن بن عوفٍ: وأنتَ يا رسولَ اللّه تَبْكِي؟ فقالَ: «يا ابْنَ عوفٍ إنّها رحمةٌ، ثم أَتْبَعَهَا بأُخْرَى، فقال: إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، والقَلْبَ يحزنُ، ولا نقولُ إلاّ ما يُرْضِي رَبَّنَا، وإنَّا لفِرَاقِكَ يا إبراهيمُ لمَحْزُونُونَ»(٥).

---

(١) صحيح سنن الترمذي برقم ١٥٦٢.
(٢) صحيح سنن الترمذي برقم ١٥٦٣.
(٣) صحيح البخاري ج ٩/٤٣ رقم ٥٣٠٤، وصحيح مسلم برقم ٢٩٨٣، وصحيح سنن الترمذي برقم ١٥٦٤.
(٤) صحيح سنن الترمذي برقم ١٠٦٥، والأحاديث الصحيحة برقم ٢١٩٦.
(٥) صحيح البخاري ج ٣/ ١٧٢، رقم ١٣٠٣، الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢٣١٥.

وقال أسامة بن زيد: «أَرْسَلَتْ ابنةُ النبيّ ﷺ إليه: إنّ ابناً لي قُبِضَ فَأْتِنا، فأرسلَ يُقْرِىءُ السَّلامَ، ويقولُ: إنَّ لِلَّهِ ما أَخَذَ ولهُ ما أَعْطَى، وكُلُّ شَيْءٍ عنده بأجلٍ مُسمّىً، فَلْتَصْبِرْ ولْتَحْتَسِبْ، فَأَرْسَلَتْ إليه تُقْسِمُ عليه ليأتيَنَّهَا، فقَامَ ومعه سعدُ بنُ عُبادَةَ، ومعاذ بن جبلٍ، وأُبيُّ بن كعب، وزيدُ بن ثابتٍ، ورجالٌ، فرُفِعَ إلى رسولِ اللّه ﷺ الصّبيُّ ونفسُهُ تَتَقَعْقَعُ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فقال سعدٌ: يا رسولَ اللّهِ! ما هذا؟ قال: هذه رحمةٌ جعلها اللّهُ في قلوبِ عبادهِ، وإنَّما يَرْحَمُ اللّهُ مِنْ عِبادِهِ الرُّحَماءَ»(١).

وعن جابر بن عبد اللّه قال: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «مَنْ كانَ له ثلاثُ بناتٍ يُؤدّبهُنَّ ويرحمهُنَّ ويكفلهُنَّ، وجبتْ له الجنَّة ألبتَّة»، قيلَ: يا رَسُولَ اللّهِ! فإن كانتَا اثنتين؟ قال: فرأىٰ بعض القوم أنْ لو قالَ واحدة، لقَالَ واحدة. رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط بنحوه، وزاد: «يُزَوِّجُهُنَّ» مِنْ طُرُقٍ، وإسناد أحمد جيّدٌ(٢).

وعن أنسٍ بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «ما مِنْ أُمّتي من أحدٍ يكونُ لهُ ثلاثُ بناتٍ أو ثلاث أخوات يعولهُنَّ إلاّ كانَ مَعي في الجنّة هكذا، وجمع بين أصبعيه السّبّابة والوسطى»، ورواه الطبراني في الأوسط بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح(٣).

وعن أبي هريرة أنَّ رجلاً شَكَا إلى رسول اللّه ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فقال: «امْسَحْ رَأْسَ اليتيمِ وأطعم المسكين»(٤).

وعن النعمان بْنِ بشيرٍ: أنَّ أباه أتى به إلى رسولِ اللّه ﷺ فقال: إنّي

---

(١) صحيح البخاري ج ٣/ ١٥٠ الفتح، وصحيح مسلم برقم ٩٢٣.
(٢) مجمع الزوائد للحافظ البيهقي ج ٨/ ١٥٧.
(٣) مجمع الزوائد ج ٨/ ١٥٧.
(٤) مجمع الزوائد ج ٨/ ٦٠.

نَحَلْتُ ابْني هذا غُلاماً ـ أي عبداً ـ فقال: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نحلتَ مثلَهُ؟» قال: لا، قال: «فارْجِعْهُ»[1]. وفي لفظ: «أَيَسُرُّكَ أن يكونُوا إليكَ في البرِّ سواءً؟»، قالَ: بَلَى، قال: «فلا إذاً»[2]. وفي رواية: «فاتَّقُوا اللَّهَ واعْدِلُوا بينَ أولادِكُمْ»[3].

---

(١) صحيح البخاري ج ٥/ ٢١١ رقم ٢٥٨٦، وصحيح مسلم برقم ١٦٢٣.

(٢) صحيح البخاري ج ٥/ ٢١١ رقم ٢٥٨٧، وصحيح مسلم رقم ١٦٢٣.

(٣) صحيح البخاري ج ٥/ ٢٥٨ رقم ٢٦٥٠، وصحيح مسلم برقم ١٦٢٣.

الحادي والستُّون من شعب الإيمان

مقارَبَة أهل الدِّين، ومودّتهم وإفشاء السّلام بينهم، والمصافحة لهم[1]

ونحو ذلك من أسباب تأكيد المودَّةِ.

قال اللّه تعالىٰ: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟[2] وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۝٢٧﴾ [النور].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «صحيح مسلم» قال رسولُ اللّه ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُونَ الجنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا[3] حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَ لا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلاَمَ[4] بَيْنَكُمْ»[5].

وحديث قتادة في «صحيح البخاري» قال: قلتُ لأنسٍ رضي اللّه عنه: أكانَتِ المُصَافَحَةُ في أصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ فقال: نعم[6].

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/٤٢٣ - ٥٠٦.

(٢) تستأنِسُوا: أي تستأذِنُوا.

(٣) بحذف النون من آخره، وهو لغة معروفة صحيحة، والمعنىٰ: ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أي: لا يكملُ إيمانكم ولا يصلحُ حالُكم في الإيمان إلاَّ بالتحابِّ.

(٤) قال النّووي: السّلام أوّل أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تُمَكّن ألفة المسلمبن بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميّز لهم عن غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النّفس، ولزوم التّواضع، وإعظام حرمات المسلمين.

(٥) صحيح مسلم برقم ٥٤ في كتاب الإيمان، والموطأ ج ٢/٩٥٢.

(٦) صحيح البخاري ج ١١/٤٦، والترمذي برقم ٢٧٣٠.

وحديث أبي هريرة في «صحيح مسلم» قال رسولُ اللّه ﷺ: «إنَّ اللّهَ عَزَّ وجلَّ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلِّي»[1].

وعن مُعاذٍ رضي اللّه عنه قالَ: سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ يقُولُ: «قالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ: المُتَحابُّون في جَلاَلِي، لهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ والشُّهَدَاءِ»[2].

وعن أبي هريرةَ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ رجلاً زارَ أخاً له في قَرْيَةٍ أُخرىٰ، فأَرْصَدَ اللّهُ لهُ على مَدْرَجهِ مَلَكاً، فلمّا أَتَىٰ عليه، قالَ: أينَ تُريدُ؟ قالَ: أريدُ أخاً لي في هذهِ القريةِ، قالَ: هَلْ لكَ عليهِ من نعمةٍ تَرُبُّهَا عليهِ ـ أي تسعىٰ في صَلاَحِهَا ـ قالَ: لاَ، غَيْرَ أَنّي أَحْبَبْتُهُ في اللّهِ تعالىٰ، قالَ: فإنّي رَسولُ اللّهِ إليكَ بأنَّ اللّهَ أحبَّكَ كما أحْبَبْتَهُ فيه»[3].

وعن أبي هريرة قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «مَنْ عادَ مَريضاً أو زَارَ أخاً له في اللّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ بأَنْ طِبْتُ وطَابَ مَمْشَاكَ، وتبوّأْتَ مِنَ الجنّةِ منزلاً»[4].

وعن كعبِ بْنِ عُجْرَةَ أنَّ رسُولَ اللّهِ ﷺ قالَ: «أَلاَ أُخبرُكُم برجالِكُمْ من أهلِ الجنَّةِ؟ النَّبيُّ في الجنَّةِ، والشَّهيدُ في الجنَّةِ، والصّدّيقُ في الجنَّةِ، والمَوْلُودُ في الجنَّةِ، والرَّجُلُ يَزُورُ أخاهُ في نَاحِيَةِ المِصْرِ في اللّهِ في الجَنَّةِ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أهل الجنَّةِ؟ الوَدُودُ الوَلُودُ العَؤُوْدُ الّتي إذا ظُلِمَتْ قالَتْ: هٰذه يَدِي في يَدِكَ، لا أَذُوقُ غُمْضاً حتّىٰ تَرْضَىٰ»[5].

---

(١) صحيح مسلم برقم ٢٥٦٦.

(٢) صحيح سنن الترمذي برقم ١٩٤٨.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٥٦٧.

(٤) صحيح سنن الترمذي برقم ١٦٣٣.

(٥) صحيح الجامع الصغير للشيخ محمد ناصر الدين الألباني برقم ٢٦٠٤.

وقوله: «العَؤود» هي التي تعود على زوجها وأولادها بالعناية والرّعاية لا تغيب =

وقد أثنىٰ اللَّه تبارك وتعالىٰ على الأنصار لاتّصافهم بسلامةِ القلبِ وصفائه، فقال في سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

فمدحَهُم سبحانه وأبانَ فَضْلَهُم وشرَّفَهم علىٰ ما اتَّصفُوا به من الصّفات الكريمة، فهُم يُحبُّون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم، ولا يجدون في أنفسِهِم حَسَداً أو غيظاً أو بغضاً لإخوانهم المهاجرين، وكانوا يُقدِّمونهم على أنفسِهِم في حُظُوظهم الدّنيوية، ولو كان بهم حاجةٌ أو فاقةٌ، فهذه هي صفة أهل الإسلام على الدّوام!!...

= عنهم ولا تهملهم. وقوله: «غُمضَاً» أي نوماً، فلا تنام حتى تُرضي زوجها. وهذه الصّفات قَلَّ مَنْ يتّصف بها من النِّساءِ، ولهذا كانت صاحبة هذه الخِلال من أهل الجنَّة: «الوَدُود العَوُودُ التي إذا ظُلِمَتْ قالتْ: هذه يدي في يدكَ لا أذوق غُمْضاً حتّىٰ تَرضىٰ»!!

الثَّاني والستُّون من شعب الإيمان

رَدُّ السَّلام(١)

قالَ اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

فأبانَ أنَّه جلَّ وعزَّ أمرَ بِهِ لأنَّه أفضلُ، وقالَ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾، يعني: يُسلِّم بعضُكم على بعض ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [سورة النور: ٦١]، فمن سَلَّمَ فإنَّما يَتأدَّبُ بأدب اللَّه جلَّ ثناؤه ويُحيي إخوانَهُ المسلمين بما أمرَهُ اللَّهُ تعالىٰ أن يُحييهم به. ثم إنّه جلَّ وعزَّ قالَ في الرَّدِّ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]، فأمرَ أن يُعامِلَ المُحيي بأحسنَ من تحيَّته أو يردَّ تحيَّتَهُ عليهِ.

قد بَيَّنَّا أنّ السَّلامَ تحيَّةٌ فصحَّ أنَّ من سُلِّمَ عليه فعليه أنْ يُجيب المُسَلِّمَ بأحسنَ من تسليمِهِ أو يقولَ لهُ مِثْلَهُ، فيكون قَدْ رَدَّ عليه تحِيَّتَهُ.

ومعنى الرّدّ أن يَدْعُو لَهُ مثلَ ما دَعَا، فيقولُ: وعليكُمُ السَّلامَ أو يزيدُ فيقولُ: ورحمةُ اللَّهِ وإنْ كانَ قدْ قالَ المُسَلِّمُ: السَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ اللَّه؛ قالَ في الجَواب: وعليكُمُ السَّلامُ ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُهُ، وهذا حَدُّ السَّلام ورَدُّهُ في الشَّريعة. قالَ: وإنَّما كانَ رَدَّ السَّلامِ فَرْضاً، وإنْ كانَ الابتداء تحيَّةً وبرّاً،؛ لأنّ الأَصلَ في التّسليم أنّه كلامُ أمَانٍ كأنَّ مِنْ دَعا لآخر بالسَّلامَةِ فقدْ أعْلَمَهُ من نفسِهِ أنّه لا يُريدُ بِهِ شَرّاً ولا إهانةً، لا يتفرّقُ حُكْمُهُ بين

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/٥٠٧ ـ ٥٢٧.

اثنين، لكنْ كلُّ آمِنَيْنِ، كانَ أحدُهُما آمناً من الآخر، فواجبٌ أن يكونَ الآخرُ آمناً منه، فلا يجوزُ إذا سلَّم واحدٌ على آخر أنْ يَسْكُتَ عنه، فيكونُ قدْ أخافَهُ وأَوْهَمَهُ الشَّرَّ من نفسِهِ، فلذلكَ وَجَبَ عليهِ الرَّدُّ.

عن أَبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «إِيَّاكُمْ والجُلُوسَ في الطُّرُقاتِ»، قالُوا: يا رسولَ اللَّهِ! مَا لَنَا مِن مجالِسِنَا بُدٌّ، نتحدَّثُ فيها، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «إِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ»، قالُوا: ومَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟! قال: «غَضُّ البَصَرِ، وكَفُّ الأَذَى، ورَدُّ السَّلَامِ، والأَمْرُ بالمَعْرُوفِ، والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ»(١).

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أنَّه قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «خَلَقَ اللَّهُ آدمَ على صورَتِهِ، طُولُهُ ستُّونَ ذِراعاً، فلمَّا خَلَقَهُ قالَ لَهُ: اذْهَبْ فسلِّمْ علىٰ أولئكَ النَّفَرِ، وهُمْ نَفَرٌ مِنَ المَلائِكَةِ جُلوسٌ، فاسْتَمِعْ ما يُحيُّونَكَ، فإنَّهَا تَحِيَّتُكَ وتحيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَذَهَبَ، فقالَ: السَّلامُ عليكُمْ، فقالُوا: السَّلامُ عليكَ ورَحْمَةُ اللَّهِ، قالَ: فَزادُوهُ «ورَحْمَةُ اللَّهِ»، قال: فكلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ على صُورَةِ آدَمَ، وطولُهُ ستُّون ذراعاً، فلم يَزَلِ الخَلْقُ ينقصُ بعدَهُ حتَّى الآنَ»(٢).

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتَّىٰ تَحابُّوا، أَوَ لاَ أَدُلُّكُمْ على شَيْءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ»(٣).

وعن عبدِ اللَّهِ بن عَمْرٍو رضي اللَّه عنهما أنَّ رجلاً سألَ النَّبيَّ ﷺ: أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرَأُ السَّلامَ على مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لَمْ

---

(١) صحيح البخاري ج ١١/٩ الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢١٢١، وأبو داود برقم ٤٨١٥، وأحمد في مسنده ج ٣/٣٦ و ٤٧.

(٢) صحيح البخاري ج ١١/٣ الفتح رقم ٦٢٢٧، وصحيح مسلم برقم ٢٨٤١.

(٣) صحيح مسلم في كتاب الإيمان برقم ٩٣/٥٤.

تَعْرِفْ»[1].

وعن أبي هريرةَ رضي اللَّه عنه أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قالَ: «حَقُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وعِيَادَةُ المَرِيضِ، واتّباعُ الجَنَازَةِ، وإجابةُ الدَّعْوَةِ، وتَشْمِيتُ العَاطِسِ»[2].

وعن أبي هريرةَ رضي اللَّه عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ على المَاشِي، والمَاشِي على القَاعِدِ، والقَلِيلُ على الكَثِيرِ»[3].

وعنه أيضاً أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قالَ: «يُسَلِّمُ الصَّغيرُ على الكبيرِ، والمَارُّ على القَاعِدِ، والقَلِيلُ على الكَثيرِ»[4].

وقالَ أنسٌ رضي اللَّه عنه: إنَّ رسولَ اللَّه ﷺ مَرَّ على غِلْمانٍ فسَلَّمَ عليهِمْ[5].

---

(١) صحيح البخاري ج ١١/ ٢١ الفتح رقم ٦٢٣٦، وصحيح مسلم برقم ٦٣/ ٣٩ من كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام.

(٢) صحيح البخاري ج ٣/ ١١٢ كتاب الجنائز برقم ١٢٤٠، وصحيح مسلم برقم ٢١٦٢ وعنده رواية بلفظ: «حقُّ المُسْلمِ على المُسْلمِ سِتٌّ...»، وفيها: «وإذا استنصحكَ فانْصَحْ لهُ...».

(٣) صحيح البخاري ج ١١/ ١٥ الفتح رقم ٦٢٣٢، وصحيح مسلم برقم ٢١٦٠.

(٤) صحيح البخاري ج ١١/ ١٤ برقم ٦٢٣١.

(٥) صحيح البخاري ج ١١/ ٣٢ برقم ٦٢٤٧، وصحيح مسلم برقم ٢١٦٨، واللفظ له.

الثَّالث والسِّتُّون من شعب الإيمان

عِيادة المَريض[1]

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي موسىٰ الأشعري قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أَطْعِمُوا الجَائِعَ، وعُودُوا المريضَ، وفُكُّوا العَانِي»[2]، قال سُفيان: والعاني: الأسيرُ.

وتقدم في الحديث الذي في الصحيحين: «حقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وعِيَادةُ المَرِيضِ. . .»[3].

وعن ثوبان مولىٰ رسول اللَّه ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ المُسْلِمَ إذا عادَ أخاهُ المُسلِمَ لَمْ يَزَلْ في خُرْفَةِ الجَنَّةِ [أي في روضتها] حتَّىٰ يَرْجِعَ»[4].

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّهَ تَعالَىٰ يقولُ يومَ القيامةِ: يا ابنَ آدَمَ مرضتُ فلم تَعُدْني، قالَ: يا ربِّ كيفَ أعودُكَ وأنت ربُّ العالمين؟! قال: أما علمتَ أن عبدِي فلاناً مَرِضَ فلم تَعُدْهُ، أمَا علمتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لوجدتني عندَهُ؟! ابْنَ آدَمَ استطعمتُك فلم تُطْعِمْني؟ قال: يا ربِّ وكيفَ أُطْعِمُكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟ قالَ: أمَا علمت أنَّهُ استطعَمَكَ عبدي فلانٌ فلم تُطْعِمْهُ، أمَا علمتَ أنَّكَ لو أَطعمتَهُ لوجدْتَ

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٦/٥٢٩ ـ ٥٤٧.

(٢) صحيح البخاري ج ١٠/١١٢، الفتح برقم ٥٦٤٩.

(٣) صحيح البخاري ج ٣/١١٢ برقم ١٢٤٠، وصحيح مسلم برقم ٢١٦٢.

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٥٦٨.

ذلكَ عندِي؟! يا ابْنَ آدَمَ استسقيتُكَ فلم تُسْقِنِي، قالَ: يا ربِّ كيفَ أسقيكَ وأنتَ ربُّ العالمين؟ قالَ: استسقاكَ عبدِي فلانٌ فلم تُسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لوجدتَ ذلك عندي؟!»[1].

وعن ابنِ عباسٍ رضي اللّه عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخلَ على رَجُلٍ يَعُودُهُ [وكان إذا دخلَ على مريضٍ يَعُودُهُ]، قال: لا بَأْسَ، طَهُورٌ إنْ شاءَ اللّهُ تعالىٰ. . . .» الحديث[2].

وعن عبد اللّه بْنِ مسعودٍ رضي اللّهُ عنه قالَ: أتيتُ النبيَّ ﷺ في مرضِهِ، فَمَسَسْتُهُ ـ وهو يُوعَكُ وَعَكاً شديداً ـ فقلتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وعكاً شديداً، وذلكَ أنَّ لك أجْرَيْنِ؟ قالَ: «أَجَلْ، ومَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصيبُهُ أذىً إلاَّ حاتَّتْ عنهُ خَطَايَاهُ كَمَا تَحاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ»[3].

[وفي هذا الحديث مشروعية السؤال عن حال المريض والتَّحدُّث عمَّا فيهِ من التَّوعُّكِ، وفيه مروعية تبشيرهِ بعفوِ اللّهِ تعالىٰ ورحمته].

وعن أُمِّ المؤمنينَ عائشة رضي اللّه عنها قالت: كانَ النبيُّ ﷺ إذا اشتكىَ منَّا إنسانٌ مَسَحَهُ بيمينِهِ، ثُمَّ قالَ: أَذْهِبِ البَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، واشْفِ أنتَ الشَّافِي، لا شِفَاءِ إلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءِ لاَ يُغادِرُ سَقَماً»[4].

وعنها رضي اللّهُ عنها قالتْ: إنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ كانَ يقولُ للمريضِ: «بِسْمِ اللّهِ، تربةُ أَرْضِنَا، بريقَةِ بَعْضِنَا، يُشفَى سقيمُنَا، بإذنِ ربِّنا»[5].

وعنها أيضاً قالتْ: كانَ رسولُ اللّهِ ﷺ إذا مَرِضَ أحدٌ من أهلِهِ، نفثَ عليهِ بالمُعَوِّذاتِ، فلمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الذي ماتَ فيه، جعلتُ أنفثُ عليهِ،

---

(١) صحيح مسلم برقم ٢٥٦٩.
(٢) صحيح البخاري ج ١٢١/١٠ الفتح برقم ٥٦٦٢.
(٣) صحيح البخاري ج ١٢١/١٠ برقم ٥٦٦١.
(٤) صحيح البخاري ج ١٣١/١٠ الفتح برقم ٥٦٧٥، وصحيح مسلم برقم ٢١٩١.
(٥) صحيح البخاري ج ٢٠٦/١٠ برقم ٥٧٤٥.

وأَمْسَحُهُ بيدِ نفسِهِ، لأنّها كانت أعظمَ بركةً من يَدِي[١].

وعنها رضي اللّهُ عنها قالتْ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يَنْفِثُ على نفسهِ ـ في المرضِ الّذي ماتع فيهِ ـ بالمُعَوِّذاتِ، فلمّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفَثُ عليه بِهِنَّ، وأمسحُ بيدِ نفسِهِ رجاءَ بركتِهَا[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه: أنَّ جبريلَ أتىٰ النَّبيَّ ﷺ فقالَ: «يا محمَّدُ اشتكيتَ؟ فقالَ: نعم، قالَ: بِسْمِ اللّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أو عَيْنٍ حَاسِدَةٍ اللّهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللّهِ أَرْقِيكَ»[٣].

وفي حديثِ البَرَاءِ بنِ عازبٍ[٤]: «أَمَرَنَا رسولُ اللّهِ ﷺ بِسَبْعٍ، ونَهَانَا عَنْ سَبْعٍ، أَمَرَنَا بعيادة المرضىٰ. . .» الحديث[٥].

فَعِيَادَةُ المريضِ سُنَّةٌ ثابتةٌ مِنْ سُنَنِ هَدْيِ النُّبُوَّةِ وهي شعبة من شعب الإيمان. . .

ولا فرقَ بينَ أن يكونَ المريضُ بَرّاً أو فاجراً، ولكنْ يَنْبَسِطُ إلىٰ البَرِّ، وينقبِضُ عن الفاجرِ.

ويتعيّنُ أمرُ المريضِ بالصَّبرِ على ما نزلَ به من البلاءِ، وأمرُ الفاجرِ بتقوىٰ اللّهِ تعالىٰ والتّوبة إليهِ سبحانهُ.

---

(١) صحيح مسلم برقم ٢١٩٢.

(٢) صحيح البخاري ج ١٠/ ١٩٥ ، والفتح برقم ٥٧٣٥.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢١٨٦.

(٤) هو البراء بن عازب الحارث الخزرجي أبو عمارة، قائد، من أصحاب الفتوح، أسلم صغيراً وغزا مع رسول اللّه ﷺ خمس عشرة غزوة، أولها الخندق، توفي رضي اللّه عنه سنة ٧٢ هـ.

(٥) صحيح البخاري ج ١١/ ١٥ ـ ١٦، وج٣/ ٩٠، وج٥/ ٧٢، و٩/ ٢١٠، و ١٠/ ٢٦٦، وصحيح مسلم برقم ٢٠٦٦، وأحمد في مسنده ج ٤/ ٢٨٤ و ٢٨٧ و ٢٩٩.

الرَّابِعُ والسِّتُّون من شعب الإيمان

الصّلاة على من ماتَ مِنْ أهل القِبْلَةِ(1)

قال اللّه تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [سورة التوبة: ٨٤].

في هذه الآية الأمر بتركِ الصّلاةِ على من مات من المنافقين المعلومِ النّفاقِ، وهي تدلّ على الأمر بالصّلاة على من مات من المسلمين والاستغفارِ له، والقيام على قبره، وزيارتِهِ.

والصّلاةُ على أمواتِ المسلمين استشفاعٌ لهم، والقيامُ على قبورهِم إكرامٌ لهم، وليس هذا لمن مات كافراً أو منافقاً.

ويُفهم من الآية من طريق دليلِ الخطاب مشروعيّةُ الوقوفِ على قبر المسلم إلىٰ أن يُدْفَنَ بعدَ الصّلاةِ عليهِ، وكان رسولُ اللّه ﷺ يفعله، وقد قامَ على قبرٍ حتى دُفِنَ الميّت، ودَعَا له بالتّثبيت، وكانَ ابْنُ الزّبير إذا ماتَ له ميّتٌ، لم يَزَلْ قائماً على قبرهِ حتّى يُدْفَنَ.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنهُ قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «حقُّ المسلم على المسلم خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وعيادَةُ المَـرْضَـىٰ، وتشميـتُ العـاطِـسِ(2)، واتّبـاعُ الجنـائـزِ، وإجـابَـةُ

---

(1) شُعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٣/٧ ـ ٢٢، والصّلاة على أهل القبلة: أي على من مات مسلماً ظاهر الإسلام، فمن كان في إسلامه منافقاً وعُلم نفاقه فلا، ومن لم يُعرفْ فحكمه حكم الصّلاة على أموات المسلمين، وكذا العُصاة.

(2) تشميتُ العاطس معناه: أبعدَ اللّهُ عنك الشماتَةَ.

الدَّعْوَةِ»[1].

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مسلمٍ إيماناً واحْتِسَاباً وكانَ معها حتَّىٰ يُصَلَّى عليها ويُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّه يَرْجِعُ مِنَ الأجرِ بقيراطَيْنِ كلُّ قيراطٍ مثلَ أُحُدٍ، ومَنْ صَلَّىٰ عليها ثمَّ رجعَ قبلَ أن تُدْفَنَ فإنّه يَرْجِعُ بقيراطٍ»[2].

وعن عوفِ بْنِ مالكٍ قالَ: صلَّىٰ رسولُ اللَّه ﷺ على جَنَازَةٍ فحفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ، وهو يقولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لهُ وارحمهُ وعافِهِ واعفُ عنه، وأَكْرِمْ نُزُلَهُ ووسِّعْ مُدْخَلَهُ، واغسِلْهُ بالماءِ والثَّلْجِ والبَرْدِ، ونَقِّهِ مِنَ الخَطَايَا كما نَقَّيْتَ الثوبَ الأبيضَ مِنَ الدَّنَسِ، وأَبْدِلْهُ داراً خيراً من دارِهِ، وأهلاً خيراً مِنْ أَهلِهِ، وزوجاً خيراً من زوجِهِ، وأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وقِهِ فِتْنَةَ القبرِ وعَذَابَ النَّارِ»[3].

وعن أُمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضي اللَّه عنها قالتْ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصلِّي عليهِ أُمَّةٌ من المسلمين يَبْلُغُونَ مائَةً، كُلُّهُمْ يشفَعُونَ له إلاَّ شُفِّعُوا فيهِ»[4].

وفي حديث آخر عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قالَ: سمعتُ رسول اللَّه ﷺيقولُ: «ما مِنْ رجلٍ مسلمٍ يموتُ فيقومُ على جنازتِهِ أربعُونَ رجلاً، لا يُشْرِكُونَ باللَّهِ شَيْئاً إِلاَّ شَفَّعَهُمْ اللَّهُ فيهِ»[5].

---

(١) صحيح البخاري ج ٣/ ٩٠ برقم ١٢٤٠، وصحيح مسلم برقم ٢١٦٢، ومن فاتتهُ صلاة الجنازة بجماعة فليصلِّ على القبر، ففي صحيح مسلم برقم ٩٥٤: أن رسول اللَّه ﷺ صلّى على قبرٍ بعد ما دفن، فكبّر عليه أربعاً.

(٢) صحيح البخاري ج ٣/ ١٩٦ برقم ١٣٢٥، وصحيح مسلم برقم ٩٤٥.

(٣) صحيح مسلم برقم ٩٦٣، يقول عوف في آخر الحديث: حتى تمنيت أن أكونَ ذلك الميتَ.

(٤) صحيح مسلم برقم ٩٤٧.

(٥) صحيح مسلم برقم ٩٤٨.

الخامس والستون من شعب الإيمان

تشميت العاطس[١]

حديث أبي بُرْدَةَ في «صحيح مسلم» عن أبي موسىٰ الأشعريِّ رضي اللَّه عنه[٢]، قالَ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إذا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّه فَشَمِّتُوهُ، وإذَا لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ فَلاَ تُشَمِّتُوهُ»[٣].

التّشميتُ: الدُّعاء بالخير والبركة.

والشماتةُ: فرحُ العدوِّ ببليّةٍ تنزل بمن يُعاديهِ، يُقالُ: شَمِتَ به يَشْمَتُ فهوَ شَامِتٌ. ومنه: «ولا تُطِعِ فيَّ عدوّاً شامتاً»، أي: لا تفعل بي ما يُحبُّ[٤].

وفي فتح الباري بشرح «صحيح البخاري»[٥]: قال الحليمي: الحكمةُ في مشروعية الحمدِ للعاطسِ أنّ العُطاس يدفعُ الأَذىٰ من الدّماغ الذي فيه قوّة الفكر. ومنه منشأ الأعصاب التي هي معدن الحسِّ وبسلامته تسلمُ الأعضاء، فيظهر بهذا أنّها نعمةٌ جليلةٌ فناسَبَ أن تُقَابَلَ بالحمد لما فيه من الإقرار للَّه تعالىٰ بالخلق والقدرة، وإضافة الخلق إليه لا إلىٰ الطّبائع.

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٧/ ٢٣ ـ ٣٥.

(٢) هو عبد اللَّه بن قيس بن سليم بن خضّار، أبو موسىٰ الأشعري رضي اللَّه عنه، من فقهاء الصحابة وعلمائهم، ومن أحسن الناس صوتاً بالقرآن، توفي رضي اللَّه عنه سنة ٥٠ هـ. وقيل: بعدها، واختلف في مكان وفاته.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٩٩٢، والإمام أحمد في مسنده ج ٤/ ٤١٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث ج ٢/ ٤٩٩.

(٥) فتح الباري ج ١٠/ ٦٠٢.

وقال الحافظ بن حجر: ومن آداب العاطسِ أن يخفض بالعطسِ صوته، ويرفع بالحمد، وأن يُغطي وجهَهُ لئلا يبدو من فيهِ أو أنفهِ ما يُؤذي جليسَهُ، ولا يلوى عُنُقَهُ يميناً ولا شمالاً لئلاّ يتضرّر بذلك[1].

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: كان رسولُ اللّه ﷺ إذا عطسَ وضع يدهُ أو ثوبَهُ على فِيهِ، وخفض، أو غض بها صوتَهُ»[2].

وعنه رضي اللّه عنه عن النبيّ ﷺ أنّهُ قال: «إنَّ اللّهَ يحبّ العُطَاسَ، ويكرهُ التَّثاؤُبَ، فإذا عَطَسَ أحدُكم وحَمِدَ اللّهَ كانَ حقّاً على كلِّ مسلمٍ سمِعَه أنْ يقولَ لهُ: يرحَمُكَ اللّهُ، فأَمَّا التَّثاؤُب فإنّما هو من الشيطان، فإذا تَثَاءَبَ أحدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ ما استطاعَ، فإنّ أحدَكم إذا تَثَاءَبَ ضَحِكَ منه الشيطانُ»[3].

وعنهُ أيضاً أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «إذا عَطَسَ أحدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحمدُ للّهِ، وَلْيَقُلْ لهُ أخوهُ أو صاحبُهُ: يرحَمُكَ اللّهُ، فإذا قالَ له: يرحمك اللّهُ، فَلْيَقُلْ: يهديكُمُ اللّهُ وَيُصْلِحَ بَالكُمْ»[4].

وعن أنسٍ رضي اللّه عنه أنّه قال: عَطَسَ رجلانِ عند النّبيّ ﷺ فشمَّتَ أحدَهُمَا، ولم يُشَمِّتِ الآخَرَ، فقَالَ الرَّجلُ: يا رسولَ اللّهِ! شمَّتَ هذا ولم تُشَمِّتنِي؟ قال: «إنَّ هذا حَمِدَ اللّهَ، ولم تَحْمَدِ اللّهَ»[5].

وعن أبي موسىٰ رضي اللّه عنه أنّه قالَ: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقولُ: «إذا عَطَسَ أحدُكُمْ فَحَمِدَ اللّهَ، فَشَمِّتُوهُ، وإنْ لم يحمد اللّهَ فلا

---

(١) فتح الباري ج ١٠/٦٠٢.

(٢) صحيح سنن أبي داود برقم ٤٢٠٧، وصحيح سنن الترمذي برقم ٢٩٠٥.

(٣) صحيح البخاري ج ١٠/٦٠٧، الفتح رقم ٦٢٢٣.

(٤) صحيح البخاري ج ١٠/٦٠٨، الفتح رقم ٦٢٢٤.

(٥) صحيح البخاري ج ١٠/٦١٠، الفتح رقم ٦٢٢٥، وصحيح مسلم برقم ٢٩٩١.

تُشَمِّتُوهُ»[1].

وعن سَلَمَةَ بن الأكوع رضي اللّه عنه أنّه سمع النّبيّ ﷺ وَعَطَسَ رجلٌ عندَهُ، فقال له: «يَرْحَمُكَ اللّهُ»، ثم عَطَسَ أخرَى، فقالَ: «الرَّجُلُ مَزْكُومٌ»[2].

---

(١) صحيح مسلم برقم ٢٩٩٢.
(٢) صحيح مسلم برقم ٢٩٩٣.

السّادس والسّتون من شعب الإيمان

في مباعَدَةِ الكفّارِ والمفسِدينَ، والغِلْظَةِ عليهم[1] والبَراءَة منهم

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة] إلى آخر الآية التي بعدها وغيرها من الآيات.

ولحديث أبي هريرة رضي الله عنهُ في «صحيح مسلم»، قال رسولُ الله ﷺ: «إذَا لَقِيتُمْ المُشْرِكِينَ في الطَّرِيقِ فَلَا تَبْدَؤُوهُم بالسَّلامِ

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٧/ ٣٧ ـ ٧٢.

واضْطَرُّوهُمْ إلىٰ أَضْيَقِهَا»[1].

وحديث أبي سعيد رضي اللَّه عنه في «سنن أبي داود»: «لا تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِناً، ولا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ»[2].

ولِهجرِهِ ﷺ الثلاثة الذي خُلِّفُوا خمسين يوماً إلىٰ أن تاب اللَّهُ عليهم فتابوا، وهم كَعبُ بن مالك، ومُرارةُ بنُ الرَّبيع، وهِلالُ بنُ أُمَيَّةَ، رضي اللَّه عنهم، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي وردت في كتاب اللَّهِ تعالىٰ وفي سنَّةِ رسوله ﷺ، وما في معناها علىٰ أنّ المسلم لا ينبغي له أن يُوادَّ كافراً وإنْ كان أبَاهُ أو ابْنَهُ أو أَخَاهُ، ولا يُقاربه ويجزيهِ في الخُلْطَةِ والصحبة، كما يُقارب أخاه المسلم ويجزيه في المودّة والمحبَّةِ، ولو كان المسلم لا تجمعه معه قرابةٌ، فإنّ أخوّة الإيمان والإسلام أقوىٰ وأكبر من قرابة الدّم والنّسب.

وهنا لا بدَّ من بيان عقيدة الوَلاَءِ والبراء في الإسلام.

الولاء والبراء في العقيدة الإسلامية[3]

مفهوم الوَلاَء والبَرَاء:

الولاء في اللغة: جاء في لسان العرب: المُوالاة ـ كما قال ابن الأعرابي ـ: أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصّلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يُحابيه، ووالىٰ فلانٌ فلاناً: إذا أحبَّهُ.

والمولىٰ: اسمٌ يقع على جماعة كثيرة، فهو: الرّبُّ، والمَالِكُ،

---

(١) صحيح مسلم برقم ٢١٦٧، وسنن الترمذي برقم ٢٧٠١، وأبو داود برقم ٥٢٠٥.

(٢) صحيح سنن أبي داود برقم ٤٠٤٥.

(٣) الوَلاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف: لمحمد بن سعيد بن سالم القطحاني ٨٧ ـ ٩٢.

والسَّيِّدُ، والمُنْعِمُ، والمُعْتِقُ، والنّاصر، والمُحبّ، والتّابع، والجار، وابن العم، والحليف، والعقيد، والصّهر، والعبد، والمعتَق، والمنعم عليه. ويُلاحظ في هذه المعاني أنها تقوم علىٰ النّصرة والمحبّة[1].

والوَلاية ـ بالفتح ـ في النّسب والنّصرة والعتق.

والمُوالاة ـ بالضّم ـ من والىٰ القوم. قال الشافعي في قوله ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فعليٌّ مَوْلاَهُ»[2]، يعني بذلك وَلاَء الإسلام؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد].

والموالاة ضدّ المُعاداة، والولي ضدّ العدوّ، قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم].

قال ثعلب: كلُّ مَنْ عَبَدَ شَيئاً من دونِ اللَّهِ فقد اتَّخذهُ وَلياً؛ وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وليُّهم في نصرهم على عدوّهم، وإظهار دينهم على دين مُخَالفيهم. وقيل: وليُّهم، أي: يتولى ثوابهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم. والوَلْيُ: القُرْبُ والدُّنو[3]. والمُوَالاَةُ: المتابعة. والتّولّي: يكون بمعنى الإعراض، ويكون بمعنىٰ الاتّبَاع. قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، أي: إن تعرضوا عن الإسلام.

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ١٥/٤٠٦ - ٤٠٧، وانظر القاموس المحيط ٤/٢٩٤ ط ٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند عن البراء ٤/٢٨١، وأيضاً عن زيد بن أرقم ٤/٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢، والترمذي في المناقب ج٩/٣٠٠ رقم ٣٧١٤، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وهو في صحيح الجامع الصغير برقم ٦٣٩٩.

(٣) المصباح المنير للفيومي ج ٢/٨٤١.

[المائدة]، معناه: مَنْ يتّبعهم وينصرهم.

وقال صاحب المصباح المنير: الوَلِيُّ: فعيل بمعنى فاعل، مَنْ وَلِيَهُ إذَا قَامَ بهِ، ومنهُ قولهُ تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧].

ويكون الولي: بمعنىٰ مفعول، في حقِّ المطيع، فيُقال: المؤمنُ وَلِيُّ اللّه، وَوَالاَهُ مُوَالاَةً وولاءً: من باب «قاتل» أي تابعه[١].

تعريف البَرَاء في اللّغة: قال ابن الأعرابي: بريء: إذا تخلّص، وبريء: إذا تنزّه وتباعدَ، وبرىء: إذا أعذَرَ وأنذَرَ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ١]، أي: إعذار وإنذار.

وفي حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه لما دعاه عمر إلىٰ العمل فأبىٰ، قال عمر: إنّ يوسف قد سأل العمل، فقال أبو هريرة: إنّ يوسف منّي بريء، وأنا منه براء[٢]. أي بريء عن مساواته في الحكم وأنْ أُقاسَ به، ولم يُرِدْ براءة الولاية والمحبّة؛ لأنّه مأمور بالإيمان به. انتهى من النهاية.

والبراء والبريء سواء.

وليلة البراء: ليلة يتبرّأ القمر من الشّمس، وهي أوّل ليلة من الشّهر[٣].

تعريف الوَلاء بالمعنىٰ الاصطلاحي: الولاية: هي النصرة والمحبّة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً. قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧][٤].

---

(١) المصباح المنير للفيومي ج٢/٨٤١.

(٢) هذا الأثر ذكره ابن الأثير في كتابه «النهاية في غريب الحديث» ١/١١٢ تحقيق الزاوي والطناجي.

(٣) لسان العرب ١/١٨٣، والقاموس المحيط ١/٨.

(٤) شرح الطحاوية ص٤٠٣، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٤٢٢.

فمُوالاَةُ الكفّار تعني التقرّب إليهم وإظهار الوُدّ لهم، بالأقوال والأفعال والنّوايا(١).

تعريف البراء بالمعنىٰ الاصطلاحي: هو البُعْدُ والخَلاَصُ والعَدَاوَةُ بعد الاعذار والإنذار.

شرح تعريف الوَلاَءِ والبَرَاءِ: قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية: «الولاية: ضدّ العداوة. وأصل الولايةُ: المحبّةُ والقُرْب.. أصل العداوة: البُغْضُ والبُعْدُ»... والولي: القريب يقال: هذا يلي هذا، أي يقربُ منه، ومنه قوله ﷺ: «أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بأهلها فما بقي فهو لأولىٰ رجلٍ ذكرٍ»(٢)، أي لأقرب رجلٍ إلىٰ الميّت.

فإذا كان ولي اللّه هو الموافق المتابع له فيما يُحبّه ويَرْضَاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليّه معادياً له؛ كما قال اللّه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، فمَن عادىٰ أولياءَ اللّه فقد عاداه، ومن عاداه فقد حارَبَهُ، ولهذا جاء في الحديث: «مَنْ عادَىٰ لي وَليّاً فَقَدْ بَارَزَني بالمُحَارَبَةِ»(٣).

ومُسَمَّىٰ المُوَالاَةِ «لأعداء اللّه»: يقع على شُعَبٍ مُتَفَاوتةٍ منها ما يُوجبُ الرِّدّة وذهابَ الإسلام بالكلّيّة، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرّمات(٤).

ولمّا عقدَ اللّهُ الأخوّةَ والمحبّةَ والمُوالاَةَ والنّصرةَ بين المؤمنين،

---

(١) كتاب الإيمان لنعيم ياسين ص ١٤٥.

(٢) هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الفرائض ١٢/١١، رقم ٦٧٣٢، ومسلم في الفرائض ٣/١٢٣٣، رقم ١٦١٥.

(٣) الفرقان لابن تيمية ص ٧. أمّا الحديث فقد رواه البخاري في كتاب الرقائق باب التواضع ١١/٣٤١ رقم ٦٥٠٢.

(٤) انظر الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ ص ٤٣.

ونهىٰ عن مُوالاة الكافرين كلِّهم من يهودٍ ونصارىٰ وملحدين ومشركين وغيرهم، كان من الأصول المُتّفق عليها بين المسلمين: أنّ كل مؤمن موحّد تاركٍ لجميع المكفّرات الشّرعية تجب محبتُهُ ومُوَالاَتُهُ ونُصْرَتُهُ، وكلُّ مَنْ كان بخلاف ذلك وجبَ التّقرّب إلى اللَّهِ بِبُغْضِهِ ومعاداته، وجهاده باللّسان واليَدِ بحسب القدرة والإمكان.

حيث إنّ الولاءَ والبراءَ تابعان للحبّ والبُغْض، فإنّ أهل الإيمان أن تُحبَّ في اللَّهِ أنبياءَهُ وأَتْبَاعَهُمْ، وتبغض في اللَّهِ، أعداءَهُ وأعداءَ رُسُلِهِ[(١)].

وقد وَرَدَ عن ابن عبّاس رضي اللَّه عنهما قوله: «مَنْ أحبَّ في اللَّهِ، وأبغض في اللَّه، ووَالَىٰ في اللَّهِ، وعادىٰ في اللَّه، فإنّما ينال ولاية اللَّه بذلك، ولن يجدَ عبدٌ طعمَ الإيمانِ وإن كثرتْ صلاتُهُ وصومُهُ حتى يكون بذلك، وقد صارتْ عامّةُ مؤاخاة النّاس على أمر الدّنيا، وذلك لا يُجْدِي على أهله شيئاً».

وإذا كان حَبْرُ هذه الأُمّة يذكر أنّ مُؤَاخَاةَ النّاس في زمانِهِ قد أصبحتْ على أمر الدّنيا، وأنّ ذلك لا يُجْدِي على أهله شيئاً، وهذا في القَرْنِ الذي هو خير القرون، فجديرٌ بالمؤمن أن يعيَ ويعرفَ مَنْ يُحِبُّ ومَنْ يُبْغِضُ، ومَنْ يُوَالِي ومَنْ يُعَادِي، ثم يزنِ نفسَهُ بميزان الكتاب والسّنّة ليرىٰ أَوَاقِفٌ هو في صَفِّ الشّيطان وحزبِهِ أمْ في صفِّ عبادِ الرحمٰن وحزبِ اللَّه الذينَ هُمُ المفلِحُون؟ وما عداهم فأولئك هُمُ الّذين خَسِرُوا الدّنيا والآخرة!.

أصل الولاء لله ولرسوله

كلمة التوحيد: «لا إلٰه إلاّ اللَّه محمّد رسول اللَّه»[(٢)].

ومعناها: لا معبُودَ بحقٍّ إلاّ اللَّه، وبذلك تَنْفِي الإلٰهيّةَ عمّا سوىٰ اللَّهِ

---

(١) انظر الفتاوى السّعدية للشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي ١/٩٨.

(٢) الولاء والبراء في الإسلام: من مفاهيم عقيدة السلف، لمحمد بن سعيد القطحاني ٢٣ ـ ٢٨.

وتُثْبتُهَا لِلَّهِ وَحْدَهُ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه: «ليسَ للقلوبِ سُرورٌ ولا لِذَّةٌ تامّةٌ إلاّ في محبّةِ اللَّه، والتقرّب إليه بما يُحبُّهُ، ولا تمكّن محبّته إلاّ بالإعراض عن كلِّ محبُوب سواه، وهذا حقيقة: «لا إلٰه إلاّ اللَّه»، وهي ملّة إبراهيم الخليل عليه السّلام وسائر الأنبياء والمرسلين صلاة اللَّه وسلامه عليهم أجمعين»(١). أمّا شقها الثاني «محمّدٌ رسُولُ اللَّهِ» فمعناه تجريدُ مُتابعته ﷺ فيما أمرَ والانتهاء عمّا نهىٰ عنه وزجر.

ومن هنا كانت «لا إلٰه إلاّ اللَّه» ولاءً وبراءً، نفياً وإثباتاً.

ولاءً للّه ولدينهِ وكتابهِ وسنّةِ نبيّهِ وعبادِهِ الصّالحين.

وبراءً من كل طاغوتٍ عُبِدَ من دون اللَّهِ(٢): ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وفي هذا يقولُ الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب: واعلمْ أنّ الإنسان ما يصيرُ مُؤمناً باللَّهِ إلا بالكفر بالطّاغُوتِ، والدّليل هذه الآية(٣)، يعني الآية السابقة [٢٥٦ سورة البقرة].

وكلمةُ التّوحيد ولاءٌ لشرع اللَّهِ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف].

﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم:

---

(١) مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٣٢/٢٨، جمع عبد الرحمٰن بن قاسم. ط الأولىٰ مطبعة الحكومة سنة ١٣٨١ هـ.

(٢) عرّفَ ابن القيم الطاغوت تعريفاً جامعاً فقال: الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير اللَّه ورسوله، أو يعبدونه من دون اللَّه، أو يتبعونه على غير بصيرة من اللَّه، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنّه طاعة للّهِ. فتح المجيد لعبد الرحمٰن بن حسن ص ١٦ ط ٧ سنة ١٣٧٧ هـ مطبعة أنصار السنة.

(٣) الدرر السنية ج ٩٥/١، جمع عبد الرحمٰن بن قاسم.

٣٠].

وبراءٌ مِنْ حُكْمِ الجاهليّةِ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

وبَراءٌ مِنْ كُلِّ دينٍ غير دين الإسلام: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

ثم هي نفيٌ وإثباتٌ: تنفِي أربعةَ أمورٍ، وتُثبتُ أربعةَ أمورٍ:

تنفي: الآلهةَ، والطواغيتَ، والأنداد، والأرباب.

فالآلهةُ: ما قَصدتَهُ بشيءٍ من جَلْبِ خيرٍ أو دفعِ ضَررٍ، أنتَ مُتَّخِذَهُ إلٰهاً.

والطّواغيتُ: مَنْ عُبِدَ وهو رَاضٍ، أو رُشِّحَ للعبادةِ.

والأنداد: ما جذبك عن دين الإسلام، من أهلٍ، أو مسكنٍ، أو عشيرةٍ، أو مالٍ: فهو ندٌّ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

والأرباب: مَنْ أفتاكَ بمخالفةِ الحقِّ وأطَعْتَهُ مِصْداقاً؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وتُثبِتُ خمسةَ أمورٍ:

القصدَ: وهو كَوْنُكَ ما تقصدُ إلاّ اللّٰهَ.

والتَّعظيمَ والمحبَّةَ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

والخوفَ والرّجاء؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس].

فمن عرف هذا قطع العُلاقةَ مع غيرِ اللَّهِ، ولا تكبر عليها جَهَامَةُ البَاطِلِ، كما أخبر تعالىٰ عن إبراهيم عليه وعلىٰ نبيّنا أفضلُ الصّلاة والسّلام بتكسير الأصنام، وتبرّيةِ من قومهِ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤][(١)].

ولقد جاءَ القرآنُ مِنْ أوّلِهِ إلى آخرهِ يُبيِّنُ مَعْنَى لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّه، بنفي الشّرك وتوابعه، ويقرّر الإخلاص وشرائعه، فكلُّ قولٍ وعملٍ صالحٍ يُحبُّهُ اللَّه ويرضاه هو من مدلول كلمةِ الإخلاص؛ لأنّ دلالتها على الدِّين كلّه إمّا مُطابقةً وأمّا تضمّناً وإمّا الْتِزاماً[(٢)]، يقرّر ذلك أنّ اللَّهَ سَمّاها كلمةَ التّقْوىٰ.

والتّقوىٰ: أن يتّقي سُخْطَ اللَّهِ وعقابَهُ بترك الشرك والمعاصي، وإخلاص العبادةِ للَّه، واتّباع أمره على ما شرعه؛ كما قال ابن مسعود رضي اللَّه عنه «أنْ تعملَ بطاعة اللَّه، على نورٍ من اللَّهِ، ترجُو ثَوابَ اللَّهِ، وأنْ تتركَ معصيةَ اللَّهِ على نور منَ اللَّهِ، تخافُ عقابَ اللَّهِ»[(٣)].

أمَّا كيف تمَّ لأصحاب رسول اللَّه ﷺ معرفة هذه الكلمة والتزام أحكامها والعمل بمقتضياتها ولوازمها فيشرح ذلك الإمام الجليل سفيان بن عُيينة[(٤)]: حدث محمّد بن عبد الملك المصيصي قال: كُنّا عند سفيان بن

---

(١) بضع رسائل في عقائد الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣٥ تحقيق محمد رشيد رضا. الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩، مطبعة المنار بمصر.

(٢) دَلاَلَةُ المُطَابَقَةِ: هي دَلاَلَةُ اللَّفظِ على كلِّ معناه.
دَلاَلَةُ التّضمّن: هي دَلاَلَةُ الّفظِ على جزء معناه.
دَلاَلَةُ الالتزام: هي دَلاَلَةُ اللّفظِ على معنىً خارجٍ عنه لكنّه لازمٌ له.

(٣) انظر المورد العذب الزّلال ضمن مجموع الرسائل والمسائل النّجدية ج ٤/ ٩٩، تحقيق رشيد رضا، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٦ هـ، مطبعة المنار بمصر.

(٤) هو الإمام محمد سفيان بن عُيينة الهلالي، الحافظ، أحد أعلام الإسلام ولد سنة ١٠٧ هـ، وتوفي سنة ١٩٨ هـ وله إحدى وتسعون سنة، قال فيه الشافعي: لولا مالك وابن عُيينة لذهبَ علمُ الحجازِ وقال فيه أحمد بن حنبل: ما رأيتُ أحداً =

عُيينة في سنة سبعين ومائة، فسأله رجلٌ عن الإيمان؟ فقال: قولٌ وعملٌ. قال: يزيدُ وينقصُ؟ قال: يزيدُ ما شاءِ اللَّهُ، وينقص حتّى لا يبقىٰ منه مثلُ هذه، وأشارَ سفيانُ بيدِهِ. قال الرجل: كيفَ نصنعُ بقومٍ عندنا يَزْعُمُون: أنّ الإيمانَ قولٌ بلا عمل؟ قال سفيانُ: كان القول قولهم قبل أن تُقرَّرَ أحكامُ الإيمانِ وحُدودُهُ. [أي: كان هذا في أول دعوة الرسول ﷺ في مكّة].

إنّ اللَّه عزّ وجلّ بَعَثَ نبيَّنا محمّداً ﷺ إلى النّاس كلِّهم كافّةً أنْ يَقُولُوا: «لا إله إلاّ اللَّه، وأنّه رسولُ اللَّه»، فلمّا قالُوها عصموا بها دماءِهُمْ وأموالَهُم إلاّ بحقها وحسابهم على اللَّه تعالىٰ، فلمّا علم اللَّهُ عزّ وجلّ صدق ذلك في قلوبهم، أمره أن يأمرهم بالصّلاة، فأمرهم ففعلوا، فواللَّهِ لو لم يفعلُوا ما نفعهم الإقرار الأول ولا صلاتهم[1].

فلمّا علمَ اللَّه جلَّ وعلا صدق ذلك في قلُوبهم أمرَهُ أنْ يأمرهم بالهجرة إلىٰ المدينة فأمرهم ففعلوا، فواللَّهِ لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأوّل ولا صلاتهم، فلمّا علم اللَّهُ تبارك وتعالىٰ صدق ذلك في قلوبهم أمرهم بالرجوع إلى مكّة ليقاتِلُوا آباءَهم وأبْنَاءَهُمْ حتّى يقولُوا كقولهم، ويُصَلُّوا صلاتهم ويُهاجروا هجرتهم، فأمرهم ففعلوا، حتّى أتىٰ أحدُهُم برأسِ أبيهِ، فقال: يا رسول اللَّه! هذا رأسُ شيخ الكافرين، فواللَّهِ لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأَوّل ولا صلاتهم ولا هجرتهم، ولا قتالهم، فلمّا علم اللَّهُ عزّوجلّ صِدْقَ ذلك مِنْ قُلُوبِهِمْ أمره أنْ يأمرهم بالطّواف بالبيتِ تَعَبُّداً، وأنْ يحلِقُوا رؤوسهم تذَلُّلاً ففعلُوا، فواللَّه لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأوّل، ولا صلاتهم، ولا هجرتهم، ولا قتلهم آباءهم، فلمّا علمَ اللَّهُ عزّ وجلّ صِدْقَ ذلك في قلوبهم، أمره أنْ يأخذَ من أموالِهِمْ صدقةً

= أعلم بالسّنن من ابن عُيينة، وكان كبيرَ القَدْرِ، ومن العُبّاد، حجّ سبعين سنة، انظر شذرات الذهب ١/ ٣٥٤، الإعلام ٣/ ١٠٥، ط ٤.

(١) هكذا بالنصّ، والذي يبدو لي ـ واللَّهُ أعلم ـ أن سياق الكلام يقتضي أن يكون هكذا «ما نفعهم الإقرار الأول»، يدلّ على ذلك ما سيأتي في بقية النّص.

يُطهرهم بها، فأمرهم ففعلُوا حتّى أَتوْا بِهَا قليلِها وكثيرِها، واللّهِ لو لم يفعلوا لما نفعهم الإقرار الأوّل ولا صلاتهم، ولا هجرتهم، ولا قتلهم آباءهم ولا طوفهم. فلمّا علم اللّهُ تباركَ وتعالىٰ الصِّدْقَ مِنْ قلوبهم فيما تتابع عليهم من شرائع الإيمان وحدوده، قال عزّ وجلّ: قُلْ لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال سفيان: «فَمَنْ تَركَ خِلّةً من خِلاَلِ الإيمان كان بها عندنا كافراً، ومَنْ تركها كسلاً أو تهاوناً بها، أَدَّبْنَاهُ، وكان بها عندنا ناقصاً، هكذا السّنّة أبْلِغْهَا عنّي مَنْ سألَكَ مِنَ النّاس»[1].

وقد ذكر العلماء رحمهم اللّه شروطاً سبعة لـ «لا إله إلاّ اللّه» لا تنفع صاحبها إلا باجتماع هذه الشروط فيه، إليك شرحها في البحث التالي. «الولاء والبراء من لوازم لا إلـه إلاّ الله».

---

(١) كتاب «الشريعة» لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ص ١٠٤، الطبعة الأولىٰ سنة ١٣٦٩ هـ، تحقيق محمد حامد الفقي. الناشر: مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر.

الوَلاءُ والبَراءُ من لوازم لا إله إلا الله[1]

«لمّا كانَ أصلُ المُوالاَةِ: الحُبَّ. وأصلُ المُعَادَاةِ: البُغْضَ، وينشأ عنهما من أعمالِ القُلوبِ والجوارح ما يدخلُ في حقيقة المُوالاَةِ والمُعَادَاةِ؛ كالنُّصْرةِ والأُنسِ والمُعَاونَةِ، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك»[2]، فإنّ الوَلاَءَ والبَرَاءَ من لَوَازِمِ «لا إله إلاّ اللّه»، وأدلّةُ ذلك كثيرةٌ من الكتاب والسّنّة.

أمّا الكتابُ فمن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران].

ويقول اللّهُ تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران].

ويقولُ تباركتْ أسماؤُهُ عن أهداف أعداء اللّهِ: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النساء: ٨٩].

ويقول تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾

---

(١) والوَلاَءُوالبَرَاءُ في الإسلام ـ من مفاهيم عقيدة السّلف ص ٤٠ ـ ٤٥، لمحمد بن سعيد القطحاني.

(٢) الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ ص ٢٩٦ تصحيح عبد الرحمٰن الرويشد، طبع سنة ١٣٩٨ هـ بدار العلوم بمصر.

[المائدة: ٥٤].

أمّا الأحاديث والآثار فكثيرة، وأذكرُ منها:

(١) ما رواه الإمام أحمد عن جرير بن عبد اللّه البَجَلي أنّ رسولَ اللّه ﷺ بايعه على أن: «تَنْصَحَ لكُلِّ مسلم، وتَبْرَأَ مِنَ الكافرِ»[(١)].

(٢) روىٰ ابنُ أبي شيبة بسنده قال: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَىٰ الإيمانِ الحُبُّ في اللّهِ والبُغْضُ في اللّهِ»[(٢)].

(٣) روىٰ الطّبراني في الكبير عن ابن عباسٍ رضي اللّهُ عنهما أنّ رسولَ اللّه ﷺ قال: «أَوْثَقُ عُرَىٰ الإيمان المُوالاَة في اللّهِ والمُعادَاةُ في اللّهِ، والحُبُّ في اللّهِ والبُغْضُ في اللّهِ»[(٣)].

(٤) أخرج ابن جرير ومحمّد بن نَصْرِ المروزي عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: «مَنْ أحبَّ في اللّه، وأبغض في اللّهِ، ووَالَى في اللّهِ، وعادَىٰ في اللّهِ، فإنّما تُنَالُ ولايَةُ اللّهِ بذلك، ولنْ يجدَ عبدٌ طعمَ الإيمانِ وإنْ كَثُرَتْ صَلاتُهُ وصَوْمُهُ حتّى يكونَ كذلك، وقدْ صارَتْ مُؤَاخاةُ النّاس على أمرِ الدنيا، وذلك لا يُجْدِي على أهله شيئاً»[(٤)].

يقول الشيخ سليمان بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الوهاب في شرح قول ابن عباس هذا: قوله: «ووَالَىٰ في اللّهِ» هذا بيانٌ لِلاَزِمِ المحبّةِ في

---

(١) المسند للإمام أحمد ج ٤/ ٣٥٧، ٣٥٨، ط ٢، سنة ١٣٩٨ هـ، الناشر المكتب الإسلامي، وهو حديث حسن.

(٢) الإيمان لأبي بكر عبد اللّه بن محمّد بن أبي شيبة، ت سنة ٢٣٥ هـ ص ٤٥، تحقيق الألباني وقال: أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعاً وهو حسن، ط دمشق وانظر المسند ٤/ ٢٨٦.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٦٩، وقال الألباني: حديث حسن. انظر صحيح الجامع الصغير ٢/ ٣٤٣ رقم ٢٥٣٦.

(٤) حلية الأولياء عن ابن عباس ١/ ٣١٢، وجامع العلوم والحاكم لابن رجب الحنبلي ص ٣٠، ط ٣/ ١٣٨٢ هـ، الناشر مصطفى البابي الحلبي بمصر.

اللَّهِ، وهو الموالاة، فيه إشارة إلى أنّه لا يكفي في ذلك مجرّد الحُبّ، بل لا بدّ مع ذلك من المُوالاَة التي هي لازم الحب، وهي النّصرة والإكرام، والاحترام والكون مع المحبوبين باطناً وظاهراً. وقوله: «وعادىٰ في اللَّهِ» هذا بيانٌ لِلاَزِمِ البُغض في اللَّه، وهو المُعَادَاةُ فيهِ، أي إظهار العداوة بالفعل كالجهاد لأعداء اللَّهِ، والبَرَاءة منهم، والبُعد عنهم باطناً وظاهراً، إشارة إلىٰ أنه لا يكفي مجرّد بغض القلب، بل لا بدّ مع ذلك من الإتيان بلازمهِ؛ كما قالَ تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[1] [الممتحنة: ٤].

قلتُ: وممّا سبقَ يتّضحُ أنّ الوَلاَءَ في اللَّه: هو محبّة اللَّهِ ونُصْرةُ دينه، ومحبّة أوليائهِ ونُصرتهم، والبراءُ هو: بُغْضُ أعداء اللَّهِ ومجاهدتهم. وعلىٰ ذلك جاءتْ تسميةُ الشارع الحكيم للفريق الأوّل بـ «أولياء اللَّهِ»، والفريق الثاني بـ: «أولياء الشّيطان».

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء].

واعلم أن اللَّه سبحانه لم يبعث نبيّاً بهذا التوحيد إلاّ جعل له أعداء؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ﴾ [الأنعام: ١١٢].

---

(١) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد اللَّه بن محمّد بن عبد الوهاب ص ٤٢٢، الناشر إدارات البحوث العلمية بالرّياض، بدون تاريخ.

وقد يكون لأعداء التوحيد علومٌ كثيرةٌ، وكتبٌ وحججٌ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [غافر]

والواجبُ على المسلم أن يتعلّم من دين اللَّه ما يصيرُ له سلاحاً يُقَاتِلُ به هؤلاء الشّياطين، ومَنْ ثم لا خوفٌ ولا حَزَنٌ لأنّ ﴿كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: ٧٦].

وَالعَامِّيّ من الموحّدين يغلبُ الألْفَ من علماءِ المشركين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات].

فجُندُ اللَّهِ هُمُ الغالبون بالحجّة واللّسان، كما أنّهم الغالِبُون بالسّيف والسِّنان»[1].

وإذا كانتْ أهدافُ أعداءِ الإسلام مِنْ ملحدين ويهود ونصارىٰ ومُسْتَغْرِبين وصهيونيّة عالميّة وشيوعيّة عالمية هي تمييعُ عقيدةِ المسلمين، وتذويب شخصيتهم المتفرّدة، لجعلهم حميراً للشعب المختار كما تنصّ علىٰ ذلك «بروتوكولات حكماء صهيون»، فإنّه يتّضح لدى المسلم أهميّة هذا الموضوع حتّى يحذرَ هو ومَن معه، بل يحذرُ المسلمون عامّةً، من الانزلاق في مهاوي الرّدَىٰ خاصّةً وأنّ الدّعواتِ المشبوهةَ الملحدةَ تَدْعُو إلى ما يسمّى بالأخوّة والمساواة وأنّ الدّين للّهِ والوطنَ للجميع. . .!

فبَانَ بهذه الأدلّة الواضحة من الكتاب والسّنّةِ أنّ الوَلاَءَ والبَرَاءَ من لَوَازِمِ «لا إلَهَ إلاّ اللّه» وهو أيضاً تحقيق معناها؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه: «إنّ تحقيق شهادة أنْ لا إله إلاّ اللّهُ يقتضي أنْ لا يُحبَّ إلا للّهِ، ولا يُبغض إلاّ للّه، ولا يُوالِي إلاّ للّهِ، ولا يُعادِي إلاّ للّهِ، وأن

---

(١) بتصرّف: انظر كشف الشبهات للإمام محمد بن عبد الوهاب ص ٢٠ ط ١٩٨٨/٣ هـ، النّاشرمؤسسة النور بالرياض. وانظر مجموعة الرسائل والمسائل النّجدية ج ٤٦/٤.

يُحبَّ ما أحبَّهُ اللَّهُ، ويُبْغِضَ ما أبغضه اللَّه»[1]، ويُوالي المؤمنين في أي مكان حلُّوا ويعادي الكافرين ولو كانوا أقربَ قريبٍ.

(١) الاحتجاج بالقدر، ص ٦٢، ط سنة ١٣٩٣ هـ، المكتب الإسلامي.

صُور المُوَالاة ومظاهرها

أنواع المُوَالاة:

إنّ جميعَ صُورِ المُوَالاَةِ ومَظَاهِرِها في فصلٍ مستقلّ أمرٌ له أهميَّتُهُ في مثل هذا البحث، وذلك حتى يكون القارىء على بيّنةٍ من الأمور والقضايا التي تمسُّها قضيَّةَ الوَلاَءِ والبَرَاء[1].

وأُحبُّ أن أُنبّه في هذا المقام على أنّني لم ألزم نفسي بتتّبع الحكم الشرعي في كلِّ صُورةٍ من هذه الصّور، وذلك لصعوبة القطع بالحَكم في كلِّ قضية؛ لأنّه ـ كما يقولُ أهلُ العلم ـ قد يكون القول أو الفعل كفراً، ولكن هناك ما يصرفه عن ظاهره فيما بين العبد وبين رَبِّهِ، ولكن على العموم فهذه الصّور تتفاوتُ من كونِ فاعلها خارجاً من المِلّة كمن يُحبُّ الكفّار لأجل كفرهم، إلىٰ الكبيرة من الكبائر كتعظيمهم والثّناء عليهم[2]. ذلك أنّ «مُسَمَّىٰ المُوَالاةِ يقعُ على شُعَبٍ مُتَفَاوِتَةٍ منها ما يُوجبُ الرّدّة كذهاب الإسلام بالكُلّيّة، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات»[3]. قد حرصَ الدِّين الإسلامي على إخلاص العبادة: وهي الطّاعةُ والانقيادُ للّهِ وحده، والبَرَاءَةُ من كلِّ مَتْبُوعٍ أو مَرْغُوبٍ، أوْ مَرْهُوبٍ، وتعلّقَ القلبُ بربّه في الخشية والخوف والرجاء والعَوْنِ والنُّصْرَةِ،

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام ـ من مفاهيم عقيدة السّلف ص ٢٣١ ـ ٢٥٠، لمحمد بن سعيد القطحاني.

(٢) الدرر السنية ٧/ ٢٠١، والهدية الثمينة للشيخ عبد اللّه السليمان بن حميد ص ١٧.

(٣) الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن آل الشيخ ص ٤٣.

لأنّ «كلَّ مَنْ علّقَ قلبَهُ بالمخلوقين أنْ يَنْصُروهُ أو يرزقوه أو يهدوه: خَضَعَ قلبُهُ لهُمْ، وصَارَ فيهِ مِنَ العُبُودِيَّةِ لهُمْ بقَدَرِ ذلك. . . ومعلومٌ أنّ أسْرَ القلبِ أعظم من أسْرِ البَدَنِ، واستِعْبَادَ القلبِ أعظمُ من استِعْبَادِ البَدَنِ، فإنّ مَنِ استُعْبِدَ بَدَنُهُ واسْتُرِقَّ وأُسِرَ لا يُبَالِي إذا كان قلبُهُ مستريحاً من ذلك مطمئناً، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص. أمّا إذا كان القلبُ متيّماً لغيرِ اللّهِ، فهذا هو الأسْرُ والذّلُّ المَحْضُ»[1].

وخطورة مُوَالاَة الكفار تبرز في أنّ ضررها على المسلمين كافّةً أعظم من خطر من يكفر في نفسِهِ فقط، ذلك أنّ «الإضْرارَ بالمُسْلِمِينَ يزيدُ على تغيير الاعتقاد، ويفعله من يظنُّ سلامَةَ الاعتقادِ، وهو كاذِبٌ عندَ اللّهِ ورسولِهِ والمؤمنين في هذه الدعوىٰ وهذا الظنّ، ومعلومٌ أنّ المَفْسَدَةَ في هذا أعظم من المفسدة في مجرّد تغيير الاعتقاد»[2].

وإليك تفاصيل مُوَالاَةِ الكُفّار[3]:

(١) الرّضى بكفر الكافرين وعدم تكفيرهم أو الشّكّ في كفرهم أو تصويب أيِّ مذهبٍ من مذاهبِهِم الكافرة[4].

ويتّضحُ هذا الأمر في كونه وَلاَءً للكُفّار: أنّه يُسرُّهُمْ ويُسْعِدُهُمْ أنْ يَرَوْا مَنْ يُوَافِقهم على كفرهم ويُجَارِيهم على مذاهبهم الإلحادية.

وقد سبقَ فيما تقدّم من القول بأنّ مِنْ معتقَدِ أهلِ السُّنّة والجماعة: أنّ حُبَّ القلبِ وبُغْضَهُ يجبُ أن يكون كاملاً. فالذي يُحِبُّ الكافرَ لأجل كفرِهِ هو كافرٌ بإجماعِ الأُمّةِ، ولم يخالف في ذلك أحدٌ من علماء المسلمين.

---

(١) رسالة العبودية لابن تيمية ٩٥ ـ ٩٦.

(٢) الصارم طبع المكتب الإسلامي ص ٣٧٧.

(٣) من أحسن مَنْ كتبَ في ذلك، الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه وأبناؤه، لذلك فمعظم هذه الصور منقولة من كتبهم.

(٤) انظر نواقض الإسلام في مجموع التوحيد ص ١٢٩، مطبعة الحكومة بمكّة.

يقول ابنُ تيميةَ رحمه اللَّه: «أمّا حُبُّ القَلْبِ وبُغْضُهُ، وإرادَتُهُ وكراهيَّتُهُ فينبغي أن تكون كاملةً جازمةً لا تُوجبُ نقصَ ذلك إلا بنقص الإيمان. وأمّا فعل البَدَنِ فهو بحسب قدرتِهِ. ومتى كانت إرادة القلبِ وكراهته كاملةً تامّةً، وفعل العبد معها بحسب قدرته، فإنّه يُعطي ثواب الفاعل الكامل، ذلك أنّ مِنَ النّاسِ مَنْ يكونُ حُبُّهُ وبُغْضُهُ وإرادتُهُ وكراهتُهُ بحسبِ محبّةِ نفسِهِ وبُغْضِهَا، لا بحسَبِ محبّةِ اللَّهِ ورسولِهِ، وبُغْضِهِ للَّهِ ولرسولِهِ، وهذا من نوع الهوىٰ، فإنِ اتبعه الإنسان فقد اتّبع هَواه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]»[1].

إذن فالمحبّة والرّضىٰ أمران جازمان لا يخرجان عن كونهما كُفْراً إذا كانَا للكفار أو إيماناً إذا كانَا للمؤمنين.

(٢) التولّي العام واتخاذهم أعواناً وأنصاراً وأولياء أو الدخول في دينهم وقد نهىٰ اللَّه عن ذلك، فقال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران].

قال ابن جرير في تفسيره لهذه الآية: مَنِ اتَّخذَ الكُفّار أعواناً وأنصاراً وظُهُوراً يُواليهم على دينهم ويُظاهرهم على المسلمين، فليس منَ اللَّهِ في شيءٍ. أي قد برىء من اللَّهِ وبرىء اللَّهُ منهُ، بارتداده عن دينهِ ودخولهِ في الكُفْرِ. «إلاّ أنْ تَتَّقُوا منهم تُقاةً»، أي إلاّ أن تكونوا في سلطانهم فتخافُوهم على أنفسِكم فتظهِرُوا لهم الولاية بألسنتِكُمْ وتضمروا العداوة، ولا تُشايِعُوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تُعِينُوهُم على مسلم بفعلٍ[2].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

---

(١) شذرات البلاتين ١/ ٣٥٤ «رسالة الأمر بالمعروف».

(٢) تفسير الطبري ٣/ ٢٢٨.

قال ابن جرير رحمه اللَّه في تفسيرها: مَنْ تَولّى اليهود والنَّصارىٰ من دُونِ المؤمنين فإنّه منهم، أي مِنْ أهل دينهم وملّتهم، فإنّه لا يتولّىٰ متولٍ أحداً إلاّ وهو راضٍ بهِ وبدينهِ وبما هو عليه من ضلالٍ، وإذا رضيَ دِينَهُ فقدْ عادىٰ مَنْ خالفَهُ وسَخِطَهُ وصَارَ حُكْمُهُ حُكْمَهُ(١).

وقال ابن حزم: صحَّ أنّ قولَ اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، إنّما هو علىٰ ظاهره؛ بأنّه كافر من جملة الكفار، وهذا حقٌّ لا يختلف فيه اثنان من المسلمين(٢).

وقال ابنُ تيميةَ: أخبر اللَّه في هذه الآية: أنَّ مُتَولِّيهم هو منهم، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٨١].

فدلَّ على أنّ الإيمان المذكور ينفي اتّخاذهم أولياء ويُضادُّهُ ولا يجتمعُ الإيمان واتّخاذُهم أولياءَ في القلبِ، فالقرآنُ يُصدِّقُ بعضُه بعضاً(٣).

وقال ابنُ القيم: «إنّ اللَّهَ قد حكمَ ولا أحسنَ مِنْ حكمهِ أنه مَنْ تَولّىٰ اليهودَ والنّصارىٰ فهو منهم، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، فإذا كان أولياؤُهُم منهم بنصِّ القرآن كان لهم حكمهم. وهذا عامٌّ، خُصَّ منهم ومن يتولاّهم ودخل في دينهم بعدَ الْتِزَامِ الإسلامِ فإنّه لا يُقرُّ ولا تُقْبَلُ منه الجزية، بل إمّا الإسلام أو السّيف لأنّه مرتدٌّ بالنّصِّ والإجماع، ولا يصح إلْحَاقُ مَنْ دَخَلَ في دينهم من الكُفّار قبل التزام الإسلام بمن دخلَ فيه منَ المسلمين لأنّ مَنْ دَانَ بدينهم منَ الكفّارِ بعد نَزولِ القرآنِ فقد انتقلَ من دينٍ إلى دينٍ خيرٍ منهُ، وإن كانا جميعاً بَاطِلَيْنِ. وأمّا المسلم فإنّه قد انتقل من الدِّينِ الحقِّ

---

(١) المصدر السابق ٦/ ٢٧٧.

(٢) المحلىٰ: ١٢/ ٣٠ تحقيق حسن زيدان سنة ١٣٩٢ هـ الناشر مكتبة الجمهورية العربية بمصر.

(٣) انظر كتاب الإيمان لابن تيمية رحمه اللَّه ص ١٤، طبع المكتب الإسلامي.

إلى الدِّين الباطل بعد إقرارِهِ بصحة ما كان عليه، وبطلان ما انتقل إليه فلا يُقَرُّ على ذلك»[1].

على أن الأستاذ سيّد قطب رحمه اللّه يُخالف ما ذهب إليه الطبري، وغيره في تفسير هذه الآية فهو ـ أي سيّد قطب ـ يستبعد أن يكون من المسلمين، مَنْ يميل إلى اتّباع اليهود والنَّصارى في الدِّين. وإنّما المرادُ وَلاَءُ التّحالف والتّناصر. يقول رحمه اللّه: إنّ الولاية المنهيّ عنها هنا ولاية التّناصر والتّحالف معهم، ولا تتعلق بمعنىٰ اتّباعهم في دينهم، فبعيدٌ جداً أن يكون بين المسلمين مَنْ يَمِيلُ إلى اتّباع اليهود والنّصارى في الدِّين. إنّما هو وَلاَءُ التّحالف والتّناصر الذي كان يلتبس على المسلمين أمره، فيحسبون أنّه جائز لهم بحكم ما كان واقعاً من تشابك المصالح والأو مر، ومن قيام هذا الوَلاَءِ بينهم وبين جماعات من اليهود قبل الإسلام وفي أوائل العهد بقيام الإسلام في المدينة حتى نهاهم اللّهُ عنه وأمرَ بإبطالهِ، يُوضِح ذلك قولهُ تعالىٰ بشأن المسلمين الذين لم يُهاجروا: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ [الأنفال: ٧٢]، أي: ولاية التّناصر والتّعاون لا ولاية الدِّين.

«نقول هذا: لأنّ البعض يخلط بين دعوة الإسلام إلى السّماحة في معاملة أهل الكتاب والبرِّ بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشُون فيه وبين الولاء الذي لا يكون إلاّ لله ورسوله وللجماعة المسلمة، ناسين ما يقرّره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة، وأنّ هذا شأن ثابت لهم، وأنّهم لن يرضوا عن المسلم إلاّ أنْ يترك دينه ويتّبع دينهم. وسَذَاجَة أيّ سَذَاجَةٍ، وغَفْلَةٌ أية غفلةٍ: أنْ تظنّ أنّ لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتّمكين للديّن!! أمام الكفار والملحدين فهم مع الكُفّار والملحدين إذا كانت المعركة ضدّ المسلمين.

---

(١) أحكام أهل الذمّة لابن القيم ١/ ٦٧، ٦٩.

فلندع من يغفل عن هذا ولنكُنْ وَاعِين للتّوجيه القرآني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة] [1].

والذي يظهر لي أنّه لا تعارض بينَ القولين لأنّ كليهما صحيحٌ سواءٌ اجتمعا في فردٍ أو أمّةٍ أو أحدهما.

(٣) الإيمان ببعض ما هم عليه من الكُفْر، أو التّحاكم إليهم دون كتاب اللَّه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء].

ونظير هذه الآية قولهُ تعالىٰ عن بعض أهل الكتاب: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ﴾ [البقرة: ١٠١ ـ ١٠٢].

فأخبر سبحانه أنّهم اتّبعُوا السِّحر وتركُوا كتابَ اللَّهِ كما يفعله كثيرٌ من اليهود، وبعضُ المنتسبين إلى الإسلام، فمَنْ كان مِنْ هذه الأُمّة مُوالياً للكُفّار من المشركين أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة كإتيانه أهل الباطل واتّباعهم في شيء من فعالهم ومقالهم الباطل؛ كان له من الذّمّ والعقاب والنّفاق بحسب ذلك[2]. وإنّ هذه الصّورة من صور الموالاة قد وقعَ فيها معظمُ المنتسبين إلى الإسلام اليوم، فالإيمان ببعض ما هم عليه أمرٌ واقعٌ في «العالم الإسلامي» لا ينكره إلاّ مكابر جاهل، فها هي الببغوَات من أبناء أمتنا وممن ينطقون بألسنتنا قد آمنت بالشيّوعيّة مذهباً تارة وبالإشتراكية تارةً أخرى، وبالدّيمقراطية نظاماً، أو العلمانية دستوراً فأخذت هذه المبادىء الباطلة وطبّقَتْها في بلاد المسلمين مُلْزِمَةً النّاسَ

---

(١) في ظلال القرآن بتصرّف ٢/٩٠٩ ـ ٩١٠.

(٢) انظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨/١٩٩ ـ ٢٠٠.

باعتناقها «في الطاعة والانقياد والتّنفيذ» ونَصَبَت العداء لكل مسلم موحّدٍ ينادي في الأُمّة أنْ تعود إلى كتاب اللّٰه وسنّة رسوله ﷺ.

وهذه الرّدّة الجديدة يجب التّحذير منها، أشدَّ التحذير، فإنَّ كثيراً من المسلمين قد وقعوا في شراكها، والعياذ باللّٰه تعالىٰ.

وإنَّ الإيمان ببعض ما هم عليه: مسألة فصل الدِّين عن الدولة وأنه لا علاقة للإسلام بالسّياسة، فهذه أيضاً فرع للقضية السّابقة لم تُوجدْ إلاّ في أوربا أيام الاضطهاد الكَنَسي لرجال العلم. ولكن أين الإسلام دين العدل ودين السّياسة ودين القوّة من هرطقة رجال الكنيسة حتى يأتي بعض الأقزام فيستورد تلك السُّموم من أوربا لِيُلْبِسَ الإسلامَ قناعاً مزيّفاً فيقول: الإسلامُ علاقةٌ بين العبد وربّه، والسّياسة لها رجالها ولها قضاياها التي لا تَمُتُّ إلى الدِّين بصلة[1].

(٤) مودتهم ومحبتهم، وقد نهىٰ اللّٰه عنها بقوله سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّٰه: «أخبر اللّٰه أنك لا تجد مؤمناً يُوَادُّ المحادّين للّٰه ورسوله، فإن نفس الإيمان يُنافي موادّته كما ينفي أحدُ الضدّين الآخر، فإذا وُجِدَ الإيمانُ انتفىَ ضِدُّهُ وهو مُوالاةِ أعداءِ اللّٰهِ، فإذا كان الرجل يُوالي أعداءَ اللّٰه بقلبه كان دليلاً على أنّ قلبه ليس فيه الإيمان الواجب»[2].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١].

---

(١) انظر تفصيل هذا البحث في كتاب الشيخ سفر بن عبد الرحمٰن الحوالي «العلمانية وآثارها في العالم الإسلامي»، فإنّه هام في موضوعه.

(٢) الإيمان: ١٣.

(٥) الرُّكون إليهم والاحتماءُ بهم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود].

قال القرطبي: الرُّكون حقيقتُه: الاستناد والاعتماد، والسّكون إلىٰ الشيء والرضى به[١].

وقال قتادة معنى الآية: لا تُوادُّوهم ولا تُطيعُوهم. وقال ابن جريج: لا تميلوا إليهم. وهذه الآية دالّة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم فإن صحبتهم كفراً ومعصية، إذِ الصّحبة لا تكون إلاّ عن مودة؛ كما قيل:

عَنْ المَرْءِ لا تَسَلْ وسَلْ عن قرينه   فَكُلُّ قَرِينٍ بالمقارنِ يَقْتَدِي

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء].

وإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوقٍ، صلاةُ اللّه وسلامة عليه فكيفَ بغيره؟[٢].

(٦) مُداهنتهم ومُجاراتهم ومُجاملتهم على حساب الدِّين، قال تعالىٰ: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم].

والمُداهنةُ والمُجامَلَةُ على حساب الدِّين أمرٌ وقعَ فيه كثير من المسلمين اليوم، وهذه نتيجة طبيعيّة للانهزام الدّاخلي في نفوسهم، حيثُ رأوا أعداءَ اللّه تفوّقُوا في القُوّةِ المادّيّة فانبهروا بهم، ولأمر رسخ وترسّبَ

---

(١) تفسير القرطبي ١٠٨/٩، وانظر البغوي والخازن ٢٥٦/٣، أمّا البيت فهو لطرفة ابن العبد.

(٢) مجموعة التوحيد ص ١١٧ ط دار الفكر.

في أذهان المخدوعين أنّ هؤلاء الأعداء هم رمز القوّة ورمز القدوة ـ فأخذوا ينسلخون من تعاليم دينهم مجاملةً للكُفّار لئلاّ يصفهم أولئك الكفرة بأنّهم «متعصبون»! وصدقَ المصطفى ﷺ إذْ يقول في مثل هؤلاء: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كانَ قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلُوا جُحْرَ ضبٍّ تبعتُمُوهم»، قالوا: يا رسولَ اللّه! اليهود والنّصارىٰ؟ قال: «فَمَنْ»؟[1].

إنّ المُداهَنَةَ والمُجاملة قد تبدأ بأمر صغير ثم تكبر وتنمو حتى تؤدي ـ والعياذ باللّه ـ إلى الخروج من المِلّة. وهذه إحدىٰ مزالق الشّيطان، فليحذرِ المسلمُ منها على نفسِهِ، وليعلمْ أنّه هو الأعزّ وهو الأقوىٰ إذا امتثلَ منهجَ اللّه وتقيّدَ بكتابه وسنّة رسوله ﷺ عقيدةً وشريعةً، وأخلاقاً وسلوكاً.

ومن الأمور الواضحة في تاريخ المسلمين: أنّ من أكبر العوامل في انتصارهم ـ بعد الإيمان باللّه ورسوله ـ الاعتزاز بالإسلام، ويُصدّق ذلك ويؤيّده قول الفاروق رضي اللّه عنه: «إنا كُنَّا أَذَلَّ قوم فأعزّنا اللّهُ بالإسلام فمهما نطلب العِزَّ بغير ما أعزّنا اللّهُ به أذلّنا اللّه»[2].

(٧) اتّخاذهم بطانةً من دون المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران].

نزلت هذه الآية في أناس من المؤمنين كانوا يُصَافون المنافقين، ويُواصلون رجلاً من اليهود لِمَا كان بينهم من القَرابَةِ والصَّداقةِ والجِوارِ، فأنزلَ اللّهُ هذه الآيةَ ينهاهم بها عن مُباطنتهم خوفَ الفتنة منهم

---

(١) صحيح البخاري كتاب الاعتصام ج ١٣/ ٣٠٠ رقم ٧٣٢٠، وصحيح مسلم كتاب العلم ٤/ ٢٠٥٤ رقم ٢٦٦٩، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ١/ ٦٢ كتاب الإيمان، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي على تصحيحه في تلخيصه.

عليهم(١).

وبطانة الرجل: خاصّتُهُ تشبيهاً ببطانة الثّوب التي تلي بَطْنَهُ لأنّهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم. وقد بيّنَ اللّهُ في النّهي عن مباطنتهم، فقال: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨]، أي: لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشّرَّ والفَسَادَ، ثمّ إنّهم يودون ما يشقُّ عليكم من الضُّرِّ والهلاك. والعَدَاوة التي ظهرت منهم: شتم المسلمين والوقيعة فيهم، وقيل: بإطلاع المشركين على أسرار المسلمين(٢). وفي سنن أبي داود قوله ﷺ: «الرجل على دين خليله فلينظرْ أحدُكُمْ مَنْ يُخالِلُ»(٣).

(٨) طاعتُهم فيما يأمرون ويُشيرون به(٤). قال تعالىٰ ناهياً عن ذلك: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، حيث عدلتم عن أمر اللّه لكم وشرعه إلىٰ قولِ غيره، فقدَّمْتُم عليه غيرَهُ، فهذا هو الشّرك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١](٥).

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص ٦٨.

(٢) انظر تفسير البغوي ١/ ٤٠٩، وابن كثير ٢/ ٨٩.

(٣) كتاب الأدب ٥/ ١٦٨ رقم ٤٨٣٣، وفي المسند ١٦/ ١٧٨ رقم ٨٣٩٨ ط: شاكر، والترمذي في الزهد ٧/ ١١١ رقم ٢٣٧٩، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٤) مجموعة التوحيد ص ١١٧.

(٥) التفسير ٣/ ٣٢٢.

(٩) مجالستهم، والدخول عليهم وقتَ استهزائهم بآياتِ اللّه. قال تعالىٰ في النّهي عن مجالستهم: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

قال ابن جرير: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾، أي: إنّكم إذا جالستُمْ مَنْ يكفرُ بآيات اللّه ويستهزِىء بها وأنتُم تسمعُون فأنتُم مثلُهم إن لم تقُومُوا عنهم في تلك الحال، لأنكم قد عصيتم اللّه بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آيات اللّه يُكفر بها ويُستهزأ بها.

وفي الآية دلالة واضحة على النّهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوعٍ منَ الكَفَرَةِ والمبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم[1].

وفي الحديث: «لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الّذِين ظلموا أنفسَهُمْ إلاّ أن تَكُونُوا باكينَ أن يُصيبَكُمْ مِثْلَ مَا أصابَهُمْ»[2].

(١٠) تَوْليتهم أمراً من أمور المسلمين كالإمارة والكتابة وغيرها، و (التولية) شقيقة الولاية، لذلك فتوليتهم نوعٌ من تولِّيهم. وقد حكم اللّهُ أنّ من تَوَلاّهُمْ فإنّه منهم. ولا يتم الإيمانُ إلاّ بالبَرَاءةِ منهم. والولاية تُنافِي البَرَاءَةَ فلا تجتمع البَرَاءةُ والولايَةُ أبداً.

«والوِلاَيَةُ إعزازٌ فلا تجتمع هي وإذْلال الكفر أبداً. والولايةُ صِلَةٌ فلا تجامع معاداة الكافر أبداً. ولو علم ملوك الإسلام بخيانة النّصارىٰ الكُتّاب - مثلاً - ومكاتبتهم الفرنج أعداء الإسلام، وتَمَنِّيهم أنْ يَسْتَأْصِلُوا الإسلامَ وأهله وسعيهم في ذلك بجهد الإمكان؛ لَثَنَاهُمْ ذلك عن تقريبهم وتقليدهم الأعمال، فهذا الملك الصّالح كان في دولته نصراني يُسمّى «محاضر الدولة أبا الفضل بن دخان»، ولم يكن في المباشرين أمكن منه، كان قذىً في

(١) تفسير الطبري ٥/ ٢٠٣.

(٢) رواه أحمد ٨/ ٨٠ رقم ٥٧٠٥، بتحقيق أحمد شاكر، وصحيح البخاري كتاب المغازي ٨/ ١٢٥ رقم ٤٤١٩، وصحيح مسلم كتاب الزهد ٤/ ٢٢٨٥ رقم ٢٩٨٠.

عين الإسلام، وبثرةً في وجه الدِّينِ. بلغ في أمره أنّه وقّع لرجل نصراني أسلم يردّه إلى دين النّصرانية وخروجه من الملّة الإسلامية، ولم يزلْ يُكاتب الفرنجَ بأخبار المسلمين، وأعمالهم، وأمرِ الدولةِ وتفاصيلِ أحوالها.

وكان مجلسه معموراً برسل الفرنج والنّصارىٰ، وهم مكرمون لديه، وحوائجهم مقضيّة عنده، ويحمل لهم الإدرار والضيافات، وأكابر المسلمين محجوبون عن الباب لا يؤذن لهم، وإذا دخلوا لم يُنْصَفُوا في التحيّة ولا في الكلام. وحدث أن اجتمع في مجلس «الصّالح» أكابر النّاس من الكتَّاب والقضاة والعلماء فسأل السلطان بعض الجماعة عن أمر أفضىٰ به إلى ذكر مخازي النّصارىٰ، فبسط لسانه في ذلك، وذكر بعض ما هم عليه من الأفعال والأخلاق، وقال من جملة كلامه: أنّ النّصارىٰ لا يعرفون الحساب، ولا يدرونه على الحقيقة؛ لأنّهم يجعلون الواحدَ ثلاثةً والثلاثةَ واحداً، واللّه تعالىٰ يقول: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

وأوّل أمانتهم وعقد دينهم: «بسم الآب والابن وروح القدس إلّه واحد». فأخذ هذا المعنىٰ بعض الشعراء، وقال في قصيدةٍ له:

كيفَ يَدْرِي الحِسابَ مَنْ جَعَلَ الـ ـواحِدَ رَبَّ الوَرَىٰ تَعالَىٰ ثَلاثَةْ؟!

ثمّ قال: كيف تَأْمَنُ أن يفعل في معاملة السّلطان كما فعل في أصل اعتقاده، ويكون مع هذا أكثر النّصارىٰ أمانة؟ وكلّما استخرجَ ثلاثةَ دنانير دفع إلى السلطان ديناراً وأخذ لنفسه اثنين ولا سيما وهو يعتقد ذلك قربةً وديانةً؟

وانصرف القوم واتفقَ أن كبتَ النّصراني بطنته، وظهرتْ خيانتُهُ فأريق دمه وسلَّطَ على وجودِهِ عدمهُ[1].

---

(١) أحكام أهل الذمة لابن القيم ١/٢٤٢ - ٢٤٤ بتصرف يسير.

(١١) استئمانهم وقد خوّنهم اللّه، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [آل عمران].

(١٢) الرّضىٰ بأعمالهم والتشبّه بهم، والتّزيّي بزيّهم[١].

(١٣) البشاشة لهم والطلاقة وانشراح الصدر وتكريمهم وتقريبهم[٢].

(١٤) معاونتهم على ظلمهم ونصرتهم، ويضرب القرآن لذلك مثالين هما: امرأة لوط التي كانت رَدْءاً لقومها، حيث كانت على طريقتهم، راضية بأفعالهم القبيحة، نزل قومُها على ضُيوف لوط، وكذلك فعلُ امرأةِ نوح[٣] كانت على دين قومها وكفرهم.

(١٥) مناصحتهم والثّناء عليهم ونشر فضائلهم[٤]، وهذه الصورة ظهرت واضحة في العصور الأخيرة، فقد رأينا في «أفراخ المستشرقين» - مثلاً - ينشرون علومَهُم وأنّهم أصحاب المنهج العلمي السّديد - وهم على خلافه - كذلك جاء بعضُ منْ يَنشرُ عادات الغرب أو الشرق مضفياً عليها ألقاب التّقدّم والحضارة والرّقي، ووَاصِماً للإسلام والمنتسبين إليه بالرجعية والجمود والتأخّر عن مسايرة الركب الحضاري والأمم المتقدّمة!!.

(١٦) تعظيمهم وإطلاق الألقاب عليهم مثل: السّادةِ والحكماءِ والحضاريين والتّقدميين، «ومما يجب النّهي عنه ما يفعله كثير من الجهال في زماننا إذا لقي أحدهم عدواً للّه سلّم عليه ووضع يده على صدره إشارة إلى أنّه يُحبّه

---

(١) مجموعة التوحيد ص ١١٧.

(٢) مجموعة التوحيد ص ١١٧.

(٣) تفسير ابن كثير ٦/ ٢١٠.

(٤) مجموعة التوحيد ص ١١٧، ورسائل سعد بن عتيق ص ١٠١.

محبّةً ثابتةً في قلبه. أو يُشير بيده إلى رأسه إشارة إلىٰ أن منزلته عنده على الرأس، وهذا الفعل المحرم يخشىٰ على فاعله أن يكون مرتداً عن الإسلام، لأنّ هذا من أبلغ الموالاة والمُوادّة والتّعظيم لأعداء اللّه»[1].

والتّعظيم واللّقب الرّفيع رمز للعزّة والتّقدير وهما مقصوران على المؤمن. أمّا الكافر فله الإهانة وقد ورد في الحديث الصحيح النّهي عن ابتدائهم بالسّلام، فقال ﷺ: «لا تبدؤوا اليهودَ ولا النَّصارَىٰ بالسّلام، فإذا لقيتُمْ أحدَهُمْ في طريق فاضطروه إلى أضيقه»[2].

(١٧) السُّكْنى معهم في ديارهم وتكثير سوادهم[3]، قال رسولُ اللّه ﷺ: «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله»[4]، وقال: «لا تُسَاكِنُوا المشركين ولا تُجَامِعُوهُم، فَمَن سَاكَنَهُمْ أو جَامَعَهُمْ فليسَ مِنَّا»[5].

وهذا النّهي هو للمنع من الإقامة في دار الحرب بين الكافرين، وكذا الحكم في حمل «الجنسيّة» التابعيّة لدولةٍ كافرةٍ بالإسلام.

(١٨) التآمر معهم، وتنفيذ مخططاتهم والدّخول في أحلافهم وتنظيماتهم والتجسّس من أجلهم، ونقل عورات المسلمين وأسرارهم إليهم والقتال في صفهم[6]. وهذه الصّورة من أخطر ما ابْتُلِيَتْ بِهِ أُمّتُنا في هذا العصر؛ والعياذُ باللّه تعالىٰ.

---

(١) تحفة الاخوان للشيخ حمود التّويجري ص ١٩ الطبعة الأولى، مؤسسة النور بالرياض.

(٢) صحيح مسلم: كتاب السلام ٤/ ١٧٠٧ ح ٢١٦٧.

(٣) الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف، بن عبد الرحمٰن آل الشيخ ص ٦٤.

(٤) أبو داود كتاب الجهاد ٣/ ٢٢٤ رقم٢٧٨٧، قال الألباني: حديث حسن، انظر صحيح الجامع الصغير ٦/ ٢٧٩ رقم٦٠٦٢.

(٥) الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٤١، وقال: صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

(٦) الإيمان حقيقتُهُ، أركانُه، نواقضُه: للدكتور محمد نعيم ياسين ص ١٤٧.

وذلك أنّ وجود ما يُمسّىٰ في المصطلح الحديث «الطّابور الغربي»، قد أفسدَ أجيال الأمّة في كل مجال، سواء في التّربية والتّعليم أم في السّياسة وشؤون الحكم، أم في الأدب والأخلاق أم في الدّين والدنيا معاً.

ترىٰ مَنْ هو السّاهر على تنفيذ خطّة «دنلوب» في التّربية والتّعليم؟ ومن هو القائم بتنفيذ مخططات اليهود الثلاثة، «فرويد وماركس ودوركهايم» في أفكارهم الخبيثة؟[1] إنّهم المستغربون من أبناء هذه الأُمّة الذين حَقَّقُوا لأعداء اللّهِ ما لا يَحْلمُون به. ولكن هيهات لهم، فإنّ اللّه يقول: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات].

(١٩) مَنْ هربَ من دار الإسلام إلى دار الحرب بُغْضاً للمسلمين وحُبّاً للكافرين[2].

(٢٠) مَنِ انخرط في الأحزاب العلمانية أو الإلحادية كالشيوعية والإشتراكية والقومية والماسونيّة، وبذلَ لها الوَلاَءَ والحُبَّ والنُّصْرة[3].

ما يقبل من الأعذار وما لا يقبل في هذه الصور

قد يعتذرُ بعضُ المُوَالين للكُفّار بأنّهم يخافون على سلطانهم وأموالهم ومراكزهم وغير ذلك من المخاوف التي لا تصح، ولا يقبلها اللّهُ عذراً لهم فيُعْذِرهُمْ مِنْ أجلِهَا، لأنّها جميعاً من تزيين الشيطان وتسويله، وحبِّ الدنيا والطمع في زينتها.

واللّه سبحانه وتعالىٰ لم يقبل عُذْراً لأحدٍ في إظهار موالاته للكفّار وطاعتهم وموافقتهم على دينهم إلا عذراً واحداً هو «الإكراه»، قال تعالىٰ:

(١) انظر كتاب الأستاذ محمد قطب: التّطوّر والثّبات في حياة البشرية فصل: اليهود الثلاثة ص ٣٥، وكتاب هل نحن مسلمون ص ١٣٣.

(٢) الردّة بين الأمس واليوم ص ٣٣.

(٣) المصدر السابق ص ٤٠.

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [النحل].

وقال سبحانه: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

والإكراه لا ينفع أحداً فيما يتعلّق بالرّضىٰ القلبي، والميل الباطني إلى الكفار لأنّه غير مأذون فيه على أيّة حال؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾، ولأن الإكراه لا سلطان له على القلوب، فإنّه لا يعلم ما في القلب إلاّ اللّه تعالىٰ. فَمَن وَالَى الكُفّار بقلبه ومالَ إليهم فهو كافرٌ على كلِّ حالٍ، فإنْ أظهرَ مُوالاَتِهِ بلسانِهِ أو بفعله، عُومِلَ في الدّنْيا بكفره وفي الآخرة يخلد في النّار، وإنْ لم يظهرها بفعلٍ ولا قولٍ وعَمل بالإسلام ظاهراً عَصَمَ مالَهُ ودمَهُ وهو مُنافقٌ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّار[1].

موقف المسلم تجاه هذه الصور

الوَلاَءُ والبَرَاءُ هو الصورة الفعلية للتطبيق الواقعي لهذه العقيدة وهو المفهوم الأكبر في حسّ المسلم بمقدار ضخامة وعظمة هذه العقيدة.

واللّه سبحانه يقول ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة].

واللّهُ جلَّ جلاله أراد للمسلم ـ بل للإنسان ـ الكرامة في هذه الأرض: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠]. فحين يكون ولاء المسلم للّه ولدينه وحزبه المؤمنين فهو بهذا يقدّر هذا التكريم حقَّ قدره، ويعبد اللّه حقَّ عبادته؛ لأنه تخلّى بل وعادى كل عبودية تريد إخضاعه

---

(١) انظر الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين ص ١٤٧ ـ ١٤٨.

لسلطانها من دون اللَّهِ.

أمّا حين ينتكس فيعبد غير اللّه ـ سواء بالشعائر أم بالشرائع أم بالطاعة والانقياد ـ فإنّه بهذا يهبط من تلكَ المكانة والكرامة إلى عبودية أهواء شتىٰ، وآراء ومذاهب تمزّق عليه حياته وتضيع عيه آخرته، فيعيش شقياً ـ وإن زعم أنّه سعيداً ـ ذلك أن مقياس السعادة والشقاوة، في الحكم الإسلامي نابع من عبادة اللّه وحده وتحكيم شرعه والخلوص له، أو عكس ذلك: عبادة الطّاغوت، والهوىٰ والشهوة وتلك هي دركات الشَّقَاءِ التي يعيش فيها كل من أعرضَ عن هدي اللّه ودينه.

وموالاة غير المؤمنين ـ فضلاً عن أنّها ـ رِدَّةٌ وعصيان للّه وسبحانه؛ هي مصدر التّذبذب والفصام النّكد في حياة فاعلها، لأنّه لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. وفي هذا العصر الذي اختلطتْ فيه المفاهيم، واضطربتْ فيه الآراء، وخلط الحقَّ بالباطل بل أقصي الحق ورفعت شارة الباطل: أين يقف المسلم؟ أين يكون ولاؤه ولمن يكون وهو يرىٰ الكفر الصريح معلناً ومنفذاً في حياة الناس ثم يوضع لذلك «لافتة بسيطة» إنّ هذا لا يتعارض مع الإسلام؟ ومثال ذلك من يدين بالإشتراكية أو الدّيمقراطية أو العلمانية أو القومية أو الشوعية ثم يقال: هذا لا يعارض الإسلام لأنّه علاقة بين العبد وربّه، لمن يكون ولاء المسلم وهو يرىٰ شرع اللّه مبعداً من الأرض ومحارباً، ثم يستورد القانون البشري ليكون هو دستور النّاس في حياتهم ومنهج مسيرتهم، ويُقال: إنّ هذا لا يعارض الإسلام لأنّ التشريع الإسلامي ـ سواء قيلت بلسان الحال أو المقال ـ لم يعد مسايراً لركب الحضارة والتّطوّر؟!.

لمن يكون ولاء المسلم وهو يرىٰ المنافقين يتمسحون باسم الإسلام، وهم في الحقيقة أخطر على الدِّين من أعدائه الصرحاء؟

هذه أسئلة وأسئلة غيرها كثيرة.. والإجابة عليها تكمن في الحقيقة

التالية: إنّه لا يمكن للمسلم أن يكون ولاؤه للّه ولدينه وللمؤمنين خالصاً إلاّ إذا كان مدركاً لحقيقة التوحيد «لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه» ممتثلاً لها، مدركاً لمدلولها ومعناها عارفاً بمقتضياتها ولوازمها.

ثم علمه بالجاهلية والشّرك والكفر والرّدّة والنفاق حتى لا يكون مصيدةً للوقوع في هذا الشرّ؛ لأنه لا يعرفُ الإسلامَ مَنْ لا يعرف الجاهلية.

ثم علمه بحقيقة الوَلاَء والبراء في المفهوم الإسلامي الصحيح. وهو: أنّ الوَلاَء والحُبَّ والنُّصْرَةَ للمؤمنين من أيِّ جنس كانوا وبأيّ لغة نطقوا وفي أيّ مكان حلّوا، لأنه لا يؤمن بما تُؤمن به الجاهليات من لوثة الدَّم ونتن العرقيّة وخسّة العصبيّة. فهو مع إخوانه المؤمنبن بقلبه ولسانه وماله ودمه؛ يألم لألمهم ويفرح لفرحهم، وهو مبغضٌ لجميع أعداء اللّه، سواء كانوا كفاراً أصليين أم مرتدين أم منافقين، وموقفه منهم: الجهاد بالنّفس والمال والقلم واللّسان، وكلّ ما أُوتي من طاقة وعلى حَسَبِ جهده وطاقته.

إنّ هذه الحقيقة هي التي ـ إذا أدركها المسلم وعمل بها يستطيعُ بها أن يُحدِّدَ موقفه من كل صورة من الصّور السّابقة وغيرها، فيعرف مَنْ يُوَالي ومَنْ يُعادِي، وماذا يُريد الإسلامُ منه، وماذا يُراد للإسلام من أعدائه.

وهو بهذا يكون مسلماً واعياً عزيزاً بعزّة اللّه غيرَ وَاهِنٍ ولا حزينٍ لأنّ اللّه معه، وهو القائل: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران].

ومَنْ كانَ اللَّهُ معه، فلَنْ تُضيرَهُ أنْ تجتمع البشريّة بكاملها لأنّ تضره، فهي بمجموعها لا تستطيع ذلك إلاّ إذا كان اللّه يُريدُ له ذلك، وإلاّ فهي أعجز من أن تنال منه شيئاً بسيطاً بغيرِ قَدَرِ اللّه وإرادته سبحانه وتعالىٰ.

فعلى المؤمن أن يكون متوكّلاً على اللّه تبارك وتعالىٰ، مُسْتَعِيناً به سبحانه، آخذاً بطريقة رسوله ﷺ في الدّعوة، مُسْتَنِيراً بمنهج السّلف

الصّالح، فإنّهم كانوا على الهدى والنّور والصّراط المستقيم، وذلك من أعظم عوامل نجاح الدّعوة، وفلاح الدّاعية.

السّابع والسّتون من شعب الإيمان

إكرام الجار[1]

قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦].

قيل في تفسيرِ ذي القُرْبَى: الجارُ المُلاصق، والجار الجُنُبِ: البعيد غير المُلاصق، والصّاحب بالجنب: الرّفيق في السّفر.

وعن ابن عبّاس، ومجاهد وقتادة، والكلبي، ومقاتل بن حيّان، ومقاتل بن سليمان: والجارِ ذِي القُرْبى: الذي بينَكَ وبينَهُ قَرَابَةٌ، والجار الجُنُبِ: الأجنبي عنكَ، والصّاحب بالجَنْبِ: الرّفيق في السّفر. وزاد مقاتل بن سليمان، فقال في الصّاحب بالجنب: إنّه الرّفيق في السّفر والحضر.

وعن عليٍّ وعَبْدِ اللّه بن مسعود، وإبراهيم[2]، وغيرهم رضي اللّه عنهم، في الصاحب بالجَنْبِ: إِنَّها المرأة: وعن سعيد بن جُبَيْرٍ في رواية كذلك، وفي رواية عنه: إنّه الرّفيق الصّالح.

وفي حديث عائشة رضي اللّه عنها في «الصحيحين» أنّها سمعتْ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بالجار حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج٧/ ٧٣ ـ ٨٨.

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي: أبو عمران الكوفي الفقيه التابعي الجليل، أحد الأعلام، كان بصيراً بعلم عبد اللّه بن مسعود الصّحابي الجليل، كان كثير المحاسن كبير الشأن ت ٩٦ هـ.

سَيُورِّثُهُ»[1].

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قالَ: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ يأخُذُ عَنّي هؤلاء الكلماتِ فيعملُ بِهِنَّ ـ أو يُعَلِّمُ مَنْ يعملُ بهنَّ؟ ـ فقالَ أبو هريرة: قلتُ: أنا يا رسولَ اللَّه، فأخذَ بيدي، فَعَدَّ خمساً، وقال: اتَّقِ المَحارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وارْضَ بما قَسَمَ اللَّهُ لكَ تكُنْ أغنىٰ النَّاسِ، وأحْسِنْ إلىٰ جارِكَ تكن مُؤْمِناً، وأحِبَّ للناس ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تكُنْ مُسْلِماً، ولا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فإنَّ كثرةَ الضَّحِكِ تُميتُ القلبَ»[2].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمروٍ قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وخَيْرُ الجِيرَانِ عندَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ»[3].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمروٍ أيضاً أَنَّهُ ذَبَحَ شاةً، فقالَ لأهلِهِ: أهديتُم لجارِنَا اليهودي؟ سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «ما زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِيني بالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّه سَيُورِّثُهُ»[4].

وفي حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «. . . ومَنْ كان يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ. . .»[5].

وعن أبي شُريح أنَّ النَّبي ﷺ قالَ: «واللَّه لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ»، قيلَ: ومَنْ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «الَّذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوائِقَهُ»[6].

---

(١) صحيح البخاري ج ١٠/ ٣٦٩ الفتح، وصحيح مسلم برقم ٢٦٢٤، وأبو داود في سننه برقم ٥١٥١، والترمذي في سننه برقم ١٩٤٣، وأحمد في مسنده ج ٦/ ٥٢، ٥٩، ١٢٥.

(٢) صحيح سنن الترمذي برقم ١٨٧٦، وإسناده حسن.

(٣) صحيح سنن الترمذي برقم ١٥٨٦، والأحاديث الصحيحة ١٠٣٠.

(٤) صحيح سنن أبي داود برقم ٤٢٩١، وصحيح سنن الترمذي برقم ١٥٨٥.

(٥) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٤٥ ، الفتح ٦٠١٩.

(٦) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٤٣ ، الفتح برقم ٦٠١٦.

فهذا الحديث تأكيدٌ لحق الجار لقسمِهِ ﷺ على ذلك، وتكريره اليمينَ ثلاثَ مرَّاتٍ. وفيه نفيُ الإيمان عمَّن يُؤْذِي جارَهُ بالقولِ أو بالفعلِ، ومراده الإيمان الكامل. ولا شكَّ أنَّ الفاسقَ غيرُ كامل الإيمان[1].

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ يشكُو جارَهُ، فقالَ: «اذْهَبْ فاصْبِرْ»، فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أو ثلاثاً، فقال: «اذْهَبْ فاطْرَحْ مَتَاعَكَ في الطَّريقِ»، فطَرَحَ متاعَهُ في الطريق، فجعلَ النَّاسُ يسألُونَهُ فيخبرُهُمْ خبَرَهُ، فجَعَلَ النّاسُ يلعنونَهُ، فعَلَ اللَّهُ بهِ وفَعَلَ وفعَلَ، فجاءَ إليهِ جارُهُ فقالَ لَهُ: ارْجِعْ لا تَرَىٰ منِّي شيئاً تكرَهُهُ»[2].

وحقوق الجار هي:

١ ـ عدم إيذاء الجار بالقول أو بالفعل.

٢ ـ الإحسانُ إليه بفعل الخير.

٣ ـ إكرامُهُ بإسداءِ المعروف إليه.

٤ ـ احترامُهُ توقيرُهُ وذكرُهُ بالخير.

٥ ـ دفعُ الضَّرَرِ عنهُ ما استطاعَ إلى ذلك من سبيل.

وفي حديث أبي شُريح العدويّ[3] رضي اللَّهُ عنه: أنّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِم جارَهُ»[4].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٤٤.

(٢) صحيح سنن أبي داود برقم ٤٢٩٢.

(٣) هو أبو شريح الخزاعي الكعبي العدوي، اختلف في اسمه، صحابي نزل المدينة توفي رضي اللَّه عنه سنة ٦٨ هـ.

(٤) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٤٥ ، الفتح ٦٠١٩.

الثَّامن والستُّون من شُعَب الإيمان

إكرَام الضيفِ(١)

في حديث أبي شُرَيح العَدَويِّ رضي اللَّهُ عنه في «الصحيحين» قال: سمعتْ أُذُنايَ، وأبصرَتْ عَيْنايَ حين تكلمَّ رسولُ اللَّه ﷺ فقال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ»، قالوا: وما جائزتُه؟ قال: «يَوْمَهُ وَلَيْلَتُهُ، والضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أيَّام، فَمَا كَانَ وراءَ ذلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ»، وقال: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ»(٢).

وفي صحيح البخاري عن عقبةَ بنِ عامرٍ رضي اللَّه عنه أنَّهُ قال: قُلْنَا: يا رسول اللَّهِ! إنَّكَ تبعثُنَا فننزِل بقومٍ فلا يُقْرُونَنَا، فما تَرىٰ فيهِ؟ فقالَ لنا رسولُ اللَّه ﷺ: «إنْ نَزَلْتُمْ بقومٍ فَأَمَرُوا لكُمْ ممَّا يَنْبَغِي فَاقْبَلُوا، فإنْ لَمْ يَفْعَلُوا فخذوا منهم حقَّ الضَّيْفِ الذي ينبغي لهم»(٣)، في هذا الحديث دلالةٌ على وجوب إقْرَاءِ الضَّيْفِ، وأنَّ المنزول عليه لو امْتَنَعَ من الضِّيافة أُخذت منه قهراً(٤).

[وحديث عُقبة هنا في أخذ القرى قهراً هو للمضطرين واللَّه تعالىٰ أعلم].

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٧/ ٨٩ ـ ١٠٤.

(٢) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٤٥ الفتح ٦٠١٩، وصحيح مسلم برقم ٤٨ من كتاب اللقطة باب ٣ ـ الضيافة، بعد رقم ١٧٢٦.

(٣) صحيح البخاري ج ٥/ ١٠٨، وج١٠/ ٥٣٢ برقم ٢٤٦١ و ٦١٣٧ الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٧٢٧.

(٤) فتح الباري ج ٥/ ١٠٨.

وعن المقدام بْنِ معديكرب عن رسولِ اللّه ﷺقال: «... وأيّما رَجُلٍ ضَافَ قَوْماً فلم يُقْرُوه، فإنَّ له أنْ يُعْقِبَهُمْ بمثل قِرَاه»[1].

قال الحافظ البيهقي[2]: قال أبو سليمان الخطابي رحمه اللّه: «قوله ﷺ: جائزتُهُ يومٌ وليلة»، معناه أنّه يتكلّف له وإذا نزل به الضّيف يوماً وليلة، فيتحفُهُ ويُرِيدُهُ في البرِّ على ما يحضُرُهُ في سائر الأيّام، وفي اليومين الآخرين يُقدّم له ما حضَرَ، فإذا مضىٰ الثّلاث فقد مضىٰ حقَّهُ، فإنْ زَادَ عليها استوجبَ بِهِ أجرَ الصّدقةِ.

وعن أبي شُرَيْح الخُزَاعيّ، قالَ: قال رسولُ اللّه ﷺ: «الضّيافةُ ثلاثةُ أيّامٍ، وجائِزَتُهُ يومٌ ولَيلةٌ، ولا يَحِلُّ لرَجُلٍ مُسْلِمٍ أنْ يُقيمَ عندَ أخيهِ حتّىٰ يُؤْثِمَهُ [أي حتى يُوقِعَه في الإثم]، قالوا: يا رسول اللّه! وكيف يُؤْثِمُهُ؟ قالَ: «يُقِيمُ عندَهُ، ولا شيءِ له يُقرِيهِ بِهِ»[3].

وعن أبي كريمةَ قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «ليلةُ للضَّيْفِ حَقٌّ على كلِّ مسلمٍ، فمن أصبحَ بفنَائِهِ، فهو عليه دَيْنٌ، إن شاءَ اقْتضَى، وإن شاءَ تركَ»[4].

وقوله ﷺ: «أصبح بفَنَائِهِ» هو المتَّسَعُ أمام الدَّار، وما امتدَّ من جوانبِ الدّار، جمعه: أفنية. أي فالّذي أصبح الضّيف أمام داره. «فهو عليه دين» أي على صاحب الدّار. و «إن شاء» أي الضّيف «اقْتَضَى» أي: طَلَبَ حَقَّهُ.

قال الإمام الخطّابي: وجه ذلك أنّه رآها حقّاً من طريق المعروف والعادة المحمودة، ولم يزلْ قِرَىٰ الضيف وحُسْن القيام عليه من شِيَمِ

---

(١) صحيح سنن أبي داود برقم ٣٢٢٩.

(٢) شعب الإيمان ج ٧/ ٩١.

(٣) صحيح مسلم برقم ١٧٢٧/ ١٥، ج ٣/ ١٣٥٣.

(٤) صحيح سنن أبي داود برقم ٣١٩٠، وصحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٦٧٧.

الكِرَامِ، وعادة الصّالحين، ومنعُ القِرَىٰ مذموم على الألسن، وصاحبُهُ ملومٌ، وقد قالَ ﷺ: «مَنْ كان يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضيفه»[١].

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود ج ١٠/ ٢١٤.

التاسع والستون من شعب الإيمان
السّتر على أصحاب القروف[1]

أي الذنوب.

قال اللّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

وفي حديث سالم بن عبد اللّهِ بن عمر رضي اللّه عنهما في «الصحيحين» عن أبيه: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ من كان في حَاجَةِ أخيهِ كَانَ اللّهُ في حَاجَتِهِ، ومَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيامَةِ، ومَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[2].

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، ومَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللّهُ عليه في الدُّنيا والآخرة، ومَنْ سَتَرَ على مُسْلِمٍ سَتَرَ اللّهُ عَلَيْهِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، واللّهُ في عونِ العَبْدِ ما كَانَ العَبْدُ في عَوْنِ أخيهِ»[3].

وعن أبي بَرْزَةَ الأسلمي، قالَ: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «يا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسانِهِ ولَمْ يَدْخُلِ الإيمَانُ قَلْبَهُ، لا تَغْتَابُوا المسلمين، ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللّهُ عورتَهُ، ومن يَتَّبِعُ اللّهُ عَوْرَتَهُ

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٧/ ١٠٥ ـ ١١٢.
(٢) صحيح البخاري ج ٥/ ٧٠، وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٠.
(٣) صحيح سنن أبي داود برقم ٤١٣٧.

يَفْضَحْهُ في بَيْتِهِ»[1].

وعن أنس بن مالكٍ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُم! فقلتُ: مَنْ هٰؤُلَاءِ يا جبريلُ؟ قالَ: هؤلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، ويقعون في أعراضِهِمْ»[2].

وعَنْ سعيدِ بن زَيْدٍ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الاسْتِطَالَةُ في عِرْضِ المُسْلِمِ بغيرِ حَقٍّ»[3].

وقوله ﷺ: «أَرْبَىٰ الرِّبَا» أي: أكثَرُهُ وَبَالاً، وأَشَدُّهُ تحريماً. و «الاستطالة» أي: إطالة اللسان «في عِرْضِ المسلم» أي احتقارُهُ والتَّرفعُ عليه، والوقيعة فيه بنحو قذفٍ أو سَبٍّ. «بغير حقٍّ» فيه تنبيهٌ على أنَّ العرض ربَّما تجوز استباحته في بعض الأحوال، وذلك مثل قوله ﷺ: «لِيُّ الوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضُه» فيجوز لصاحب الحقِّ أن يقول فيه: إنه ظالمٌ وإنّه معتدٍ، ونحو ذلك، ومثلهُ ذكرُ مَساوىء الخاطب، والمبتدعة والفسقة على قصد التحذير[4].

وعن المُسْتَوردِ أنَّهُ حدَّث عن رسول اللَّه ﷺ أنه قالَ: «مَنْ أَكَلَ برجلٍ مُسْلِمٍ أَكْلَةً، فإنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا مِنْ جهَنَّمَ، ومَنْ كُسِيَ ثوباً برجلٍ مُسلمٍ، فإنَّ اللَّهَ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، ومَنْ قامَ برجلٍ مقامَ سُمْعَةٍ ورياءٍ، فإنَّ اللَّهَ يقومُ به مقامَ سُمْعَةٍ ورياءٍ يوم القيامةِ»[5].

وقوله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ برجلٍ مسلمٍ» أي بسببِ اغتيابِهِ والوقيعة فيه، أو بتعرّضه له بالأذيَّةِ عندَ مَنْ يُعاديهِ. قال ابن الأثير في النّهاية: معناهُ الرَّجُلُ

(١) صحيح سنن أبي داود برقم ٤٠٨٣.
(٢) صحيح سنن أبي داود برقم ٤٠٨٢.
(٣) صحيح سنن أبي داود برقم ٤٠٨١.
(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود ج ١٣/ ٢٢٢.
(٥) صحيح سنن أبي داود برقم ٤٠٨٤.

يكون صديقاً ثم يذهب إلى عدوّهِ فيتكلّمُ فيه بغير الجميل ليجيزهُ عليه بجائزةٍ، فلا يبارك اللّه له فيها. «ومَنْ قامَ برجلٍ مقامَ سمعةٍ ورياءٍ»، أي أقام رجلاً مقامَ سمعةٍ ورياء ووصفه بالصلاح والتّقوىٰ والكرامات، وشَهَرَهُ بها، وجعله وسيلةً إلى تحصيلِ أغراضِ نفسهِ وحُطام الدنيا، فإنَّ اللّه يقومُ بهِ أي بعذابهِ وتشهيرهِ أنَّهُ كان كَذَّاباً.

ويكون المعنىٰ: أنَّ مَنْ قامَ بسبب رجلٍ من العظماء من أهل المال والجاه مقاماً يتظاهر فيه بالصلاح والتقوىٰ ليعتقد فيهِ ويصير إليه المالُ والجاهُ، أقامَهُ اللّهُ مقامَ المُرائين، ويفضحُهُ ويُعَذِّبُهُ عذابَ المُرائين[١].

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ حَرَامٌ، مَالُهُ وعِرْضُهُ ودَمُهُ، حَسْبُ امرىءٍ من الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخَاهُ المسلمَ»[٢].

وعن سهلِ بنِ معاذِ بن أنسٍ الجُهنيّ عن أبيه عن النّبيّ ﷺ قال: «مَنْ حَمَىٰ مؤمناً مِنْ منافقٍ» ـ أراهُ قالَ ـ «بعثَ اللّهُ مَلَكاً يحمي لحمهُ يَوْمَ القيامة من نار جهنَّم، ومَنْ رَمَىٰ مسلماً بشيءٍ يُريدُ شَيْنَهُ به حبسَهُ اللّهُ على جسرِ جهنَّم حتَّىٰ يَخْرُجَ ممَّا قالَ»[٣]، أي من عُهْدَتِهِ، والمعنىٰ حتى يُنَقَّىٰ من ذنبِهِ ذلك بإرضاء خصمهِ، أو بشفاعةٍ، أو بتعذيبه بقدر ذنبهِ[٤].

وعَنْ معاوية رضي اللّهُ عنه قال: سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ يقول: «إنَّكَ إنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أفْسَدْتَهُمْ، أوْ كِدْتَ أنْ تُفْسِدَهُمْ»[٥].

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقولُ: «كلُّ أُمّتي مُعَافَى إلاَّ المُجَاهِرِينَ، وإنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أن يعمل الرَّجُلُ بالليل

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود ج ١٣/ ٢٢٥.

(٢) صحيح سنن أبي داود برقم ٤٠٨٥، وصحيح سنن الترمذي برقم ١٥٧٢.

(٣) صحيح سنن أبي داود برقم ٤٠٨٦.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود ج ١٣/ ٢٢٧.

(٥) صحيح سنن أبي داود برقم ٤٠٨٨.

عملاً ثم يُصبحُ وقَدْ سترَهُ اللَّهُ، فيقولُ: يا فلانُ عملتَ البارِحَةَ كذا وكذا، وقد باتَ يستُرُهُ رَبُّهُ، ويُصبحُ يكشفُ سِتْرَ اللَّهِ»[1].

(١) صحيح البخاري ج ٤٨٦/١٠ ، الفتح برقم ٦٠٦٩.

السّبعون من شعب الإيمان

الصّبر على المصائب وعمّا تنزع النّفس إليه مِنْ لذّةٍ وشهوةٍ(١)

قال اللّه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾ [الزمر].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١].

والآيات في الأَمْرِ بالصَّبرِ وبيَانِ فضلهِ كثيرةٌ معروفةٌ.

[وحقيقة الصبر: حبس النّفس وكفها عن الجزع والسخط، اللسان عن الشكوىٰ والثبات علىٰ أحكام الكتاب والسنّة، قال عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فمن لا صبر له لا إيمان له، كما أن لا جسد لمن لا رأس له، وهو من أعظم الأمور

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٧/ ١١٣ ـ ٢٥٨.

وأنفعها، لذلك ذكر اللّه تعالىٰ في القرآن في كثير من المواضع، وحكمه الوجوب بإجماع الأمّة، رزقنا اللّه تعالىٰ الصّبر على المكاره].

وعن أبي مالكٍ الحارثِ بن عاصمٍ الأشعري رضي اللّه عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ[1]، والحَمْدُ للّهِ تملأُ الميزان، وسبحانَ اللّهِ والحمدُ للّهِ تملآن - أو تملأ - ما بين السَّمٰواتِ والأرضِ، والصَّلاةُ نورٌ والصَّدقةُ بُرْهَانٌ[2]، والصَّبْرُ ضياءٌ، والقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أو عَلَيكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو[3] فبائعٌ نَفْسَهُ فمعتقُهَا، أو موبقُهَا»، رواه مسلم[4].

وعن أبي سعيد بن مالك بن سنان الخدري رضي اللّه عنهما: أن ناساً من الأنصار سألوا رسول اللّه ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتىٰ نَفِدَ ما عِنْدَهُ، فقالَ لَهُمْ حينَ أنفقَ كُلَّ شيءٍ بيدهِ: «ما يَكُنْ عِنْدِي من خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، ومَنْ يستعفف يُعِفَّهُ اللّهُ، ومَنْ يستغنِ يغنهِ اللّهُ، ومَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللّهُ، وما أُعْطِي أحَدٌ عطاءً خَيْراً وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» متفقٌ عليه[5].

وعن أبي يحيىٰ صُهَيْبِ بنِ سنان رضيَ اللّهُ عنه قال: قالَ

---

(١) شطر الإيمان: أي نصفه، أي: ينتهي تضعيف أجره إلى نصف أجر الإيمان.
(٢) أي: حجّة على إيمان مؤديها إلى مستحقيها.
(٣) أي: كل إنسان يسعىٰ بنفسه، فمنهم من يبيعها للّه بطاعته، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوىٰ.
(٤) صحيح مسلم برقم ٢٢٣.
(٥) صحيح البخاري ج ٦/ ٢٦٥ و ١١/ ٢٦٠ الفتح، وصحيح مسلم برقم ١٠٥٣.
ومعنى الحديث: أن من يمتنع عن السؤال يجازيه اللّه على استعفافه بصيانة وجهه ودفع فاقته، ومن يستغن باللّه عمّن سواه، فإنه يعطيه ما يستغني به عن السؤال ويخلق في قلبه الغنىٰ، ومن يعالج نفسه على ترك السؤال ويصبر إلى أن يحصل له الرزق فإنه يقوّيه ويمكنه من نفسه حتى تنقاد له يذعن لتحمل الشدّة. فعند ذاك يكون اللّه معه فيظفر بمطلوبه.

رسولُ اللَّه ﷺ: «عَجباً لأَمرِ المُؤْمِنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، ولَيْسَ ذٰلِكَ لأَحَدٍ إلاَّ لِلْمُؤْمِنِ: إنْ أَصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيْراً لَهُ، وإنْ أَصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ»[1] رواه مسلم.

عن أنس رضي اللَّه عنه قال: لمَّا ثَقُلَ النّبيّ ﷺ جعل يتغشَّاهُ الكَرْبُ[2]، فقالتْ فاطمةُ رضي اللَّه عنها: واكَرْبَ أبتاهُ، فقال: «ليسَ على أبيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليومِ»، فلمّا ماتَ قالتْ: يا أبتاه أجابَ ربّاً دَعاه، يا أَبَتَاه جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاه، يا أَبَتَاهُ إلىٰ جبريلَ ننعاه، فلمّا دُفِنَ قالتْ فاطمة رضي اللَّه عنها: أطابتْ أنْفُسُكُمْ أن تَحْثُوا على رسولِ اللَّه ﷺ التُّراب؟» رواه البخاري[3].

وعن أبي زيدٍ أُسامةَ بن زيدٍ بنِ حارثةَ مَوْلَىٰ رسولِ اللَّه ﷺ وحِبِّهِ وابنِ حِبِّهِ، رضي اللَّه عنهما، قال: أَرسَلَتْ بِنتُ النّبي ﷺ: إنَّ ابني قَدِ احْتُضِرَ[4] فاشْهَدْنَا، فأرسَلَ يُقْرِىءُ السّلام ويقول: «إنَّ للَّهِ ما أخذَ، ولهُ ما أعطىٰ، وكلُّ شيءٍ عندَهُ بأجلٍ مُسمىً، فلتصبرْ ولتحتسبْ»[5]، فأَرسلَتْ إليه تُقْسِمُ عليهِ ليأتِيَنَّها. فقامَ ومعه سعد بن عُبادة ومُعاذ بن جبلٍ، وأُبيّ بن كعبٍ، وزيد بن ثابتٍ، ورجالٌ رضي اللَّه عنهم، فرُفِعَ إلى رسولِ اللَّه ﷺ الصَّبيُّ، فَأَقْعَدَهُ في حِجْرِهِ ونَفْسُهُ تَقَعْقَعُ، ففاضت عيناهُ، فقال سعدٌ: يا رسولَ اللَّه! ما هذا؟ فقالَ: «هذه رحمةٌ جعلها اللَّهُ تعالىٰ في قلوبِ عبادهِ»[6].

وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه قال: مَرَّ النَّبيُّ ﷺ بامرَأَةٍ تبكي عند قبرٍ

---

(١) صحيح مسلم برقم ٢٩٩٩.
(٢) يتغشّاه: أي تنزل به الشدّة من سكرات الموت.
(٣) صحيح البخاري ج ٨/ ١١٣ برقم ٤٤٦٢.
(٤) احتضر: أي حضرته مقدمات الموت.
(٥) أي تنوي بصبرها طلب الأجر والثواب من اللَّه تعالىٰ، فيكون لها عمل صالح.
(٦) صحيح البخاري ج ٣/ ١٢٤ برقم ١٢٨٤، وصحيح مسلم برقم ٩٢٣.

فقال: «اتّقي اللّه واصبري»، فقالتْ: إليكَ عنّي، فإنّك لم تُصَبْ بمصيبتي، ولم تعرفْهُ، فقيل لها: إنّه النّبيّ ﷺ، فأتتْ بابَ النّبيّ ﷺ، فلم تجد عنده بوّابين، فقالت: لم أعْرِفْكَ، فقال: «إنّما الصّبرُ عندَ الصّدمةِ الأولىٰ» متّفق عليه(١).

وفي رواية مسلم: «تبكي على صبيٍّ لها».

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أنّ رسولَ اللّه ﷺ قالَ: «يقول اللّهُ تعالىٰ: ما لِعَبْدِي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صفيَّهُ من أهلِ الدنيا ثم احتسَبَهُ إلاّ الجنّةَ» رواه البخاري(٢).

وعن عائشة رضي اللّه عنها أنها سألتْ رسولَ اللّه ﷺ عن الطاعون، فأخبرها «أنّه كان عذاباً يبعثهُ اللّه تعالىٰ على من يشاء، فجعله اللّه تعالىٰ رحمةً للمؤمنينَ، فَلَيْسَ من عبدٍ يقعُ في الطّاعون فيمكث في بَلَدِهِ صابراً محتسباً يعلمُ أنّه لا يُصيبهُ إلاّ ما كتبَ اللّهُ لهُ إلاّ كان له مثل أجرِ الشّهيد» رواه البخاري(٣).

وعن أنس رضي اللّه عنه قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ اللّهَ عَزَّ وجلَّ قال: إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيهِ فصبرَ عوّضتُهُ منهما الجنّةَ» يُريد عينيه، رواه البخاري(٤).

وعن عطاء بن أبي رباحٍ قالَ: قالَ لي ابنُ عبّاسٍ رضي اللّه عنهما: ألا أريكَ امرأةً من أهل الجنّة؟ فقلتُ: بلىٰ، قالَ: هذهِ المرأةُ السّوداءِ أتتِ النّبيَّ ﷺ فقالتْ: إنّي أُصرَعُ، وإنّي أتكشّفُ، فادْعُ اللّهَ تعالىٰ لي، قال: «إنْ شئتِ صَبَرْتِ ولكِ الجنّة، وإنْ شئتِ دعوتُ اللّهُ أن يُعافِيَكِ»، فقالتْ:

(١) صحيح البخاري ج ٣/١٣٨ برقم ١٢٨٣، وصحيح مسلم برقم ٩٢٦.
(٢) صحيح البخاري ج ١١/٢٠٧ برقم ٦٤٢٤.
(٣) صحيح البخاري ج ١٠/١٦٣ ـ ١٦٤ برقم ٥٧٣٤.
(٤) صحيح البخاري ج ١٠/١٠٠ برقم ٥٦٥٣، وسنن الترمذي برقم ٢٤٠٢.

أصبرْ، فقالتْ: أنّي أتكشَّفُ، فادْعُ اللَّهَ أنْ لا أتكشَّف، فدَعَا لها»، متفق عليه[١].

وعن أبي عبد الله عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: كأنّي أنظرُ إلى رسولِ اللَّه ﷺ يحكي نبيّاً من الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم، ضَرَبَهُ قومُهُ فأدْمُوهُ وهو يمسحُ الدَّمَ عن وجهِهِ، يقولُ: «اللَّهمَّ اغْفِرْ لقومي فإنَّهم لا يعلمونَ»، متفقٌ عليه[٢].

وعن أبي سعيدٍ وأبي هريرة رضي اللَّه عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ما يُصيبُ المسلمَ من نصَبٍ[٣] ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أذىً ولا غَمٍّ، حتَّىٰ الشَّوكَةُ يُشاكُهَا إلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بها مِنْ خَطَايَاهُ»، متفقٌ عليه[٤]. و «الوصَبُ»: المَرَضُ.

وعن ابن مسعودٍ رضي اللَّه عنه قال: دخلتُ على النَّبيّ ﷺ وهو يُوعَكُ فقلتُ: يا رسولَ اللَّه! إنَّكَ تُوعَكُ وعْكاً شَديداً؟ قال: «أجلْ إنّي أوعَكُ كَمَا يُوعَك رجُلانِ منكم»، قلتُ: ذلك أنَّ لك أجرين؟ قال: أجلْ ذلك كذلك، ما مِنْ مسلمٍ يصيبهُ أذىً، شوكَةٌ فما فوقها إلا كَفَّرَ اللَّهُ بها سَيِّئاتِهِ، وحُطَّتْ عنهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشجرةُ ورقَهَا»، متفقٌ عليه[٥].

و «الوَعْكُ»: مَغْثُ الحُمَّى، وقيلَ: الحُمَّى.

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خيراً يُصِبْ منهُ» رواه البخاري[٦].

---

(١) صحيح البخاري ج ٩٩/١٠ برقم ٥٦٥٢، وصحيح مسلم برقم ٢٥٧٦.
(٢) صحيح البخاري ج ٢٤٩/١٢ برقم ٦٩٢٩، وصحيح مسلم برقم ١٧٩٢.
(٣) النَّصَب: التَّعبُ الذي يوهن القوَّة.
(٤) صحيح البخاري ج ٩/١٠ برقم ٥٦٤١، وصحيح مسلم برقم ٢٥٧٣.
(٥) صحيح البخاري ج ٩٦/١٠ برقم ٥٦٤٨، وصحيح مسلم برقم ٢٥٧١.
(٦) صحيح البخاري ج ٩٩/١٠، برقم ٥٦٤٥.

وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «لاَ يَتمنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الموتَ لِضُرٍّ أصابَهُ، فإنْ كانَ لا بُدَّ فاعلاً فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أحيِني ما كانَتِ الحياةُ خيراً لي وتوفَّنِي إذا كانَتِ الوَفاةُ خيراً لي» متفقٌ عليه[1].

وعن أبي عبد اللَّه خبّاب بن الأرتِّ رضي اللَّه عنه قالَ: شَكَوْنَا إلى رسول اللَّه ﷺ وهو متوسّدٌ بُرْدَةً لهُ في ظلِّ الكعبةِ، فقلنا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لنا؟ ألا تدعُو لَنا؟ فقالَ: قَدْ كانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لهُ في الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فيها، ثُمَّ يُؤْتَىٰ بالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رأسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، ويُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ لَحمِهِ وعَظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذلكَ عَنْ دينِهِ، واللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هذا الأَمْرَ حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إلىٰ حَضْرَمَوْتَ لا يخافُ إلاَّ اللَّهَ والذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» رواه البخاري[2].

وفي رواية: «وهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وقد لَقِينا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً».

وعن ابن مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنه قالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رسولُ اللَّه ﷺ ناساً في القِسْمَةِ، فَأَعْطَىٰ الأَقْرَعَ بن حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإبلِ، وأَعْطَى عُيَيْنَةَ بن حِصْن مِثْلَ ذلِكَ، وأَعطى نَاساً مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ وآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ في القِسْمَةِ. فَقَالَ رَجُلٌ: واللَّه إنَّ هذه قِسْمَةٌ ما عُدِلَ فيها، ومَا أُرِيدَ فيها وَجْهَ اللَّهِ، فقلتُ: واللَّهِ لأُخْبِرَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ فأخبَرْتُهُ بما قَالَ، فتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّىٰ كَانَ كالصِّرْفِ. ثم قال: «فَمَنْ يَعْدِلُ إذالَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرسولُهُ؟ ثم قال: يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَىٰ قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هٰذَا فَصَبَرَ»، فَقُلْتُ: لا جَرَمَ لا أَرْفَعُ إليهِ بَعْدَهَا حَدِيثاً» متفقٌ عليه[3]. وقوله «كالصِّرْفِ» وهو بكسر الصّاد المهملة: وهو صبغٌ أحمرُ.

وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إذا أَرَادَ اللَّهُ

(١) صحيح البخاري ج ١٠/ ١٠٧ برقم ٣٦١٢، وصحيح مسلم برقم ٢٦٨٠.
(٢) صحيح البخاري ج ٧/ ١٢٦ برقم ٣٦١٢، وأبو داود في سننه برقم ٢٦٤٩.
(٣) صحيح البخاري ج ٨/ ٤٤ ـ ٤٥ برقم ٣١٥٠، وصحيح مسلم برقم ١٠٦٢.

بعبدهِ خَيراً عَجّلَ له العُقُوبَةَ في الدُّنْيا، وإذَا أَرَادَ اللَّهُ بعبدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عنهُ بذنبِهِ حتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

وقال النبيّ ﷺ: «إنَّ عِظَمَ الجزاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ. وإنَّ اللَّهَ تعالىٰ إذَا أَحبَّ قَوْماً ابْتَلاَهُمْ، فمن رَضِيَ فَلَهُ الرِّضا، ومَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»، رواه الترمذي[2]، وقالَ: حديث حسنٌ.

وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه قال: كان ابنٌ لأبي طلحةَ رضي اللَّه عنه يَشْتكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ، فقُبِضَ الصَّبيُّ، فلَمَّا رَجَعَ أبو طلحة قالَ: ما فَعَلَ ابْني؟ قالت أُمُّ سُلَيْم وهيَ أُمُّ الصَّبيِّ: هُوَ أَسْكَنُ ما كَانَ، فَقَرَّبَتْ إليهِ العَشَاءَ فَتَعَشَّىٰ، ثُمَّ أَصابَ مِنْهَا، فَلَمَّا فَرَغَ قالَتْ: وَارُواه الصَّبيَّ، فلَمَّا أَصْبَحَ أبو طلحة أتىٰ رسولَ اللَّه ﷺ فأخبرَهُ، فقالَ: «أَعَرَّسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟» قالَ: نَعَمْ، قالَ: «اللَّهُمَّ بارِكْ لَهُمَا»، فَوَلَدَتْ غُلاماً، فقالَ لي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَ به النَّبيَّ ﷺ، وبعثَ مَعَهُ بتمراتٍ، فقالَ: «أَمَعَهُ شَيءٌ؟» قالَ: نَعَمْ، تَمَراتٌ، فَأَخَذَهَا النَّبيُّ ﷺ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ أَخَذَهَا من فِيهِ فَجَعَلَهَا في فِيِّ الصَّبيِّ، ثُمَّ حَنَّكَهُ وَسَمَّاهُ عَبدَ اللَّهِ، متفق عليه. وفي روايةٍ للبخاريّ: قال ابنُ عُيَيْنَةَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصارِ: فَرَأَيتُ تِسْعَةَ أَوْلادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَؤُوا القُرْآنَ، يَعْنِي مِنْ أولادِ عَبْدِ اللَّهِ المَوْلُودِ.

وفي روايةٍ لمسلم: ماتَ ابنٌ لأبي طلحة مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، فقالت لأَهْلِهَا: لاَ تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بابنهِ حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ، فجاءَ فَقَرَّبَتْ إليهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لهُ[3] أحسَنَ مَا كَانَتْ تَصنَّعُ قَبْلَ ذٰلِكَ، فوقَعَ بها، فلمَّا أَنْ رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبعَ وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة، أرأيتَ لو أن قوماً أعارُوا عاريتهم أهل بيتٍ فطلبوا عاريتهم، ألهم أن

(١) صحيح الجامع برقم ٣٠٨.
(٢) صحيح سنن الترمذي برقم ١٧٤١.
(٣) تصنّعتْ له: أي بتحسين الهيئة بالحلي ونحوه، ووقع بها: جامعها.

يمنعُوهم؟ قال: لا، فقالتْ: فاحْتَسِبْ ٱبْنك[1]، قال: فغضب، ثم قال: تركتني حتى إذا تلطَّخْتُ[2] ثم أخبرتني بابني، فانطلق حتَّىٰ أتىٰ رسولَ اللَّه ﷺ فأخبرَهُ بما كان، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «بارَكَ اللَّهُ في ليلتِكُما»، قال: فحملتْ، قال: وكان رسولُ اللَّه ﷺ في سفرٍ وهي معه، وكان رسولُ اللَّه ﷺ إذا أتىٰ المدينة مِنْ سفرٍ لا يَطْرُقُها طُرُوقاً[3] فدَنوا من المدينة، فضربها المخاضُ، فاحتبسَ عليها أبو طلحةَ، وانطلقَ رسولُ اللَّه ﷺ، قال: يقولُ أبو طلحة: إنَّكَ لتعلمُ يا ربِّ أنه يُعجِبُني أنْ أَخْرُجَ مع رسولِ اللَّه ﷺ إذا خرجَ، وأدخلَ معه إذا دَخَلَ، وقَدْ احتسبتُ بما ترىٰ، تقولُ أمّ سليم: يا أبا طلحة! ما أجدُ الذي كنتُ أجِدُ، انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنَا، وضَرَبَها المَخاضُ حين قَدِما فوَلَدتْ غُلاماً، فقالتْ لي أُمِّي: يا أَنَسُ لا يُرْضِعُهُ أحدٌ حتىٰ تَغْدُوَ بهِ علىٰ رسول اللَّه ﷺ، فلمَّا أصبحَ احتَمَلْتُهُ فانْطَلَقْتُ بهِ إلى رسولِ اللَّه ﷺ، وذكر تمامَ الحديث[4].

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّديدُ الذي يملكُ نفسَهُ عند الغضب» متفق عليه[5].

والصُّرَعَةُ بضم الصَّاد وفتح الرّاء، وأصلُهُ عند العرب مَنْ يصرعُ النّاسَ كثيراً.

وعن سليمان بن صُرَد رضي اللَّه عنه قال: كُنْتُ جَالِساً مع النَّبيِّ ﷺ، ورَجُلَانِ يستبَّانِ، وأحدُهُمَا قد احْمَرَّ وجْهُهُ وانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ[6]، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَو قَالَهَا لَذَهَبَ عنه ما يَجِدُ، لو

---

(١) أي: اطلب ثواب مصيبتك في ابنك من اللَّه تعالىٰ.

(٢) تلطخت: أي تقذرت بالجماع.

(٣) لا يطرقها طروقاً ـ بضم أوليه المهملين ـ أي: لا يأتيها ليلاً لئلاّ يرىٰ من أهله ما قد يكره.

(٤) صحيح البخاري ج ٣/ ١٣٥ ـ ١٣٧/ ١٣٠١، وصحيح مسلم برقم ٢١٤٤.

(٥) صحيح البخاري ج ١٠/ ٤٣١ برقم ٦١١٤، وصحيح مسلم برقم ٢٦٠٩.

(٦) الأوداج: العروق المحيطة بالعنق.

قال: أعوذُ باللَّهِ من الشيطانِ الرَّجيم[1]، ذَهَبَ منهُ ما يَجِدُ»، فقالُوا لهُ: إنّ النبيَّ ﷺ قال تَعوّذْ باللَّهِ من الشَّيطانِ الرجيمِ» متفقٌ عليه[2].

وعن معاذ بن أنسٍ رضي اللَّه عنه أنّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ كَظَمَ غيظاً، وهو قادرٌ على أن يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ سبحانه وتعالىٰ على رؤوسِ الخَلائِقِ يومَ القيامةِ حتَّىٰ يُخَيِّرَهُ مِنع الحُورِ العِينِ مَا شَاءِ» رواه أبو داود والترمذي[3]، وقال: حديثٌ حسنٌ.

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنّ رجلاً قال للنَّبيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قال: «لا تَغْضَب»، فردَّدَ مِراراً، قالَ: «لا تَغْضَبْ» رزواه البخاري[4].

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَزَالُ البَلاءُ بالمُؤْمِنِ والمؤمنةِ في نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللَّهَ تعالىٰ وما عليه خطيئةٌ» رواه الترمذي وقال: حديث حسنٌ صحيح[5].

وعن ابن عباسٍ رضي اللَّه عنهما قال: قَدِمَ عُيينةُ بنُ حِصْنٍ فَنَزَلَ عَلَىٰ ابنِ أخيهِ الحُرِّ بن قيسٍ، وكانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ رضي اللَّه عنه، وكَانَ القُرَّاءُ أصحابَ مجلسِ عُمَرَ رضي اللَّه عنه ومُشَاورتِهِ كُهُولاً كانُوا أو شُبَّاناً، فقال عُيَينَةُ لابن أخيهِ: يا ابْنَ أخي، لَكَ وَجْهٌ عند هذا الأميرِ فاستأذِنْ لي عَلَيْهِ، فاستَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ. فَلَمَّا دَخلَ قَالَ: هِيْ[6] يا ابنَ الخطّابِ، فواللَّه ما تُعْطِينَا الجَزْلَ[7] ولا تَحْكُمُ فينا بالعدلِ، فغضبَ عُمَرُ رضي اللَّه عنه حتى همَّ أن يُوقِعَ به، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يا أميرَ المؤمنينَ إن اللَّهَ

---

(١) أعُوذُ باللَّه: أي أعتصم وأحتمي وألوذ باللَّه تعالىٰ.
(٢) صحيح البخاري ج ٦/٢٤٢ برقم ٣٨٨٢، وصحيح مسلم برقم ٢٦١٠.
(٣) صحيح سنن أبي داود برقم ٣٩٩٧، وصحيح الترمذي برقم ١٦٤٥.
(٤) صحيح البخاري ج ١٠/٤٣١، برقم ١٦١٦.
(٥) صحيح سنن الترمذي برقم ١٩٥٧.
(٦) هِيْ: هي كلمة تهديد.
(٧) الجَزْل: أي ما تعطينا الشيء الكثير.

تعالىٰ قال لنبيِّه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ(١) وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف]، وإنَّ هذا من الجاهلين، واللَّه ما جاوزها عُمَرُ حين تلاهَا، وكانَ وقَّافاً عندَ كتابِ اللَّهِ تعالىٰ، رواه البخاري(٢).

وعن ابن مسعودٍ رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إنَّها ستكونُ بعدي أثَرَةٌ تُنكِرُونَها!» قالُوا: يا رسولَ اللَّه فما تأمُرنا؟ قال: «تُؤدُّون الحقَّ الَّذي عليكُمْ، وتسألُونَ اللَّهَ الذي لكَمُ» متفقٌ عليه(٣).

و «الأَثَرَةُ»: الانفرادُ بالشَّيءِ عَمَّنْ لهُ فيهِ حَقٌّ.

وعن أبي يحيىٰ أُسَيدَ بن حُضَيْرٍ رضي اللَّه عنه أنَّ رَجُلاً مِنَ الأنصار قال: يا رسولَ اللَّه! ألاَ تستعملُني كَمعا استعملتَ فُلاناً، فقالَ: «إنَّكُمْ ستَلْقوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فاصْبِرُوا حتَّى تَلْقَوْنِي عَلىٰ الحوضِ» متفقٌ عليه(٤).

وعن أبي إبراهيمَ عَبدِ اللَّه بن أبي أوفَىٰ رضي اللَّه عنهما أنّ رسولَ اللَّه ﷺ في بعضِ أيَّامِهِ التي لَقِيَ فيها العَدُوَّ، انْتَظَرَ حَتَّىٰ إذا مالَتِ الشَّمْسُ قامَ فيهم، فقالَ: «يا أَيُّهَا النَّاسُ! لا تَتَمَنَّوا لِقاءَ العَدُوِّ، واسألوا اللَّه العَافيةَ، فإذا لَقِيتُمُوهُمْ فاصْبِرُوا، واعْلَمُوا أنَّ الجنَّةَ تَحتَ ظِلالِ السُّيُوفِ»(٥)، ثم قال النَّبيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنَزِّلَ الكِتابِ، ومُجْرِيَ السَّحابِ،

---

(١) وأمر بالعُرْف: أي بالمعروف.

(٢) صحيح البخاري ج ٨/ ٢٢٩ و ١٣/ ٢١٧ ـ ٢١٩ برقم ٤٦٤٤.

(٣) صحيح البخاري ج ١٣/ ٤.

(٤) صحيح البخاري ج ٧/ ٨٩ و ١٣/ ٦ برقم ٦٠٥٧، وصحيح مسلم برقم ١٨٤٥.

(٥) قال القرطبي: هذا من الكلام النفيس البديع الذي جمع ضروب البلاغة مع جزالة اللفظ وعُذوبته، وحُسن استعارته وشمول المعاني الكثيرة مع الألفاظ المقبولة الوجيزة بحيث تعجز الفصحاء اللسن البلغاء عن إيراد مثله، وأن يأتوا بنظيره أو شكله، فإنه استفيد منه ـ مع وجازته ـ الحض على الجهاد والإخبار بالثواب عليه والحضّ على مقاربة العدو واستعمال السيوف والاعتماد عليها، واجتماع المقاتلين حين الزّحف بعضهم لبعض حتى تكون سيوفهم بعضها يقع على العدوّ =

وهازِمَ الأَحْزَابِ، اهزمهُمْ وانْصُرْنَا عليهم»[1].

وفي حديث عبد اللَّه بن مسعود عند الشيخين في توعُّكِ رسولِ اللَّه ﷺ: «. . . مَا مِنْ مسلمٍ يُصيبهُ أذىً مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إلاّ حَطَّ اللَّهُ بهِ مِنْ سيّئاتِهِ كَما تحُطُّ الشجرةُ ورقَهَا»[2].

= وترتفع عليهم حتّى كأنّ السيوف أظلّتِ الضاربين بها.

(١) صحيح البخاري ج ١٠٩/٦ ـ ١١٠، وصحيح مسلم برقم ١٧٤٢.

(٢) صحيح البخاري ج ٩٦/١٠، وصحيح مسلم برقم ٢٥٧١.

الحادي والسبعون من شعب الإيمان

الزُّهدُ وقِصَرُ الأملِ (1)

قال تعالىٰ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ (2) وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد].

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ (3) [فاطر].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (4) [العنكبوت].

[واعلم وفّقك اللّهُ أنَّ العلماءَ قد أكثرُوا منَ الكلامِ على الزّهد،

---

(1) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٧/ ٢٥٩ ـ ٤٠٩.

(2) أي: ما هذه الدنيا إلاّ مثلُ نباتٍ نمَا من الغيث، قد أعجبَ الكُفّار، أي الزُّرّاع، ثم صار في أقصىٰ ما يتأتّىٰ له، ثمَّ اصفرَّ بعد الخُضْرَةِ حتى صار حُطاماً، فكذلك الدنيا تزول وتتحطّم وتفنىٰ زينتها، ولا يبقىٰ إلاّ الآخرة.

(3) الغَرُورُ: هو الشيطان الذي يُغرِّ بالإنسان ليغويَهُ ويُضلّهُ.

(4) الآخرة: هي الحياة الباقية التي لا فَناء لها.

ونذكر لك أهمَّهُ، قال الإمامُ أحمد: الزُّهْدُ في الدنيا، هو عدم فرحه بإقبالها، وعدم حزنه على إدبارها. وقد قسم الزُّهد الإمامُ أحمد إلى ثلاثة أوجه: الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام، والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص، والثالث: ترك ما يشغل عن اللَّه، وهو زُهْدُ المتّقين، وقد أشار اللَّه تعالىٰ إلى مدحه في القرآن في غير موضع، وإلى ذم الدّنيا والإعراض عنها. قال اللَّه تعالىٰ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴿٧٧﴾﴾ [النساء]، وقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿١٣١﴾﴾[طه]وقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾، والأحاديث في ذلك كثيرة. وليس المراد بالزهد رفض الدنيا وإخراجها عن المُلْكِ. والزّهادة في الدنيا ليستْ بتحريم الحلالِ، ولا إضاعةِ المالِ، ولكن الزّهادة في الدنيا أن لا تكونَ بما في يديك أوثقَ ممّا في يد اللَّه، وأنْ تكونَ في ثواب المصيبة إذا أنتَ أُصِبْتَ بها أرغَبَ فيها لو أنّها بقيتْ لكَ، وهذا أجمعُ كلامٍ في الزّهد وأحسنه][1].

وأمّا الأحاديث فأكثر مِنْ أن تحصرَ فنُنبِّهُ بطرفٍ منها على ما سواها.

فعن عمرو بن عوفٍ الأنصاريّ رضي اللَّه عنه: أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجرّاح رضي اللَّه عنه إلى البحرين يأتي بجزيتها، فقدم بمالٍ من البحرين، فَسَمِعَتِ الأنصارُ بقدوم أبي عُبيدَةَ، فَوافُوا صلاةَ الفجرِ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ، فلمّا صلّىٰ رسولُ اللَّه ﷺ انصرفَ، فتعرّضُوا له، فتبسّم رسولُ اللَّه ﷺ حينَ رآهُمْ، ثُمَّ قالَ: «أظُنُّكُم سَمِعْتُمْ أنَّ أبا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بشيءٍ منَ البحرين؟» فقالوا: أجَلْ يا رسولَ اللَّهِ، فقال: «أبْشِرُوا وأَمِّلُوا ما يَسُرُّكُمْ، فواللَّهِ ما الفقْرَ أَخْشَى عليكُمْ، ولكنِّي أخشىٰ أن تُبْسَطَ الدُّنْيَا

---

(١) من كلام الشيخ عبد القادر الأرناؤوط على مختصر شعب الإيمان ص ١٣٣، ط دار ابن كثير بدمشق.

عليكُمْ كما بُسِطَتْ علىٰ مَنْ كانَ قبلَكُمْ، فتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»(1).

وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي اللَّه عنه قال: جَلَسَ رسولُ اللَّه ﷺ على المنبرِ، وجلسنا حولَهُ، فقال: «إنَّ ممَّا أخافُ عليكم من بعدي ما يُفْتَحُ عليكُمْ من زهرَةِ الدُّنْيا، وزينتها»، متفقٌ عليه(2).

وعنه أنّ رسولَ اللَّه ﷺ قالَ: «إنّ الدُّنْيا حُلوةٌ خَضِرَةٌ، وإنَّ اللَّهَ تعالىٰ مُسْتَخْلِفكُمْ فيها، فَيَنْظُرُ كيفَ تعملُونَ، فاتّقُوا الدُّنْيا واتَّقُوا النّساءَ»، رواه مسلم(3).

وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه أنَّ النّبيَّ ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إلاَّ عَيْشُ الآخِرَةِ» متّفقٌ عليه(4).

وعنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «يَتْبَعُ الميتَ ثلاثةٌ: أهلُهُ ومالُهُ وعملهُ، فيرجعُ اثنانِ، ويبقىٰ واحدٌ: يَرْجِعُ أهلُهُ ومَالُهُ ويبقىٰ عملُهُ»، متفقٌ عليه(5).

وعنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «يُؤْتَىٰ بأَنْعَمِ أهل الدُّنْيا مِنْ أهلِ النَّارِ يومَ القيامةِ فيصبَغُ [أي: يُغْمَسُ] في النَّارِ صبغةً، ثمَّ يُقالُ: يا ابنَ آدَمَ هلْ رأيتَ خيراً قطُّ؟ هلْ مرَّ بكَ نعيمٌ قطُّ؟ فيقولُ: لا واللَّهِ يا ربِّ، ويُؤْتَى بأشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً في الدُّنْيا مِنْ أهلِ الجنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجنَّةِ، فَيُقالُ لهُ: يا ابنَ آدَمَ هَلْ رأيتَ بُؤْساً قطُّ؟ [أي شدَّةً] هل مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قطُّ؟

---

(1) صحيح البخاري ج ٢٠٨/١١ برقم ٣١٥٨، وصحيح مسلم برقم ٣٩٦١.
(2) صحيح البخاري ج ٢٥٨/٣ برقم ١٤٦٥، وصحيح مسلم برقم ١٠٥٢. وزهرة الدنيا: زينتها وبهجتها.
(3) صحيح مسلم برقم ٢٧٤٢.
(4) صحيح البخاري ج ٣٠٢/٧ ـ ٣٠٣ برقم ٦٤١٣، وصحيح مسلم برقم ١٨٠٥.
(5) صحيح البخاري ج ٣١٥/١١ برقم ٦٤١٤، وصحيح مسلم برقم ٢٩٦٠.

فيقولُ: لا واللّهِ، ما مرَّ بي بُؤْسٌ قطُّ، ولا رأيتُ شدَّةً قطُّ» رواه مسلم[١].

وعن المستوْرد بن شدَّادٍ رضي اللّه عنه، قال: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «ما الدّنْيا في الآخرة إلاّ مثل ما يجعلُ أحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ في اليَمِّ، [أي البحر]، فلينظرْ بمَ يرجعُ؟» رواه مسلم[٢].

وعن جابر رضي اللّه عنه أنّ رسولَ اللّه ﷺ مرَّ بالسُّوقِ والنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فمرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيْتٍ، فتناولَهُ، فأخذَ بأذنهِ، ثُمَّ قالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أن يكون هذا له بِدِرْهَمٍ؟»، فقالُوا: ما نُحِبُّ أنَّهُ لَنَا بشيءٍ وما نصنعُ به؟ ثمَّ قال: «أتُحِبُّونَهُ أنَّهُ لكُمْ؟» قالوا: واللّهِ لو كانَ حيّاً كان عَيْباً، أَنَّهُ أَسَكُّ، فكيفَ وهُوَ مَيْتٌ! فقال: «فَوَاللّهِ للدُّنْيا أهون علىٰ اللّه من هذا عليكم»، رواه مسلم[٣]. قوله: «كَنَفَتَيْهِ»، أي: جانِبَيْهِ. و «الأسَكُّ»: الصَّغير الأذن.

وعن أبي ذرٍّ رضي اللّهُ عنه، قال: كنتُ أمشي معَ رسولِ اللّه ﷺ في حَرَّةٍ[٤] بالمدينةِ، فاستقبَلَنَا أُحُدٌ، فقال: «يا أبا ذَرٍّ»، قال: لَبَّيكَ يا رسولَ اللّهِ، فقال: «ما يسرُّني أنَّ عندي مثلَ أُحُدٍ هذا ذهباً تمضي عليَّ ثلاثةُ أيَّامٍ وعندي منه دينارٌ، إلاَّ شيءٌ أُرْصِدُهُ لِدَينٍ، إلاَّ أن أقول به في عبادِ اللّهِ هكذا، وهكذا وهكذا» عن يمينه وعن شماله وعن خلفه، ثم سار فقال: «إنَّ الأكثرينَ هُمُ الأَقلُّونَ يومَ القيامةِ، إلاّ مَنْ قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا» عن يمينه، وعن شماله، وعن خلفه. «وقليل ما هُمْ»، ثم قال لي: «مَكانَكَ لا تَبْرَحْ، حَتَّىٰ آتيكَ»، ثم انطَلَقَ في سوادِ اللَّيلِ حتىٰ توارَىٰ، فسمعتُ صوتاً قد ارتفع، فتخوَّفتُ أنْ يكونَ أحَدٌ عَرَضَ[٥]

---

(١) صحيح مسلم برقم ٢٨٠٧.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٨٥٨.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٩٥٧.

(٤) حرّة المدينة: هي أرض ذات حجارة سوداء.

(٥) أن يكون أحد عرض: أي تعرّض له بسوءٍ.

للنَّبيِّ ﷺ فأردتُ أن آتِيَهُ، فذكرتُ قوله: «لا تبرح حتّى آتِيك»، فَلَمْ أَبْرَحْ حتىٰ أتاني، فقلتُ: لقد سمعتُ صوتاً تخوَّفْتُ منه، فذكرتُ له، فقال: «وَهَل سمعتَهُ؟» قلت: نَعَم، قال: «ذَاكَ جبريلُ أتاني، فقالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، قلتُ: وإنْ زَنى وإنْ سَرَقَ؟ قال: وإنْ زَنَىٰ وإنْ سَرَقَ»، متفقٌ عليه[1]، وهذا لفظ البخاري.

وعن أبي هريرةَ رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «لو كان لي مِثلُ أُحُدٍ ذهباً، لَسَرَّني أنْ لا تَمُرَّ عليَّ ثلاثُ لَيالٍ وعندِي منه شيءٌ إلاّ شيءٌ أرصِدُهُ لِدَيْنٍ» متفقٌ عليه[2].

وعنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «انظروا إلى مَنْ هُوَ أسفَلَ منكُمْ، ولا تَنظِرُوا إلى مَنْ هو فوقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ[3] أنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عليكُم»، متفقٌ عليه[4]، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية البخاري: «إذا نظر أحَدُكُمْ إلىٰ مَنْ فُضِّلَ عليهِ في المالِ والخَلْقِ[5]، فلينظر إلى من هو أسفلُ منه».

وعنه عن النبيّ ﷺ قال: «تَعِسَ[6] عبدُ الدِّينارِ والدّرهم والقَطِيفَةِ

---

(١) صحيح البخاري ج ١١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٧ ٦٤٤٣ و ٦٤٤٥، وصحيح مسلم ٩٤ و ٩٩١.

(٢) صحيح البخاري ج ١١/ ٢٢٨ برقم ٦٤٤٥ و ٢٣٨٩، وصحيح مسلم برقم ٩٩١.

(٣) أجدر: أي أحقّ ألاّ تزدروا نعمة اللَّه تعالىٰ أي لا تحتقروها والعياذ باللَّه.

(٤) صحيح البخاري ج ١١/ ٢٨٦ قريباً من هذا اللفظ، وصحيح مسلم برقم ٢٩٦٣.

(٥) الخَلْق: أي في الصورة التي كوّنه اللَّه تعالىٰ عليها.

(٦) تَعِسَ: بكسر العين المهملة، أي هلك، والقطيفة: الثّوب الذي له خمل، والخميصة: بالخاء المعجمة والميم والصاد المهملة: الكساء المربع، وفي رواية للبخاري: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة والخميصة»، أي هلك طالبها الحريص على جمعها، القائم على حفظها، فكان لذلك عبدها، نسأل اللَّه العافية.

والخَميصَةِ، إنْ «أُعْطِيَ رضي، وإنْ لم يُعْطَ لم يَرْضَ» رواه البخاري[1].

وعنه رضي اللَّهُ عنه، قال: لقد رأيتُ سبعينَ من أهلِ الصُّفَّةِ، ما منهم رجُلٌ عليه رداءٌ، إمَّا إزارٌ، وإمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا في أعناقِهِم، فمنها ما يبلُغُ نصفَ السَّاقَيْنِ، ومنها ما يبلُغُ الكَعْبَيْنِ، فيجمعُهُ بيدهِ كَرَاهِيَةَ أنْ تُرَىٰ عَوَرَتُهُ» رواه البخاري[2].

وعنه قال رسولُ اللَّه ﷺ: «الدُّنْيا سِجْنُ المُؤْمِنِ وجنَّةُ الكافِرِ» رواه مسلم[3].

وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: أخذَ رسولُ اللَّه ﷺ بِمَنْكَبيَّ، فقالَ: «كُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غريبٌ، أو عابرُ سبيلٍ»[4].

وكان ابن عمر رضي اللَّه عنهما يقول: إذا أَمْسَيْتَ، فلا تنتظرِ الصَّباحَ، وإذا أصبحتَ فَلاَ تَنتظرِ المَسَاء، وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لموتِكَ. رواه البخاري[5].

قالوا في شرح هذا الحديث معناه: لا تَركَن إلىٰ الدُّنْيا ولا تَتَّخِذْها وطناً، ولا تحدِّث نفسك بطولِ البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلَّقْ منها إلاَّ بما يَتَعلَّقُ بِهِ الغَرِيبُ في غير وَطَنِهِ، ولا تَشْتَغِلْ فيها بما يشتغِلُ به الغريبُ الَّذي يُريدُ الذهابَ إلى أهلِهِ. وباللَّهِ التوفيقُ.

وعن أبي العبَّاسِ سهل بن سعدٍ السَّاعدِيِّ رضي اللَّه عنه قال: جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «ازْهَدْ في الدُّنْيا يُحبُّكَ اللَّهُ، وازْهَدْ فيمَا عِنْدَ

---

(١) صحيح البخاري ج ٢١٦/١١ برقم ٦٤٣ و ٢٨٨٦ و ٢٨٨٧.
(٢) صحيح البخاري ج ٤٤٧/١.
(٣) صحيح مسلم برقم ٢٩٥٦.
(٤) صحيح البخاري برقم ٦٤١٦.
(٥) صحيح البخاري ج ١٩٩/١١ ـ ٢٠٠ برقم ٦٤١٦.

النَّاسِ يُحبُّكَ النَّاسُ»، حديثٌ حسنٌ رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنةٍ[1].

وعن النعمان بن بشيرٍ رضي اللَّه عنهما، قالَ: ذَكَرَ عُمَرُ بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه، ما أصابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيا، فقالَ: لقَدْ رَأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، يَظَلُّ اليومَ يَلْتَوي ما يجدُ مِنَ الدَّقَلِ ما يملأُ به بطنَهُ. رواه مسلم[2].

«الدَّقَلُ» بفتحِ الدَّال المهملة والقاف: رديءُ التَّمرِ.

وعن عائشة رضي اللَّه عنها، قالت: تُوفِّيَ رسولُ اللَّه ﷺ وما في بيتي من شيءٍ يأكُلُهُ ذُو كَبِدٍ[3] إلاَّ شَطْرُ شعيرٍ في رَفٍّ لي، فأكلتُ منه حتَّى طال عَلَيَّ، فكلته ففني. متفقٌ عليه[4].

«شطر شعيرة» أي: شيءٌ من شعيرٍ، كذا فَسَّرعهُ التِّرمذيُّ.

وعن عمرو بن الحارث أخي جويرية بنتِ الحارثِ أُمِّ المؤمنينَ رضي اللَّه عنهما، قال: ما تركَ رسولُ اللَّه ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ ديناراً ولا دِرْهَماً، ولا عَبْداً، ولا أَمَةً، ولا شيئاً إلا بغلتهُ البيضاءَ التي كَانَ يركبها، وسلاحهُ، وأرضاً جعلَهَا لابنِ السَّبيلِ صدقة»، رواه البخاري[5].

وعن الخباب بن الأرتِّ رضي اللَّه عنه قال: هاجرنَا مع

---

(١) صحيح الجامع الصغير برقم ٩٢٢، والأحاديث الصحيحة برقم ٩٤٤.

(٢) صحيح مسلم برقم ٢٩٧٨، وأحمد في مسنده ج ١/ ٢٤.

(٣) ذو كبدٍ ـ بفتح الكاف وكسر الموحدة ـ أي حيوان. والرف ـ بفتح الراء وتشديد الفاء ـ: خشب يرفع عن الأرض يوضع فيه ما يراد حفظه. وفني: أي فرغ، قال القرطبي: سبب رفع النَّماء عند الكيل ـ واللَّه أعلم ـ الالتفات بعين الحرص، مع معاينة إدرار نعم اللَّه ومواهب كراماته وكثرة بركاته، والغفلة عن الشكر عليها والثقة بالذي وهبها، والميل إلى الأسباب المعتادة عند مشاهدة خرق العادات.

(٤) صحيح البخاري ج ١١/ ٢٣٩، وصحيح مسلم برقم ٢٩٧٣.

(٥) صحيح البخاري ج ٨/ ١١٣ برقم ٢٧٣٩.

رسولِ اللّه ﷺ نَلْتَمِسُ وَجهَ اللّهِ تعالىٰ، فَوَقَعَ أجرُنَا على اللّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ ولم يأكُلْ مِنْ أجْرِهِ شَيْئاً، منهُمْ مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ رضي اللّه عنه، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وتَرَكَ نَمِرَةً، فكُنَّا إذا غَطَّيْنا بِهَا رَأْسَهُ، بَدَتْ رِجْلاَهُ، وإذا غَطَّيْنَا بِهَا رِجْلَيْهِ بَدا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رسولُ اللّه ﷺ أنْ نغطِّيَ رأسَهُ، ونجعلَ على رجليهِ شيئاً من الأُذْخُر [نباتٌ طيبُ الرّائحة]، ومنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لهُ ثَمرتُهُ، فهوَ يَهْدِبُها. متفق عليه[1].

«النَّمِرَةُ»: كِسَاءٌ مُلَوَّنٌ من صوفٍ. وقوله: «أينعت» أي: نضجت وأدرَكَتْ. وقوله: «يَهْدِبُها» هو بفتح الياء وضمِّ الدال وكسرها، لُغتان، أي: يقطِفُهَا ويجتَنِيهَا، وهذهِ استِعَارَةٌ لمَا فتح اللّهُ تعالىٰ عليهم من الدُّنْيا وتمكّنُوا فيها.

وعن سهل بنِ سعدٍ السَّاعدي رضي اللّه عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «لو كانتِ الدُّنْيا تعدِلُ عندَ اللّهِ جناحَ بَعُوضةٍ، ما سقىٰ كافراً منها شَرْبَةَ ماءٍ»، رواه الترمذي[2]، وقال: حديث حسن صحيح.

وعن كعب بن عياضٍ رضي اللّه عنه قال: سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول: «إنَّ لكلِّ أمَّةٍ فِتْنَةً، وفتنةُ أُمَّتي المالُ»، رواه الترمذي[3] قال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وعن عبد اللّهِ بن الشِّخِّيرِ ـ بكسر الشين والخاء المشددةِ المعجمتين ـ رضي اللّه عنه أنّه قالَ: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قال: «يقولُ ابنُ آدمَ: مَالي، مَالي، وهلْ لَكَ يا ابْنَ آدمَ مِنْ مَالِكَ إلاَّ مَا أَكَلْتَ، فَأَفْنيتَ، أو لَبِسْتَ فأبْليتَ، أو تصدَّقتَ فأمْضَيْتَ؟!» رواه مسلم[4].

---

(١) صحيح البخاري ج ١١/٢٣٧ ـ ٢٣٨ برقم ٦٤٤٨ و ٣٨٩٧.
(٢) صحيح سنن الترمذي برقم ١٨٨٩.
(٣) صحيح سنن الترمذي برقم ١٩٠٥، وأحمد في مسنده ج ٤/١٦٠ وصححه الحاكم في المستدرك ج ٤/٣١٨ ووافقه الذهبي.
(٤) صحيح مسلم برقم ٢٩٥٨.

وعن كعب بن مالكٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «ما ذئبانِ جائعَانِ أُرْسلا في غنمٍ بأفسَدَ لها مِنْ حِرْصِ المرءِ عَلَىٰ المالِ والسَّرَفِ لدينِهِ» رواه الترمذي[1] وقال: حديث حسن صحيح.

وعن عبد اللَّه بن مسعودٍ رضي اللَّه عنه قال: نامَ رسولُ اللَّه ﷺ علىٰ حصيرٍ، فقامَ وقد أثَّرَ في جنبِهِ. قلنَا: يا رسولَ اللَّهِ لو اتَّخذنا لكَ وِطَاءً[2]! فقال: «ما لي وللدُّنيا؟ ما أنا في الدُّنيا إلاّ كَرَاكبٍ استظلَّ تحتَ شجرةٍ ثُمَّ رَاحَ وتَرَكَهَا»، رواه الترمذي[3]، وقال: حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «يدخُلُ الفُقَرَاءُ الجنَّةَ قبلَ الأغنياءِ بخَمسِمائَةِ عامٍ» رواه الترمذي[4]، وقال: حديث صحيح.

وعن ابن عبَّاسٍ، وعمرانَ بنِ الحصينِ رضي اللَّه عنهم عن النَّبيِّ ﷺ قال: «اطَّلَعْتُ في النَّارِ فرأيتُ أكثرَ أهلِها النّساءَ» متفقٌ عليه[5]، من روايةِ ابن عباسٍ.

ورواه البخاري أيضاً من رواية عمرانَ بن الحصينِ.

وعن أُسامةَ بن زيدٍ رضي اللَّه عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «قُمْتُ على بابِ الجنَّةِ، فكانَ عامَّةَ مَنْ دَخلَهَا المساكين وأصحابُ الجَدِّ محبوسُونَ، وغيرَ أنَّ أصحابَ النَّارِ قد أُمِرَ بهم إلىٰ النَّارِ» متفقٌ عليه[6].

---

(١) صحيح سنن الترمذي برقم ١٩٣٥، وأحمد في مسنده ج ٣/٤٥٦ وإسناده صحيح.

(٢) الوِطاء: الفراش الوطيء يتّخذ من صوفٍ ونحوه.

(٣) صحيح سنن الترمذي برقم ١٩٣٦.

(٤) صحيح سنن الترمذي برقم ٢٠٦٤.

(٥) صحيح البخاري ج ١١/٢٣٨ و ٩/٢٦٢ رقم ٣٢٤١، وصحيح مسلم برقم ٢٧٣٧.

(٦) صحيح البخاري ج ٩/٢٦١، برقم ٥١٩٦ و ٦٥٤٧.

و «الجدُّ» الحظُّ والغِنَىٰ. وليس هذا لجميع أصحاب الأموال، فقد ثبتَ عنهُ ﷺ فيما رواه أحمد ٤/١٩٧ و ٢٠٢ بسند صحيح من حديث عمرو بن العاص: «نِعْمَ المالُ الصالحُ للرجلِ الصالحِ»، وروى البخاري: ١٣/٤١٩ ومسلم ٨١٥ من حديث عبد اللّه بن عمر مرفوعاً: «لا حَسَدَ إلاَّ في اثنتين: رَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ هذا الكتابَ، فقَامَ به آناءَ اللَّيْلِ وأطْرَافَ النّهارِ، ورَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ مَالاً، فتصدَّقَ بهِ آناءِ اللَّيْلِ، وآناءَ النَّهارِ»، وفي حديث أبي كبشة الأنماري عند الترمذي[1]: «إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نفرٍ: عبدٍ رزقَهُ اللَّهُ مالاً وعِلْماً، فهو يتّقِي فيه ربَّهُ، ويصلُ رحمَهُ، ويعلِّمُ فيه للَّهِ، فهذا بأفضلِ المَنَازِلِ. . .» الحديث.

وحديث: «إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الغَنِي التَّقِيَّ الخَفِيَّ»[2]، وحديث: «ذهبَ أهلُ الدُّثورِ بالأُجُورِ، يصلُّون كما نُصلِّي، ويَصُومُون كما نصومُ، ويتصدَّقون ولا نتصدَّقُ. . .»[3]، وهما في الصحيحين، وكلُّ ذلك من فضلِ اللَّهِ تعالىٰ يُؤْتيهِ مَنْ يشاءُ من عبادِهِ.

---

(١) صحيح سنن الترمذي برقم ١٨٩٤.

(٢) صحيح الجامع الصغير برقم ١٨٨٢، وهو في صحيح مسلم برقم ٢٠٨٨، المختصر.

(٣) صحيح مسلم برقم ٥٩٥ و ١٠٠٦.

الثاني والسبعون من شعب الإيمان
الغيرة وترك المِذاء[1]

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

وفي حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه في «صحيح البخاري»: «إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يَغارُ، وإنَّ المُؤْمِنَ يغارُ، وغيرَةُ اللَّهِ أنْ يأتِيَ المُؤْمِنُ ما حرَّمَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ عليهِ»[2].

وحديث أُمّ سَلَمَةَ رضي اللَّه عنها[3] في «الصحيحين»: «أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان عندها وفي البيت مخنَّثٌ[4]، فقال لعبد اللَّه بن أبي أُمَيَّةَ

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٧/٤١١ ـ ٤١٤، قال الحليمي المِذاء: هو أن يجمع بين الرجال والنّساء، ثم يُخْليهم يُماذِي بعضِهُم بعضاً، وأُخِذ من المَذْي. وقيل: هو إرسال الرجال مع النّساء، من قوله: مذيتُ الفرسَ: إذا أرسلتها ترعىٰ.

(٢) صحيح البخاري ج ٩/ ٢٨١ برقم ٥٢٢٣.

(٣) أم سلمة بنت أبي أُميّة بن المغيرة بن مخزوم القرشيّة المخزوميّة، أُمّ المؤمنين، زوج رسول اللَّه ﷺ واسمها هند، وهي آخر أُمّهات المؤمنين موتاً توفيت رضي اللَّه عنها سنة ٥٩ هـ، وصلّى عليها أبو هريرة رضي اللَّه عنه .

(٤) المخنَّث: هو الذي يشبه النّساء في أقواله وأفعاله، ومَنْ فعَلَهُ كان ملعوناً، قوله: «تقبل بأربع وتدبر بثمان: هو وصف للمرأة، وحاصله أنّها سمينة، ولبطنها طيّات من السمن من كلِّ ناحية ثنتان، ولكل واحدة طرفان، فإذا أدبرت صارت =

ـ أخي أمّ سلمة ـ: يا عبدَ اللَّه، إنْ فتحَ اللَّهُ لكُمْ الطائف غداً، فإني أدلُّكَ على ابنة غَيْلَان، فإنَّها تُقبِل بأربع وتُدْبِرُ بثمان، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «لا يَدْخُلْ هٰؤُلَاءِ عليكُمْ»[1].

وعن جابر بن عتيل أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إنَّ منَ الغَيْرَةِ ما يحبُّ اللَّه، ومنها ما يُبْغِضُ اللَّهُ، وإنّ من الخُيَلاءِ ما يُحبُّ اللَّهُ، ومنها ما يُبْغِضُ اللَّهُ، فأمّا الغَيْرَةُ التي يُحبُّهَا اللَّهُ فالغِيرة في الرّيبةِ، وأمّا الغيرةُ التي يُبْغِضُ اللَّهُ فالغيرةُ في غير الرِّيبة، وأمّا الخُيلاءُ التي يحبّها اللَّهُ فاختيالُ الرّجُل في القِتَالِ، واختيالُهُ عندَ الصّدقةِ، وأمّا الخُيلاءُ التي يُبغضُ اللَّهُ فاختيالُ الرّجُلِ في البغي والفَخْرِ»[2].

عن المُغيرةِ قال: قال سعدُ بنُ عُبادَةَ: لَوْ رأيتُ رَجُلاً مع امْرَأتِي لضَرَبْتُهُ بالسَّيْفِ غيرَ مُصْفحٍ، فَبَلَغَ ذٰلِك رسولَ اللَّه ﷺ فقالَ: «أتعجبونَ مِن غيرةِ سعدٍ، واللَّهِ لأنَا أغيرُ منهُ، واللَّهُ أغْيَرُ مِنّي، ومِنْ أجْلِ غيرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، ولاَ أَحَدَ أَحَبُّ إليهِ العُذْرُ مِنَ اللَّهِ، ومِنْ أجْلِ ذلك بعثَ المبشِّرينَ والمُنْذِرِينَ، ولاَ أَحَدَ أحَبُّ إليهِ المِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ، ومِنْ أَجْلِ ذلكَ وَعَدَ اللَّهُ الجَنَّةَ»[3].

= الأطراف ثمانية. وهذا القول في النساء لا يليق بالمؤمن، ولهذا اشتدت غَيْرَة النبيّ ﷺ حين سماعه كلام المخنَّث فأجلاه عن المدينة لئلاّ ينتشر تخنّثه فيها. وكان اسم المرأة التي قال فيها ما قاله: بادية ابنة غيلان، وكان اسمه «هيت».

(1) صحيح البخاري ج ٩/ ٢٩١ برقم ٤٣٢٤ و ٥٨٨٧ و ٥٢٣٥، وصحيح مسلم برقم ٢١٨٠.

(2) صحيح الجامع الصغير ٢٢٢١، والإرواء برقم ١٩٩٩.

(3) صحيح البخاري برقم ٦٨٤٦.

الثالث والسبعون من شعب الإيمان
الإعراض عن اللّغو[1]

قال اللّه تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥].

واللّغو: الباطل الذي لا يعنيه، ولا يتّصِلُ بقصدٍ صحيحٍ، ولا يكونُ لقائلهِ فيهِ فائدةٌ، وربّما كانَ وبَالاً عليهِ.

وفي حديث أبي سلمةَ عن أبي هريرة، وعليّ بن الحسين، عن أبيه عن عليّ رضي اللّه عنهم، أنَّ رسولَ اللّه ﷺ قال: «مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ»[2].

[هذا الحديث أصلٌ عظيم من أصول الأدب، ومعناه أنّ حُسْنَ إسلام المَرْءِ تركُهُ ما لا تتعلّقُ عنايتُهُ به، ويكون من مقصدهِ ومطلوبهِ من قولٍ وفعلٍ، والعنايةِ بالشيء شدّةُ الاهتمام بِهِ، لا أنّه يترك ما لا عناية له به ولا إرادة بحكم الهوى وطلب النّفس، بل بحكم الشّريعة والإسلام، لهذا جعله رسولُ اللّه ﷺ مِنْ حُسْنِ الإسلام. فإذا حَسُنَ إسلامُ المرءِ تركَ ما لا يعنيهِ مِنَ المكروهات، وفضول المباحات التي لا يحتاجُ إليها، فإنَّ هذا كلّه لا

---

(١) شهب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٧/ ٤١٥ ـ ٤١٩.
(٢) صحيح سنن الترمذي برقم ١٨٨٦، وصحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٢١١.

ضَحَايَا، فَأعطاني عَتُوداً[1] جذعاً، قال: فرجعتُ به إليه، فقلتُ: إنّه جذع؟ قال: «ضَحِّ به» فضحيتُ به.

وعن البَرَاءِ، قال: خطبنا رسولُ اللّهِ ﷺ يومَ النّحر بعد الصّلاةِ فقال: «مَنْ صَلَّىٰ صَلاتَنَا، ونَسَكَ نُسُكَنَا، فقدْ أَصَابَ النُّسُكَ، ومن نَسَكَ قَبْلَ الصَّلاةِ فتلكَ شاةُ لَحْمٍ»، فقام أبو بردة بن نِيَارٍ فقالَ: يا رسولَ اللّهِ! واللّهِ لقد نسكتُ قبلَ أن أخرجَ إلى الصّلاةِ، وعرفت أنّ اليومَ يومُ أكلٍ وشُرْبٍ فتعَجَّلْتُ فأكلتُ وأطعمتُ أهلي وجيراني. فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «تِلْكَ شاةُ لَحْمٍ»، فقالَ: إنّ عندي عناقاً جَذَعَةً وهي خير من شاتَيْ لَحْمٍ فهل تُجزىء عنّي؟ قال: «نَعَمْ ولن تجزىء عن أحدٍ بَعْدَكَ». «الصحيحان»[2].

وعن البَراء بن عازب، قال: ضَحَّىٰ خالٌ لي يقال له: أبو بردة، قبلَ الصّلاة، فقالَ له رسولُ اللّهِ ﷺ: «شاتُكَ شاةُ لَحْمٍ»، فقالَ: يا رسول اللّه، إنَّ عندي دَاجناً جَذعة مِنَ المعز، فقال: «اذْبَحْهَا ولا تَصْلُحُ لغيركَ» «الصحيحان»[3].

وعن عُبيدةَ بن فيروزٍ، قال: سألتُ البَراء بْنَ عازِبٍ: ما لا يجوز في الأضاحي؟ فقالَ: قامَ فينا رسولُ اللّهِ ﷺ، وأصابعي أقصر من أصابعه، وأناملي أقصر من أنامله، فقال: «أَرْبَعٌ لا تجوزُ في الأضَاحِي، العَوْرَاءُ بَيِّنٌ عوَرُها، والمَرِيضَةُ بيِّنٌ مَرَضُهَا، والعَرْجَاءُ بَيِّنٌ ظَلْعُهَا، والكَسِيرُ الّتي لا تَنْقَىٰ»، قال: قلتُ: فإنّي أكره أن يكون في السِّن نَقْصٌ، قال: ما كرهتَ فَدَعْهُ، ولا تُحَرِّمْهُ على أحدٍ. «صحيح»[4].

---

(١) «عتوداً جذعاً» العتود ؛ بفتح أوله ـ الصغير من أولاد المعز إذا قوي وأتى عليه حولٌ.

(٢) صحيح البخاري برقم ٩١٢ و٥٢٤٣ من طبعة البغا، وصحيح مسلم برقم ١٩٦٠/٧، وصحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٢٩.

(٣) الصحيحان: المصدر السابق، وصحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٣٠.

(٤) صحيح سنن أبي داود برقم ٢٤٣٨، وفي السنن ٢٨١٢، وهو في الصحيحين مختصراً.

يعني المسلم، فعلىٰ العاقل أنْ لا يسعىٰ إلاَّ إلىٰ ثلاثٍ: تزوّدٍ لمعادٍ، أو حرفةٍ لمعاشٍ، أو لذّةٍ في غيرِ مُحَرَّمٍ، وأنْ يكون بصيراً بزمانه، مُقْبِلاً على شأنِهِ، حافظاً للسانِهِ، خادماً لأُمّتِهِ ودينِهِ، حافظاً لحقوق ربِّهِ، مثابراً علىٰ النّصائح والفوائد، عاملاً على إنهاض أُمّتِهِ، وغير ذلك من الصّفات التي ينبغي أن يتّصف بهَا المسلمُ][1].

وعن حذيفة بن اليمان قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «لا ينبغي لمؤمنٍ أن يُذِلَّ نَفْسَهُ يتعرَّضُ للبَلاَءِ لِما لا يُطِيقُ»[2]، ومن إذْلاَلِ النَّفْس تعريضها لِمَا لا يُطاقُ، وفي ترك اللّغوِ السلامة من كثير من البلايا والرَّزايا.

قال الحافظ البيهقي.

واللّغو الباطل الذي لا يتّصل بقيدٍ صحيح ولا يكون لقائلهِ فيه فائدةٌ، وربّما يكون وبالاً عليه ثم ينقسم فيكون منه أن يتكلّم الرجل بما لا يعنيه من أمور النّاس، فيفشي سرائرهم ويهتك أستارهم ويذكر أموالهم وأحوالهم من غير حاجة به إلى شيءٍ من ذلك عادة، فلا يريد النزوح عنها ويكون منه الخوضُ فيما لا يحلُّ من ذكر الفجار والفجور والملاهي. ويكون منه الافتخار بالآباء الجاهلين والتّمدّح بهم والذكر للمعاملات المبنيّة على الاستطالة، ويكون فيه خوض المبطلين في القصائد فيما عندهم وتفضيلهم إياه على ما عند غيرهم بالدّعاوي والتّوسّع في المقال في غير حُجّة، ويكون منه إنشاد الأشعار المَقُولَةِ في ضُرُوبِ الأكاذيب، ويكون منه دراسة الحساب فصول الحساب التي وضعوها في المثلثات والمربّعات والمُخَمّسات فيها لا يُجدِي علىٰ أهلها نفعاً في العاجل ولا في الآجل والاشتغال بها تضييعٌ للزمان، وكل ما كان لغواً فينبغي أن لا يشتغلَ به. قال رسولُ اللّه ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إسلامِ المَرْءِ تَرْكُه مَا لاَ

---

(١) من تعليق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط على مختصر شعب الإيمان ص ١٣٧، ط دار ابن كثير.

(٢) صحيح الجامع الصغير برقم ٧٧٩٧.

يَعْنِيهِ»[1].

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٧/ ٤١٥، والحديث في صحيح سنن الترمذي برقم ١٨٨٦، وصحيح ابن ماجه برقم ٣٢١١.

الرّابع والسّبعون من شعب الإيمان
الجود والسّخاء(١)

قال اللّه تعالىٰ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران] وغيرها من الآيات.

وقال تعالىٰ في عكسهِ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [النساء].

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٧/ ٤٢١ ـ ٤٤٥.

الجود والسخاء والكرم بمعنىً، وهو إنفاق المال الكثير بطيب من النّفس في الأمور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي، ويقابله البخل، وقد مدح اللّهُ الجودَ في كتابه الجليل، وعلى لسان رسوله الكريم، وكان نبيُّنا ﷺ لا يُوازَىٰ في الكرم والجود، ولا يُبارَى، وبهِ وَصَفَهُ كلُّ مَنْ عرفَهُ، وما سُئِل قط فقال: لا، لِمَا رواه البخاري في صحيحه والترمذي وغيرهما عن جابر رضي اللّه عنه قال: «ما سُئِلَ رسولُ اللّه ﷺشيئاً فقال: لا»، وأنشد حسانُ بن ثابت رضي اللّه عنه:

ما قالَ لا قطُّ إلاّ في تشهدِهِ ... لولا التّشهدُ كانتْ لاؤهُ نعَمُ

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي اللّه عنهما أنّه قال: «كانَ النّبيّ ﷺ أجْودَ النّاس بالخيرِ، وأجودُ ما يكونُ في رمضان، وكان أجودَ بالخيرِ منَ الرّيحِ المُرْسَلَةِ».

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محمد: ٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر]، وغيرها من الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٢٧٣﴾ [البقرة].

وفي حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه في «الصحيحين»: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العباد فيه إلا ملكانِ ينزِلانِ، فيقولُ أحدُهُما: اللّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، ويقولُ الآخَرُ: اللّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»(١).

وعن ابن مسعودٍ رضي اللّه عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «لا حَسَدَ إلاَّ في اثنتينِ: رَجُلٌ آتاهُ اللّهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ [أي: في إنفاقه]، في الحقِّ، ورجلٌ آتاهُ اللّهُ حِكْمَةً فهو يقضي بها ويُعَلِّمُهَا» متفقٌ عليه(٢). ومعناه: ينبغي أنْ لا يُغْبَطَ أحَدٌ إلاَّ على إحدىٰ هاتينِ الخصلتين.

وعنه قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «أيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إليهِ من مَالِهِ؟ قالُوا: يا رسولَ اللّهِ، ما مِنَّا أحَدٌ، إلاَّ مَالُهُ أحبُّ إليهِ. قال: «فإنّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ(٣) وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ»، رواه البخاري(٤).

وعن عديِّ بن حاتم رضي اللّه عنه أنّ رسول اللّه ﷺ قال: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» متفقٌ عليه(٥).

وعنه أنّ رسولَ اللّه ﷺ قال: «قال اللّه تعالىٰ: أَنْفِقْ يا ٱبْنَ آدمَ يُنفقْ

(١) صحيح البخاري ج ٣/ ٢٤١ برقم ١٤٤٢، وصحيح مسلم برقم ١٠١٠.
(٢) صحيح البخاري ج ١/ ١٥٢ ـ ١٥٣ برقم ٧٣، وصحيح مسلم برقم ٨١٦.
(٣) قوله ﷺ: «ما قَدَّمَ» أيْ بأن تصدّقَ لوجه اللّه، وأنفق على أهله بالمعروف.
(٤) صحيح البخاري ج ١١/ ٢٢١ برقم ٦٤٤٢.
(٥) صحيح البخاري ج ٣/ ٢٢٥ برقم ١٤١٧، وصحيح مسلم برقم ١٠١٦/ ٦٨.

عليك» متفقٌ عليه[١].

وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما أنَّ رجُلاً سأل رسولَ اللَّه ﷺ: أيُّ الإسلام خيرٌ؟ قالَ: «تُطْعِمُ الطَّعامَ، وتَقْرأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لم تَعْرِفْ» متفقٌ عليه[٢].

وعنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاها منيحَةُ العَنْزِ، ما مِنْ عَامِلٍ يعملُ بِخَصْلَةٍ منها رجاءَ ثَوَابِهَا وتصديقَ موعُودِهَا إلاَّ أَدْخلَهُ اللَّهُ تعالىٰ بها الجنَّة» رواه البخاري[٣].

وعن أبي أُمامَةَ صُديِّ بنِ عَجْلان رضي اللَّه عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «يا ابْنَ آدم إنَّكَ أنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خيرٌ لكَ، وأنْ تُمْسِكهُ شرٌّ لكَ، ولا تلامُ على كَفافٍ، وابدأ بمَنْ تعولُ، واليَدُ العُلْيا خيرٌ من اليَدِ السُّفْلَىٰ» رواه مسلم[٤].

وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه قال: ما سُئِلَ رسولُ اللَّه ﷺ على الإسلام شيئاً إلاّ أعطاهُ، ولقد جَاءَهُ رجلٌ، فَأَعْطَاهُ غنماً بينَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إلى قومِهِ فقالَ: يا قومِ أسلِمُوا، فإنَّ مُحمَّداً يُعْطِي عَطاءَ مَنْ لا يخشىٰ الفَقْرَ، وإنْ كانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ ما يُرِيدُ إلاَّ الدُّنْيا، فما يَلْبَثُ إلاَّ يَسيراً حَتَّىٰ يكونَ الإسلامُ أحبَّ إليهِ مِنَ الدُّنْيا وما عليها. رواه مسلم[٥].

وعن عمر رضي اللَّه عنه قال: قَسَمَ رسولُ اللَّه ﷺ قَسْماً، فقلتُ: يا رسولَ اللَّه! لَغَيْرُ هؤلاءِ كانوا أحقَّ بهِ منهم؟ قال: «إِنَّهم خَيَّروني أنْ

---

(١) صحيح البخاري ج ٨/ ٢٦٥ برقم ٥٣٥٢، وصحيح مسلم برقم ٣٩٣.

(٢) صحيح البخاري ج ١/ ٥٢ برقم ١٢/ مسلم ٣٩ والخصلة: النوع من البرّ، وتصديق موعدها: أي ما وعده اللَّه تعالىٰ به من الأجر عليها.

(٣) صحيح البخاري ج ٥/ ٢٤٣/ ٢٦٣١.

(٤) صحيح مسلم برقم ١٠٢٦.

(٥) صحيح مسلم برقم ٢٣١١.

يسألوني بالفُحْشِ، أو يُبخّلوني[١]، ولستُ بباخلٍ» رواه مسلم[٢].

وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي اللَّه عنه أنّه قال: بينما هو يسيرُ مع النبيِّ ﷺ مَقفَلَهُ مِنْ حُنينٍ، فَعَلِقَهُ الأعرابُ يسألُونَهُ، حتَّىٰ اضطرُّوهُ إلىٰ سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِداءَهُ، فوقفَ النبيّ ﷺ فقال: «أعطُوني رِدائي، فَلَوْ كانَ لي عَدَدُ هٰذهِ العِضَاهِ نَعماً، لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثم لا تَجِدُوني بخيلاً ولا كذّاباً ولا جَبَاناً»، رواه البخاري[٣].

«مَقْفَلَهُ» أي: حالَ رُجوعهِ. و «السَّمُرَةُ»: شجرةٌ. و «العِضَاهُ»: شجرٌ له شوكٌ.

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مالٍ، وما زادَ اللَّهُ عَبْداً بعفوٍ إلاّ عزّاً، وَمَا تَوَاضَعَ أحدٌ لِلّهِ إلا رفعهُ اللَّهُ عزَّ وجلّ» رواه مسلم[٤].

وعن أبي كبشة عمر بن سعدٍ الأنماريِّ رضي اللَّه عنه أنّه سمعَ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «ثلاثةٌ أُقْسِمُ عليهنَّ وأُحدِّثُكم حَديثاً فاحْفَظُوهُ: ما نقصَ مالُ عبدٍ مِنْ صدقةٍ، ولا ظُلِمَ عبدٌ مظلَمَةً صَبَرَ عليها إلاّ زادَهُ اللَّه عزّاً، ولا فتَحَ عَبْدٌ بابَ مَسْألَةٍ إلاّ فتحَ اللَّهُ عليه بابَ فقرٍ، أو كلمةً نحوَهَا. وأُحدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ، قالَ: إنّما الدُّنيا لأرْبَعَةِ نَفَرٍ: عبدٍ رزقَهُ اللَّهُ مالاً وَعِلْماً، فهو يَتّقِي فيهِ ربَّهُ، ويَصِلُ فيه رَحِمَهُ، ويَعْلَمُ للّهِ فيهِ حقّاً، فهذا بأفضلِ المنازِلِ.

وعبدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْماً، ولم يرزُقْهُ مالاً، فهو صَادقُ النِّيَّةِ يقولُ: لو أَنَّ لي مالاً لَعَمِلْتُ بعمَلِ فُلانٍ، فهو بِنِيّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ.

(١) يبخّلوني: أي أنهم ألحُّوا عليّ في السؤال لضعف إيمانهم، وألجؤوني بمقتضى حالهم إلى السّؤال بالفُحْش، أو نسبتي إلى البخل ولست بباخل!.

(٢) صحيح مسلم برقم ١٠٥٦.

(٣) صحيح البخاري ج ٢٦/٦ برقم ٣١٤٨.

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٥٨٨.

وعبدٍ رزَقَهُ اللَّهُ مَالاً، ولم يرزقْهُ عِلْماً، فهو يَخْبِطُ في مَالِهِ بغيرِ عِلْمٍ، لا يتَّقِي فيه ربَّهُ، ولا يصلُ فيهِ رحِمَهُ، ولا يعلمُ للَّهِ فيه حقّاً، فهذا بأخْبَثِ المَنَازِلِ.

وعبدٍ لم يرزقْهُ اللَّهُ مالاً ولا عِلماً، فهو يقولُ: لو أنَّ لي مَالاً لعَمِلْتُ فيه بعملِ فلانٍ، فهو نيَّتُهُ، فَوِزْرُهُمَا سواءٌ»، رواه الترمذي[1] وقال: حديث حسن صحيح.

وعن عائشة رضي اللَّه عنها أنَّهم ذبحوا شاةً، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «ما بقيَ منها؟» قالتْ: ما بقيَ منها إلاَّ كَتِفُهَا، قال: «بقيَ كُلُّهَا غيْرَ كَتِفِهَا» رواه الترمذي[2]، وقال: حديث صحيح.

ومعناه: تصدَّقُوا بها إلاَّ كتفَهَا فقالَ: بَقِيَتْ لنا في الآخرةِ إلاّ كتفها.

وعن أسماء بنت أبي بكرٍ رضي اللَّه عنهما قالت: قال لي رسولُ اللَّه ﷺ: «لا تُوكِي فيُوكَى عليكِ».

وفي رواية: «أنْفِقِي أو انفحِي، أوِ انْضَحِي، ولا تُحْصِي فيُحْصِي اللَّهُ عليكِ، ولا تُوعِي فيُوعِي اللَّهُ عليكِ» متّفقٌ عليه[3].

وانفحي: بالحاء المهملة، وهو بمعنى «أنفقي»، وكذلك: «انْضَحِي».

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنّه سمعَ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «مَثَلُ البَخِيلِ والمُنْفِقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ من ثُدِيِّهِمَا إلى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المنفقُ، فلا يُنْفِقُ إلاَّ سَبَغَتْ، أو وَفَرَتْ على جِلْدِهِ حتَّىٰ

---

(١) صحيح سنن الترمذي برقم ١٨٩٤.

(٢) صحيح سنن الترمذي برقم ٢٠٠٩.

(٣) صحيح البخاري ج ٣/٢٣٨ وج ٥/١٦٠ - ١٦١ برقم ١٤٣٣، وصحيح مسلم برقم ١٠٢٩.

ومعنى الحديث: لا تمنعي ما في يدك، لئلاَّ يقطع اللَّه عليكِ مادّة الرزق.

تُخْفِي بَنَانَهُ، وتعفُو أثَرَهُ، وأَمَّا البَخِيلُ، فَلاَ يريدُ أنْ يُنْفِقَ شَيْئاً إلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا فَلاَ تَتَّسِعُ» متفقٌ عليه[1].

و «الجُنَّةُ» الدِّرعُ. ومعناه: أنَّ المُنفقَ كُلَّما أَنْفَقَ سَبغَتْ، وطَالَتْ حتى تَجُرَّ وراءَهُ، وتُخْفِي رِجْلَيْهِ وأَثَرَ مَشيهِ وخُطُواتِهِ[2].

(١) صحيح البخاري ج ٣/٢٤١، ٢٤٢ برقم ١٤٤٣، وصحيح مسلم برقم ١٠٢١.

(٢) والمعنى: أنّ الصدقةَ تستر خطايا المؤمن كما يغطّي الثوب الذي يُجَرُّ على الأرض أثر صاحبِهِ إذا مشى بمرور الذَّيل عليه، وهكذا أثر الصدقة في الذنوب تمحُوها.

الخامس والسبعون من شعب الإيمان
رُحْمُ الصّغير وتوقيرُ الكبير(١)

عن جرير بن عبد اللَّه في «الصحيحين» قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ لاَ يَرْحَمِ النَّاسَ لاَ يَرْحَمُهُ اللَّه تعالىٰ»(٢).

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه في «الصحيحين» قال رسولُ اللَّه ﷺ: «جعلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مائةَ جُزْءٍ، فأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وتسعِينَ جُزْءاً، وأنزلَ في الأرضِ جُزْءاً واحِداً، فمِنْ ذلكَ الجُزْءِ يتراحَمُ الخَلاَئِقُ حتَّى ترفَعَ الفَرَسُ حافِرَها عن ولدِهَا خَشْيَةَ أنْ تُصِيبَهُ»(٣).

وفي حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما في «سنن أبي داود»: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، ولَمْ يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرَنَا، فَلَيْس مِنَّا»(٤).

وفي حديث الإِمَامَةِ: «وليَؤُمُّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»(٥)، وفيه دلالةٌ على لزومِ توقيرِ الكبيرِ وتقديمه في الصَّلاة والأمور العامّة.

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قَبَّلَ رسولُ اللَّه ﷺ حسنَ بنَ عليّ، والأقرَعُ بنُ حابسٍ جالسٌ عندهُ، فقال الأقرعُ: إنَّ لي لَعَشَرَةً مِنَ

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٧/٤٥٧ ـ ٤٨٥.

(٢) صحيح البخاري ج ١٣/٣٠٣، وج١٠/٣٦٦ برقم ٥٩٩٧ و ٦٠١٣، وصحيح مسلم برقم ٢٣١٩.

(٣) صحيح البخاري ج ١٠/٣٦٢ ، و ١١/٢٥٨ برقم ٦٠٠٠.

(٤) صحيح سنن أبي داود برقم ٤١٣٤.

(٥) صحيح البخاري ج ٢/٩٣، وج ١٠/٣٦٦، وصحيح مسلم برقم ٦٧٤.

الوَلَدِ ما قَبَّلْتُ منهم أحداً قطُّ، فنظَرَ إليهِ رسولُ اللَّه ﷺ ثمّ قال: «مَنْ لَمْ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ»(١).

وعن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن كانَ لَهُ ثلاثُ بَنَاتٍ، فَصَبَرَ عليهِنَّ، وأَطْعمهُنَّ، وَسَقَاهُنَّ، وكسَاهُنَّ مِنْ جِدتِهِ، كُنَّ له حِجَاباً مِنَ النَّارِ يومَ القِيامَةِ»(٢).

---

(١) صحيح البخاري برقم ٥٩٩٧.

(٢) صحيح الجامع الصغير برقم ٦٤٨٨.

السّادس والسبعون من شعب الإيمان

إصْلَاحُ ذَاتِ البيْنِ(١)

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، أي بينَ كلِّ اثنينِ منكم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النّساء: ١٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾ [الحجرات: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

قال ابنُ عبّاسٍ رضي اللَّه عنهما في هذه الآية: هذا مخرجٌ مِنَ اللَّه عزَّ وجلَّ: أنْ يتَّقُوا اللَّهَ ويُصْلِحُوا ذَاتَ بينِهِم.

وعن أبي الدَّرداءِ قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «ألاَ أُخبِرُكُم بأَفْضَلَ مِن دَرَجَةِ الصِّيَامِ والصَّلاةِ والصَّدَقَةِ؟» قالُوا: بلىٰ. قال: «صَلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ، فإنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ»(٢)، [أي الحالقة لتقوىٰ العبدِ وخشوعِهِ

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٧/ ٤٨٧ ـ ٤٩٧.

(٢) صحيح سنن الترمذي برقم ٢٠٣٧، وفي رواية: «لا أقولُ تحلقُ الشعر، ولكن تحلق الدِّين»، وإسنادها ضعيف. انظر غاية المرامِ في تخريج أحاديث الحلال =

وحُسنِ عبادتِهِ].

قال الحافظ البيهقي: وإذا كان إصلاحُ ذَاتِ البَيْنِ، مهمَا فَسَدُوا، واجباً، فمِنَ البيِّنِ أنَّ تَرْكَ الإفسادِ بينَ النَّاسِ باجتناب النَّمَائِمِ واتِّقَاءِ الضَّرْبِ والتّحريش بينَهُم أوجبُ وألْزَمُ(١).

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ العَبْدَ لَيَتكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوانِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بها دَرَجَاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَها بَالاً يَهْوِي بها في جهنَّم»(٢)، وفي رواية في الصّحيحين: «يهوِي بهَا في النَّارِ أَبْعَدَ ما بينَ المَشْرِقِ والمغرِبِ»(٣).

ويكون ذلك في الكلامِ الطيّب في الإصلاح بينَ النَّاس، كما يكونُ الإفْسَادُ بينهم بالكلامِ الخبيثِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ، نَسْأَلُ اللَّهَ تعالىٰ العافيةَ مِنَ الفَسادِ والإفْسَادِ.

وعن أُمِّ كُلْثُومٍ بنت عُقْبَة بن أبي مُعَيْطٍ رضي اللَّهُ عنها(٤)، في الصحيحين: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذي يُصْلِحُ بينَ النَّاسِ، فيقُولُ خَيْراً ويَنْمِي خَيْراً»، قالتْ: ولم أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ في شيءٍ ممّا يقولُ النّاسُ كَذِباً إلاَّ في ثلاثٍ: الحربِ، والإصلاح بينَ النّاس، وحديثِ الرجلِ

= والحرام للشيخ ناصر الدين الألباني رقم ٤١٤.

(١) شعب الإيمان ج ٤٩١/٧.

(٢) صحيح البخاري ج ٣٠٨/١١ الفتح برقم ٦٤٧٨.

(٣) صحيح البخاري ج ٣٠٨/١١ رقم ٦٤٧٧، وصحيح مسلم برقم ٢٩٨٨.

(٤) هي أم كلثوم بنت عُقْبة بن أبي مُعَيْط، وهي ممّن أسلم قديماً، وبايعتْ رسولَ اللَّه ﷺ هاجرتْ إلى المدينة ولم تكنْ متزوجةً، فتزوّجها في المدينة زيدُ بن حارثة، ثمَّ تزوّجها الزبير بن العَوّام بعدَ قتلِ زيد رضي اللَّه عنه، ثم فارقها الزّبير، فتزوّجها عبد الرحمٰن بن عوف، فمات عنها، فتزوجها عمرو بن العاص فمكثت عنده شهراً، وماتتْ رضي اللَّه عنها.

امرأته، وحديثِ المرأةِ زوجها[1].

[يُقالُ: نَمَيْتُ الحديثَ أنميه: إذا بلَّغْته على وجهِ الإصلاح وطلبِ الخير، فإذا بلَّغْتُهُ على وَجْهِ الإفسادِ والنّميمة، قلتُ: نمّيته بالتّشديد، قال الحافظُ: قال العلماءِ: المُرَادُ هنا أنَّهُ يخبر بما علمه من الخير، ويسكت عمّا علمه من الشّرّ، ولا يكونُ ذلك كَذِباً، لأنَّ الكذب الإخبارُ بالشيء على غير ما هو به، وهذا ساكت، ولا ينسب لساكتٍ قولٌ، ولا حُجَّةٌ فيه لمَنْ قال: يُشْتَرَطُ في الكذبِ القَصْدُ إليه، لأنَّ هذا ساكتٌ.

واختلفَ العلماءُ في معنىٰ ذلك على أقوالٍ، والذي تميلُ إليه النفس ويقبلُهُ العقلُ السليمُ، وتشهدُ له الأدلّة، هو أنّ هذا ليس من قبيل الكذب المحض، بل هو من قبيل التّورية واستعمال المعاريض، بأنْ يأتي بكلماتٍ محتملةٍ يَفْهَمُ المُخَاطَبُ منها ما يُطَيِّبُ قَلْبَهُ، فإذا سعىٰ في الإصلاح نقلَ من هؤلاء إلى هؤلاء كذلك ووَرّىٰ، وكذلك في الحربِ يأتي بألفاظ تحتمِلُ وجهين، فيورِّي بها عن أحدِ المَعْنَيَيْنِ ليغترَّ السّامِعُ بأحدِهما عن الآخر][2].

(١) صحيح البخاري ج ٥/ ٢٢٠ رقم ٢٦٩٢، وصحيح مسلم برقم ٢٦٠٥.

(٢) من تعليق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط على مختصر شعب الإيمان ص ١٤٢.

السابع والسبعون من شعب الإيمان
أن يحبَّ الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه(١)

عن أنسٍ رضي اللّه عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه(٢).

فوله ﷺ: «لا يُؤْمِن أحدكم» أيْ إيماناً صحيحاً كاملاً تامّاً حتىٰ تتحقّقَ محبّةُ المؤمنين؛ بأنْ يُحبَّ لهم ما يحبُّ لنفسهِ، فإنَّ المحبّةَ تُؤدي إلى التّعاضد والتّناصر، وبهِ ينتظمُ شَمْلُ المؤمنين ويقوى إيمانُهم وتتأيّدُ شريعتُهُم.

وعن ابن عمر رضي اللّه عنهما أنَّ رسولَ اللّه ﷺ قال: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يظلِمُهُ، ولا يُسْلِمُهُ [أي إلىٰ عدوّه]، من كانَ في حاجةِ أخيهِ كانَ اللّهُ في حاجتهِ، ومن فرّجَ عن مُسلِمٍ كُرْبَةً فرّجَ اللّهُ عنه بها كُرْبَةً من كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، ومَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سترهُ اللّهُ يومَ القِيامَةِ» متفقٌ عليه(٣).

وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لا يَخُونُهُ ولا يكذِبُهُ ولا يَخْذُلُهُ [أي لا يترك نُصْرَتَهُ] كُلُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ حَرَامٌ عِرْضُهُ ومالُهُ ودَمُهُ، التَّقْوَىٰ هٰهُنَا، بِحَسْبِ امْرِىءٍ

---

(١) شعب الإيمان للحافظ البيهقي ج ٧/ ٤٩٩ ـ ٥٤٠.
(٢) ضحيح البخاري ج ١/ ٥٣، ٥٤ برقم ١٣، وصحيح مسلم برقم ٤٥.
(٣) صحيح البخاري ج ٥/ ٧٠، ٧١ برقم ٢٤٤٢ و ٦٩٥١، وصحيح مسلم برقم ٢٥٨٠.

مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخَاهُ المُسْلِمَ» رواه الترمذي[1]. وقال: حديث حسن. [أي بحسب امرئ: أي كافيه مِنَ الشّر احتقارُ أخيهِ المسلم].

وعن جُنْدُبِ بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ صَلاَةَ الصُّبْحِ فَهُوَ في ذِمَّةِ اللَّهِ، [أي: في أمانِهِ وَعَهْدِهِ]، فلا يَطْلُبَنَّكُمْ اللَّه مِنْ ذِمَّتِهِ بشيءٍ، فإنَّه مَنْ يطلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يكُبُّهُ، [أي: ثم يُلقيه] على وجهِهِ في نار جهنَّمَ»، رواه مسلم[2].

في هذا الحديث غايةُ التّحذير من التّعرّضِ بسوءٍ لِمنَ صلَّىٰ الصُّبْحَ، وأنَّ مَنْ تَعَرَّضَ لهُ بسُوءٍ عرَّضَ نفسَهُ للإهَانَةِ والعذاب من اللَّه تعالىٰ، لأنَّ مَنْ كان في ذمَّةِ اللَّهِ فهو في كَنَفِهِ، فمن آذاهُ فقدْ آذىٰ اللَّهُ تعالىٰ.

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «لا تَحَاسَدُوا ولاَ تَنَاجَشُوا ولا تَبَاغَضُوا ولا تَدَابَرُوا ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ على بيعِ بعضٍ، وكونوا عِبادَ اللَّهِ إخْواناً. المُسْلِمُ أخو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمهُ ولا يحقِرُهُ ولا يَخْذلُهُ، التَّقْوىٰ ها هُنَا - ويُشيرُ إلىٰ صدرِهِ ثلاث مرّاتٍ - بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخَاهُ المسلِمَ، كُلُّ المسلِمِ علىٰ المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وعِرْضهُ»، رواه مسلم[3].

«النَّجشُ»: أنْ يزيدَ في ثمنِ سلعةٍ يُنادَىٰ عليها في السّوقِ ونحوِهِ، ولا رغبَةَ لهُ في شِرائهَا بل يقصِدُ أنْ يَغُرَّ غيرَهُ، وهذا حَرَامٌ. «والتّدابُرُ»: أنْ يُعْرِض عن الإنسان ويهجُرَهُ ويجعلَهُ كالشّيءِ الّذي وراءَ الظَّهْرِ والدُّبُرِ.

وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «انْصُرْ أخاكَ ظَالِماً أو مَظْلُوماً»، فقالَ رَجُلٌ: يا رسولَ اللَّهِ! أنْصُرُهُ إذا كانَ مَظْلُوماً، أرأيتَ إنْ كانَ ظَالِماً، كيفَ أنْصُرُهُ؟ قال: «تحجزُهُ - أو تمنعُهُ - مِنَ الظُّلْمِ،

---

(١) صحيح سنن الترمذي ١٥٧٢ و ١١٥٢، ورقمه في السّنن ١٩٢٨.

(٢) صحيح مسلم برقم ٦٥٧.

(٣) صحيح مسلم ٢٥٦٤.

فإنَّ ذلكَ نَصْرُهُ»، رواه البخاري[1].

ونختمُ هذه الأحاديث النَّبويّة في بيان أُصولِ شُعَبِ الإيمان بهذا الحديث المُشارِ إليه في حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه في «الصحيحين»: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «الإيمانُ بِضْعٌ وستُّونَ ـ أو بِضْعٌ وسبعونَ ـ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، وأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ»[2].

فهو يُشيرُ إلىٰ أَعْلاَهَا وهو توحيدُ اللَّهِ تعالىٰ، وإلىٰ أَدْناها حِفْظُ المسلم مِنْ أيِّ أذى!! والحمدُ للَّهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

وصدق رسولُ اللَّهِ ﷺ فيما بلَّغَ عن ربِّهِ عزَّ وجلَّ، ونحنُ على ذلكَ من الشاهدين، والحمدُ للَّهِ ربِّ العَالمين.

---

(١) صحيح البخاري ج ٥/٧١ وج ١٢/٢٨٩ رقم ٢٤٤٣ و ٢٤٤ و ٦٦٥٢.
(٢) صحيح البخاري ج ١/٤٨، ٤٩ رقم ٩، وصحيح مسلم برقم ٣٥.

فهرس الآيات القرآنية

القاف

الكاف

اللام

الميم

الهاء

الواو

الياء

فهرس الأحاديث النبوية الصحيحة والحسنة حسب الترتيب الهجائي

الهمزة

الباء

التاء

الثاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الذال

الراء

السين

الشين

الصاد

الضاد

الطاء

العين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الياء

فهرس المصطلحات
في العقيدة والحديث والفقه واللغة (*)

الهمزة

(*) لم تراع (ال) التعريف في الترتيب الأبجدي.

الباء

التاء

الثاء

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الذال

الراء

الزاي

السين

الشين

الصاد

الضاد

الطاء

الظاء

العين

الغين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الياء

فهرس الموضوعات

صحيح شعب الإيمان

تصنيف
الشيخ خالد عبد الرحمن العك

المكتب الاسلامي

صحيح شعب الإيمان

خالد عبد الرحمن العك

المكتب الاسلامي